



علما، تضيء لهم الجنان
وأخسرون تسعير بهم النيران

هلال محمد الكبسي

دار الكتاب الحديث

علماء تضيء لهم الجنان وآخرون تسعّر بهم النيران

العالم الصالح والطالح

كيف نفرّق بينهما، وما جاء في صفات كلّ منهما

وذكر لأغرب وأعجب الفتاوي

هلال محمّد عبّداً لله العيسى


دار الكتب الحديث

العيسى ، هلال محمد عبدالله	
علماء تضيء لهم الجنان وآخرون تُسَعَّرُ بهم النيران: العالم الصالح والطلّاح كيف نفرّق بينهما، وما جاء في صفات كلٍّ منهما وذكر لأغرب وأعجب الفتاوى / تأليف: هلال محمد العيسى.	
ط 1 . - القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2018	
498 ص ؛ 24 سم.	
تدمك 978 977 350 814 2	
1- الإسلام - تراجم . 2- العلماء. 3- الفتاوى الشرعية	
أ- العنوان.	
922.1	

رقم الإيداع 9458 / 2018

حقوق الطبع محفوظة

1439 هـ / 2018 م

دار الكتاب الحديث

www.dkhbooks.com

94 شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم: 22752990 (00 202) فاكس رقم: 22752992 (00 202) بريد إلكتروني: dkh.cairo.22@gmail.com	القاهرة
شارع الهلالي، برج الصديق ص.ب: 22754 - 13088 الصفاء هاتف رقم 2460634 (00 965) فاكس رقم: 2460628 (00 965) بريد إلكتروني: dkhkuwait@gmail.com	الكويت
B. P. No 061 - Draria Wilaya d'Alger - Lot C no 34 - Draria Tel & Fax: (21) 353055 Tel: (21) 354105 E-mail: dk.hadith@yahoo.fr	الجزائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين .

عندما يُريد الله تعالى الهداية لإنسان، فإنه سبحانه يشرح صدره للإيمان، ويُهيئ له أسباب ذلك. وموضوع هذا الكتاب العلم والعلماء بشتى مسمياتهم (مفتى أو عالم أو داعي أو مفكر). والمقصود بهم، من جعلوا من أنفسهم متحدثين عن الله ورسله. الصالح والطالح، البر والفاجر، من اتقى الله ومن لم يفعل، من طلب الدنيا بالعلم فباع الآخرة، ومن شرى الآخرة بترك الدنيا وأوذى في الله لقوله كلمة حق. وما جاء في كل منهما من أقوال في القرآن الكريم وأحاديث الرسل من وعد ووعد، وما قيل في مُحسِنهم من ثناء، وما جاء في مُسيئهم من ذم .

ولقد جمعت قدر المستطاع، ما تنأثر عنهم في الكتب من أخبار وأقوال وأفعال. وحاولت جاهداً أن ألتزم بالتحقيق الدقيق للنصوص؛ بمراجعتها على أكثر من مصدر عند الضرورة، كما قمت بجمع نصوص الموضوع الواحد المتفرقة في المصادر بقدر الإمكان، بتصرف لا يخل بالنص الأساسى والجوهري لمضمون النص نفسه، مع الإشارة للمصادر الأساسية المستقى منها النص . ووجدت أن بعض المواد المذكورة، قد تكون بها بعض الكلمات الناقصة أو الساقطة في الطباعة فصححت وأضفت من عندى عند الضرورة، ما يساعد على التوضيح دون الخروج عن الإطار العام للموضوع، ولم أتدخل بحذف أو إضافة إلا إذا استدعى السياق العام للموضوع ذلك. وأشارت إلى الإضافة التى أضفتها ووضعيتها بين قوسين [] إشارة إلى أنه منى وليس من الكاتب أو المحقق . ولقد اعتمدت على أوثق المصادر، فمصادرى كانت كثيرة ومتشعبة، عديدة ومتنوعة، منها: القرآن الكريم وكتب الحديث والتفاسير، والصحاح، وكذلك كتب التراث الأدبى وكتب التاريخ وسير الرجال والأمثال والمعاجم. وخرجت الآيات القرآنية فنسبتها إلى سورها، وكذلك الأحاديث النبوية إلى مراجعها، وقمت بشرح معانى المفردات الصعبة التى وردت في الكتاب.

وجاء الكتاب بحمد الله فى باين وتسعة عشر فصلاً:

الباب الأول: باب العلم، وهو مكون من أربعة فصول:

الفصل الأول: ما جاء عن العلم وفضله فى القرآن الكريم .

الفصل الثانى: ما جاء عن العلم وفضله فى الحديث .

الفصل الثالث: بيان ما جاء فى فضل العلم وأهله وفوائده ومضاره .

الفصل الرابع: أقوال ونصائح فى العلم والعلماء .

الباب الثانى: باب الإفتاء والعلماء، وهو مكوّن من خمسة عشر فصلاً:

الفصل الأول: ألقاب منحت للمفتين والعلماء .

الفصل الثانى: الإفتاء .

الفصل الثالث: ما جاء فى الشروط الواجب توافرها فى المفتى .

الفصل الرابع: تحريم القول على الله تعالى ورسوله ﷺ بغير علم، والخوف من الفتيا، والزجر عن التسرع فى الفتوى مخافة عدم الثبوت والزلل .

الفصل الخامس: لا يجوز للمفتى تتبع الحيل المحرمة والمكروهة .

الفصل السادس: رجوع المفتى عن فتواه إذا تبين له أن الحق فى غيرها .

الفصل السابع: أقوال متنوعة فى الإفتاء والمفتين .

الفصل الثامن: التحذير من إتيان السلاطين والأمراء والحكام وأبناء الدنيا .

الفصل التاسع: النهى عن العمل مع السلاطين وذم مخالطهم .

الفصل العاشر: العلماء ومَنَح الحكام .

الفصل الحادى عشر: صفات علماء الدنيا والآخرة، والأقوال المشتركة فيها، والفرق بينهما .

الفصل الثانى عشر: صفات علماء الدنيا والسلاطين، وما جاء فيهم من أحاديث .

الفصل الثالث عشر: صفات علماء الدنيا والسلاطين، وما جاء فيهم من أقوال .

الفصل الرابع عشر: صفات ومعاناة علماء الآخرة الذين ثبتوا فى وجه الطغاة .

الفصل الخامس عشر: غرائب الفتاوى وعجيبها .

ووضعت للكتاب فهرسين: الأول للمراجع، والثانى لأبواب الكتاب .

أسأل الله تعالى لى ولوالدى وللمؤمنين التوفيق وحسن الخاتمة ..

هَلالُ مُحَمَّدَ العِيسَى

مقدمة الكتاب:

هذا الكتاب يقدم دراسة وافية بإذن الله، مستفاعة من الكتاب والسنة وكتب السيرة والتاريخ والتراجم، هدفها تدوين مواقف علماء الدنيا، وعلماء الآخرة، ومن كتم علمه، مع الحكام. منذ بداية نشأة الدولة الإسلامية، التي أقامها رسول الله محمد ﷺ في المدينة المنورة بجزيرة العرب .

والهدف من هذا الكتاب، هو إلقاء الضوء على تلك المواقف التي أثبت فيها العلماء الصالحون، أنهم حقاً ورثة الأنبياء، بمواقفهم الخالدة التي سجلها لهم التاريخ واحتفظ لهم بها، مفتخرا بهم وبأفعالهم على مر العصور، في ذات الوقت الذى فضح فيه المتزلفين المنافقين منهم، ومن آثر كتمان علمه ورأى الباطل فسكت عنه على علم، فكانوا كما قال تعالى: { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } فاطر 32.

ولقد بكيت _ وأشهد ربي ولا أشهده على باطل _ أثناء جمعى لمادة هذا الكتاب، لم يك جمعه هينا ولا سهلا على نفسى، لما وجدتُ من ندرة من كان التقى في رفضه للدنيا ورغبته في الآخرة، رغم شدة حاجته وعظم عوزة وفاقته، حتى إن بعضهم كان يطبخ لأولاده نوى التمر كغذاء ولو أراد لزفت الدنيا نفسها إليه .

ولما وجدتُ من إقبال البعض الآخر على الدنيا ينهبها نهباً باسم الدين! كالشارب من ماء البحر لا يشبع أبداً. فسبحان من رضى عن قوم فأدناهم، وسخط على آخرين فأقصاهم! ثم قارنت بين الماضى والحاضر وما الحال عليه الآن، فوجدت أن فى كل الأديان والمذاهب والفرق، نجد دائماً رجال دين يجمعون بين نقيضين: تقديس بعض العوام لهم باعتبارهم الناطقين عن الدين المتكلمين باسم الله تعالى، وذلك لما يظهرون أمامهم من خشوع وتقى يخادعونهم به، وفى ذات الوقت تجدهم فى حياتهم الخاصة أرذل البشر وأحققرهم .

فهم يواجهون الناس كملائكة بقولهم قال الله وقال الرسول، فإذا خلوا بأنفسهم كانوا أشر من الشياطين، يتحدثون عن الدين حتى تظنهم قد أهلكوا أنفسهم فى تعلم شرع الله ! أناس ذكروا فما ذكروا، ووعظوا فلم يتعظوا، واستهين بهم فهانوا، أمروا بالمعروف وأعرضوا عنه، وهوا عن المنكر وآتوه، هم بالدنيا ملتهون وعن الآخرة معرضون، حملوا الدعوة وركضوا بها للدنيا فضلوا .

هكذا كانوا في كل الأديان، ففي العصور الوسطى، أفسدوا الأرض وأهلكوا الحرث والنسل واختنق بهم الغرب فتخلص منهم ومن شرورهم، ودفع بهم إلى حصونهم ومنعهم من التسلط على الناس، فأدى ذلك إلى أن تم الفصل بين الدين والسياسة، فأصبحت العبادة شيئاً والسياسة شيئاً آخر، لا يجتمعان وظهرت العلمانية .

وفي عصرنا الحديث وبوجود وسائل اتصالات وفصائيات متطورة، جعلت العالم كقرية صغيرة، أصبح في الإمكان القدرة على كشف المستور، من حياة من اتخذوا الدين مطية وستارا للوصول لأهدافهم. فتوالى بالصوت والصورة فضائحهم وفتاويهم الغربية المريبة، وخطبهم وتغيير مواقفهم ولوهم لأعنة نصوص الآيات والأحاديث، لتناسب أهواءهم ليعلموا بها في الدنيا ويهبطوا في الآخرة. وذلك في الشرق المسلم وفي الغرب المسيحي .

ولكن شتان ما بين هنا وهناك. فكل فضيحة هناك لرجل دين في الغرب، تتم مناقشتها بنظرة علمانية، بأن رجل الدين هذا بشر، مهما بلغ تقديس أتباعه له .

أما لدينا في الشرق الإسلامي، فإن من عاداتنا أن الدنيا تقوم ولا تقعد، إذا حدث تلميح بأى سقطة لأحد رجال الدين؟! ومن المضحك المبكى، أنها لا تثور على رجل الدين المخطئ، ولكن ضد من أذاع خطأه!

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في الفوائد: كل من أثر الدنيا على الآخرة فلا بد أن يقول في دين الله وشرعه بغير علم، وأن ينحرف عما أنزل الله تبارك وتعالى، لأن الدين جاء على خلاف حظوظ الناس وأهوائهم، وهؤلاء يقدمون الحظ الفاني، ويقدمون الدنيا ويؤثرونها على الآخرة، فلا بد أن يقولوا على الله بغير علم، تحايلاً للوصول إلى ما يريدون، وإلى ما يشتهون فيحتالون .

هم ليسوا معصومين كما يظن كثير من عامة المسلمين، فهم عرضة للخطأ ومجانبة الصواب، كما قال الإمام مالك رحمه الله: كل كلام يؤخذ منه ويرد، إلا كلام صاحب هذا القبر (يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

إن الأمة الإسلامية جريحة وقد انقسمت إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هم الحكام الظالمون وبطانتهم من علماء السوء .

القسم الثانى: فضّل الخنوع والجبن والقعود باسم وسطية الإسلام والحوار مع الآخر، وعدم القدرة على الدفاع عن النفس، فى مخالفة صريحة لشرع الله والتلبس على الناس .

القسم الثالث: هم من تبحث عنهم وتطالبهم الأمة، بأن يكونوا لسانها الناطق بالحق وعقلها المفكر، وقلبها النابض بالهدى وبالإيمان .

تريد الأمة وتبحث عن العالم الربانى الحق، الذى يفقه دين الله ويعى الواقع ويدفع ضريبة علمه، ولا يكون علمه مقتصرًا على أمور الحيض والنفاس وبأى رجل تدخل الحمام أولاً، عالم يعايش كل ملابسات الحياة وتعقيدات، وما تمر به الأمة وما يراى بها وبإسلامها، عالم يعلم ويبصر .

تريده أن يكون يدها المغيثة فى كل نازلة، ورائدها وقودتها فى كل مكان وميدان .

هذا الكلام ليس من رابع المستحيالات ولا من نسج الخيال، ففى تاريخنا الإسلامى وعلى مدار ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام، وفى زماننا الحاضر كان هناك دوما نماذج مُشرقة ومشرقة عن ذلك كله، نسرده البعض منها مما وفقنا الله تعالى إليه فى كتابنا هذا بإذن الله ..

هالَل مُحَمَّد الْعِيسَى

الباب الأول

العلم

الفصل الأول

ما جاء عن العلم

وفضله فى القرآن الكريم

1- ذكر الآيات الكريمة الواردة فى فضل العلم والعلماء وهى عشر آيات نذكرها على الترتيب: قوله تبارك وتعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }⁽¹⁾.

{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽²⁾.

{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }⁽³⁾.

{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ }⁽⁴⁾.

{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ }⁽⁵⁾.

{ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }⁽⁶⁾.

{ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }⁽⁷⁾.

{ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ }⁽⁸⁾.

{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ }⁽⁹⁾.

{ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }⁽¹⁰⁾.

(1) سورة آل عمران آية 18.

(2) سورة فاطر آية 28.

(3) سورة طه آية 114.

(4) سورة الروم آية 22.

(5) سورة الروم آية 56.

(6) سورة القصص آية 80.

(7) سورة الزمر آية 9.

(8) سورة العنكبوت آية 43.

(9) سورة العنكبوت آية 49.

(10) سورة المجادلة آية 11.

2- وقد قال الله سبحانه، في وصف علم المؤمنين، وذكر علم الإيمان: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }⁽¹⁾. فجعل المؤمنين علماء، فدل على أن العلم والإيمان لا يفترقان. ومثل هذا قوله تعالى: { لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ }⁽²⁾. كله نعت، فالمؤمنون هم الراسخون في العلم، وهم المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة أيضاً. وكلهم وُصفوا بالراسخين في العلم، ولذلك انتصب قوله: والمقيمين الصلاة، لأنه مدح والعرب تنصب وترفع بالمدح وبمعناه قوله تعالى: { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ }⁽³⁾. فوصف العلماء بالإيمان كما وصف المؤمنين بالعلم، وكذلك قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ }⁽⁴⁾.

ومن هذا حديث أنس عن النبي ﷺ: "أمتي خمس طبقات كل طبقة أربعون عاماً: فطبقتي وطبقة أصحابي أهل العلم والإيمان والذين يلونهم إلى الثمانين أهل البر والتقوى، والذين يلونهم إلى مائة وعشرين أهل التواصل والتراحم"، فقرن العلم بالإيمان وقدمهما على سائر الطبقات⁽⁵⁾.

وقد قرن الله سبحانه الإيمان بالقرآن وهو علم: كما قرن القرآن بالإيمان كما قال تعالى: { كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ }⁽⁶⁾. قيل القرآن، فأهل الإيمان هم أهل القرآن، وأهل القرآن أهل الله وخاصته. وقال الربيع عن أنس رضي الله عنه في قوله: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽⁷⁾. قال: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم، ألا ترى أن داود قال: [رب] إنك جعلت العلم خشيتك والحكمة والإيمان بك، فما علم من لم يخشك وما حكم من لم يؤمن بك؟ وقد سمى عبدالله بن رواحة رضي الله عنه العلم إيماناً، فكان يقول لأصحابه: اقعدوا بنا نؤمن ساعة، فيتذكرون علم الإيمان، وقد جعل الله للمؤمنين سمعاً وبصراً وقلباً.

(1) سورة المجادلة آية 11.

(2) سورة النساء آية 162.

(3) سورة آل عمران آية 7.

(4) سورة آل عمران آية 7.

(5) سنن ابن ماجه جزء 2 صفحة 1349 رقم 4058.

(6) سورة المجادلة آية 22.

(7) سورة فاطر آية 28.

وهذه طرائق العلم التي يؤخذ العلم منها ويوجد بها، وهى أصول العلم والنعم التي أنعم الله على الخلق بها وطالبهم بالشكر عليها، فقال سبحانه وتعالى: { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (1). فأثبت العلم بها بعد النفي بها له، وقال تعالى فى وصف من لم يكن مؤمناً، ونفى الغنية بالعلم بها: { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } (2). فمن آمن بآيات الله تعالى أغنى عنه سمعه وبصره وقلبه، فكانت طرق العلم إليه .

وقال عز وجل فى معنى ذلك أيضاً: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } (3). فلولاً أن العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى عما لا يعلم هذه الأشياء، ففى النهى عن قفو ما لا يعلم هذه الأوساط ويتبعه إثبات العلم بها، فكل مؤمن هو ذو سمع وبصر وقلب فهو عالم بفضل الله تعالى ورحمته. ومما فضل الله تعالى به هذه الأمة على سائر الأمم وخصها به ثلاثة أشياء:

الأول: تبقية الإسناد فيهم يأثره خلف عن سلف متصلاً إلى نبينا محمد ﷺ وإلى من خلا من علمائنا، وإنما كانوا فيهم يستنسخون الصحف كلما اختلقت صحيفة جددت فكان ذلك أثرة العلم فيهم.

والثانى: حفظ كتاب الله تعالى المنزل عن ظهر غيب، وإنما كانوا يقرؤون كتبهم نظراً، ولم يحفظ الله كتاباً أنزله تعالى قط غير كتابنا هذا، إلا ما ألهمه الله تعالى عزيراً من التوراة بعد أن كان يختنصر أحرقها جميعها عند إحراقه بيت المقدس، فلذلك قال سبط من اليهود: إنه ابن الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، لما خصه به وأفرده من حفظ جميع التوراة.

والثالث: أن كل مؤمن من هذه الأمة يُسأل عن علم الإيـان ويسمع قوله ويؤخذ من رأيه وعلمه مع حداثة سنه، ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم إلا من الأحبار والقسيسين والرهبان لا غير من الناس.

(1) سورة النحل آية 78.

(2) سورة الأحقاف آية 26.

(3) سورة الإسراء آية 36.

وزادها رابعة: على أمة موسى ﷺ، ثبات الإيمان في قلوبهم لا يعتريه الشك ولا يختلجه الشرك مع تقلب القلوب في المعاصي، وكانت أمة موسى ﷺ تتقلب قلوبهم في الشك والشرك كما تتقلب جوارحهم في المعاصي، فلذلك قالوا: يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة بعد أن رأوا الآيات العظيمة من انفلاق البحر وسلوكهم فيه وأنجاهم من الغرق وأهلك فرعون!

وروينا بعض الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة: يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به؟ ولا في تخوم الأرضين من يصعد به؟ ولا من وراء البحار من يعبر به؟ العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين، وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين، أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم ..

3- عن عباية الأسدي قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: إن الله يقول في كتابه لموسى ﷺ: { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ }⁽¹⁾. قال: كان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له، كما ترون أنتم أن علماءكم قد أثبتوا لكم كل شيء، فلما انتهى موسى إلى ساحل البحر لقي العالم، فاستنطقه فأقر له بفضل علمه ولم يحسده، قال له موسى ورغب إليه: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ فعلم العالم أن موسى لا يطيق صحبته ولا يصبر على علمه .

فقال له العالم: إنك لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا؟! فقال له موسى: وهو يعتذر، ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا، فعلم أن موسى لا يطيق صحبته ولا يصبر على علمه فقال له: فإن اتبعته فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا، فركبا في السفينة فخرقها العالم، وكان خرقها لله رضا ولموسى سخطا، ولقي الغلام فقتله وكان قتله لله رضا [ولأهله خيرا] ..

4- قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى }⁽²⁾. وقال الله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ }⁽³⁾. فتبين بالآيتين أن الكتان حرام وأن ضده وهو الإظهار لازم، فيتناول ذلك كل من بلغه علم، فإن يتصور منه الكتان فيما

(1) سورة الأعراف الآيات 144 / 145 .

(2) سورة البقرة آية 159 .

(3) سورة آل عمران آية 187 .

بلغه فيفترض عليه الإظهار. إن العلماء في كل زمان خلفاء الرسل عليهم السلام كما قال ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء" ومعلوم أن في زمن الرسول ﷺ، كان هو الميّن للناس ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، فإن الله تعالى وصفه بذلك وقال: { لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ }⁽¹⁾. ولا يجب على سواه بيان شيء من ذلك في حضرته، وإنما يفترض الأداء على المشهورين بالعلم دون غيرهم، ولأن الناس في العادة إنما يعتمدون قول من اشتهر بالعلم وقُلَّ ما يعتمدون غيرهم، وربما يستخف بعضهم بما يسمعه ممن لم يشتهر بالعلم، فلهذا كان البيان على المشهورين خاصة. وقد نقل [البصري] رحمه الله قال: أدركت سبعين بدرية كلهم قد انزوا ولم يشتغلوا بتعليم الناس لأنه كان لا يُحتاج إليهم.

وكذا علماء التابعين رحمهم الله، فمنهم من تصدى للفتوى والتعليم، ومنهم من امتنع من ذلك وانزوى بعلمه، لأن المقصود حاصل بغيره، وهذا لأن للعلم ثمرتين العلم به والتعليم، فمن الناس من تمكن من تحصيل الثمرتين لنفسه، ومنهم من لا يتمكن منهما فاكتفى بثمرة العلم به ..

5- قال تبارك وتعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }⁽²⁾. أى يعلمون ويعملون به، كأنه [سبحانه] جعل من لا يعمل غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون، ويقتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا! فهم عند الله جهلة حيث جعل الفاتنين هم العلماء، أو أريد به التشبيه، أى كما لا يستوى العالم والجاهل، كذلك لا يستوى المطيع والعاصي { إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ }⁽³⁾. جمع لب أى إنما يتعظ بوعظ الله أولو العقول ..

6- والله يقول { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }⁽⁴⁾. أى فوق كل عالم أعلم منه، حتى ينتهى إلى الله سبحانه الذى يُفيض ما يشاء من علمه على من اختص من خلقه. روى عن جعفر بن الأشج أنه قال: العلم كالمال متى كان بيد الإنسان منه شيء سُمي موسرا وكذا من حوى شيئا من العلم سُمي عالما، وكذلك يحوى الإنسان مالا كثيرا فلا يزداد على اسم اليسار، كما أن العالم وإن كثر علمه لا يزداد على العالم، لكن يتميزان بالأفضلية فيقال: أغنى من فلان، كما يقال: أعلم منه ..

(1) سورة النحل آية 44.

(2) سورة الزمر آية 9.

(3) سورة الزمر آية 9.

(4) سورة يوسف آية 76.

7- عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تبارك وتعالى: { لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا }⁽¹⁾. قال: لا تأخذ على ما علّمت أجرا، فإنما أجر العلماء والحكماء على الله عز وجل، وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة: يا بن آدم، علّم مجانا كما علّمت مجانا ..

* * *

(1) سورة آل عمران آية 199.

الفصل الثاني

ما جاء عن العلم وفضله في الحديث

- 8- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "خيار أمتي علماؤها، وخيار علمائها رحماؤها، ألا وإن الله يغفر للجاهل أربعين ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنبا واحدا. ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة، وأن نوره قد أضاء يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب كما يسرى الكوكب الدري"⁽¹⁾..
- 9- قال حبان بن أبي جبلة قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بقوم خيرا، أكثر فقهاءهم وقلل جهالهم، حتى إذا تكلم العالم وجد أعوانا وإذا تكلم الجاهل قُهر. وإذا أراد الله بقوم شرا، أكثر جهالهم وقلل فقهاءهم، حتى إذا تكلم الجاهل وجد أعوانا وإذا تكلم الفقيه قُهر⁽²⁾..
- 10- عن علي رضي الله عنه قال ﷺ: يأتي على الناس زمان لا يُتَّبَع فيه العالم ولا يُستَحَى فيه من الحليم ولا يُوقَر فيه الكبير ولا يُرَحَم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضا على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، يمشى الصالح فيهم مستخفيا، أولئك شرار خلق الله ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة⁽³⁾..
- 11- وقال ﷺ: الموت أربع: موت العلماء وموت الأغنياء وموت الفقراء وموت الأمراء، فموت العلماء ثلثة في الدين، وموت الأغنياء حسرة، وموت الفقراء راحة، وموت الأمراء فتنة⁽⁴⁾..
- 12- حدثنا عن الوضين بن عطاء عن حدثه قال رسول الله ﷺ: ليأتين على العلماء زمان يُقتلون فيه كما يُقتل اللصوص، فيا ليت العلماء يومئذ تحامقوا⁽⁵⁾..
- 13- وقال ﷺ: ارحموا عزيز قوم ذل، ارحموا غنيا افتقر، ارحموا عالما ضاع بين الجهال⁽⁶⁾..

(1) المنتظم ج 11 ص 244 رقم 1398.

(2) الفقيه والمتفقه ج 1 ص 165.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب ج 5 ص 441 رقم 8681.

(4) لباب الحديث ج 1 ص 70.

(5) السنن الواردة في الفتن ج 3 ص 42 رقم 302.

(6) الحاوي الكبير ج 14 ص 80.

14- عن أبي جحيفة قال رسول الله ﷺ: جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخاطبوا الأمراء⁽¹⁾..

15- وفي صحيح أبي حاتم من حديث الخولاني قال رسول الله ﷺ: لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته، وغرس الله هم أهل العلم والعمل، فلو خلت الأرض من عالم خلت من غرس الله. ولهذا القول حجج كثيرة⁽²⁾..

16- عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من علّم علماً فله أجر من عمل به، لا يُنقص من أجر العامل. رواه ابن ماجه⁽³⁾..

17- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال ﷺ: لا عليكم أن لا تعجبوا بعمل عالم حتى تنظروا بما يُحتم له⁽⁴⁾..

18- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ: ألا أدلكم على أشراف أهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هم علماء أمتي، الكواكب زينة السماء، والعلماء زينة أمتي⁽⁵⁾..

19- قال رسول الله ﷺ في الخبر: العلم خزائن مفتاحها السؤال، فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل، والعالم، المستمع، والمحِب لهم⁽⁶⁾..

20- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ساعة من عالم متكئ على فراشه ينظر في علمه، خير من عبادة العابد سبعين عاماً.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: تعلّموا العلم، فإن تعلمه لله حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وتذكره لأهله قرّة.

(1) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ج 1 ص 156 رقم 355.

(2) مفتاح دار السعادة ج 1 ص 144.

(3) فضائل الأعمال ج 1 ص 131 رقم 577.

(4) التدوين في أخبار قزوين ج 4 ص 9.

(5) تاريخ جرجان ج 1 ص 172 رقم 215.

(6) قوت القلوب ج 1 ص 264.

لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنة والنار، والأنيس في الوحشة والصاحب في
الغربة، والميراث في الخلوة والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والقرب عند
الغرباء، يرفع الله به أقواما ويجعلهم في الخير قادةً يُقتدى بهم، ويبين آثارهم، وترمق أعمالهم،
وينهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلقتهم، وبأجنتها تمسحهم، وفي صلواتهم تستغفر لهم،
وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحر وسباع الأرض وأنعامها والسماء ونجومها .
ألا فإن العلم خير أنقاب عن العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف،
يبلغ بالعبد منازل الأحرار، ومجالس الملوك .

والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به يعرف الحلال والحرام، وبه توصل
الأرحام، إمام العمل والعقل تابعه، يلهم السعد أو يحرم إذا شقى⁽¹⁾ ..
21- عن سالم عن أبيه قال رسول الله ﷺ: إن العبد ليسأل يوم القيامة عن فضل علمه، كما
يُسأل عن فضله ماله⁽²⁾ ..

22- عن أبي أمامة قال: ذكر لرسول الله ﷺ: رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال
رسول الله ﷺ: فضل العالم على العابد كفضل على أذنكم، ثم قال رسول الله: إن الله وملائكته
وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على مُعَلِّم الناس
الخير⁽³⁾ ..

23- عن جابر أن النبي ﷺ: تلا هذه الآية { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ }⁽⁴⁾ . قال: العالم الذي عَقِل عن الله عز وجل فعلم بطاعته واجتنب سخطه⁽⁵⁾ ..
24- قال رسول الله ﷺ: مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه، كمثل السراج
يضيء للناس ويحرق نفسه⁽⁶⁾ ..

(1) تفسير الثعلبي ج 3 ص 162 .

(2) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ج 1 ص 187 رقم 42 .

(3) سنن الترمذ ج 5 ص 50 رقم 2685 .

(4) سورة العنكبوت آية 43 .

(5) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ج 2 ص 812 رقم 837 .

(6) الأحاد والمثاني ج 4 ص 293 .

- 25- قال النبي ﷺ: يا أيها الناس إنما العلم بالتعليم، والفقه بالتفقيه، ومن يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماء .. عن معاوية ؓ⁽¹⁾ ..
- 26- عن [أمير المؤمنين] عثمان بن عفان قال رسول الله ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء⁽²⁾ ..
- 27- عن عبادة بن الصامت ؓ أن رسول الله ﷺ قال: ليس من أمتي من لم يحل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه⁽³⁾ ..
- 28- عن [الحسن البصري ؓ] قال رسول الله ﷺ: ما من عبد يخطب خطبة إلا الله عز وجل سائله عنها، ما أراد بها . قال جعفر: كان مالك بن دينار إذا حدث بهذا الحديث بكى حتى ينقطع ثم يقول: تحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلني عنه يوم القيامة ما أردت به؟ رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلًا بإسناد جيد⁽⁴⁾ ..
- 29- عن عبد الله بن عمرو ؓ عن رسول الله ﷺ: قليل العلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرء علما إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه. إنما الناس رجلان، عالم وجاهل، فلا تُمارِ العالم ولا تُحاور الجاهل⁽⁵⁾ ..
- 30- يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ألا أخبركم عن أجود الأجواد؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: الله أجود الأجواد وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدى رجل علم علما فنشر علمه، يُبعث يوم القيامة أمةً وحده. ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قُتِل. ويروى هذا من حديث نوح بن ذكوان عن أخيه أيوب [البصري] عن أنس رفعه⁽⁶⁾ ..
- 31- عن [الحسن البصري] قال ﷺ: ما تصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره⁽⁷⁾ ..

(1) جامع الأحاديث ج 11 ص 346 رقم 4909 / 33934.

(2) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1443 رقم 4313.

(3) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج 1 ص 187.

(4) الترغيب والترهيب ج 1 ص 74 رقم 213.

(5) جامع بيان العلم وفضله ج 1 ص 21.

(6) جامع بيان العلم وفضله ج 1 ص 123.

(7) جامع بيان العلم وفضله ج 1 ص 124.

- 32- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ودعاء لا يُسمع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع⁽¹⁾ ..
- 33- عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عليكم بهذا العلم قبل أن يُقبض وقبل أن يرفع العلم، ثم جمع بين إصبعيه الوسطى والى تليها الإبهام ثم قال: فإن العالم والمتعلم كهاتيه من هاتيه شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس⁽²⁾ ..
- 34- وقال ﷺ: إذا رأيتم آخر هذه الأمة يلعن أولها فمن كان ممن عنده علم فليُظهره، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد، ولأن تعلم العلم بمنزلة أداء الزكاة وعلى كل أحد أداء الزكاة من نصابه، صاحب النصاب وصاحب النصب في ذلك سواء⁽³⁾ ..
- 35- وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسل أنه مرَّ برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ما هذا؟ فقالوا رجل علامة فقال: بماذا؟ قالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب، فقال: هذا علم لا يضر جهله .
- وفي لفظ آخر: علمه لا ينفع وجهله لا يضر⁽⁴⁾ ..
- 36- عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اغدُ عالماً، أو متعلماً، أو مستمعاً، أو محباً، ولا تكن الخامسة فتهلك، قال: يعنى بالخامسة: المبغض⁽⁵⁾ ..
- 37- وقال النبي ﷺ: كن عالماً أو متعلماً، ولا تكن الثالثة فتهلك⁽⁶⁾ ..
- 38- ذكر ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: سأل موسى ربه عن ست خصال، كان يظن أنها له خالصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها .
- قال: يا رب أى عبادك أتقى؟ قال: الذى يذكر ولا ينسى .

(1) جامع بيان العلم وفضله ج 1 ص 161 .

(2) الفوائد لتمام الرازى ج 1 ص 25 رقم 264 .

(3) الكسب ج 1 ص 67 .

(4) قوت القلوب ج 1 ص 227 .

(5) البدر المنير ج 1 ص 280 رقم 161 .

(6) العقد الفريد ج 2 ص 86 .

قال: فأى عبادك أهدى؟ قال: الذى تتبع الهدى .
 قال: فأى عبادك أحكم؟ قال: الذى يحكم للناس ما يحكم لنفسه .
 قال: أى عبادك أعلم؟ قال: عالم لا يشبع من العلم يجمع علم الناس إلى علمه .
 قال: فأى عبادك أعز؟ قال: الذى إذا قدر عفا .
 قال: فأى عبادك أغنى؟ قال: الذى يرضى بما أوتى .
 قال: فأى عبادك أفقر؟ قال: صاحب منقوص .

فأخبر فى هذا الحديث: أن أعلم عباده الذى لا يشبع من العلم، فهو يجمع علم الناس إلى علمه لنهيمته فى العلم وحرصه عليه، ولا ريب أن كون العبد أعظم عباد الله من أعظم أوصاف كماله، وهذا هو الذى حمل موسى عليه السلام على الرحلة إلى عالم الأرض ليعلمه مما علمه الله، هذا وهو كليم الرحمن وأكرم الخلق على الله فى زمانه وأعلم الخلق، فحمله حرصه ونهيمته فى العلم على الرحلة إلى العالم الذى وصف له، فلو لا أن العلم أشرف ما بُدلت فيه المهج وأنفقت فيه الأنفاس ولا شغل موسى عليه السلام عن الرحلة إلى الخضر بما هو بصده من أمر الأمة، وعن مقاساة النصب والتعب فى رحلته وتلطفه للخضر فى قوله هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً؟ فلم ير اتباعه حتى استأذنه فى ذلك وأخبره أنه جاء متعلماً مستفيداً، فهذا النبى الكريم عليه السلام كان عالماً بقدر العلم وأهله صلوات الله وسلامه عليه⁽¹⁾ ..

39- عن زيد بن وهب عن عبد الله قال رسول الله ﷺ: منهومان لا يشبعان طالبيهما، طالب علم وطالب الدنيا⁽²⁾ ..

40- وعن وحشى بن حرب أن رسول الله ﷺ قال: يوشك العلم أن يختلس من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء، فقال زياد بن لبيد: وكيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأناه أبناءنا؟!

فقال: ثكلتك أمك يا ابن لبيد، هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ما يرفعون بها رأساً. رواه الطبرانى فى الكبير وإسناده حسن⁽³⁾ ..

(1) مفتاح دار السعادة ج 1 ص 159 .

(2) المعجم الكبير ج 10 ص 180 رقم 10388 .

(3) مجمع الزوائد ج 1 ص 20 .

41- قال رسول الله ﷺ: من غَضَّ صوته عند العلماء جاء يوم القيامة مع الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابي، ولا خير في التملق والتواضع إلا ما كان في الله عز وجل في قلب العالم .. رواه أبو نعيم في كتابه رياضة المتعلمين بإسناده⁽¹⁾ ..

42- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: مرَّ بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه، فقال رسول الله: كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من الآخر صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما ثم أقبل فجلس معهم⁽²⁾ ..

43- عن عبد الله بن عباس قال رسول الله ﷺ: من جاءه أجله وهو يطلب علما ليحيى به الإسلام، لم تفضله النبيون إلا بدرجة⁽³⁾ ..

44- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد⁽⁴⁾ ..

45- وعن أبي هريرة مرفوعا: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة، وتواضعوا لمن تعلمون منه. رواه الطبراني في الأوسط⁽⁵⁾ ..

46- عن جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: لا تَعَلَّمُوا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا⁽⁶⁾ به السفهاء، ولا لتخيروا به المجالس، فمن فعل فالنار النار⁽⁷⁾ ..

47- عن الحسن [البصري] رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين النبيين درجة واحدة في الجنة⁽⁸⁾ ..

(1) الفردوس بمأثور الخطاب ج 3 ص 534 رقم 5666 نشر طى التعريف في فضل حملة العلم الشريف ج 1 ص 126.

(2) جامع بيان العلم وفضله ج 1 ص 50.

(3) جامع بيان العلم وفضله ج 1 ص 95.

(4) سنن ابن ماجه ج 1 ص 81 رقم 222.

(5) آداب العلماء والمتعلمين ج 1 ص 1.

(6) تماروا: تجادلوا.

(7) الكامل في ضعفاء الرجال ج 7 ص 216.

(8) سنن الدارمي ج 1 ص 112 رقم 354.

48- عن علي قال: خرج علينا رسول الله فقال: اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدى، ويروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس⁽¹⁾ ..

49- عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أربع تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: رجل مات مرابطاً في سبيل الله، ورجل علم علماً فأجره يجرى عليه ما عمل به، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجرى عليه ما جرت عليه، ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له⁽²⁾ ..

50- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: أفضل الصدقة أن يتعلم المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم .. رواه ابن ماجه⁽³⁾ ..

51- وعن أبي الردين قال رسول الله ﷺ: ما من قوم يجتمعون على كتاب الله يتعاطونه بينهم، إلا كانوا أضيافاً لله، وإلا حفتهم الملائكة حتى يقوموا أو يخوضوا في حديث غيره. وما من عالم يخرج في طلب علم مخافة أن يموت أو انتسaxe مخافة أن يدرس، إلا كان كالغازي الرائح في سبيل الله، ومن يبطئ به عمله لم يسرع به نسبه .. رواه الطبراني في الكبير من رواية إسماعيل بن عياش⁽⁴⁾ ..

52- قال رسول الله ﷺ: تعلموا ما شئتم فإن الله تعالى لن ينفعكم به حتى تعملوا .. رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء⁽⁵⁾ ..

53- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار⁽⁶⁾ ..

54- عن ابن مسعود⁽⁷⁾، قال ﷺ، الناس رجالان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما⁽⁷⁾ .

(1) جامع الأحاديث ج 16 ص 115 رقم 7317.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 269 رقم 22372.

(3) فضائل الأعمال ج 1 ص 131 رقم 579.

(4) الترغيب والترهيب ج 1 ص 62 رقم 155.

(5) كنز العمال ج 10 ص 91 رقم 29111.

(6) كنز العمال ج 10 ص 85 رقم 29029.

(7) كنز العمال ج 10 ص 61 رقم 28712.

عن حسان بن أبي سنان رضي الله عنه، مرسلاً: طالب العلم بين الجهال كالحى بين الأموات ⁽¹⁾.
عن الحكيم عن أنس، عنه عليه السلام: أفضل الأعمال العلم بالله، إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره، وإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره ⁽²⁾.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: قلب ليس فيه شيء من الحكمة كبيت خرب، فتعلموا وعلموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالاً، فإن الله لا يعذر على الجهل ⁽³⁾..

55- عن أبي ذر رضي الله عنه، قال عليه السلام: يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل، خير لك من أن تصلى ألف ركعة تطوعاً ⁽⁴⁾.

56- عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال عليه السلام: أيما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقاً ⁽⁵⁾..

57- عن ابن عباس، تناصحوا في العلم، ولا يكتنم بعضكم بعضاً، فإن خيانة في العلم أشد من خيانة في المال ⁽⁶⁾.

عن أبي هريرة: ما أتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه ⁽⁷⁾..

58- عن أبي هريرة: من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة ⁽⁸⁾..

-
- (1) كنز العمال ج 10 ص 61 رقم 28726 العسكري في الصحابة وأبو موسى في الذيل.
(2) كنز العمال ج 10 ص 61 رقم 28731 الحكيم عن أنس، قال المناوى في الفيض 27/2 الحديث له شواهد ترقّيه إلى درجة الصحة.
(3) كنز العمال ج 10 ص 61 رقم 28750 ابن السنن.
(4) كنز العمال ج 10 ص 65 رقم 28762 أخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم 219 وقال المنذرى: إسناده حسن.
(5) كنز العمال ج 10 ص 66 رقم 28773.
(6) كنز العمال ج 10 ص 61 رقم 28999.
(7) كنز العمال ج 10 ص 83 رقم 29000 ابن النظيف في جزئه وابن الجوزي.
(8) عرف الجنة: أى ربحها. كنز العمال ج 10 ص 84 رقم 29020 أخرجه أبو داود كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله رقم 3647.

الفصل الثالث

بيان ما جاء فى فضل العلم وأهله

وفوائده ومضاره

مقدمة :

اعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء، إنما هو فى حق العلماء العاملين بها فقط . وهم الأبرار المتقون، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه فى جنات النعيم، لا من طلب العلم بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة فى الأتباع والطلاب. وقد كان من أهم إنجازات الحضارة الإسلامية، وتميزها وصلاحياتها لكل زمان ومكان أنها أعطت أهمية كبيرة للعلم ومنحت العلماء مكانة متميزة .

فالحضارة الإسلامية هى حضارة العلم والمعرفة، فكلما علت مكانة العلم فى أمة وارتفعت مكانة العالم الحق بها، فاعلم أن تلك الأمة تشق طريقها نحو النهضة، وتصنع لنفسها مستقبلاً زاهراً، وكلما تدنت مكانة العلم فى أمة فقد علت فيها مكانة الجاهل، فاعلم بأنها تسير نحو الضعف والتخلف .

إن العالم الحق تزداد قوته كلما ازداد علماً فهو يعرف أن كل شيء بيد الله وحده، وأنه لا يكون فى كون الله إلا ما شاء الله. وأن الرزق بيد الله وحده فهو الرزاق الكريم .

فالعالم الحق الذى وهبه الله علماً، يملأ الإيمان بالله قلبه، لا يخاف ظالماً ولا يخشى الطواغيت ولو اجتمعوا له، فإنه إنما يجتمى بالله القوى الذى عرفه، وهو يملك الشجاعة أن يقول كلمة الحق، وأن يقول للسلطان الجائر والعالم الفاسد: لا .

إن الطغاة دائماً يريدون أن يحققوا المصالح المادية على حساب المبادئ، والأهم إنما تسود بالعدل والقيم والمبادئ، لذلك دائماً يظهر الصراع بين العلماء الذين يعتقدون أن وظيفتهم هى تعليم الناس وتوضيح الحق، والطغاة الذين يريدون أن يزينوا للناس الباطل ويخضعوهم بالقهر والظلم، ويتحالفوا مع أعداء الأمة .

فهم يعتقدون أن هؤلاء الأعداء يملكون القدرة على حمايتهم ونسوا أن الله هو فقط من يملك السماوات والأرض ومن فيهن وأنها وهم فى قبضته على إرادته، وأنه إذا أراد سبحانه وتعالى شيئاً، قال له كن فيكون، نسوا الله فأنساهم أنفسهم ..

59- قيل: لا بد للعالم بالله تعالى من خمس هي علامة علماء الآخرة: الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، والزهد .

قال الله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽¹⁾. وقال تعالى: { خَاشِعِينَ لِلَّهِ }⁽²⁾. فلا بد له من التواضع وحسن الخلق، قال الله عز وجل: { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ }⁽³⁾. وقال تعالى: { فِيهَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ }⁽⁴⁾. والزهد في الدنيا، قال الله تعالى: { الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ }⁽⁵⁾. وقال تعالى: { وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ }⁽⁶⁾. فمن وجد فيه هذه هذه الخلال فهو من العلماء بالله عز وجل .

واعلم أنه إنما يستبين العالم عند المشكلات في الدين، ويحتاج إلى العارف عند شبهات حاكت الصدور كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا تزالون بخير ما إذا حاك في صدر أحدكم شيء وجد من يخبره به ويشفيه منه، وأيم الله أو شك أن لا تجدوا ذلك، وكما قال له رسول الله: [أتدري أي الناس أعلم؟ حتى قالها ثلاثا، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إن أعلمهم أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس، وإن كان مقصرا في العمل، وإن كان يزحف على إسته] ⁽⁷⁾.

وكما قال في حديث عمران بن حصين: [إن الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود شبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات. رواه البيهقي مرسلا وزاد فيه بعضهم: ويحب السباحة ولو بكف من تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل الحيات] ⁽⁸⁾.

وقد حصلنا في زماننا هذا ما خافه ابن مسعود رضي الله عنه، لأن مشكلة لو وردت في معاني التوحيد، وشبهة لو اختلفت في صدر مؤمن من معاني صفات الموحد، وأردت كشف ذلك على

(1) سورة فاطر آية 28.

(2) سورة آل عمران آية 199.

(3) سورة الحجر الآيات 88 / 89.

(4) سورة آل عمران آية 159.

(5) سورة التوبة آية 29.

(6) سورة القصص آية 80.

(7) مسند ابن أبي شيبة ج 1 ص 218.

(8) درء التعارض ج 5 ص 131.

حقيقة الأمر بما يشهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى، كان ذلك عزيزاً في وقتك هذا، ولكنت في استكشاف ذلك بين خمسة نفر:

الأول: مبتدع ضال يخبرك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة .

والثاني: متكلم يفتيك بقصور علمه عن شهادة الموقنين، وبقياس معقوله على ظاهر الدين، وهذا شبهة فكيف تنكشف به شبهة؟!

والثالث: صوفي شاطح تائه غالط يجاوز بك الكتاب والسنة لا يبالي بهما ويخالف بقوله الأئمة، لا يتحاشاها، فيجيبك بالظن والوسواس، والحدس والتمويه، ويمحو الكون والمكان، ويسقط العلم والأحكام، ويذهب الأسماء والرسوم، وهؤلاء تائهون في مفازة التيه، لم يقفوا على الحجة ولا هو على سنن المحجة .

والرابع: مفتٍ عالم عند نفسه موسوم بالفقه عند أصحابه يقول: هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لا نتكلم فيه لأننا لم نكلفه، وهو في أكثر مناظراته يتكلم فيما لم نكلف! ويجالذ فيما لم ينطق به السلف ويتعلم ويعلم ما علمه بتكلف، ولا يعلم المسكين أنه كُلف علم يقين الإيمان وحقيقة التوحيد ومعرفة إخلاص المعاملة، وعلم ما يقدر في الإخلاص ويخرج من جملته قبل ما هو فيه لأنه متكلف لبعض ما هو يبتغيه. لأن علم الإيمان وصحة التوحيد وإخلاص العبودية للربوبية وإخلاص الأعمال من الهوى الدنيوية، أثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله، وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم، ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلى لأجل آخرته التي هي خير وأبقى إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها، فآثر التقرب منهم على القربة من ربه عز وجل، وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى إلا جزل، وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه، واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله، وكان سبب ما بُلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة، والرغبة في عاجل الدنيا وعزها، بقللة الهمة وضعف النية، في عاجل الآخرة، فأفنى أيامه لأيامهم وأذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالماً، وليكون في قلوب البطالين عندهم فاضلاً، فورد القيامة مفلساً وعندما يراه من أنصبة المقرين مبلساً، إذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العاملون، ولكن أنى له

وكيف بنصيب غيره؟ وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملاً ولكل علم عالماً، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، فكل ميسر لما خلق له .

والخامس من العلماء: هو صاحب حديث وآثار وناقل رواية الأخبار، يقول لك إذا سألته: اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتيش، وهذا يتلو المفتى في السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة، ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رآه ولا هو مشاهد واصف لمعنى ما نقله، إنما هو للعلم راوية وللأثر والخبر ناقلة عن غير خبر يخبره ولا فقه في نقله، فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه .

وقد كان الزهرى يقول: حدثني فلان، وكان من أوعية العلم ولا يقول وكان عالماً. وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول: أدركت سبعين شيخاً من التابعين، منهم عبّاد ومنهم مستجاب الدعاء، ومنهم من يُستسقى به، ما حملت عنهم علماً قط!

قيل: ولم ذاك؟!

قال: لم يكونوا من أهل هذا الشأن، وفي رواية، لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيما يُسألون عنه.

قال مالك: تقدم علينا ابن شهاب الزهرى وهو حديث السن [فكُنَّا] نزدحم عليه حتى نصل إليه لأنه كان عالماً بما يحدث به، فهذا بمعنى ما روى عن رسول الله ﷺ: رب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

وقال بعض السلف: ما كانوا يعدون علم من لا يعرف اختلاف العلماء عالماً، وقال آخرون: من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتى ولم يسم عالماً، وقال قتادة وسعيد بن جبير: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس .

وفي التوراة مكتوب: الطيب الحاذق للعلة الباطنة يصلح ..

60- قال العلامة أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات في مقدمتها السابعة: العلم الذي هو العلم المعترف شرعاً الذي مدح الله ورسوله أهله، هو العلم الباعث على العمل المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً، إن أصل العلم وتحصيله على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: الطالبون له ولما يحصلوا على كماله بعد، وإنما هم في طلبه في رتبة التقليد، فهؤلاء إذا دخلوا في العمل به فبمقتضى الحمل التكليفى، والحث الترغيبى والترهيبى وعلى مقدار شدة التصديق يخف ثقل التكليف، فلا يكتفى العلم ها هنا بالحمل دون أمر آخر خارج مقوله من زجر أو قصاص أو حد أو تعزيز أو ما جرى هذا المجرى، ولا احتياج ها هنا إلى إقامة برهان على ذلك، إذ التجربة الجارية في الخلق قد أعطت هذه المرتبة برهاناً لا يحتمل النقيض بوجه .

والمرتبة الثانية: الواقفون منه على براهينه، ارتفاعاً عن حضيض التقليد المجرد واستبصاراً فيه، حسبما أعطاه شاهد النقل الذى يصدقه العقل تصديقاً يطمئن إليه ويعتمد عليه، إلا أنه بعد منسوب إلى العقل لا إلى النفس بمعنى أنه لم يصر كالوصف الثابت للإنسان وإنما هو كالأشياء المكتسبة، والعلوم المحفوظة التى يتحكم عليها العقل، ويعتمد فى استجلائها حتى تصير من جملة مودعاته.

فهؤلاء إذا دخلوا في العمل، خف عليهم خفة أخرى زائدة على مجرد التصديق في المرتبة الأولى، بل لا نسبة بينهما، إذ هؤلاء يأبى لهم البرهان المصدق أن يكذبوا، ومن جملة التكذيب الخفى العمل على مخالفة العلم الحاصل لهم .

والمرتبة الثالثة: الذين صار لهم العلم وصفاً من الأوصاف الثابتة، بمثابة الأمور البديهية في المعقولات الأولى، أو تقاربها، ولا ينظر إلى طريق حصولها، فإن ذلك لا يحتاج إليه، فهؤلاء لا يخلوهم العلم وأهواءهم إذا تبين لهم الحق، بل يرجعون إليه رجوعهم إلى دواعيهم البشرية وأوصافهم الخلقية. وهذه المرتبة هى المترجم لها، والدليل على صحتها من الشريعة كثير كقوله تعالى: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ } (1).

ثم قال تعالى: { قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } (2)؟ فنسب هذه المحاسن إلى أولى العلم من أجل العلم، لا من أجل غيره. وقال تعالى: { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } (3). والذين يخشون ربهم هم العلماء

(1) سورة الزمر آية 9 .

(2) سورة الزمر آية 9 .

(3) سورة الزمر آية 23 .

لقوله: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽¹⁾. وقال تعالى: { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ }⁽²⁾. ولما كان السحرة قد بلغوا في علم السحر مبلغ الرسوخ فيه، وهو معنى هذه المرتبة، بادروا إلى الانقياد والإيمان، حين عرفوا من علمهم، أن ما جاء به موسى عليه السلام حق ليس بالسحر ولا الشعوذة، ولم يمنعهم من ذلك التخويف ولا التعذيب الذى توقعدهم به فرعون. وقال تعالى: { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }⁽³⁾ فحصر تعقلها في العالمين. وهو قصد الشارع من ضرب الأمثال. وقال تبارك اسمه: { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى }⁽⁴⁾ ثم وصف أهل العلم بقوله: { الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ }⁽⁵⁾ إلى آخر الأوصاف. وحاصلها يرجع إلى أن العلماء هم العاملون.

وقال في أهل الإيمان - والإيمان من فوائد العلم: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }⁽⁶⁾. ومن هذا، قرن العلماء في العمل بمقتضى العلم بالملائكة، الذين { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }⁽⁷⁾. فقال تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ }⁽⁸⁾. فشهادة الله تعالى وفق علمه ظاهرة التوافق إذ التخالف محال، وشهادة الملائكة على وفق ما علموا صحيحة لأنهم محفوظون من المعاصي، وأولو العلم أيضاً كذلك من حيث حُفِظُوا بالعلم.

(1) سورة فاطر آية 28.

(2) سورة المائدة آية 83.

(3) سورة العنكبوت آية 43.

(4) سورة الرعد آية 19.

(5) سورة الرعد آية 20.

(6) سورة الأنفال الآيات 2 / 4.

(7) سورة التحريم آية 6.

(8) سورة آل عمران آية 18.

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم إذا نزلت عليهم آية فيها تخويف، أحزنهم ذلك، وأقلقهم، حتى يسألوا النبي، كنزول آية البقرة: { وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ }⁽¹⁾. وقوله: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ }⁽²⁾. وإنما القلق والخوف من آثار العلم بالمنزل والأدلة أكثر من إحصائها وجميعها يدل على أن العلم المعتبر هو الملجئ إلى العمل به فإن قيل: هذا غير ظاهر من وجهين: أحدهما: أن الرسوخ في العلم، إما أن يكون صاحبه محفوظاً به من المخالفة أو لا، فإن لم يكن كذلك، فقد استوى أهل هذه المرتبة مع من قبلهم. ومعناه أن العلم بمجرد غير كاف في العمل بهن ولا ملجئ إليه وإن كان محفوظاً به من المخالفة لزم أن لا يعصى العالم إذا كان من الراسخين فيه، لكن العلماء تقع منهم المعاصي ما عدا الأنبياء عليهم السلام. ويشهد لهذا في أعلى الأمور قوله تعالى في الكفار: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا }⁽³⁾. وقال: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }⁽⁴⁾. وقال تبارك: { وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ }⁽⁵⁾؟ وقال: { وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ }⁽⁶⁾. ثم قال: { وَلَيْسَ مَا شَرَوْا شَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }⁽⁷⁾. وسائر ما في هذا المعنى فأثبت لهم المعاصي والمخالفات مع العلم. فلو كان العلم صادراً عن ذلك لم يقع ..

61- اعلم أن الخواص من خلق الله تعالى العالم، فهو الذى علم واطلع على العلوم الظاهرة فعمل بها فورثه الله بعمله العلوم الباطنة، وأولئك جمعوا بين العلم والعمل وسهروا حتى ظفروا، قالوا فنالوا، صدقوا فحققوا، علموا ثم عملوا فجمعوا بين المقال والحال فهم أهل العلم والمغفرة والنسك والزهادة وعلماء الآخرة، فمثل الحسن البصرى وسفيان بن عيينة والثورى

(1) سورة البقرة آية 284.

(2) سورة الأنعام آية 82.

(3) سورة النمل آية 14.

(4) سورة البقرة آية 146.

(5) سورة المائدة آية 43.

(6) سورة البقرة آية 102.

(7) سورة البقرة آية 102.

صاحب المذهب والطائى الطاهرى وأبو سعيد الخدرى وأبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى ومالك بن أنس المدنى ومحمد بن إدريس الشافعى وأحمد بن حنبل الشيبانى والمزنى وابن شريح والحداد والقفال وأبو الطيب وأبو حامد وأستاذنا إمام الحرمين أبو المعالى والجوينى والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم الفيروزأبأدى المعروف بالشيرازى. فقد جرى له مع شيخنا نوبة عند السلطان وكنت أحضرها فما رأيتهم طلبوا بالمناظرة غير إظهار الحق، لا غلبة ولا صقل كلام ولا نقص فى الخبر النبوى ولا تأويل باطل فى متن آية ولا مزاعقة ولا مخاصمة، بل هو على طريق الفائدة والمباحثة فأولئك من علماء الآخرة الذين شبهوا صَحْبَ رسول الله ﷺ. [وفى الحديث إن العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل] ⁽¹⁾..

62- قد شرف الله سبحانه وله الحمد، العلم والعلماء وجعلهم أفضل من تحت أديم السماء، وأثنى الله سبحانه على العلماء بنفسه فى الآيات الزاهرة ورفع منازلهم وجعلها بيئة ظاهرة وأعلى مراتبهم فى الدنيا والآخرة، وأوجب الله تعالى على جميع عباده وعلى الملوك الذين مكنهم الله فى بلاده، طاعة العلماء [العاملين الصادقين] والانقياد لأمرهم، وجعلهم حجة على خلقه بأسرهم، فهم النور الذى يستضيئون به فى برهم وبحرهم، وهم خلفاء الله وخلفاء رسله فى أرضه، وهم أمانؤه فى تبين شرعه وفرضه، اكتفى بهم عن بعث نبي وإرسال نذير كما قيل:

حجج الإله على الورى علماؤهم فى كل عصر بعد كل رسول

قال أبو الأسود الدؤلى: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك، فما زال العلماء حكاما على السلاطين، والسلاطين سيفاً ونصرة للدين، وما برح الملوك بالعلماء يقتدون ويقولهم يهتدون، لا يضع الملوك سيفاً ولا يغمدونه إلا بما قاله علماؤهم، قد عرفوا للعلماء حقوقهم وأذلوا من رام عقوقهم ونصروا الشريعة وردوا إليها من أظهر الخيف، مهدوا الأرض ونصروا الشرع، علموا أن العلماء هم العارفون بما يجب فقدرهم قدرهم، وجعلوا من طاعة الله نصرهم، وتواضعوا للعلم والعلماء ولم يتكبروا ولم يتجبروا. وقد قيل: بقاء الدنيا بسيف الأمراء ولسان العلماء فعليك بطاعتها إلا فى معصية الله سبحانه ..

(1) سر العالمين وكشف ما فى الدارين ج 1 ص 97.

63- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من مشى إلى حلقة عالم كان له بكل خطوة مائة حسنة، فإذا جلس عنده واستمع ما يقول كان له بكل كلمة حسنة⁽¹⁾ ..

64- روينا عن معاذ رضي الله عنه قال: تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة، وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء والزين عند الإخلاء، والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة، يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم الله في الخير قادة وهداة، يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في خلقتهم، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى، والتفكر فيه يعول بالصيام ومدارسته بالقيام، به يطاع الله تعالى، وبه يعبد وبه يوحد، وبه يتورع وبه توصل الأرحام، العلم إمام والعمل تابعه، تُلهمه السعداء وتُحرّمه الأشقياء، فهذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن ..

65- حدثنا موسى بن يسار أن سلمان رضي الله عنه كتب إلى أبي الدرداء رضي الله عنه: إنما العلم كالينابيع ينفع به الله من شاء، ومثل حكمة لا يتكلم بها كجسد لا روح له، ومثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل العالم كمثل رجل أضاع له مصباح في طريق [مظلم]، فجعل الناس يستضيئون به وكل يدعو له بالخير ..

66- قال عيسى ابن مريم عليه السلام: مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرا فحملت فظهر حملها فافتضحت، كذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة ..

67- قال سفيان بن عيينة: قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من قال لا أدري فقد أحرز نصف العلم، وكان يقال: أول العالم الصمت والثانى الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره . قال الأصمعى:

لا ينفع العلمُ قلباً قاسياً أبداً ولا يلين لضعِّ الماضغ الحجرُ

68- قال سفيان بن عيينة قال لى عبد الكريم الجزرى: يا أبا محمد تدرى ما حاطب الليل؟ قلت: لا، قال: هو الرجل يخرج في الليل فيحتطب فتقع يده على أفعى فتقتله، وهذا مثل ضربته لك لطالب العلم، إن طالب العلم إذا حمل من العلم ما لا يطيقه، قتله علمه كما قتلت الأفعى حاطب الليل ..

(1) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 8.

69- وقال ملك الهند لأولاده وكان له أربعون ولداً: يا بني، أكثروا من النظر في الكتب، وازدادوا في كل يوم حرفاً فإن ثلاثة لا يستوحشون في غربة: الفقيه العالم والبطل الشجاع والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي. فإني إن أخذت كتاباً جعلته مدرعة!

وقيل لرقبة بن مصقلة: ما أكثر شكك؟ قال: محاماة عن اليقين! وسأل شعبة أيوب السختياني عن حديث، فقال: أشك فيه، فقال: شكك أحب إليّ من يقيني! وقال: إن من أصحابي من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل حديثه. وقالت الحكماء: علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإذا فعلت ذلك حفظت ما علمت وعلمت ما جهلت وقال مالك بن أنس رحمه الله: إذا ترك العالم أصيب مقاتله. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدرى، فقال لا أدري فقد أحرز نصف العلم.

وقالوا: العلم ثلاثة: حديث مسند، وآية محكمة، ولا أدري! فجعلوا لا أدري من العلم، إذا كان صواباً من القول. وقال الخليل بن أحمد: إنك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجلس عند غيره. وقال أنوشروان للموبد (وهو العالم بالفارسية) ما أفضل الأشياء؟ قال: الطبيعة النقية تكتفى من الأدب بالرائحة، ومن العلم بالإشارة، وكما يموت البذر في السباح، كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة، قال له: صدقت، ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك ..

70- جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه فقال: إني أريد أن أتعلم العلم، وأنا أخاف أن أضيعه ولا أعمل به. قال: إنك إن تتوسد العلم خير من أن توسد الجهل. ثم ذهب إلى أبي الدرداء رحمه الله فقال له مثل ذلك، فقال له أبو الدرداء: إن الناس يبعثون من قبورهم على ما ماتوا عليه، فيبعث العالم عالماً والجاهل جاهلاً ..

71- قال الحسن [البصري]: إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل ..

72- قال الإمام سفيان الثوري رحمه الله: إنما العلم عندنا الرخصة من ثقة، فأما التشدد فيحسنه كل أحد، فليفرق بين أصحاب مدرسة التيسير المتبعين لضوابط الشرع، وبين أولى التساهل والتفريط والتميع وعلى هذا فقس، من أنصار تطويع الفتوى للواقع ولى أعناقها لتواكب هذا العصر وتوازن ميوله واتجاهاته خشية أن يَنْبَزُوا بأنهم متشدّدون متنطّعون!

73- وقيل: اعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، ولكن العالم من اتبع العلم والسنة وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير الرواية والكتب، واعلم أنه من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأوله من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين ..

74- عن ابن عباس، قال إبليس: لعالم واحد أشد على من ألف عابد، إن العابد يعبد الله وحده، وإن العالم يعلم الناس حتى يكونوا علماء ..

75- وسئل مالك بن أنس رحمه الله عن الراسخين في العلم؟ فقال: العالم العامل بما علم المتبع لما علم. وقيل: الراسخ في العلم من وجد في علمه أربعة أشياء: التقوى بينه وبين الله، والتواضع بينه وبين الخلق، والزهد بينه وبين الدنيا، والمجاهدة بينه وبين نفسه ..

76- حدثنا أبو صالح محبوب بن موسى الفراء قال: سمعت ابن المبارك يقول: من بخل بالعلم ابتلى بثلاث: إما موت، أو نسيان، أو خوف سلطان ..

77- وقال بعض العارفين: قد جُزِيَ العلم على قسمين: نصفه سكوت ونصفه أن تدري أين تضعه. وقيل: كانوا ينتفعون بصمت العالم مثل ما ينتفعون بكلامه، وقد قيل: من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه .

وقيل لبعض علماء خراسان عند وفاته: دلنا على رجل نجلس إليه بعدك؟ فقال لهم: فلان، وذكر لهم رجلاً صموتاً متعبداً لا يعرف بكثير علم! فقيل له: إن فلاناً ليس عنده من العلم ما يجب عن كل ما نسأله عنه من العلم! فقال: قد علمت، ولكن عنده من الورع ما لا يتكلم بما لا يعلم. وكان الأعمش يقول: من الكلام كلام جوابه السكوت .

وقال بعضهم: يأتي على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم النوم وأفضل علومهم الصمت، (يعنى لفساد الأعمال ولاشتباه العلم) وأفضل أحوالهم الجوع (لانتشار الحرام وغموض الحلال).

ويقال: كل كلمة من هزل أو مزح أو لغو يوقف العبد عليها خمسة مواقف بتوبيخ وتقرير:

أولها: أن يقال له: لم قلت كلمة كذا، أكانت فيما يعنيك؟

والثانية: هل نفعتك إذ قلتها؟

والثالثة: هل ضرتك لو لم تقلها؟

والرابعة: ألا سكتَ فربحت السلامة من عاقبتها؟

والخامسة: هالاً جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها .

وقد قال بعض العارفين: من كلم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم، فقد بخسهم حقهم ولم يحم بحق الله عز وجل فيهم ..

78- وقال سلمان الفارسي: اطلبوا العلم تستغنوا به في الناس عن علماء السوء، ولا تشهروا أنفسكم فتهلكوا، فإنه لم يعص الله بشيء بعد الكفر أشراً ولا أضراً على العبد من طلب الرئاسة في الدنيا بالدين. واعلموا أن الإبقاء على العمل حتى يخلص الله عز وجل أشد من العمل..

79- حدثنا عيسى المرادي، قال عيسى ابن مريم عليه السلام: إن كنتم أصحابي وإخواني فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس، فإنكم إن لم تفعلوا فليست من إخواني، إنما أعلمكم لتعلموا ولا أعلمكم لتعجبوا. إنكم لا تبلغون ما تأملون إلا بصبركم على ما تكرهون، ولا تنالون ما تريدون إلا بترككم ما تشتهون .

قال الشعبي: إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنسك، فإن كان عاقلاً ولم يك ناسكاً قيل: هذا أمر لا يناله إلا النساك فلم يطلبه، وإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيل: هذا أمر لا يناله إلا العقلاء فلم يطلبه.

وقال: ويطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما لا عقل ولا نسك. وقال سفيان ثوري: أول العلم الإنصات ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل به ثم النشر .

وحدثنا جعفر ابن سليمان عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: إذا طلب الرجل العلم ليعمل به سره علمه، وإذا طلب العلم لغير أن يعمل به زاده علمه فخرا . وقال أبو السرداء: لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً. وقال الحسن البصري رضي الله عنه: من أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه، ومن أراد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم

يزدد من الله إلا حدا ولم يزد من الله إلا بغضا. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية. وحدثنا أبو العوام أن إبراهيم سمع صوت هاتف وهو يقول:

يا طالب العلم بادر الورعا	وهاجر النوم وهاجر الشيعا
ماضر عبدا صحت إرادته	أجاع يوماً فى الله أو شيعا
ماضر عبدا صحت عزائمه	أين من الأرض أينما صقعا
ما طمعت نفس عابد فنوى	سؤال قوم إلا لهم خضعا
يا أيها الناس ما لعالمكم	فى بحر ماء الملوك قد كرمعا
يا أيها الناس أنتم عشب	يحصده الموت كلما طلعا
لا يحصد المرء عند فاقتة	إلا الذى فى حياته زرمعا

حدثنا عبد القدوس قال سمعت وهب بن منبه رضي الله عنه يقول: من تعلم علماً فى حق وسنة، لم يذهب الله بعقله أبداً. وقال وكيع رضي الله عنه: استعينوا على الحفظ بترك المعصية. وقال أبو حاتم: من تعلم ازداد كما أن من حُلِّم ساد، وفضل العلم فى غير خير مهلكة، كما أن كثرة الأدب فى غير رضوان الله موبقة، والعاقل لا يسعى فى فنونه إلا بما أجدى عليه نفعا فى الدارين معا، وإذا رزق منه الخط لا ييخل بالإفادة، لأن أول بركة العلم الإفادة، وما رأيت أحدا قط بخل بالعلم وانتفع بعلمه. كما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض ما لم ينبع، ولا بالذهب الأحمر ما لم يستخرج، ولا باللؤلؤ ما لم يخرج من بحره، كذلك لا ينتفع بالعلم ما دام مكنونا لا ينشر ولا يفاد. وقال ابن المبارك: من بخل بالحديث يتلى بإحدى ثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، أو ينسى، أو يتلى بالسلطان! وأنشدنى الكريزى:

أفد العلم ولا تبخل به	والى علمك علما فاستفد
من يفدهم يجزه الله به	وسيفنى الله عم من لم يفد
ليس من نافس فيه عاجزا	إنما العاجز من لا يجتهد

80- عن أبى الزاهرية قال: بلغنى أن فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول: أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحقى عليهم. وعن ميمون بن مهران قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وقالوا: من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل، وأشد منه عذابا من أقبل عليه العلم فأدبر عنه، ومن أهدى الله إليه علما فلم يعمل به .

وقالوا: قالت الحكمة: يا ابن آدم إن التمسني وجدتنى فى حرفين، تعمل بخير ما تعلم، وتدع شر ما تعلم. وعن عبد العزيز بن طبيان قال عيسى عليه السلام: من عِلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَلِكَ يُدْعَى عَظِيماً فى ملكوت السماوات، أخذه بكر بن حماد فقال:

وَإِذَا أَمْرٌ عَمِلْتَ يَدَاهُ بِعِلْمِهِ نَوْدَى عَظِيماً فى السَّمَاءِ مَسْرُوداً
وهذا البيت فى قصيدة له يرثى بها أحمد بن حنبل .

ويقال إن فى الإنجيل مكتوب: لا تطلب علماً ما لم تعمل حتى تعملوا بما علمتم. وقال عيسى للحواريين أقول لكم: إن قائل الحكمة وسامعها شريكاً وأولاهما بها من حققها بعمله. يا بنى إسرائيل، ما يغنى عن الأعمى معه نور الشمس وهو لا يبصرها، وما يغنى عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به. وقال عبد الله بن مسعود: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها، وإن العالم من يخشى الله .

حدثنا عبد الله بن المسور قال: [جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال له: آتيتك يا رسول الله لتعلمنى من غرائب العلم، فقال له رسول الله ﷺ: ما صنعت فى رأس العلم؟ قال: وما رأس العلم؟ قال: هل عرفت الرب؟ قال: نعم، قال: فما صنعت فى حقه؟ قال: ما شاء الله. قال: هل عرفت الموت؟ قال: نعم، قال: فما أعددت له؟ قال: ما شاء الله؟ قال: اذهب فاحكم ما هنالك، ثم تعال نعلمك من غرائب العلم] ⁽¹⁾.

وكتب ابن منبه إلى مكحول: إنك امرؤ قد أصبت فيما ظهر من علم الإسلام شرفاً، فاطلب بما بطن علم الإسلام عند الله محبة وزلفى، واعلم أن إحدى المحبتين سوف تمنع منك الأخرى !
ويروى أن سفيان الثورى رحمته الله كان ينشد متمثلاً لسابق البربرى فى شعر له مطول:

إِذَا الْعِلْمُ لَمْ تَعْمَلْ بِهِ كَانَ حُجَّةً عَلَيْكَ وَلَمْ تَعْذَرْ بِمَا أَنْتَ جَاهِلٌ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ عِلْماً فَإِنَّمَا يَصْدُقُ قَوْلُ الْمَرْءِ مَا هُوَ فَاعِلُهُ

(1) شرح صحيح البخارى لابن بطال ج 1 ص 136 .

وقال عبد الملك بن إدريس الحزيري الوزير الكاتب:

والعلم ليس بنافع أربابـه ما لم يفد عملا وحسن تبصر
سيان عندي علم من لم يستفد عملا به وصلاة من لم يطهر
فاعمل بعلمك توف نفسك وزنها لا ترض بالتضييع وزن المخسر
حدثنا نجاد التمار قال: رأيت أبا حنيفة عليه السلام في النوم فقلت له: ما فعل الله بك يا أبا حنيفة؟ فقال غفر لي، فقلت له: بالعلم؟ فقال: هيهات للعلم شروط وآفات قل من ينجو منها، قلت: فيم ذا؟ قال: بقول الناس في ما لم يعلمه الله، أو ما لم أكن عليه .

وقال الحسن [البصري عليه السلام]: الذي يفوق الناس في العلم جدير أن يفوقهم في العمل. وقال الفضيل ابن عياض قال لي ابن المبارك عليه السلام: أكثركم علما ينبغي أن يكون أكثركم خوفا. وروى أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله: ما استغنى أحد بالله إلا احتاج إليه الناس، وما عمل أحد بما علمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده. عن سفيان قال إبراهيم: من تعلم علما يريد به وجه الله والدار الآخرة آتاه الله من العلم ما يحتاج إليه وكان بعض الحكماء يقول: نفعنا الله وإياكم بالعلم ولا جعل حظنا منه الاستماع والتعجب. وقال أيوب السختياني قال لي أبو قلابة: يا أبا أيوب إذا أحدث الله لك علما فأحدث له عبادة، ولا يكن همك أن تحدث به ..

81- وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا يكون إماما في العلم من أخذ بالشاذ من العلم، ولا يكون إماما في العلم من روى عن كل أحد، ولا يكون إماما في العلم من روى كل ما سمع ..

82- عن عبد الأعلى التيمي قال: من أوتي من العلم ما لا يبيكه، خلقي ألا يكون أوتي علما ينفع . لأن الله تعالى نعت العلماء فقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا وَعُدُّ رَبَّنَا لَمُفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } (1) ..

83- وكان أحمد بن حنبل يقول: العلم إن لم ينفعك ضرك ..

84- وقال لقمان لابنه: يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتباري به السفهاء وتماري به في المجالس، ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة، وإذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم فإن تك عالما ينفعك علمك وإن تك جاهلا يزيدوك علما.

(1) سورة الإسراء الآيات 107 / 109 .

ولعل الله تعالى أن يطلع إليهم برحمة فيصيبك بها معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن تك عالما لا ينفعك علمك وإن تك جاهلا يزيدوك جهلا ولعل الله تعالى يطلع إليهم بسخطه فيصيبك بها معهم.

85- وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن استطعت فكن عالما فإن لم تستطع فكن متعلما فإن لم تستطع فأحبهم فإن لم تستطع فلا تبغضهم [إلا في الله] ..

86- عن أبي عبد الله الحري قال: سمعت بعض العلماء من قدم على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: الصامت على علم كالمتكلم على علم، فقال عمر: إني لأرجو أن يكون المتكلم على علم أفضلهما يوم القيامة حالا، وذلك أن منفعة للناس وهذا صمته لنفسه، فقال: يا أمير المؤمنين، فكيف بفتنة المنطق؟ فبكى عمر رضي الله عنه بكاء شديدا ..

87- كان أبو حنيفة رضي الله عنه إذا أخذته هزة المسائل يقول: أين الملوك من لذة ما نحن فيه؟ لو فطنوا لقاتلونا عليه . وقيل: من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفتته السلوة. وقيل لابن المبارك: من تجالس؟ فقال: أصحاب النبي، إني أنظر في كتب آثارهم وأخبارهم. وقيل للنوفلي: ما بلغ من شهوتك للعلم؟ قال: إذا نشطت فلذتي وإذا اغتممت فسلوتي .

دخل حكيم دار رجل خلو من العلم فرأى أثاثا وهيئة فاخرة، وأراد الرجل الداخل أن ييزق بركة فبزق في وجه الرجل! فقليل له: ما تفعل؟! قال: نظرت فلم أجد في هذه الدار أحسن منه لخلوه من المعاني الفاضلة ..

88- وقال أبو مرحوم: سمعت أم الدرداء تقول: أفضل العلم المعرفة. وقال عبد ربه بن سليمان بن زيتون: كانت أم الدرداء تكتب لى في لوحى تعلمنى: تعلموا الحكمة صغارا تعملوا بها كبارا، إن كل زارع حاصد ما زرع من خير أو شر ..

89- وقيل لبعض العلماء متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ قال: ما حسنت به الحياة . وسئل الحسن [البصرى رضي الله عنه] عن الرجل له ثمانون سنة أيحسن أن يطلب العلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش ..

90- وقيل:

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

وإن صغير القوم إن كان عالماً فأكثرهم يرضون ما هو قائل

91- قال بعض العلماء: إن الله سبحانه جعل العلم للقلوب كالمطر للأرض، فكما أنه لا حياة للأرض إلا بالمطر فكذلك لا حياة للقلب إلا بالعلم. ومن كلام الحسن [البصري رحمته الله]:
من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس للجهل سرباله ..

92- وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً، وكل عز لم يوطّد بعلم فإلى الذل يصير. وقال بعض الحكماء: ما رفع الله امرءاً عن محله بغير التقى والعلم إلا وحطه ..

93- قال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن جريج: لم طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي، غير أن ابن جريج، فإنه قال: طلبته للناس! قال الذهبي معلقاً: ما أحسن الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لمن طلبت العلم؟ فيبادر ويقول: طلبته لله، ويكذب، إنما طلبه للدنيا ويا قلة ما عرف منه .

قال هشام الدستوائي رحمته الله: والله ما أستطيع أن أقول: إنني ذهبت يوماً قط أطلب الحديث أريد به وجه الله عز وجل. قال الذهبي: قلت: والله ولا أنا. فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليشنى عليهم فولوا به المناصب، فظلموا وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتباً لهم فما هؤلاء بعلماء! وبعضهم لم يتق الله في علمه بل ركب الحيل، وأفنى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله وذهب علمه وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رويوا من العلم شيئاً كبيراً، وتضلّعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاههم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أو هموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدّر في أذهانهم قط أن يتقربوا به إلى الله، فنسأل الله النجاة والعفو ..

94- قال جعفر بن محمد: وجدنا علم الناس كله في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما تخرج به من ذنبك. وقال بعضهم: ما يخرجك من دينك .

قيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله، وقيل له مرة أخرى مثل ذلك، فقال: لعل الكلمة التي تنفعني لم أكتبها بعد !

حدثنا أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: بلغني أنه إذا كان يوم القيامة توضع حسنات الرجل في كفة وسيئاته في الكفة الأخرى، فتشيل حسناته، فإذا أيس وذن أنها النار، جاء شيء مثل السحاب حتى يقع في حسناته فتشيل سيئاته؟! فيقال له: أتعرف هذا من عملك؟ فيقول: لا، فيقال: هذا ما علمت الناس من الخير فعمل به من بعدك ..

95- قال يحيى بن يحيى: أول ما حدثني مالك بن أنس رحمته الله حين أتيته في أول يوم جلست إليه قال لي: اسمك؟ قلت له: أكرمك الله يحيى، وكنت أحدث أصحابي سنا، فقال لي: يا يحيى، الله الله، عليك بالجد في هذا الأمر، وسأحدثك في ذلك بحديث يرغبك فيه ويزهدك في غيره، قال: قدم المدينة غلام من أهل الشام بحداثة سنك فكان معنا يجتهد ويطلب حتى نزل به الموت، فلقد رأيت على جنازته شيئاً لم أر مثله على أحد من أهل بلدنا، لا طالب ولا عالم، رأيت جميع العلماء يزدهمون على نعشه، فلما رأى ذلك الأمير أمسك عن الصلاة عليه، وقال: قدموا منكم من أحببتم، فقدم أهل العلم ربيعة، ثم نهض به إلى قبره، فألحده في قبره ربيعة رحمته الله، وزيد بن أسلم، ويحيى بن سعيد، وابن شهاب، وأقرب الناس إليهم محمد بن المنذر، وصفوان بن سليم، وأبو حازم وأشباههم، وبنى اللبن على لحده ربيعة، وهؤلاء كلهم يناولوه اللبن .

فلما كان اليوم الثالث من يوم دفنه، رآه رجل من خيار أهل بلدنا في أحسن صورة غلام أمرد، وعليه بياض، متعمم بعمامة خضراء، وتحته فرس أشهب نازل من السماء فكأنه كان يأتيه قاصداً ويسلم عليه، ويقول: هذا [ما] بلغني إليه العلم، فقال له الرجل: وما الذي بلغك إليه؟ فقال: أعطاني الله بكل باب تعلمته من العلم درجة في الجنة، فلم تبلغ بي الدرجات إلى درجة أهل العلم، فقال الله تعالى: زيدوا ورثة أنبيائي، فقد ضمنت على نفسي أنه من مات وهو عالم ستنى أو سنة أنبيائي أو طالب لذلك، أن أجمعهم في درجة واحدة، فأعطاني ربي حتى بلغت إلى درجة أهل العلم وليس بيني وبين رسول الله ﷺ إلا درجتان، درجة هو فيها وحوله النبيون

كلهم، ودرجة فيها جميع أصحابه وأصحاب النبيين الذين اتبعوهم، ودرجة من بعدهم فيها جميع أهل العلم وطلبته، فسيرني حتى استوسطتهم فقالوا لي: مرحباً مرحباً، سوى ما لي عند الله من المزيد فقال له الرجل: ومالك عند الله من المزيد؟ فقال: وعدني أن يحشر النبيين كلهم كما رأيتم في زمرة واحدة، فيقول: يا معشر العلماء، هذه جنتي قد أبحتها لكم، وهذا رضواني قد رضيت عنكم، فلا تدخلوا الجنة حتى تتمنوا وتشفعوا فأعطيك ما شئتم وأشفعكم فيمن استشفعتم له، ليري عبادي كرامتكم على ومنزلتكم عندي. فلما أصبح الرجل حدث أهل العلم، وانتشر خبره بالمدينة .

قال مالك رحمه الله: كان بالمدينة أقوام بدؤوا معنا في طلب هذا الأمر ثم كفوا عنه حتى سمعوا هذا الحديث، فلقد رجعوا إليه، وأخذوا بالحزم، وهم اليوم من علماء بلدنا، الله الله يا يحيى جد في هذا الأمر. قال المؤلف: غير أن فضل العلم إنما هو لمن عمل به، ونوى بطلبه وجه الله تعالى [ولم يطلب به الدنيا والشهرة والعلو بها].

وكان أبو الدرداء يقول: لست أخاف أن يقال لي: يا عويمر ماذا علمت؟ ولكن أخاف أن يقال لي: يا عويمر، ماذا عملت فيما علمت؟ ولم يؤت الله أحدا علما في الدنيا إلا سألته يوم القيامة. ومن تعلم الحديث ليصرف به وجوه الرجال إليه، صرف الله وجهه يوم القيامة إلى النار.

وقال مسروق رحمه الله: بحسب المرء من العلم أن يخشى الله، وبحسبه من الجهل ألا يخشى الله .

قال قتادة رحمه الله: إن الشيطان لم يدع أحدكم حتى يأتيه من كل وجه، حتى يأتيه من باب العلم، فيقول: ما تصنع بطلب العلم؟ ليتك تعمل بما قد سمعت، ولو كان أحد مكتفياً لاكتفى موسى عليه السلام حيث يقول: { هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا } ⁽¹⁾.

وعن ابن عباس: أن موسى سأل ربه، فقال: أي رب، أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تقربه إلى هدى أو ترده عن ردى ..

96- قال الزهري: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قلت: من مكة قال: فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي قلت: من الموالي! قال: وبم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا .

(1) سورة الكهف آية 66.

فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاووس بن كيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت:
من الموالي! قال: وبم سادهم؟ قلت: بما سادهم به عطاء. قال: إنه لينبغي.
فمن يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت:
من الموالي!

قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: من العرب أم من الموالي؟ قلت: من
الموالي عبد نوبى أعتقته امرأة من هذيل!

قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران. قال: فمن العرب أم من الموالي؟
قلت: من الموالي!

قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم. قال: فمن العرب أم من
الموالي؟ قلت: من الموالي!

قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن بن أبى الحسن [البصري] قال: فمن العرب أم
من الموالي؟ قلت: من الموالي!

قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعى. قال: فمن العرب أم من الموالي؟
قلت: من العرب.

قال: ويلك يا زهرى فرجت عنى، والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على
المنابر والعرب تحتها!!

قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه، من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط..

97- قال بكر بن حماد:

رأيت العلم صاحبه شريف	وإن ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى	أن يعظم قدره القوم الكرام
ويتبعونه فى كل أمر	كراع الضأن تتبعه السوام
ويحمل قوله فى كل أفق	ومن يك عالماً فهو الإمام
فلولا العلم ما سعدت نفوس	ولا عرف الحلال ولا الحرام

فبالعلم النجاة من المخازى وبالجهد المذلّة والرغـام
هو الهادى الدليل إلى المعالى ومصباح يضيء به الظلام
كذلك عن الرسول أتى عليه من الله التحية والسلام
وفى رواية أخرى:

وأن طلابه حق على من له عقل وليس به سـقام
فأما عالما تغدو وإما إلى التعليم بخرجك اغتنـام
وسائر ذاك من لا خير فيه ومن يك عالما فهو الإمام
كذلك عن النبى أتى عليه من الله التحية والسلام
98- وجاء في فضل العلماء:

يا طالب العلم ترجو أن تنال به عفو الإله وعفو الله موجود
اطلب بعلمك وجه الله خالقنا إن الصراط على النيران ممدود
عفو الإله لأهل العلم نائلهم وعفوه عند أهل الجهل مفقود
فاحرص على التعلّى مجتهدا وأنت عند إله العرش محمود
فاعمل بعلم رسول الله سيدنا وأنت بين عباد الله مسعود
99- عن عبد الله بن المبارك رحمته الله أنه قال: خَيْرُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليه السلام، بَيْنَ الْمَلِكِ وَالْعِلْمِ،
فَاخْتَارَ الْعِلْمَ، فَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْعِلْمَ مَعَهُ بِاخْتِيَارِهِ الْعِلْمَ ..

100- وجاء في الزبور قال سبحانه لداود عليه السلام: قُلْ لِأَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَهْبَانِهِمْ، حَادِثُوا
مِنَ النَّاسِ الْأَتْقِيَاءَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهِمْ تَقِيًّا فَحَادِثُوا الْعُلَمَاءَ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا عَالِمًا فَحَادِثُوا الْعُقَلَاءَ،
فَإِنَّ التَّقَى وَالْعِلْمَ وَالْعَقْلَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ، مَا جَعَلْتُ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فِي أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي وَأَنَا أُرِيدُ هَلَاكَهُ.
وإنما قدم سبحانه التقى على العلم، لأن التقى لا يوجد بدون العلم كما أن الخشية لا تحصل
لمن خلا من العلم، والموصوف بالأمرين أشرف من الموصوف بأمر واحد، ولهذا السر أيضاً قدم
العالم على العاقل لأن العالم لا بد وأن يكون عاقلاً، وأما العاقل فقد لا يكون عالماً، فالعقل
كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر .

وجاء في الإنجيل قال عز من قائل في السورة السابعة عشرة منه: ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجاهل إلى النار؟! اطلبوا العلم وتعلموه، فإن العلم إن لم يسعدكم لم يُشقيكم، وإن لم يرفعكم لم يَضَعُكُمْ، وإن لم يُغنكم لم يُفقركم، وإن لم ينفعكم لم يضركم .
ولا تقولوا: نخاف أن نعلم فلا نعمل، ولكن قولوا: نرجو أن نعلم فنعمل، إذ العلم شفيق لصاحبه، وحق على الله أن لا يخزيه، وإن الله تعالى يقول يوم القيامة:

يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم؟ فيقولون: ظننا أن ترحمنا وتغفر لنا، فيقول: وإنى قد فعلت، إنى استودعتكم حكمتى لا لشر أردته بكم بل لخير أردته بكم، فادخلوا في صالحى عبادى إلى جنتى برحمتى . وبالجمل، فكون العلم صفة شرف وكمال، وكون الجهل صفة نقصان، أمر معلوم للعقلاء بالضرورة، ولذلك لو قيل للرجل العالم: يا جاهل تأذى بذلك وإن كان يعلم أن [القائل] كاذب، ولو قيل للرجل الجاهل: يا عالم فرح بذلك وإن كان يعلم أن [من قال ذلك] كاذب، والعلم أينما وجد كان صاحبه محترماً معظماً ..

101- قال البيهقي عن أبى عبد الله الملطى لما أراد موسى عليه السلام، أن يفارق الخضر قال له موسى: أوصني؟ قال: كن نفاعاً ولا تكن ضاراً، كن بشاشاً ولا تكن غضباناً، ارجع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة. ولا تضحك إلا من عجب. وقال وهب بن منبه: قال الخضر: يا موسى، إن الناس معذبون في الدنيا على قدر همومهم بها. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ قال أخى موسى: يا رب ذكر كلمته، فأتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشمرها فقال: السلام عليك ورحمة الله يا موسى بن عمران إن ربك يقرأ عليك السلام، قال موسى: هو السلام وإليه السلام والحمد لله رب العالمين، الذى لا أحصى نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته. ثم قال موسى: أريد أن توصينى بوصية ينفعنى الله بها بعدك؟ فقال الخضر: يا طالب العلم إن القائل أقل ملامة من المستمع فلا تملّ جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ماذا تحشوه وعاءك، واغرف من الدنيا وانبذها وراءك، فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار، وإنما جعلت بُلغة للعباد والتزود منها ليوم المعاد، ورِيض نفسك على الصبر تخلص من الإثم .

- يا موسى: تفرغ للعلم إن كنت تريده، فإنما العلم لمن تفرغ له، ولا تكن مكثاراً للعلم مهذاراً فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوى السخفاء، وعليك بالاعتقاد فإن ذلك

من التوفيق والسداد، وأعرض عن الجاهل واحلم عن السفهاء فإن ذلك فعل الحكماء وزين العلماء، إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلماً وجانبه حزماً، فإن ما بقى من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم .

- يا ابن عمران، ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلاً، فإن الاندلاث والتعسف من الاقتحام والتكلف يا ابن عمران، لا تفتحن باباً لا تدرى ما غلقه، ولا تغلقن باباً لا تدرى ما فتحه .

- يا ابن عمران، من لا ينتهى من الدنيا نهمته ولا تنقضى منها رغبته ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له، كيف يكون زاهداً؟

- هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه؟ أو ينفعه طلب العلم والجهل قد حواه؟ لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه .

- يا موسى، تعلم ما تعلمت لتعمل به، ولا تعلمه لتحدث به، فيكون عليك بواره ولغيرك نوره .

- يا موسى بن عمران، اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك، واستكثر من الحسنات فإنك مصيب السيئات، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضى ربك، واعمل خيراً فإنك لا بد عامل سوء. قد وعظت إن حفظت. فتولى الخضر وبقي موسى محزوناً مكروباً يبكي..

102- أخبرنا زيد العمى عن بعض الفقهاء أنه قال:

- يا صاحب العلم اعمل بعلمك وأعطِ فضل مالك واحبس الفضل من قولك إلا بشيء من الحديث ينفعك عند ربك .

- يا صاحب العلم، إن الذى علمت ثم لم تعمل به قاطع حجتك ومعدرتك عند ربك إذا لقيته .

- يا صاحب العلم، إن الذى أُمِرَ به من طاعة الله ليشغلك عما نُهِيت عنه من معصية الله .

- يا صاحب العلم، لا تكونن قوياً فى عمل غيرك ضعيفاً فى عمل نفسك .

- يا صاحب العلم، لا يشغلنك الذى لغيرك عن الذى لك .

- يا صاحب العلم، عَظِّمُ العلماء لعلمهم وصَغِّرِ الجهال لجهلهم ولا تباعدهم وقاربهم وعَلِّمهم.
- يا صاحب العلم، لا تغتر بالله ولا تغتر بالناس، فإن الغرة بالله ترك أمره والغرة بالناس اتباع هواهم، واحذر من الله ما حذرَكَ من نفسه واحذر من الناس فتنتهم .
- يا صاحب العلم، إنه لا يكمل ضوء النهار إلا بالشمس كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله .
- يا صاحب العلم، كل مسافر متزود وسيجد إذا احتاج إلى زاده ما تزود [به]، وكذلك كل عامل إذا احتاج إلى عمله في الآخرة سيجد ما عمل في الدنيا .
- يا صاحب العلم، إن الله عز وجل لم يكرم عبدا بشرف الدنيا ولم يهينه بذلها، ولكن الله تعالى يكرم أهل طاعته ويهين أهل معصيته .
- يا صاحب العلم، إذا أراد الله أن يحضك على عبادته، فاعلم أنه إنما أراد أن يبين لك كرامتك عليه فلا تتحولن إلى غيره فترجع من كرامته إلى هوانه ..
- 103- وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : يا صاحب العلم، إن الأجر محروص عليه ولا يدركه إلا من عمل ولا يفتح إلا لمن يسأله ولا يجده إلا من طلبه .
- يا صاحب العلم، إن الشجر يتفاضل في الثمار، وكذلك تتفاضل الرجال بالقول والأعمال .
- يا صاحب العلم، إن الشجر لا يكمل إلا بالثمر وطيبه، فكذلك لا يكمل الدين إلا بتحرج عن المحارم .
- يا صاحب العلم، إن الماء يطفئ النار، وكذلك ينبغي للعلم أن يطفئ الغضب .
- يا صاحب العلم، إن الزرع لا يصلح إلا بالماء والتراب، وكذلك الإيمان والعمل .
- يا صاحب العلم، كل شيء إنما ينبت بالزرع، وكذلك الله يجزى كل عامل بما عمل .
- يا صاحب العلم، إنه لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد، وكذلك لا يجتمع الفقه والغنى في قلب واحد.
- يا صاحب العلم، إذا زال القلب عن حب النصر لله، فإنه يكون كالحجر الثقيل يجر من الصعود إلى الهبوط .
- يا صاحب العلم، إنه لا يكون مطر بغير سحب كذلك لا تكون مرضاة الله إلا بقلب نقي .

- يا صاحب العلم، إن السارق إذا اطلع على شيء من عمله ووجدت عنده السرقة يكذب ذلك معذرتة وتستئين للناس معرفته، كذلك القارئ إذا عمل معصية الله استبان للناس أنه لا يريد بقراءته وجه الله .
- يا صاحب العلم، إن الزانية إذا حملت يفضحها حملها، وكذلك يفتضح بالعمل من كان يغتر الناس بالقول الحسن ويقول ما لا يفعل .
- يا صاحب العلم، إن النفس نور كل حي، وإن الحكمة نور كل قلب، وإن النفوس رأس كل حكمة والحق بابه كل خير ورحمة الله باب كل حق، ومفتاح ذلك الدعاء والتضرع إلى الله، وكيف يفتح باب بغير مفتاح؟!
- يا صاحب العلم، إن الرجل الحكيم لا يغرس إلا شجرة يرضاها، ولا يحمل على خيله إلا فرسا يرضاه، ولا يحرق إلا ببذر يرضاه، فكذلك المؤمن العالم لا يعمل الأعمال إلا برضا ربه.
- يا صاحب العلم، إن الصقالة تصلح السيف وتجلوه، وكذلك الحكمة في قلب الحكيم مثل الماء في الأرض الميتة وهي في قلب الحكيم مثل النور في الظلمة يضيء به للناس .
- يا صاحب العلم، إذا عرض لك الشيطان فقال: كيف رفع الله السموات بغير عمد؟ فقل: إن لم تكن شهدت السموات كيف رفعت وبنيت، فقد رأيت سماء مثلها سحابا ينشطها الله ثم يؤلف بينه في ساعة فيكون سماء دون هذه فبعث الله عليه شمسها وقمرها ثم يكشطها عن وجه السماء وكذلك يكشط الله عن وجه الأرض يوم القيامة .
- يا صاحب العلم، إن نقل الحجارة عن رؤوس الجبال أهون من أن تحدث من لا يقبل حديثك، فيكون مثلك في ذلك كمثلكم الذي ينقع الحجارة في الماء لتلين! وكمثل الذي يضع المائدة لأهل القبور! وكمثل المغنى عند الميت! وكمثل الذي يريد أن يجتنى العنب من الشوك!
- يا صاحب العلم، احبس الفضل من قولك الذي يخاف عليك المقت من ربك .
- يا صاحب العلم، لا تحدث حديثاً إلا بحكمة تفهمها ولا تغبط أمراً في قوله حتى يستبين لك عمله.
- يا صاحب العلم، تعلم من العلماء ما جهلت وعلم الجاهل ما علمت .

- يا صاحب العلم، عَظَّم العلماء بعلمهم ودع منازعتهم، ولا تصغر الجهال بجهلهم ولا تطردهم ولكن علِّمهم وقربهم .
- يا صاحب العلم، اعلِّمْ أن كل نعمة عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها .
- يا صاحب العلم، إن كل معصية عجزت عن توبتها بمنزلة عقوبة تعاقبها .
- يا صاحب العلم، كرب⁽¹⁾. الموت لا تدري متى يغشاك فاستعد له قبل أن يغشاك ..

* * *

(1) الكرب: الحُزْنُ والغَمُّ الذي يَأْخُذُ بالنَّفْسِ.

الفصل الرابع

أقوال ونصائح فى العلم والعلماء

- 104- كتب سلمان إلى أبى الدرداء رضى الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ: يا أخى بلغنى أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى، فانظر فإن كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء، وإن كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما. فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل. وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول: سلوا مولانا الحسن [البصرى رضي الله عنه]. وكان ابن عباس إذا سئل يقول: سلوا حارثة بن زيد. وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول: سلوا سعيد بن المسيب. وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن [البصرى رضي الله عنه] عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها، فقال: ما عندى إلا ما رويت، فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه، فأخذ الصحابى كفاً من حصى ورماهم به وقال: تسألونى عن العلم وهذا الخبر بين أظهركم ..
- 105- عن أنس قال النبى ﷺ: إن مثل العلماء كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة⁽¹⁾ ..
- 106- قال أبو هريرة: فوالذى نفس أبى هريرة بيده، يوشك أن يأتى على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر ..
- 107- وإن رسول الله ﷺ قال: كونوا علماء صالحين فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء فاستمعوا علما يدلکم على الهدى أو يردعکم عن الردى⁽²⁾ ..
- 108- عن واثلة قال النبى ﷺ: ما من شيء أقطع لظهر إبليس من عالم يخرج فى قبيلة⁽³⁾ ..
- 109- رحم الله ابن رشد إذ قال: كان العلم فى الصدور واليوم صار فى الثياب ..
- 110- عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: بين العالم والعابد سبعون درجة⁽⁴⁾ ..

(1) كنز العمال ج 10 ص 65 رقم 28769.

(2) نشر طى التعريف فى فضل حملة العلم الشريف ج 1 ص 148.

(3) جامع الأحاديث ج 6 ص 285 رقم 18803 كنز العمال ج 10 ص 61 رقم 28755.

(4) السنن الواردة فى الفتن ج 3 ص 391 رقم 1259.

111- عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: يأتي على العلماء زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبية الحمراء⁽¹⁾ ..

112- قال أبو الوليد رحمه الله: ما زال العلماء الأقران يتكلم بعضهم في بعض بحسب اجتهادهم، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ..

113- عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فإن لم يفعل فعليه لعنة الله⁽²⁾ ..

114- أخبرنا سفيان عن ابن المنكدر قال: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده فليطلب لنفسه المخرج ..

115- حدثنا بقية عن شعبة عن أيوب ؓ قال: إذا كتب العالم إليك فقد حدثك ..

116- عن أنس بن مالك قال النبي ﷺ: العالم إذا أراد بعلمه وجه الله عز وجل هابه كل شيء وإذا أراد بعلمه أن يكتز به الكنوز هاب من كل شيء⁽³⁾ ..

117- وقال بعضهم:

قلت للفقر أين أنت مقيم قال لي في محابر العلماء

إن بيني وبينهم لإخاء وعزيز على قطع الإخاء

118- قال أبو يزيد البسطامي طيفور بن عيسى: إذا رأيت الرجل قد أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، والوقوف عند الشريعة ..

119- روى عن إسماعيل القاضي قال: دخلت على المعتضد فدفعت إلى كتاباً، فنظرت فيه فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء! فقلت: [من] صنف هذا زنديق، فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: بلى، ولكن من أباح المسكر لم يبيح المتعة ومن أباح المتعة لم يبيح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه فأمر بالكتاب فأحرق ..

(1) جامع الأحاديث ج 9 ص 232 رقم 28203.

(2) الفردوس بمأثور الخطاب ج 1 ص 321 رقم 1271.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب ج 3 ص 71 رقم 421.

120- وروى أن بدوياً قدم البصرة فقال لخالد بن صفوان: أخبرني عن سيد هذا المصر؟ قال: هو الحسن [البصري عليه السلام]، قال: عربي أم مولى؟ قال: مولى، قال: وبم سادهم؟ قال: احتاجوا إليه في دينهم واستغنى عن دنياهم . قال البدوي: كفى بهذا سؤدداً .

ولما وقعت الفتنة بالبصرة رضوا بالحسن [البصري عليه السلام] فاجتمعوا عليه وبعثوا إليه، فلما أقبل قاموا، فقال يزيد بن المهلب: كاد العلماء يكونون أرباباً، أما ترون هذا المولى كيف قام له سادة العرب؟!

121- عن أيوب عن محمد بن مسلم بن يسار قال: إياكم والمراء، فإنه ساعة جهل العالم وبه يبتغى الشيطان زلته. قال محمد: هذا الجدال هذا الجدال ..

122- قيل لبعض العلماء: أتحب أن تحدث؟ قال: ومن يجب أن يسقط اسمه من الصالحين!

123- قال بعضهم: قلت لأبي إسحاق السبائي، يدخل عليك العلماء، فلا تقوم لأحدهم إلا لأبي حفص؟! فقال لي: أبو حفص عالم عامل ..

124- قال ابن عيينة عليه السلام: سمعت الفضيل بن عياض عليه السلام يقول: يُغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لا يغفر للعالم ذنب واحد. وقيل له: ما الزهد؟ قال: القنوع، قيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض، قيل: ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق. وقال: أشد الورع في اللسان. قلت: هكذا هو، فقد ترى الرجل ورعاً في مأكله وملبسه ومعاملته وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه، فيما أن يتحرى الصدق فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدق فينمق حديثه ليمدح على الفصاحة، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم، وإما أن يسكت في موضع الكلام ليثني عليه، ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة ..

125- عن أبي العباس البكري يقول: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ومحمد بن إسحاق ابن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الرويانى بمصر، فأرملوا⁽¹⁾. ولم يبق عندهم ما يفوتهم وأضر بهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا⁽²⁾. ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام فخرجت القرعة

(1) أرملوا: نفذ طعامهم وزادهم.

(2) يستهموا: يقرعوا، أى يُجروا القرعة بينهم.

على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، فاندفع في الصلاة فإذا خَصِيَّ من قبل وإلى مصر يدق الباب، ففتحوا فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقليل: هو هذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعتها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا: هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعتها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقالوا: يصلي، فلما فرغ من صلاته دفع إليه الصرة وفيها خمسون دينارا، ثم قال: أيكم محمد بن هارون وفعل به كذلك. ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في المنام خيالاً قال: إن المحامد طووا كشحهم⁽¹⁾. جياعا، فأنفذ هذه الصرار وأقسم عليكم إذا نفذت فابعثوا إلى؟ قلت: ابن نصر وابن جرير وابن خزيمة من أركان مذهبنا وأما محمد بن هارون الروياني فهو الحافظ أبو بكر له مسند مشهور روى عن أبي كريب وبندار وهذه الطبقة، وهؤلاء العلماء الفضلاء هم محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ [المشهور بابن جرير]. ومحمد بن إسحاق بن خزيمة صاحب صحيح ابن خزيمة وكتاب التوحيد. ومحمد بن نصر المروزي صاحب كتاب تعظيم قدر الصلاة وكتاب قيام الليل. ومحمد بن هارون الروياني صاحب مسند الروياني ..

126- وقيل: العلماء غرباء لقلتهم بين الجهال ..

127- أخبرنا حجاج عن حماد رضي الله عنه قال: ان العالم يغشاه يوم القيامة مثل الغمام فتوضع في ميزانه فيقول: ما هذا؟ فيقال: العلم الذي علمته ..

128- عن يونس قال: كتب لي ميمون بن مهران رضي الله عنه: إياك والخصومة والجدال في الدين، ولا تجادلن عالماً ولا جاهلاً، أما العالم فإنه يخزن عنك علمه ولا يبالي ما صنعت، وأما الجاهل فإنه يخشن بصدرك ولا يطيعك. وعن الأوزاعي عن الزهري قال: نعم وزير العالم الرأي الحسن ..

129- عن حذيفة: يأتي في آخر الزمان قوم يكون العالم فيهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون إليه، يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فينا اليوم، المؤمن فيهم أذل من الأمة !! وقال بعضهم: ما رأيت الغنى في مجلس قط أذل منه في مجلس الثوري رحمه الله تعالى، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري .

(1) طووا كشحهم: أي باتت بطونهم خاوية.

وقال آخر: كنا إذا جلسنا إلى سفيان رضي الله عنه تمنينا أن كنا فقراء لما نرى من إقباله عليهم وإعظامه لهم . وقال بعضهم: إنما العالم هو الذى يقوم الفقير من عنده غنيا والغنى من عنده فقيرا . وكان سهل يقول: غفلة العالم السكون إلى الشيء، وغفلة الجاهل الافتخار بالشيء، والسكون عندهم من الدعوى، والدعوى من المعاصي .

وعن المروزي قلت لابن المبارك رضي الله عنه: كيف يعرف العالم الصادق؟ قال: يزهّد في الدنيا ويقبل على أمر آخرته، هكذا يكون ..

130- عن بكار بن عبد الله قال سمعت وهب بن منبه رضي الله عنه يقول: مرّ رجل عابد على عابد فقال: مالك؟ قال: أعجب من فلان، إنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا، فقال: لا تعجب ممن تميل به ولكن اعجب ممن استقام !!

عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه قال: ليس العالم الذى يعرف الخير من الشر، إنما العالم الذى يعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه ..

وعن مالك بن دينار عن الحسن [البصرى رضي الله عنه] قال: قلت له ما عقوبة العالم؟ قال: موت القلب، قلت: وما موت القلب؟ قال: طلب الدنيا بعمل الآخرة. وقال: لقد رأيت أناساً تعرض لأحدهم الدنيا حلالاً فلا يتبعونها يقولون: ما ندري ما حالنا فيها ..

131- روى أن [أمير المؤمنين] معاوية رضي الله عنه: نزل بالأبطح حاجاً في خلافته مع زوجته فاخته بنت قرظة والناس يصدرون، وإذا برجل قد حف به لفيف من الناس يسألونه عن أشياء أشكلت عليهم من أمر دينهم وذلك الرجل يفتيهم، فالتفت معاوية إلى بنت قرظة وقال: هذا وأبيك الشرف هذا والله شرف الدنيا وشرف الآخرة .

ولقد صدق معاوية رضي الله عنه في قوله، فإن العالم القائم في الأمة مقام الأنبياء، هو سراج الأمة وضياؤها بلا مراء، يبين لهم الأحكام ويفرق لهم الحلال من الحرام، ويخرجهم بفتواه من الآثام ويوضح لهم شرائع الإسلام .

وقال: العلماء سرج الأرض، وكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه وعصره .

وقيل: العالم كالعين العذبة نفعها دائم .

وقيل: العالم كالغيث حيث وقع نفع .

وقيل: هو كالسراج من مرَّ به اقتبس .

وقيل: مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها الأقرباء، فبينما هي كذلك إذ غار ماؤها وقد انتفع بها قوم وبقي قوم يتندمون وأنشد للشافعي:

الأرض تحيي إذا ما عاش عالمها متى يموت عالم منها يموت طرف
كالأرض تحيي إذا ما الغيث حل بها وإن نأى عاد في أكنافها التلطف

132- قدم الحارث بن عميرة مع معاذ من اليمن، فمكث معه في داره فأصابهم الطاعون، فطعن معاذ فبكى الحارث، ثم إن معاذ أفاق فقال يا ابن الحميرية: لم تبك علي؟ أعوذ بالله منك. فقال الحارث: والله ما عليك أبكى، فقال معاذ: فعلى ما تبكي؟ قال: أبكى على ما فاتني منك العصرين الغدو والرواح. قال معاذ: أجلسني؟ فأجلسه في حجره فقال: اسمع مني فإنني أوصيك بوصية، إن العلم مكانه بين لوحى المصحف، فإن أعيا عليك تفسيره فاطلبه بعدى عند ثلاث: عويمر أبو الدرداء، أو عند سلمان الفارسي، أو عند ابن أم عبد. وأحذرك زلة العالم وجدال المنافق .

ثم إن معاذ اشتد به نزع الموت، فلما قضى نحبه انطلق الحارث حتى أتى أبا الدرداء بحمص، فمكث عنده ما شاء الله أن يمكث ثم قال الحارث: إن أخى معاذ أوصانى بك وبسلمان الفارسي وبابن أم عبد، ولا أرانى إلا منطلقا إلى العراق، فقدم الكوفة فجعل يحضر مجلس ابن أم عبد بكرة وعشية، فبينما هو كذلك في المجلس ذات يوم قال له ابن أم عبد: من أنت؟ قلت: امرؤ من أهل الشام، قال ابن أم عبد: نعم أهل الشام لولا واحدة! قال الحارث: وما تلك الواحدة؟

قال: لولا أنهم يشهدون على أنفسهم أنهم من أهل الجنة، قال الحارث: فاسترجعت مرتين أو ثلاثا وقلت: صدق معاذ عندما قال لى، فقال ابن أم عبد: وما قال يا ابن أخى؟ قلت: حذرني زلة العالم، والله ما أنت يا ابن مسعود إلا أحد رجلين، إما رجل أصبح على يقين ويشهد أن لا إله إلا الله فأنت من أهل الجنة، أو رجل مرتاب لا تدري أين منزلتك؟ قال ابن مسعود: صدق أخى، إنها زلة فلا تؤاخذنى بها، فأخذ ابن مسعود بيد الحارث فانطلق به إلى رحله، فمكث عنده ما شاء الله، ثم قال الحارث: لا بد لى أن أطلع أبا عبد الله سلمان الفارسي بالمدائن، فانطلق

الحارث حتى قدم سلمان بالمدائن، فلما سلم عليه قال: مكانك حتى أخرج إليك، قال الحارث: والله ما أراك تعرفني يا أبا عبد الله؟ قال: بلى عرفت روحى روحك قبل أن أعرفك، إن الأرواح عند الله جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها في غير الله اختلف، فمكث عنده ما شاء الله أن يمكث ثم رجع إلى الشام، فأولئك الذين كانوا يتعارفون في الله ويتزاورون في الله ..

133- حدثنا عبد الصمد: قال الفضيل: يموت الخلفاء والملوك ويذهب ذكرهم، ويموت العلماء ويبقى ذكرهم ..

134- عن مجاهد رضي الله عنه قال: ذهب العلماء فلم يبقَ إلا المتعلمون، ما المجتهد فيكم اليوم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم ..

135- قال أبو سعيد: قلَّت الفقهاء وقبض العلماء ودعا إلى البدع دعاة الضلال فشد ذلك طمع كل متعوذ في الإسلام من أبناء اليهود والنصارى ..

136- حدثني أحمد بن الحارث عن شيخ من قريش قال: قيل لبعض العلماء إنك تطيل الصمت، فقال: إني رأيت لسانى سبعا عقورا أخاف أن أخلى عنه فيعقرنى:

استر العى ما استطعت بصمت إن فى الصمت راحة للصموت
واجعل الصمت إن عييت جوابا رب قول جوابه فى السكوت
137- وقالوا من شرائط العلم: لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال:

لا يحتقر من دونه، ولا يحسد من فوقه، ولا يأخذ على العلم ثمناً. وقالوا: رأس العلم الخوف من الله تعالى .

وقيل للشعبي أفتنا أيها العالم؟ فقال: إنما العالم من اتقى الله. وقال أبو الأسود: إذا أردت أن تفحم عالماً فأحضره جاهلاً .

وقالوا لا تناظر جاهلاً ولا لجوجاً فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر. وجاء كيسان إلى الخليل بن أحمد يسأله عن شيء، ففكر فيه الخليل ليحييه، فلما استفتح الكرم قال له: لا أدري ما تقول! فأنشأ الخليل يقول:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت أجهل ما تقول عذرتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وقيل: العالم من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمنهم مكره، ولم يؤيسهم من روحه. لا تنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضى الله فيهم بأمره.

ولا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله، فإنه تعالى يقول: { فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ }⁽¹⁾. ولا تقنطوا شرار هذه الأمة، من رحمة الله، فإنه تعالى يقول: { لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ }⁽²⁾..

138- قال وهب بن منبه رحمه الله: إنى وجدت في حكمة آل داود، حق على العالم أن لا يشغل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يصدقونه عيوبه وينصحونه في نفسه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات ..

139- قالوا: أربعة أشياء تقبح بأهلها: ضيق ذرع الملك، وسرعة غضب العالم، وبذاء النساء، وكذب القضاة. وقيل: العالم مصباح فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه ..

140- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لن تزالوا بخير ما لم تعرفوا ما كنتم تنكرون، وما دام العالم يتكلم فيكم بعلمه فلا يخاف أحدا ..

141- عن الزهري قال: إن للعلم غوائل، فمن غوائله أن يترك العالم حتى يذهب بعلمه، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه وهو أشد غوائله.

وحدثنا علي بن غنام عن أبيه قال سفيان رضي الله عنه: مثل العالم مثل الطبيب لا يضع الدواء إلا على موضع الداء.

وحدثنا سفيان قال: كان رجل عالم وآخر عابد، فقال العالم للعابد: مالك لا تأتيني والناس يأتونني ويحتاجون إلى علمي؟ قال: أنا أحسن شيئاً قليلاً، وأنا أعمل به فإذا فنى أتيتك !

142- قال أحمد بن عبد الله سمعت يزيد بن هارون يقول: إن العالم حجتك بينك وبين الله تعالى، فانظر من تجعل حجتك بين يدي الله عز وجل ..

143- الحسن بن علي العابد، قال سمعت حاتماً يقول: العلماء ثلاثة: عالم يعمل بعلمه، وعالم لا يعمل بعلمه، ومتعبد قد أقبل على عبادته وترك الناس وليس له علم هذين، فإذا أردت

(1) سورة الأعراف آية 99.

(2) سورة يوسف آية 87.

أن تسأل فاسأل العالم الذى يعمل به، فإن فاتك فاسأل العابد، فإن فاتك هذان فتعال إلى العالم الذى لا يعمل بعلمه، فتبين منه أمرك ثم فر منه ولا تقتدى بعمله ..

144- وقيل: لذة العالم فى علمه، وفيما ينكشف له فى كل لحظة من مشكلات الأمور، وهذا لا يعرفه من لم يذق لذة انكشاف المشكلات، لأن استئناس العالم يزيد بكثرة العلم، لا حطام الدنيا ورئاستها ..

145- قال محمد بن إدريس: قال أبو بكر بن اللباد: إن أزهد الناس فى العالم قرابته وجيرانه! وقال مرة أخرى فى مثلها: ما قرب الخير من قوم قط إلا زهدوا فيه ..

146- أخبرنا محمد بن كثير أخبرنا سلم الخواص قال: يقتدى من قول العالم ما يقتدى من فعله، وينشد فى هذا:

اسمع لقولى ولا تنظر إلى عملى ينفعك علمى ولا يضررك تقصيرى

147- حدثنا سفيان بن عيينة رحمته الله عن محمد بن المنكدر رحمته الله قال: إن العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم [وكيف يخرج]. قال خالد بن يزيد بن معاوية: صاحب رجلاً عالماً [ولا] تصاحب رجلاً جاهلاً، أما العالم فيأخذ ما يعرف وأما الجاهل فيأخذ كلما سمع. قال أيوب بن يحيى قال فضيل بن عياض رحمته الله: لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يعمل به، فإذا عمل به كان عالماً ..

148- حدثنا عبد الصمد قال: سمعت الفضيل [بن عياض رحمته الله] يقول: إنما هما عالمان، عالم دنيا وعالم آخرة، فعالم الدنيا علمه منشور وعالم الآخرة علمه مستور، فاتبعوا عالم الآخرة واحذروا عالم الدنيا لا يصدقكم بسكره، ثم تلا هذه الآية { إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ }⁽¹⁾. قال الفضيل: الأحبار العلماء، والرهبان العباد، ثم إن كثيرا من علمائكم زيه أشبه بزي كسرى وقصر منه لمحمد رحمته الله، إن محمدا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، لكن رفع له علم فسموا إليه. العلماء كثير والحكماء قليل، وإنما يراد من العلم الحكمة، فمن أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا. لو كان مع علمائنا صبر ما غدوا لأبواب هؤلاء يعنى الملوك! وقال رجل للفضيل: العلماء ورثة الأنبياء، فقال الفضيل: الحكماء ورثة الأنبياء .

(1) سورة التوبة آية 34 .

وقال رجل للفضيل العلماء كثير، فقال الفضيل: الحكماء قليل. وسمعت الفضيل يقول: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي له أن يلغو مع من يلغو، ولا أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى الخلق حاجة، لا إلى الخلفاء فمن دونهم، وينبغي أن يكون حوائج الخلق إليه !

149- قال يحيى بن اليمان رحمه الله: قال سفيان الثوري رحمه الله: أول العبادة الصمت ثم طلب العلم ثم العمل به ثم حفظه ثم نشره ..

150- قال سفيان بن عيينة: جلسنا إلى عبيد الله بن عمر رحمه الله فأحطنا به، فنظر إلينا فقال: شتمت العلم وذهبت بنوره، لو أدركني وإياكم عمر رحمه الله لأوجعنا ضرباً، ما أنا أهل لأن أحدث ولا أنتم أهل لأن يحدثوا، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال الأول: افتضحوا فاصطلحوا. وعن الزهري عن رجل من المهاجرين قال: والذي نفسي بيده لقد وارت القبور أقواماً لو رأوني معكم سخرؤا مني ..

151- وقال الغزالي: حكى أن إبليس لعنه الله أنه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم، فرجعوا إليه محسورين فقال: ما شأنكم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء، ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا فقال: إنكم لا تقدرون عليهم، قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم، ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم، فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين فقالوا: ما رأينا أعجب من هؤلاء، نصب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب، فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات. فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم، ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقرأ أعينكم بهم تلعبون بهم لعباً وتقودونهم بأهوائهم كيف شئتم، إن استغفروا لم يغفر لهم، ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات! فجاء قوم بعد القرن الأول، فبث فيهم الأهواء وزين لهم البدع، فاستحلوها واتخذوها ديناً، لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها [وأكثر ما ينطبق هذا القول، على الروافض الشيعة، ومن تبعهم ممن أحلوا القتل، وأباحوا الفروج بالمتعة وادعوا أنهم يفعلون ذلك باسم الإسلام! وغيرهم من الفرق الضالة، التي ظهرت وانتشرت ووجدت الأرض الخصبة لتنمو في العهد العباسي]. فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا ..

152- وقالت حكماء الفرس: ينبغي أن يكون المستشار صحيح العلم، مهذب الرأى، فليس كل عالم عارفاً بالرأى الصائب، وكم نافذ في شيء ضعيف في غيره ..

153- وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء. وقال رجل للحسن [البصري] رحمه الله: أشكو إليك قساوة قلبي، فقال: أدنه من مجالس الذكر ..

154- وقيل: إن العالم العابد إذا زرع علمه عند غيره ثم مات، جرى عليه أجره وبقي له ذكره وهو عمر ثان وحياة أخرى، وذلك أحق ما تنافس فيه المتنافسون ورغب فيه الراغبون ..

155- وقال أحمد بن محمد صاحب المغازي: اجتمع الناس إلى سفيان بن عيينة رضي الله عنه فقال: من أحوج الناس إلى العلم؟ فسكتوا ثم قالوا: تكلم يا أبا محمد؟ قال: أحوج الناس إلى العلم العلماء وذلك أن الجاهل بهم أقبح، لانهم غاية الناس وهم يُسألون. وقال محمد بن عيسى الدامغانى: سمعت ابن عيينة يقول: تدرون ما مثل العلم؟ مثل العلم: مثل دار الكفر ودار الإسلام، فإن ترك أهل الإسلام الجهاد جاء أهل الكفر فأخذوا الإسلام، وإن ترك الناس العلم صار الناس جهالاً. وقال إبراهيم بن الأشعث عن سفيان بن عيينة: كان يقال: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل كان له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق منه فمات فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلم غيره، [فلم] ينتفع به ..

156- وقال محمد بن يحيى: تقدم رجل إلى عالم فقال علمنى وأوجز؟ قال: لأوجزن لك، أما لآخرتك فإن الله أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه قل لقومك: لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلت إليه الخراب! وأما لدنياك فإن الشاعر يقول:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها وكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
يعظمون أختا الدنيا فإن وثبت يوماً عليه بما لا يشتهى وثبوا

157- قال محبوب بن موسى الأنطاكي: سمعت ابن المبارك يقول: من يبخل بالعلم ابتلى بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، أو ينسى، أو يتبع السلطان ..

158- وقيل: لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، حتى يكون فيه [أربع] خصال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عالم بما ينهى، عدل فيها ينهى ..

159- وكان العلماء يقولون بثلاث: من أحسن سريره أحسن الله علانيته، ومن أصلح آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس ..

160- وقال ذو النون المصري: الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملين، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم. قال الله تعالى: { لَيْسَ الْبِرُّ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }⁽¹⁾. ما أحسن هذا الكلام وما أوقعه في قلوب الموفقين من سامعيه! نسأل الله تعالى العمل بالعلم والإخلاص فيه ..

161- أبو بكر محمد الوراق رحمه الله كان يقول: الناس ثلاثة: العلماء، والفقراء، والأمرء: فإذا فسد الأمرء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسد الطاعات، وإذا فسد الفقراء فسد الأخلاق. وكان يقول: من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقهاء تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الكلام والفقهاء ابتدع، ومن اكتفى بالفقهاء دون الزهد والورع تفسق، ومن جمع هذه الأمور كلها تخلص. وكان يقول: إذا فسد العلماء أظلت الفساق على أهل الصلاح، والكفار على المسلمين، والكذبة على الصادقين، والمراؤون على المخلصين، وتلف الدين كله لأن العلماء الزمام ..

162- قال الحكماء: إن الله قد استرعى العلماء على دينه، كما أنه قد استرعى الحكام على عباده ..

163- وفي محنة العلماء في أيدي الجهال قيل: إن أردت أن تعذب عالما فاقرن به جاهلا. وفي معادة الجاهل للعالم قال رجل لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر: الناس أعداء ما جهلوا، فقال: هذا في كتاب الله، { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ }⁽²⁾. وقيل: هلاك العلماء بحسدهم، والحسد والملق مذمومان في كل شيء إلا في العلم ..

(1) سورة الأحزاب آية 8.

(2) سورة يونس آية 39.

164- قيل لثأمة: ما جهد البلاء؟ قال: عالم يجري عليه حكم جاهل !

قيل: من أين قلت هذا؟! قال: حبسنى الرشيد عند مسرور الكبير، فضيَّق على أنفاسى، فسمعتة يوماً يقرأ: { فَوَيْلٌ لِلْمُكْذِبِينَ }⁽¹⁾. بفتح الذال، فقلت له: لا تقل أيها هكذا، قل: للمكذِّبين، وكسرت له الذال، لأن المكذِّبين هم الأنبياء .

فقال: قد كان يقال لى عنك إنك قدرى، فلا نجوت إن نجوت الليلة منى، فعانت منه تلك الليلة الموت من شدة ما عذبنى ..

165- قال يحيى بن يحيى قال بعض العباد: أشرف العلماء، من هرب بدينه من الدنيا واستصعب قياده على الهوى ..

166- أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الخواص رحمته الله كان يقول: إنما العلم لمن اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم. ويقول أربع خصال عزيزة: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله بلا سبب، ومريد ذهب عنه الطمع ..

167- وقال عبد الملك بن مروان: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يستخف بهم: العلماء، والسلطان، والإخوان، فمن استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته ..

168- قال يزيد بن مذعور: رأيت الأوزاعى فى المنام، فقلت له: يا أبا عمرو دلنى على شيء أتقرَّب به إلى الله عز وجل؟ فقال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء، ومن بعدها درجة المحزونين ..

169- قال إبراهيم بن عبد الوهاب: صحب الخضر عليه السلام: رجل فلما أراد فراقه قال: أوصني؟ قال: اصحب العلماء فإنهم أحب خلق الله إلى الله ..

170- وقال بعضهم: العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره. وقال عكرمة: إن لهذا العلم ثمناً، قيل: وما هو؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه. وقال يحيى بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد من آبائهم وأمهاتهم! قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة ..

(1) سورة الطور آية 11.

171- وقيل: من داخل السفهاء حقر ومن خالط العلماء وقر ..

172- وقيل: اتقوا الناجد من العلماء، والجاهل من العباد، فإنهما فتنة لكل مفتون، يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه؟! إذا بكت عين الخائفين فقد بايعوا الله بدموعهم ..

273- قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي: دخلت دمشق على كتبة الحديث، فمررت بحلقة قاسم الجوعى، فرأيت نفراً جلوساً حوله وهو يتكلم عليهم فهالني منظرهم، فتقدمت إليهم فسمعتة يقول: اغتنموا من أهل زمانكم خمساً: إن حضرتم لم تعرفوا، وإن غبتم لم تفتقدوا، وإن شهدتم لم تشاوروا، وإن قلمتم شيئاً لم يقبل قولكم، وإن عملتم شيئاً لم تعطوا به. وأوصيكم بخمس أيضاً: إن ظلمتم لا تظلموا، وإن مدحتم لا تفرحوا، وإن ذمتم لا تجزعوا، وإن كذبتهم فلا تغضبوا، وإن خانوكم فلا تخونوا. قال: فجعلت هذا فائدتي من دمشق. قلت: فهذا وأمثاله هو ثمرة علم العلماء الذين يريدون الله بطلب العلم النافع، جعلنا الله منهم بفضلهم، ووفقنا لأن نكون من أهله ..

174- وقيل اعلم أن العلماء ثلاثة أقسام: العلماء بأحكام الله وتكاليفه وشرائعه، والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة وأحوال المبدأ والمعاد، والعلماء الجامعون بين العلمين المذكورين مع العمل بما يجب العمل به وهم الراسخون في العلم وأنهم لأكابر العلماء ..

175- روى عن بعض السلف أنه قال: ما أوجب الله تعالى على الجهال أن يتعلموا حتى أوجب على العلماء أن يعملوا ..

176- حدثنا ابن أبي أويس قال: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: ما قلّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء ..

177- قال أبو الحسن عمر بن عثمان: الناس في طريق الله عز وجل ثلاثة: عالم بالعلم مشغول بدرسه وفهمه وحفظه وبثه، يطلب بذلك إثبات القدر وعلو المنزلة ومرتبة الرئاسة، كشف وجهه لذلك وأنصب عقله نحو ما طلب، فهو بذلك مشغول، وبمحبة ما طلب مفتون، فهو حارس للعلم والعلم لا يحرسه، وخادم للعلم والعلم لا يستخدمه، منفعة لغيره ومضرته لنفسه، وحجابه ما علم، وفتنته ما طلب، فهو عبرة لأهل البصائر، مستدرج بالنطق، مفتون بالعبرة، لا يعقل الفتنة ولا ينظر في بليته قد ملكه الهوى وأضررت به فتن الدنيا، نعوذ بالله من ذلك.

والثاني من العلماء: عالم قد علم وأطلق به العلم على نفسه يكدها بالسهر ليلاً ويظمئها بالنهار، رغبته في الثواب لما قد وعد به من مرغوب الثواب، قد غلب على قلبه ملاذ نعيم الآخرة وزهرتها ودوام الحياة بها، قد ساعده بذلك التوفيق، فهو مشغول بما يطلب لنفسه وكده وسعيه لحظه، لم يؤذن له بالدخول في ميدان أهل العلم.

والثالث من العلماء: عتيق من كل رزق، مغيب عن كل غيب، وكَلَّه بذكر الله عز وجل، سكران من محبة الله لا يسمع إذا نودي، ولا ينظر إذا نظر، أنفاسه تردد في صدره مكروب قد ضاقت به الحياة فلولا بقاء المدة لتفصّلت إربه، ولتفطر قلبه لما يجد بأسراره وذاك رجل الله المخصوص بذكره، المكرم بمحبته، المعروف بين قبائل ملائكته في سماواته وأرضه ..

178- قال محمد بن عبد العزيز المشتهر بمعيد زاده:

لقد جار الزمان على بنيـه	عليهم ضاق بالرحب البقاع
ترى الأشعار فى الأسعار أغلى	وعلم الشرع أكسد ما يباع
فقد جازت جوائزهم عقودا	وغايتها خماس بل رباع
وكم من شاعر أمسى ذليلا	لقد أضحى له أمر مطاع
وذى فضل ينادى فى البوادي	أضاعونى وأى فتى أضاعوا

179- ومن كلام محمد بن سهل التستري رحمه الله: من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو غافل. لقد أيس العلماء في زماننا هذا من ثلاث خصال: ملازمة التوبة، ومتابعة السنة، وترك أذى الخلق! خيار الناس العلماء الخائفون، وخيار الخائفين المخلصون الذين وصلوا إخراجهم بالموت رضى الله تعالى عنهم ..

180- وقيل: إن العلماء يسقون الناس، فبعضهم من الغدران والحياض، وبعضهم من العيون، وبعضهم من البحار الواسعة. وقال حاتم: لا تنظر إلى من قال، ولكن انظر إلى ما قال ..

181- [الحسن البصري] قال: طلب هذا العلم ثلاثة أصناف من الناس فاعرفوهم بصفاتهم: فصنف تعلموه للمراء والجهل، وصنف تعلموه للاستطالة والختل، وصنف تعلموه للتفقه والعقل. فصاحب المراء والجهل متعرض للقتال في أندية الرجال، يذاكر العلم بخفة الحلم قد تسربل الجشع وتبرأ من الورع فدق الله تعالى من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه .

وصاحب الاستطالة والختل، ذو خب وملق يستطيل على أشباهه من أمثاله، فيختلهم بخلع جبينه فهو لخلوانهم هاضم ولدينه خاطر، فأعمى الله عز وجل على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره .

وصاحب التفقه والعقل ذو كآبة وحزن، قد تحنى في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشع، قد أوكته يده وأعمدته رجلاه، فهو مقبل على شأنه عارف بأهل زمانه، قد استوحش من كل ذى ثقة من أقرانه، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه ..

182- قال يحيى بن معاذ: اجتنبت صحبة ثلاثة أصناف من الناس: العلماء الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين ..

183- قال القاسم البكاء: بكاء الجهال على ما جهلوا، وبكاء العلماء على ما قصروا ..

184- وروى أن رجلاً سأل [رجلاً] في مرض موته فقال له: أوصني؟ فقال: إن شئت جمعت لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الأطباء في ثلاث كلمات، أما علم العلماء فإذا سئلت عما لا تعلم، فقل لا أعلم . وأما حكم الحكماء فإذا كنت جليس قوم، فكن أسكتهم، فإن أصابوا كنت من جهلتهم، وإن أخطأوا سلمت من خطئهم، وأما طب الأطباء فلا تأكل طعاماً إلا ونفسك تشتهي، فإنه لا يلم بجسدك غير مرض الموت ..

185- قال الفضيل: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا!

186- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تعلموا العلم قبل أن يرفع، فإن ذهاب العلم ذهاب العلماء. لولا ثلاث خصال لصلح أمر الناس: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. من رزق قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة مؤمنة، فنعم الخير أتاه، ولن يترك من الخير شيئاً من يكثر الدعاء عند الرخاء فيستجاب له عند البلاء، ومن يكثر قرع الباب يفتح له ..

187- حدثنا يحيى بن معاذ قال: إن العالم بالله الخائف من الله، يهدم بحق الله باطل أهل الرغبة في الدنيا. وإن العالم المغتر يطفئ نور الحق بظلمة الباطل، واعلم أن الله إذا أراد أن يغنى فقيراً أو يفقر غنياً أو يرفع وضيعاً أو يضع رفيعاً فعل ما أراد من ذلك، فلا تغالب الله على أمره ولا تلتمس شيئاً من ذلك بغير طاعة الله، فإن الذين التمسوا الأمور بغير طاعة الله خسروا خساراً مبيناً فيما أصابوا بها طالبوا، وفيما أخطأهم مما أرادوا. فانظر إذا كنت إماماً أى إمام

تكون؟ فربما نجت الأمة بالإمام الواحد، وربما هلكت بالإمام الواحد، وإنما هما إمامان إمام هدى قال الله عز وجل { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا }⁽¹⁾. يعنى على الدنيا، وإنما صاروا أئمة حين صبروا عن الدنيا، ولا يكون إمام هدى حجة لأهل الباطل، فإنه قال: يهدون بأمرنا لا بأمر أنفسهم ولا بأمر الناس فقال: { وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَةَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ }⁽²⁾. فهذا إمام هدى فهو ومن أجابه شريكان. وإمام آخر قال الله تعالى { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ }⁽³⁾.. ولا تجد أحدا يدعو إلى النار ولكن الدعاة إلى معصية الله، فهذان إمامان هما مثل من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ..

188- عن سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله: وكانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة سبع وتسعين وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة وتوفي رحمه الله بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة وكان رحمه الله عالم الأمة وعابدها وزاهدها وكان رحمه الله يقول: لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل في الأدب عشرين سنة، وكان يقول: إذا فسد العلماء فمن يصلحهم، وفسادهم ميلهم إلى الدنيا! وشكا له رجل مصيبة فقال: قم عنى ما وجدت أحداً أهون في عينيك منى تشكو الله تعالى عنده ..

189- حدثنا سنان بن حاتم عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار رحمه الله يقول: القراء ثلاثة: قارئ للدنيا، وقارئ للرحمن عز وجل، وقارئ للملوك وأبناء الملوك ..

190- قيل: مثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص، ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص تارة أخرى .

الدنيا بستان زينت بخمسة أشياء: علم العلماء وعدل الأمراء وعبادة العباد وأمانة التجار ونصيحة المحترفين . فجاء إبليس [لعنه الله] بخمسة أعلام فأقامها بجنب هذه الخمس!

جاء بالحسد فركزه في جنب العلم، وجاء بالجور فركزه بجنب العدل، وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة، وجاء بالخيانة فركزها بجنب الأمانة، وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة .

(1) سورة السجدة آية 24.

(2) سورة الأنبياء آية 73.

(3) سورة القصص آية 41.

إذا أردت أن تعلم أن علمك ينفعك أم لا؟ فاطلب من نفسك خمس خصال: حب الفقر لقلة المؤنة، وحب الطاعة طلباً للثواب، وحب الزهد في الدنيا طلباً للفراغ، وحب الحكمة طلباً لصلاح القلب، وحب الخلوة طلباً لمناجاة الرب .

اطلب خمسة في خمسة. الأول: اطلب العز في التواضع لا في المال والعشيرة .

والثاني: اطلب الغنى في القناعة لا في الكثرة .

والثالث: اطلب الأمن في الجنة لا في الدنيا .

والرابع: اطلب الراحة في القلة لا في الكثرة .

والخامس: اطلب منفعة العلم في العمل لا في كثرة الرواية .

قال ابن المبارك: ما جاء فساد هذه الأمة إلا من قبل الخواص وهم خمسة: العلماء، والغزاة، والزهاد: والتجار، والولاة. أما العلماء فهم ورثة الأنبياء، وأما الزهاد فعماد أهل الأرض، وأما الغزاة فجند الله في الأرض، وأما التجار فأمناء الله في أرضه، وأما الولاة فهم الرعاة. فإذا كان العالم للدين واضعاً وللمال رافعاً فبمن يقتدى الجاهل؟ وإذا كان الزاهد في الدنيا راغباً فبمن يقتدى التائب؟ وإذا كان الغازي طامعاً مرئياً فكيف يظفر بالعدو؟ وإذا كان التاجر خائناً فكيف تحصل الأمانة؟ وإذا كان الراعي ذنباً فكيف تحصل الرعاية؟! وقد أشار عمران بن حطان الخارجي إلى الفقرة الأخيرة فقال:

إن أنت لم تبق لا صوفا ولا غنما ألقيتني أعظمافي قرقر قراع

أخذت رزقي من ربي لتحفظني فصرت لى سبعا أيها الراعي

طريق الجنة في أيدي أربعة: العالم والزاهد والعايد والمجاهد، فالزاهد إذا كان صادقاً في

دعواه يرزقه الله الأمن، والعايد إذا كان صادقاً في دعواه يرزقه الله الخوف، والمجاهد إذا كان

صادقاً في دعواه يرزقه الله الثناء والحمد، والعالم إذا كان صادقاً في دعواه يرزقه الله الحكمة.

اطلب أربعة من أربعة: من الموضع السلامة، ومن الصاحب الكرامة، ومن المال الفراغة،

ومن العلم المنفعة، فإذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه، وإذا لم تجد من صاحبك

الكرامة فالكلب خير منه، وإذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه، وإذا لم تجد من العلم

المنفعة فالموت خير منه. أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منها وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه

لأبيه، وخدمته لضيافته، وخدمته للعالم الذى يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم ممن هو أعلم منه. إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام آكلين للشبهات، وإذا صار العالم أكلاً للشبهات صار العامى أكلاً للحرام، وإذا صار العالم أكلاً للحرام صار العامى كافراً يعنى إذا استحلوا. وهذه الدقيقة تنبهك على أن العلم هو سبب القرب من الله تعالى، وهو الذى يورث الخشية [فما بعدها] ..

* * *

الباب الثاني

الإفتاء والعلماء

مقدمة:

كان الإفتاء في الماضي يُتخوف من الإقدام عليه، لعظم أمره ولشدة خشوع المسلمين حينها وخوفهم وخشيتهم الشديدة من الله، فإنما هم يحدثون باسمه تعالى ورسوله .

وكان الإفتاء محصوراً بين مفتي مجتهد مستقل بفتواه دون تحديد، غير مقلد غيره من أصحاب المذاهب أو مريديهم كما هو حاصل الآن، وبين مفتي غير مجتهد اعتمد في فتاويه على ما درس فقط، فهو يقلد أصحاب المذاهب في فتاويهم، وقد يتمسك بمذهب واحد لا يجيد عنه في فتاويه .

وقد أطلق اسم المفتي عاماً، على كل من وضع نفسه موضع إجابة على أسئلة تتعلق بأمور الدين، وظن بأنه مطلع على أمور الدين ناسخها ومنسوخها، ملم بأحاديث وأقوال الرسول ﷺ والمذاهب الإسلامية والسلف الصالح، فقيه بأدلة الأحكام الشرعية واختلاف واتفاق العلماء بها.

وفي صدر الإسلام اشتهر بالفتوى:

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ وأرضاه .

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها .

عبد الله بن عمر ؓ .

عبد الله بن مسعود ؓ .

زيد بن ثابت ؓ

عبد الله بن عباس .

كان الإفتاء في السابق عملاً تطوعياً اختيارياً بدون مقابل مادي، بل تقريباً لله ونصيحةً للمسلمين في أمور دينهم ودنياهم، وحبا في كسب الأجر والثواب من الله وحده. هكذا كان الإفتاء في صدر الإسلام، لم يكن الإفتاء آنذاك عملاً رسمياً، ولا وظيفة حكومية كما هو الحال بالمفتي اليوم. وكان المفتي في السابق يتقاضى راتبه من ريع أوقاف المسلمين، أو بيت المال، لذا كان حراً في فتاويه غير مجامل ولا منافق للسلطان وحاشيته بها . ليس للسلطان سلطة عليه، بل كان يعينه على طاعة الله ويؤيده، لذا لم يكن يخشى إلا الله تعالى. واختلف الحال الآن عن السابق،

فقد أصبح المفتى فى كافة بلاد الإسلام، أو من تدعى الإسلام، موظفاً حكومياً، يخضع للسلطان ويخشى عزله من وظيفته إن لم يطعه، بل أصبح يتوجب عليه وجوب إيجاد مخرج شرعى لكل أمر أو تصرف يصدر من السلطان، ليضفى عليه الصبغة الشرعية! فلم نعلم أن أحدا منهم قد استقال اعتراضاً على أمر ما مخالف للشرع!! اللهم إلا واحداً فقط فى عصرنا الحالى سيأتى ذكره فى الكتاب بإذن الله .

كان أول من حمل لقب مفتى فى بداية الدولة العباسية، بعد أن أصبح منصب الإفتاء وظيفه حكومية، يعين من يتولاها بأمر يصدره الحاكم، وبموجب هذا يعتبر المفتى مفسر الدولة الرسمى والوحيد للشرعة الإسلامية، وأصبحت فتواه حكماً ملزماً. فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ورؤى أن يكون هناك لكل مدينة مفتى دون المفتى الرئيسى المختص بالسلطان وبطانته.

وفى عهد السلطان محمد الفاتح العثمانى، جعل أكبر الوظائف العلمية هى وظيفة المفتى، فكان يتم انتخاب المفتى من قبل مجموعة من رجال الدين والعلماء والقضاة الشرعيين، فى كل مدينة، يرشحون ثلاثة منهم ثم يرسلوا بأسمائهم إلى مشيخة الإسلام ومقرها بإسطنبول التى تختار أحدهم، فترفع باسمه إلى السلطان ليصدر مرسوماً بتعيينه بوصفه أميراً للمؤمنين .



الفصل الأول

ألقاب مُنحت للمفتين والعلماء

المفتى هو الفقيه، وفي حد الفقه ما يؤخذ منه اسم الفقيه، لأن من قامت به صفة جاز أن يشتق له منها اسم فاعل. قال الصيرفي: وموضوع هذا الاسم لمن قام للناس بأمر دينهم، وعلم جل عموم القرآن وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، وكذلك في السنن والاستنباط، ولم يوضع لمن علم مسألة وأدرك حقيقتها، فمن بلغ هذه المرتبة سموه هذا الاسم.

وكثيراً ما كان السلاطين يخاطبون من تولى منصب الإفتاء أو التدريس الشرعي بألقاب تكريمية، ما لبثت أن أصبحت جزءاً من النعوت المتصلة بهذا المنصب، وقد استحقها البعض منهم عن جدارة نابعة عن العلم والعمل به، والوقوف مع الحق في وجه الظلم وفي إعلاء كلمة الله. والبعض الآخر كانت مجرد عباءة فضفاضة عليه، اتخذ المنصب ليعلو به في الدنيا على علم، ويهبط به في الآخرة.

فكان من تلك الأسماء التي استحدثت، ولم يكن لها أصل في الإسلام، الأسماء التالية، ولم يعتبرها من تلقب بها بدعة كما هو الحال في كل جديد يراد!! بل أصبح يفتخر ويعتز بمناداته بها إلى الآن! والله تعالى أعلم إن كان من أهلها، أم أنها ستكون شاهداً عليه يوم القيامة لعدم قيامه بمسؤوليتها. وحقوقها على الوجه الأكمل:

مفتى المسلمين.	مفتى الأنام.	مفتى الشرق.
مفتى الشرق والصين.	مفتى الفرق.	مفتى دار العدل.
مفتى السنة.	المفتى الحنفى.	المفتى الشافعى.
المفتى المالكي.	المفتى الحنبلي.	المفتى الأعظم.
المفتى الكبير.	المفتى العام.	المفتى العلم الكبير.
المفتى المدرس.	المفتى العلامة.	الفقيه الإمام العالم.
الإمام الأعظم.	الإمام الأوحـد.	الإمام الصدر العالم.
الإمام العالم الثقة.	الإمام العالم المفتى.	الإمام العالم الأمين.
الإمام العالم الأوحـد.	الإمام العامل الزاهد.	الإمام العدل الأمين.

الإمام العالم فقيه الإسلام.	الإمام الحافظ الفقيه النبيه.
الإمام الحافظ الفقيه المتفقه.	ساحة الإمام.
ساحة الشيخ.	العالم الحافظ.
العالم الصدر.	العالم الأوحـد.
العالم الوحيد.	العالم الأجل.
العالم الإمام الثقة.	العالم العلامة البحر الفهامة.
العالم بقية السلف.	

والبعض من تلك الأسماء، وجدت مرقومة على شواهد قبور أصحابها !!

وقد عُرفت في أيام المماليك، وظيفة مستقلة باسم (مفتى دار العدل) رتبتهـا في الدرجة الثالثة بين الوظائف الدينية، وتأتى قبلها وظيفة قاضى القضاة، وقاضى العسكر، وتأتى بعدها وكالة بيت المال، والحسبة .

وهذه الوظيفة استُخدمت في عواصم الأقطار التابعة للمماليك في القاهرة ودمشق وحلب، وكان موضوعها الجلوس بدار العدل، أى ما يُعرف في أيامنا باسم قصر العدل، حيث كان السلطان أو نائبه، يجلس لفصل الخصومات والإفتاء فيها لعله يطرأ من الأحكام بدار العدل، وكان مفتى دار العدل يجلس فى نفس المكان الذى يجلس فيه القضاة الأربعة على المذاهب الأربعة:

وفي أيام المماليك أيضا كان في كل من القاهرة ودمشق أربعة مفتين، لكل مذهب من المذاهب الأربعة المذكورة، مفتى مستقل به لوحده .

وهذه الطبقة من المفتين، يعيّنون كموظفين حكوميين، بمرسوم سلطانى صادر عن السلطان نفسه، أما المفتون بدار العدل في دمشق وحلب، فيجرى تعيينهم بقرار يصدره نائب السلطان في هاتين المدينتين، وكذلك الحال في بقية عواصم الأقطار ..

* * *

الفصل الثاني

الإفتاء وما جاء به

191- الفتوى فرض على الكفاية، إذ لا بد للمسلمين من يبين لهم أحكام دينهم فيما يقع لهم، ولا يُحسن ذلك كل أحد، فوجب أن يقوم به من لديه القدرة. ولم تكن فرض عين لأنها تقتضى تحصيل علوم جمة، فلو كلفها كل واحد لأفضى إلى تعطيل أعمال الناس ومصالحهم، لانصرافهم إلى تحصيل علوم بخصوصها، وانصرافهم عن غيرها من العلوم النافعة .
ومما يدل على فرضيتها:

قول الله تبارك وتعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} (1).

وقول النبي ﷺ: "من سُئل عن علم ثم كتمه أُجِم يوم القيامة بلجام من نار" (2).

قال الإمام المحلى: ومن فروض الكفاية القيام بإقامة الحجج العلمية، وحل المشكلات في الدين، ودفع الشبه، والقيام بعلوم الشرع كالتفسير والحديث والفروع الفقهية، بحيث يصلح للقضاء والإفتاء للحاجة إليهما. ويجب أن يكون في البلاد مفتون يعرفهم الناس، فيتوجهوا إليهم بسؤالهم، يستفتيهم من سئل عن الحكم الشرعى .
والتأهل للفتوى يتعين عليه الجواب بشروط:

الأول: أن لا يوجد في الناحية غيره ممن يتمكن من الإجابة، فإن وجد عالم آخر يمكنه الإفتاء لم يتعين على الأول، بل له أن يحيل على الثانى .

قال عبد الرحمن بن أبى ليل: أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول!
وقيل: إذا لم يحضر الاستفتاء غيره تعين عليه الجواب .

الثانى: أن يكون المسئول عالما بالحكم [مقتيا لله] ..

(1) سورة البقرة آية 187 .

(2) أخرجه الترمذى 55 / 29 من حديث أبى هريرة، وقال: حديث حسن صحيح.

تبيين منزلة الفتوى في الشريعة من عدة أوجه، منها:

أ- أن الله تعالى أفتى عباده، وقال: { وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ }⁽¹⁾. وقال تعالى: { يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ }⁽²⁾.

ب- أن النبي ﷺ كان يتولى هذا المنصب في حياته، وكان ذلك من مقتضى رسالته، وقد كلفه الله تعالى بذلك حيث قال: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }⁽³⁾. فالفتوى خليفة النبي ﷺ في أداء وظيفة البيان، وقد تولى هذه الخلافة بعد النبي ﷺ أصحابه الكرام، ثم أهل العلم بعدهم .

ج- أن موضوع الفتوى هو بيان أحكام الله تعالى، وتطبيقها على أفعال الناس، فهي قول على الله تعالى، أنه يقول للمستفتي: حق عليك أن تفعل، أو حرام عليك أن تفعل، ولذا شبه القرافي المفتي بالترجمان عن مراد الله تعالى، وجعله ابن القيم بمنزلة الوزير الموقّع عن الملك قال: إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيّات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

ونقل عن ابن المنكدر أنه قال: العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم؟

وعن ابن أبي ليل: تُراد الصحابة للجواب عن المسائل. وقد نقل النووي في حديثه عنهم رواية فيها زيادة: ما منهم من يحدث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه الفتيا. ونقل عن سفيان وسحنون: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما، فالذى ينبغي للعالم أن يكون متهيبا للإفتاء، لا يتجرأ عليه إلا حيث يكون الحكم جلياً في الكتاب أو السنة. أو يكون مجمعا عليه، أما فيما عدا ذلك مما تعارضت فيه الأقوال والوجوه وخفى حكمه، فعليه أن يتثبت ويترث حتى يتضح له وجه الجواب .

فالإفتاء بغير علم حرام، لأنه يتضمن الكذب على الله تعالى ورسوله، ويتضمن إضلال الناس، وهو من الكبائر، لقوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ

(1) سورة النساء آية 127 .

(2) سورة النساء آية 176 .

(3) سورة النحل آية 44 .

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { (1).
فقرنه بالفواحش والبغى والشرك .

ويدخل الإفتاء فى الأحكام الاعتقادية: من الإيمان بالله واليوم الآخر وسائر أركان الإيمان.
ويدخل أيضا فى الأحكام العملية جميعها: من العبادات والمعاملات والعقوبات والأنكحة،
ويدخل الإفتاء فى الأحكام التكليفية كلها، وهى الواجبات والمحرمات والمندوبات
والمكروهات والمباحات، ويدخل الإفتاء فى الأحكام الوضعية، كالإفتاء بصحة العبادة أو
التصرف أو بطلانها ..

* * *

(1) سورة الأعراف آية 33.

الفصل الثالث

ما جاء فى الشروط الواجب توافرها فى المفتي

192- قيل إن المفتين الذين نصبوا أنفسهم للفتوى على أربعة أقسام:

النوع الأول من أنواع المفتين:

أحدهم العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة، فهو المجتهد فى أحكام النوازل، يقصد فيها موافقه الأدلة الشرعية حيث كانت، ولا ينافى اجتهاده تقليده لغيره أحيانا فلا تجد أحدا من الأئمة إلا وهو مقلد من هو أعلم منه فى بعض الأحكام. وقد قال الشافعى فى موضع من الحج: قلته تقليدا لعطاء، فهذا النوع الذى يسوغ لهم الإفتاء ويسوغ استفتاءهم ويتأدى بهم فرض الاجتهاد، وهم الذين قال فيهم ﷺ: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وهم غرس الله الذين لا يزال يغرسهم فى دينه ولن تخلو الأرض من قائم لله بحجته .

النوع الثانى من أنواع المفتين:

مجتهد مقيد فى مذهب من ائتم به فهو مجتهد فى معرفة فتاويه وأقواله ومأخذه وأصوله، عارف بها متمكن من التخريج عليها وقياس ما لم ينص من ائتم به عليه على منصوصه، من غير أن يكون مقلدا لإمامه لا فى الحكم ولا فى الدليل، لكن سلك طريقه فى الاجتهاد والفتيا ودعا إلى مذهبه ورتبه وقرره، فهو موافق له فى مقصده وطريقه معا .

النوع الثالث من أنواع المفتين:

هو مجتهد فى مذهب من انتسب إليه مقرر له بالدليل متقن لفتاويه عالم بها لا يتعدى أقواله وفتاويه ولا يخالفها، وإذا وجد نص إمامه لم يعدل عنه إلى غيره ألبته، وهذا شأن أكثر المصنفين فى مذاهب أئمتهم، وهو حال أكثر علماء الطوائف، وكثير منهم يظن أنه لا حاجة به إلى معرفة الكتاب والسنة والعربية، لكونه مجتزيا بنصوص إمامه فهى عنده كنصوص الشارع! قد اكتفى بها من كلفة التعب والمشقة، وقد كفاه الإمام استنباط الأحكام ومؤنة استخراجها من النصوص، وقد يرى إمامه ذكر حكما بدليله فيكتفى هو بذلك الدليل من غير بحث عن معارض!

وهذا شأن كثير من أصحاب الوجوه والطرق والكتب المطولة والمختصرة، وهؤلاء لا يدعون الاجتهاد ولا يقرون بالتقليد، وكثير منهم يقول: اجتهدنا فى المذاهب، فأينا أقربها إلى

الحق مذهب إمامنا، وكل منهم يقول ذلك عن إمامه ويزعم أنه أولى بالاتباع من غيره!
ومنهم من يغلو فيوجب اتباعه ويمنع من اتباع غيره!!

فيالله العجب من اجتهاد نهض بهم إلى كون متبوعهم ومقلدهم أعلم من غيره، أحق بالاتباع من سواه، وأن مذهبه هو الراجح، والصواب دائر دائما معه! وقعد بهم عن الاجتهاد في كلام الله ورسوله، واستنباط الأحكام منه، وبترجيح ما يشهد له النص، مع استيلاء كلام الله ورسوله على غاية البيان لجوامع الكلم وفصله للخطاب وبراءته من التناقض والاختلاف والاضطراب، فقعدت بهم همهم واجتهادهم عن الاجتهاد فيه، ونهضت بهم إلى الاجتهاد في كون إمامهم أعلم الأمة وأولاهها بالصواب، وأقواله في غاية القوة وموافقة السنة والكتاب والله المستعان!

النوع الرابع من أنواع المفتين:

طائفة تفقّهت في مذاهب من انتسبت إليه، وحفظت فتاويه وفروعه، وأقرت على أنفسها بالتقليد المحض من جميع الوجوه، فإن ذكروا الكتاب والسنة يوما ما في مسألة، فعلى وجه التبرك والفضيلة لا على وجه الاحتجاج والعمل! وإذا رأوا حديثا صحيحا مخالفا لقول من انتسبوا إليه أخذوا بقوله وتركوا الحديث!! وإذا رأوا أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم قد أفتوا بفتيا، ووجدوا لإمامهم فتيا تخالفها، أخذوا بفتيا إمامهم، وتركوا فتاوى الصحابة قائلين الإمام أعلم بذلك منا، ونحن قد قلدناه فلا نتعداه ولا نتخطاه!!

ومن عدا هؤلاء فمتكلف متخلف، قد دنا بنفسه عن رتبة المشتغلين وقصر عن درجة المحصلين فهو مكذلك مع المكذكين، وإن ساعده القدر واستقل بالجواب قال: يجوز بشرطه ويصح بشرطه ويجوز ما لم يمنع منه مانع شرعى! ويرجع في ذلك إلى رأى الحاكم ونحو ذلك من الأجوبة التى يستحسنها كل جاهل ويستحى منها كل فاضل .

ففتاوى القسم الأول: من جنس توقيعات الملوك وعلمائهم. وفتاوى النوع الثانى: من جنس توقيعات نوابهم وخلفائهم. وفتاوى النوع الثالث والرابع: من جنس توقيعات خلفاء نوابهم، ومن عداهم فمتشعب بما لم يعط متشبه ..

193- وقال ابن السمعاني: المفتى من استكمل فيه ثلاث شرائط:

الاجتهاد والعدالة والكف عن الترخيص والتساهل: وللمتساهل حالتان، إحداها: أن يتساهل في طلب الأدلة وطرق الأحكام ويأخذ بمبادئ النظر وأوائل الفكر، فهذا مقصر في حق الاجتهاد ولا يحل له أن يفتى ولا يجوز أن يستفتى .

والثانية: أن يتساهل في طلب الرخص وتأول الشبه، فهذا متجاوز في دينه وهو آثم من الأول، فأما إذا علم المفتي جنسا من العلم بدلائله وأصوله وقصر فيها سواء، كعلم الفرائض وعلم المناسك لم يجز له أن يفتي في غيره، وهل يجوز له أن يفتي فيه؟ قيل: نعم لإحاطته بأصوله ودلائله، ومنعه الأكثرون لأن لتناسب الأحكام وتجانس الأدلة امتزاجا لا يتحقق إحكام بعضها إلا بعد الإشراف على جميعها. انتهى ..

194- وقيل شرط الإفتاء: الإسلام والعقل. والبعض قال: إن شرط الإفتاء هو نفسه شرط القضاء: أى الإسلام والعقل والبلوغ والعدالة. وهذا ما يكون من أهل الاجتهاد .

وأما الصحيح فهو أن هذا شرط الكمال، وأول الشرط الصحة، وأهلية الاجتهاد شرط الأولية، وفي صحيح المذاهب في (الفصول) جاء إجماع العلماء، أن من الواجب أن يكون المفتي من أهل الاجتهاد، من أجل أنه هو الذى يبين أحكام الشرع، هذا يكون ممكنا عندما يكون عالما بالدلائل الشرعية. قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا حتى يعلم من أين قلناه. وفي (الغياث) معنى هذا الكلام، هو أن لا يقاس على المسألة من عنده ما دام هو لا يعلم من أى وجه أعطى الإمام جوابه على المسألة الأولى .

وجاء في (الملتقط) وغيره، ولأن جوابه غالب على خطئه، فمن الجائز لنا الأخذ إذا ما أعطى هو الفتوى حتى ولو لم يكن الأخذ من أهل الاجتهاد، ولكن لا يحل له أن يفتي إلا عن طريق الرواية عن قول الفقهاء .

قال في (المفاتيح) وينبغي أن يكون المفتي عاقلاً بالغاً عالماً باللغة والنحو والأحاديث المتعلقة بالأحكام والناسخ والمنسوخ والصحيح والسقيم، وأن يكون فقيه النفس عالماً بالتواريخ وسير الصحابة ومذاهب الأئمة وأصول الفقه .

وجاء في شرح (القدورى) أن الإمام أبا يوسف رحمه الله في هذا المعنى قد أخذ الأمر بشدة وقال: لا يصل أحد إلى إعطاء الفتوى إذا لم يكن من أهل العقل والرأى، وإذا لا يعرف أحكام الكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ وأقوال الصحابة وسيرهم ووجوه الكلام، ويظهر من هذه الأقوال جواز الإفتاء مع الاجتهاد والتقليد مع أولوية الأول .

أما الآداب والمستحبات فهي ذلك هي: أنه إذا لم يكن المفتي من أهل الاجتهاد فليجب على الفروع فذلك أسلم وأحوط، وكذلك أن لا يتجرأ على الإفتاء استنادا إلى علمه ويقول: لقد

أجازنى علمى، لكن عليه أن يلازم المفتين ويأخذ الإجازة عليهم حتى يصبح على بصيرة من أمره.

قالوا: [حتى] وإن حفظ جميع كتب أصحابنا، فلا بد أن يتتلمذ للفتوى حتى يهتدى إليه. وكذلك لا يُقدم على الجواب قبل القراءة والمطالعة الجيدة والتأمل الطويل يجتنب المبادرة والتعجيل في إعطاء الجواب، حتى إذا وقع الخطأ عُذر، ومسألة التحرى في هذا المقام هى الدليل التام.

ويروى عن الإمام الأعظم رحمه الله عليه، أنه لم يجب على كثير من المسائل التى سئل عنها. ولا يجب الالتفات إلى إلحاح المستفتى .

ويروى عن أبى نصر رحمه الله عليه أنه كان يقول للذى يستفتيه ويلح عليه بالجواب، ويقول له أريد جواباً فقد أتيت إليك من طريق بعيد:

فلا نحن ناديناك من حيث جئتنا ولا نحن عمينا عنك الذهب

وكذلك أن تصبح ملولاً من كثرة السؤال والجواب، وأن لا تعطى جواباً وأنت مشتبك بالذهن، فإذا أجبت فلا تدعى الجواب لنفسك وتقول: أنا أقول إن الحكم كذا، وأنا أفتى بكذا، وغير ذلك بل قل: بالرواية عن العلماء هكذا وفى الكتاب الفلانى هكذا .

وكذلك إذا سئلت عن العبادات صحتها وفسادها ووجه فسادها وصحتها، فاختر وجه الفساد، وإذا كان السؤال فى المعاملات فاختر وجه الصحة، وكذلك جاء فى (المحيط) وفى (الذخيرة) أنه فى هذا النوع من المسائل فى المعتقدات، عليه أن يختار الإبان ومهما أمكن ألا يحكم بالكفر . وأيضاً أن لا يأخذ أجراً على الإفتاء نفسه لأنه طاعة !!

وعلى كل حال فإن عدم أخذ الأجر فى العبادات أولى وأحرى لقوله تعالى: { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا }⁽¹⁾ ..

195- ومن صفة المفتى وشروطه أيضاً، أن يكون مسلماً عدلاً مكلفاً فقيهاً مجتهداً يقظاً صحيح الذهن والفكر والتصرف فى الفقه وما يتعلق به. أما اشتراط إسلامه وتكليفه وعدالته فبالإجماع، لأنه يخبر عن الله تعالى بحكمه، فاعتبر إسلامه وتكليفه وعدالته لتحصل الثقة بقوله

(1) سورة الشورى آية 23.

ويبنى عليه كالشهادة والرواية. والعدل من استمر على فعل الواجب والمندوب والصدق وترك الحرام والمكروه والكذب مع حفظ مروءته ومجانبة الريب والتهم بجلب نفع ودفع ضرر، وليس يعدل من يقول على الله أو على رسوله أو غيرهما [بغير الحق] أو جازف في أقواله وأفعاله ..

196- وقيل: ينبغي أن يكون المفتي [الحق] عارفا بالكتاب وما يتعلق بذكر الأحكام والحلال والحرام، دون ما فيه من القصص والأمثال والمواعظ والأخبار، ويحيط بالسنن المروية عن رسول الله ﷺ في بيان الأحكام، ويعرف الطرق التي يعرف بها ما يحتاج إليه، من الكتاب والسنة، من أحكام الخطاب وموارد الكلام ومصادره من الحقيقة والمجاز والعام والخاص والمجمل والمفصل والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم، ويعرف من اللغة والنحو ما يعرف به مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ في خطابها، ويعرف أحكام أفعال رسول الله ﷺ وما تقتضيه، ويعرف الناسخ من المنسوخ وأحكام النسخ وما يتعلق به، ويعرف إجماع السلف وخلافهم، ويعرف ما يُعتد به من ذلك وما لا يُعتد به، ويعرف القياس والاجتهاد والأصول التي يجوز تعليلها وما لا يجوز، والأوصاف التي يجوز أن يعلل بها وما لا يجوز، وكيفية انتزاع العلل بها وما لا يجوز، ويعرف ترتيب الأدلة بعضها على بعض وتقديم الأولى منها ووجوه الترجيح، ويجب أن يكون ثقة مأمونا لا يتساهل في أمر الدين ..

197- وقالوا أيضا: لا ينبغي للرجل أن يفتي حتى يعرف اختلاف الفقهاء، فيختار منها على علمه الأحوط للدين والأقوى باليقين، فلو كانوا يستحبون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف، ولكان إذا عرف مذهب صاحبه كفاه ومن ثم قيل: إن العبد يُسأل غداً فيقال له: ماذا عملت فيما علمت؟ ولا يقال له فيما علم غيرك. وقد قال الله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ }⁽¹⁾. ففرق بينهما يدل به أن من أوتى إيمانا أوتى علما، كما أن من أوتى علما نافعاً أوتى إيمانا. وهذا أحد الوجوه في معنى قوله سبحانه: { كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ }⁽²⁾. أى قواهم بعلم الإيمان، فعلم الإيمان هو روحه، وكذا العالم الذى هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة، فإنه أداة الصنعة وآلة الصنع، لأنه ذو تمييز وبصيرة، ومن أهل التدبر والعبرة، فأما الجاهل والعامى الغافل فله أن يقلد العلماء ..

(1) سورة الروم آية 56.

(2) سورة المجادلة آية 22.

198- وأجمعوا: أنه لا يحل لكل من شدا شيئاً من العلم أن يفتى. وإنما يحل له الفتوى ويحل للغير قبول قوله في الفتوى، إذا استجمع أوصافاً. منها: أن يكون عالماً بطرق الأدلة، ووجوهها التي منها تدل والفرق بين عقليها وسمعيها، ويكون عالماً بقضايا الخطاب ما يحتمل منه وما لا يحتمل، ووجوه الاحتمال والخصوص والعموم، والمجمل والمفسر، والصريح والفحوى. والجملة الجامعة لما شرطه القاضي في هذا القليل أن يكون عالماً بأصول الفقه. وقد حددنا أصول الفقه بما يتميز به عن سائر الفنون، ومما يشترطه في المجتهد أن يكون عالماً بالآيات المتعلقة بالأحكام من كتاب الله تعالى، ولا يشترط حفظ ما عداها من الآيات.

ومما يشترط، أن يحيط بسنن الرسول ﷺ ما يتعلق بالأحكام حتى لا يشذ منها إلا الأقل، ولا يكلف الإحاطة بجميعها، فإن ذلك مما لا ينضبط. ومما يشترط أن يكون ذا دراية في اللغة العربية ولا يشترط أن يحيط بمعظمها، وإنما يشترط من اللغة العربية، قدر ما يتوصل به إلى معرفة الكتاب والسنة، ولا يجتزى بأن يأخذ تفسير الآيات والأخبار تقليداً، بل يشترط أن يتدرب في اللغة العربية بحيث يكون منها على ثقة وخبرة.

ومما يشترط أن يكون عالماً بمطاعن الأخبار المتعلقة بالأحكام، ولا يشترط أن يجمع علم الحديث، فإنه يجزئ أن يحيط علماً بما قاله أئمة الحديث في الأخبار المتصلة بالأحكام. ومما يشترطه: أن يحيط عالماً بمعظم مذاهب السلف فإنه لو لم يحيط بها لم يأمن خرق الإجماع في الفتاوى ثم يشترط بعد ذلك أن يكون ورعاً في دينه ..

199- قال الماوردي: شروط المفتى شرطان: أحدهما: العدالة المعتبرة في المخبر دون الشاهد لأن الحرية وسلامة البصر يعتبران في الشاهد ولا يعتبران في المفتى والمخبر.

والشرط الثاني: أن يكون من أهل الاجتهاد في النوازل والأحكام، ويكون من أهل الاجتهاد إذا أحاط علمه بخمسة أصول:

الأول: علمه بكتاب الله تعالى في معرفة ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومفسره ومجمله وعمومه وخصوصه، وإن لم يقم بتلاوته.

والثاني: علمه بسنة رسول الله ﷺ في معرفة أخبار التواتر والآحاد وصحة الطرق والإسناد، وما تقدم منها وما تأخر، وما كان على سبب وغير سبب وإن لم يسمعها مسندة إذا عرفها من وجوه الصحة.

والثالث: علمه بالإجماع والاختلاف وأقاويل الناس ليتبع الإجماع ويجتهد في المختلف .

والرابع: علمه بالقياس ما كان منه جلياً أو خفياً وقياس المعنى وقياس الشبه وصحة العلل وفسادها .

والخامس: علمه بالعربية فيما تدعو الحاجة إليه من اللغة والإعراب، لأن لسان الكتاب والسنة عربى فيعرف لسان العرب، من صيغة ألفاظهم وموضوع خطابهم ليفرق بين الفاعل والمفعول، وحكم الأوامر والنواهي، والندب والإرشاد، والعموم والخصوص. فإذا أحاط علماً بهذه الأصول الخمسة، وأشرف عليها وإن لم يصر أعلم الناس بها إذا تبينها علم ما لم يعلم، جاز أن يفتى وجاز أن يستفتى ..

200- وقيل أول أوصاف المفتى الذى يلزم قبول فتواه: أن يكون بالغاً، لأن الصبى لا حكم لقوله، ثم يكون عاقلاً، لأن القلم مرفوع عن المجنون لعدم عقله، ثم يكون عدلاً ثقة، لأن علماء المسلمين لم يختلفوا في أن الفاسق غير مقبول الفتوى في أحكام الدين وإن كان بصيراً بها، وسواء كان حراً أو عبداً لأن الحرية ليست شرطاً في صحة الفتوى، ثم يكون عالماً بالأحكام الشرعية وعلمه بها يشتمل على معرفته بأصولها وارتياض بفروعها .
وأصول الأحكام في الشرع أربعة:

الأول: العمل بكتاب الله على الوجه الذى تتضح به معرفة ما تضمنه من الأحكام محكماً، ومتشابهاً، وعموماً، وخصوصاً، ومجماً، ومفسراً، وناسخاً، ومنسوخاً.
والثاني: العلم بسنة رسول الله الثابتة من أقواله، وأفعاله، وطرق مجيئها في التواتر والآحاد، والصحة والفساد، وما كان منها على سبب أو إطلاق .
والثالث: العلم بأقاويل السلف فيما أجمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الأحكام ويجتهد في الرأى مع الاختلاف .

والرابع: العلم بالقياس الموجب ليرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها والمجمع عليها، حتى يجد المفتى طريقاً إلى العلم بأحكام النوازل، وتمييز الحق من الباطل فهذا ما لا مندوحة للمفتى عنه ولا يجوز له الإخلال بشيء منه .

وقال الشافعى: لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه وما أريد به وفيما أنزل، ثم

يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله بالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث ما عرف من القرآن، ويكون بصيراً باللغة، بصيراً بالشعر وبما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار، وتكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتى في الحلال والحرام وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم ولا يفتى . حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل أنه قال لأبيه: ما تقول في الرجل يُسأل عن الشيء فيجيب بما في الحديث وليس بعالم بالفتيا؟ قال: ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عارفاً بالسنن عالماً بوجوه القرآن عالماً بالأسانيد الصحيحة، وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي في السنن، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها .

قيل لابن المبارك متى يفتى الرجل؟ قال: إذا كان عالماً بالأثر، بصيراً بالرأى .

وقال الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم سئل: متى تحب للرجل أن يفتى؟ قال: إذا كان بصيراً بالرأى، بصيراً بالأثر .

قال الشيخ أبو بكر الحافظ رحمه الله: وينبغي أن يكون قوى الاستنباط، جيد الملاحظة، رصين الفكر، صحيح الاعتبار، صاحب أناة وتؤدة، وأخا استنبات وترك عجلة، بصيراً بما فيه المصلحة، مستوقفاً بالمشاورة، حافظاً لدينه مشفقاً على أهل ملته، مواظباً على مروءته، حريصاً على استطابة مأكله فإن ذلك أول أسباب التوفيق، متورعاً عن الشبهات، صادقاً عن فاسد التأويلات صليماً في الحق دائم الاشتغال بمعادن الفتوى وطرق الاجتهاد، ولا يكون ممن غلبت عليه الغفلة واعتوره دوام السهر، ولا موصوفاً بقلّة الضبط منعوتاً بنقص الفهم، معروفاً بالاختلال يجيب عما يسئح له، ويفتى بما يخفى عليه، وتجوز فتاوى أهل الأهواء ومن لم تخرجه بدعته إلى فسق، فأما الشراة والرافضة [الشيعة] الذين يشتمون الصحابة ويسبون السلف الصالح، فإن فتاويهم مردولة، وأقاويلهم غير مقبولة، وفي معرفة من يصلح أن يفتى تنبيه على من لا تجوز فتواه ..

201- وقالوا يشترط أن يكون المفتي: عالماً بالقرآن فإنه أصل الأحكام ومنبع تفاصيل الإسلام ولا ينبغي أن يقنع فيه بما يفهمه من لغته، فإن معظم التفاسير يعتمد النقل وليس له أن يعتمد في نقله على الكتب والتصانيف فينبغي أن يحصل لنفسه علماً بحقيقته ومعرفة الناسخ والمنسوخ لا بد منه، وعلم الأصول أصل الباب حتى لا يقدم مؤخراً ولا يؤخر مقدماً ويستبين

مراتب الأدلة والحجج. وعلم التواريخ مما تمس الحاجة إليه في معرفة الناسخ والمنسوخ. وعلم الحديث ليميز بين الصحيح والسقيم والمقبول والمطعون. وعلم الفقه وهو معرفة الأحكام الثابتة المستقرة الممهدة. ثم يشترط وراء ذلك كله فقه النفس فهو رأس مال المجتهد، ولا يتأتى كسبه فإن جبل على ذلك فهو المراد وإلا فلا يتأتى تحصيله بحفظ الكتب. وعبروا عن جملة ذلك بأن المفتي، من يستقل بمعرفة أحكام الشريعة نصاً واستنباطاً، فقولهم نصاً: يشير إلى معرفة اللغة والتفسير والحديث، وقولهم استنباطاً: يشير إلى معرفة الأصول والأقيسة وطرقها وفقه النفس .

والمختار عندنا أن المفتي من يسهل عليه درك أحكام الشريعة، وهذا لا بد فيه من معرفة اللغة والتفسير وأما الحديث فيكتفى فيه بالتقليد وتيسير الوصول إلى دركه بمراجعة الكتب المرتبة المهذبة. ومعرفة الأصول لا بد منه، وفقه النفس هو الدستور، والفقه لا بد منه فهو المستند ولكن لا يشترط أن تكون جميع الأحكام على ذهنه في حالة واحدة، ولكن إذا تمكن من دركه فهو كاف ويشترط أن يكون المفتي عدلاً لأن الفاسق وإن أدرك فلا يصلح قوله للاعتقاد ..

202- قال الإمام أحمد في رواية ابنه صالح عنه: ينبغي للرجل إذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عالماً بوجوه القرآن، عالماً بالأسانيد الصحيحة، عالماً بالسنن، وإنما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبي ﷺ وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها.

وفي رواية ابنه عبد الله: إذا كان عند الرجل الكتب المصنفة فيها قول رسول الله ﷺ واختلاف الصحابة والتابعين فلا يجوز أن يعمل بما شاء ويتخير فيقضى به ويعمل به حتى يُسأل أهل العلم ما يؤخذ به، فيكون يعمل على أمر صحيح.

وقال في رواية أبي الحارث: لا يجوز الإفتاء إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة. وقال في رواية حنبل: ينبغي لمن أفتى أن يكون عالماً بقول من تقدم وإلا فلا يفتي . وقال محمد بن عبد الله بن المنادى: سمعت رجلاً يُسأل أحمد إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث يكون فقيهاً؟ قال: لا. قال: فماتى ألف؟ قال: لا. قال: فثلاثمائة ألف؟ قال: لا. قال: فأربعمائة ألف؟ قال: بيده هكذا وحرك يده .

قال أبو الحسين: وسألت جدي محمد بن عبيد الله قلت: فكم كان يحفظ أحمد بن حنبل؟ قال: أخذ عن ستمائة ألف! قال أبو حفص: قال أبو إسحاق: لما جلست في جامع المنصور للفتيا وذكرت هذه المسألة فقال لي رجل: فأنت هو ذا لا تحفظ هذا المقدار حتى تفتي الناس؟ فقلت له:

عافاك الله، إن كنت لا أحفظ هذا المقدار، فإنى هو ذا أفتى الناس بقول من كان يحفظ هذا المقدار وأكثر منه .

قال القاضى أبو يعلى: وظاهر هذا الكلام أنه لا يكون من أهل الاجتهاد إذا لم يحفظ من الحديث هذ القدر الكثير الذى ذكره، وهذا محمول على الاحتياط والتغليظ فى الفتوى ..

* * *

203- ذكر من يجوز له الاجتهاد: فنقول صحة الاجتهاد تكون بمعرفة الأصول الشرعية ومعرفتها بستة شروط:

الأول: أن يكون عارفا بلسان العرب من لغة وإعراب وموضوع خطئهم فى الحقيقة والمجاز ومعانى كلامهم فى الأوامر والنواهى والعموم والخصوص إلى غير ذلك .

الثانى: هو أن يكون مشرفا على ما تضمنه الكتاب من الأحكام الشرعية من عموم وخصوص ومبين ومجمل وناسخ ومنسوخ، بنص أو فحوى أو ظاهر أو مجمل، ليستعمل النص فيما ورد والفحوى فيما يفيد والظاهر فيما يقتضيه والمجمل يطلب المراد منه، فإذا كان عالما بأحكام القرآن هل يشترط أن يكون حافظا ما اختص بالأحكام، ولا يلزمه أن يحفظ منه القصص والأمثال والزواج .

وأما الشرط الثالث: فهو معرفة ما تضمنته السنة من الأحكام وعليه فيها خمسة شروط: أحدها: معرفة طرقها من تواتر وآحاد ليكون المتواتر معلوماً والآحاد مظنونة . والثانى: معرفة صحة طرق الآحاد ومعرفة رواتها، ليعمل بالصحيح منه ويعدل عن ما لا يصح .

والثالث: أن يعرف أحكام الأفعال والأقوال ليعلم بما يوجبه كل واحد منها . والرابع: أن يحفظ معانى ما انتفى الاحتمال عنه ويحفظ ألفاظ ما دخله الاحتمال ولا يلزمه حفظ الأسانيد وأسماء الرواة إذا عرف عدالتهم .

والخامس: ترجيح ما يعارض من الأخبار ليأخذ ما يلزم العمل به، ومعرفة القياس والاجتهاد والأصول التى يجوز تعليلها وما لا يجوز تعليلها، والأوصاف التى يجوز أن يعلل بها وما لا يجوز أن يعلل بها، وترتيب الأدلة بعضها على بعض ومعرفة الأولى فيها فيقدم الأولى، ويعرف وجوه الترجيح ليقدم الراجح على المرجوح، ثقة مأمونا غير متساهل فى أمر الدين، فإذا

تكاملت هذه الشروط في المجتهد صح اجتهاده في جميع الأحكام، وإن لم يوجد واحد من هذه الشروط خرج من أهلية الاجتهاد !

ولا يجوز استفتاء الفاسق وإن صح استفتاء المرأة والعبد، ولا يصح الحكم إلا من رجل حر عدل، فصارت شروط الفتيا أغلظ من شروط الاجتهاد بالعدالة لما تضمنه من القبول، وشروط الحكم أغلظ من شروط الفتيا بالحرية والذكورية لما تضمنه من الإلزام ..

204- وفي أصول ابن مفلح قال أصحابنا وغيرهم: يحرم تساهل المفتي وتقليد معروف به. وفي شرح البديع للهندي: ويجب أن يكون عدلاً ثقة حتى يوثق به فيما يخبر به من الأحكام، فهذا من شرط قبول فتواه. ولا يشترط فيه الذكورة والحرية. وقال أحمد: لا ينبغي أن يفتي حتى يكون له نية ووقار وسكينة، قويا على ما هو فيه ومعرفته والكفاية وإلا مضغه الناس. وفي أصول ابن مفلح [أيضاً]: ولا يلزمه جواب ما لم يقع وما لا يحتمله السائل ولا ينفعه، وما أحسن قول القائل: ينبغي للمفتي الموفق إذا نزلت به المسألة، أن يبعث من قلبه الافتقار الحقيقي لفضل ربه أن لا يجرمه إياه!

- وقيل إن الفتوى تعتمد على العلم الشرعي الصحيح. وعلى الثبوت والتأني والتشاور وتقليب أوجه النظر في الفتوى والنوازل والوقائع، وعلى الحرص في مراعاة التورع عن الفتيا ما أمكن، لأن الفتوى أمرها عظيم، وقد حذر السلف من ذلك وعلى ضرورة عدم التسرع في النفي العام ومراعاة مقاصد الشريعة في الفتوى، وأن يحذر المفتي في جوابه للسائل إذا كان جواباً مبنياً على الاجتهاد لا يجوز أن يقول هذا حكم الله، وعلى أن ليس كل ما يعلم مما هو حق يطلب نشره وإن كان من علم الشريعة، وضرورة حرص المفتي على وضوح العبارة في الفتوى قدر الإمكان. لذا فالواجب على المفتي، أن يتصور الذي يُسأل عنه تصوراً كاملاً من جميع جوانبه، قبل أن يفتي فيه. كمراعاة المفتي أحوال الناس ما أمكن، ومراعاة سلامة الفتوى وصيانتها من الخروج عن تأويل وهوى، ومراعاة ما قبل الوقوع، وأقوال علماء السلف في التحذير من السؤال عما لم يكن ..

* * *

الفصل الرابع

تحريم القول على الله تعالى ورسوله ﷺ بغير علم

والخوف من الفتيا والزجر عن التسرع في الفتوى مخافة عدم التثبت والزلل

205- بما أن الفتوى بيان لأحكام الله، والمفتى في ذلك موقع عن الله، فإن القول على الله تعالى بغير علم من أعظم المحرمات، لما فيه من جرأة وافتراء على الله، وإغواء وإضلال للناس، وهو من كبائر الإثم. وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: كنت أسمع كثيرا ما يُسأل [أبي] فيقول: لا أدري ويقف إذا كانت مسألة فيها اختلاف. وكثيرا ما يقول: سل غيري!

قال ابن القيم: حَرَّمَ الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها. فقال تعالى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }⁽¹⁾. [وقد دلت الآية أن القول على الله بغير علم أشد من الشرك، وذلك عند من يفهم وينصف، ويفهم معنى هذه الآية الكريمة، وما فيها من عطف البعض على الكل، وأنه قد تكرر فيها تحريم القول على الله بغير علم بالعطف خمس مرات، والشرك أربع مرات، والبغى بغير الحق ثلاث مرات، والإثم مرتين، والفاحشة مرة]⁽²⁾..

206- قبض رسول الله ﷺ عن أئوف من صحابته علماء بالله، فقهاء عن الله تعالى، أهل رضوان من الله تعالى، ولم ينصب نفسه إلى الفتيا ولا حمل عنه الأحكام والقضايا إلا بضعة عشر رجلاً! وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سئل عن الفتيا قال: اذهب إلى الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه. وروى ذلك عن أنس ثم جماعة من الصحابة والتابعين بإحسان. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن مسألة ويسكت عن تسع! وكان ابن عباس على ضد ذلك يُسأل عن عشر، فيجيب في تسع ويسكت عن واحدة. وكان من الفقهاء من يقول لا أدري أكثر من أن يقول أدري منهم: سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وفضيل بن عياض

(1) سورة الأعراف آية 33.

(2) سير الحاش إلى علم الطلاق الثلاث ج 1 ص 52.

وبشر بن الحرث رضى الله عنهم، وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض، ولم يكونوا يجيبون في كل ما يُسألون عنه .

وقد روى أن لا يفتى الناس إلا ثلاثة:

أمير أو مأمور أو متكلف، تفصيل ذلك، أن الأمير هو الذى يتكلم فى علم الفتيا والأحكام، كذلك كان الأمراء يسألون ويفتون، والمأمور الذى يأمره الأمير بذلك فيقيم مقامه ويستعين به لشغله بالرعية، والمتكلف هو القاص الذى يتكلم فى القصص السالفة ويقص أخبار من مضى، لأن ذلك لا يحتاج إليه فى الحال ولم يندب إليه من العلوم وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف، فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين. وقد كان أبو هريرة وغيره يقولون: لولا آيتان فى كتاب الله تعالى ما حدثتكم بحديث أبداً ثم يتلو قوله تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا]⁽¹⁾. وقوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ]⁽²⁾.

ويقول: قال رسول الله ﷺ: ما أتى الله تعالى عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه، وأما المرائى فهو المتكلم فى علوم الدنيا الناطق بالهوى يستميل بذلك قلوب الناس ويحتلب بكلامه المزيد من الدنيا والرفعة فيها⁽³⁾.

وقال بعض العلماء: كان الصحابة والتابعون يتدافعون أربعة أشياء: الأمانة والودعة والوصية والفتيا .

وقال بعض السلف: كان شغل الصحابة والتابعين بإحسان فى خمسة أشياء: قراءة القرآن وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ورأى بعض أصحاب الحديث بعض فقهاء الكوفة من أهل الراى بعد موته فى المنام، فقلت له: ما فعلت فيها كنت عليه من الفتيا والراى؟ قال: فكره وجهه وأعرض عنى وقال: ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عاقبته.

(1) سورة آل عمران آية 187.

(2) سورة البقرة آية 156.

(3) قوت القلوب ج 1 ص 228.

وحدثونا عن نصر بن على الجهضمي قال: رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته فقلت: ما أجد أعقل من الخليل لأ سألته فقال لي: رأيت ما كنا فيه؟ فإنني لم أر شيئاً أنفع من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر.

وحدثونا عن بعض الأسياف قال: رأيت بعض العلماء في المنام فقلت له: ما فعلت تلك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها؟ قال: فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباء منثوراً ما انتفعت إلا بركتين حصلتا لي في جوف الليل.

وحدثت عن أبي داود السجستاني قال: كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به، فمات فرأيت في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فسكت، فأعدت عليه، فسكت! فقلت: غفر الله لك؟ قال: لا.

وقال بعض أصحاب الحديث: رأيت سفيان الثوري حزيناً فسألته؟ فقال وهو برم: ما صرنا إلا متجراً لأبناء الدنيا، قلت: وكيف؟ قال: يلزمننا أحدهم حتى إذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملاً أو جابياً أو قهرماناً. وكان الحسن يقول: يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة، يحفظ الله تعالى بهم العلم على الأمة لئلا يضيع ..

207- (أجرؤكم) من الجراءة [وهو] الإقدام على الشيء على قسم الجد، أي على الإفتاء أو الحكم، (أجرؤكم على النار). أي أقدمكم على الوقوع فيها، لأن الجد يختلف ما يأخذه باختلاف الأحوال، فمتى لم يكن المفتي أو الحاكم عالماً بذلك متقناً له فقد تسبب لدخوله النار. وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه: أجرؤكم على الفتيا. أي أقدمكم على إجابة السائل عن حكم شرعي (أجرؤكم على النار) أقدمكم على دخولها. لأن المفتي مبين عن الله حكمه، فإذا أفتى على جهل أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره واستنباطه، فقد تسبب في إدخال نفسه فيها ..

208- [وفي كراهية تولى الفتيا والجلوس للناس] قال النبي صلى الله عليه وسلم: أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار⁽¹⁾ ..

(1) جامع الأحاديث ج 1 ص 97 رقم 486 الدارمي عن عبد الله بن جعفر مرسلاً.

209- قال الله تبارك وتعالى: { سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ }⁽¹⁾. وقال تعالى: { لَيْسَ أَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ }⁽²⁾. وقال تعالى: { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }⁽³⁾. كان الصحابة رضوان الله عليهم لا تكاد تفتى إلا فيما نزل، ثقة منهم بأن الله تعالى يوفق عند نزول الحادثة للجواب عنها، وكان كل واحد منهم يود أن صاحبه كفاه الفتوى. أخبرنا أبو إسحاق عن البراء، قال: لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر، ما منهم من أحد إلا وهو يجب أن يكفيه صاحبه الفتوى. وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت أحداً جمع الله فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة، وما رأيت أسكت عن الفتيا منه. وقال أبو عبد الله المروزي: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: قال ابن عيينة: أعلم الناس بالفتوى أسكتهم فيها، وأجهل الناس بالفتوى أنطقهم فيها. قال الشيخ أبو بكر الحافظ رحمه الله: قل من حرص على الفتوى وسابق إليها وثابر عليها إلا قل توفيقه، واضطرب في أمره، وإذا كان كارهاً لذلك غير مختار له ما وجد مندوحة عنه وقدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره كانت المعونة له من الله أكثر، والصالح في فتواه وجوابه أغلب..

210- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول! وقال أيضاً: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ودَّ أن أخاه كفاه الحديث. ولا يُسأل عن فتيا إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا وقال: أما وجدت من تسأله غيري؟! وعن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لي أن أفتي؟ فقالوا: نعم. فقل له: فلو نهوك؟ قال: لو نهوني انتهيت. وقال رجل لأحمد بن حنبل: إني حلفت ولا أدرى كيف حلفت، قال: إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك. قال المصنف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر في سيرتهم تأدب..

(1) سورة الزخرف آية 19.

(2) سورة الأحزاب آية 8.

(3) سورة ق آية 18.

211- وعن سفيان رضي الله عنه قال: أدركت الفقهاء وهم يكرهون أن يجيبوا في المسائل والفتيا، ولا يفتون حتى لا يجدوا بداً من أن يفتوا. وعن عمير بن سعيد قال: سألت علقمة عن مسألة فقال: ائت عبيدة فاسأله! فأتيت عبيدة فقال: ائت علقمة! فقلت: علقمة أرسلني إليك، فقال: ائت مسروقاً فاسأله! فأتيت مسروقاً، فسألته فقال: ائت علقمة فاسأله! فقلت: علقمة أرسلني إلى عبيدة، وعبيدة أرسلني إليك، فقال: ائت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فأتيت عبد الرحمن بن أبي ليلى، فسألته فكرهه، ثم رجعت إلى علقمة فأخبرته. قال: كان يقال أجرُ القوم على الفتيا أذناهم علماً! قال سفيان الثوري رضي الله عنه: من أحب أن يُسأل فليس بأهل أن يُسأل .

قال علي بن المديني: كان سفيان بن عيينة رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال: لا أحسن، فنقول: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء وسل الله التوفيق. وقال مخلد بن حسين رحمه الله: إن كان الرجل ليسمع العلم اليسير، فيسود به أهل زمانه، يعرف ذلك في صدقه وورعه، وإنه ليرى [الرجل] اليوم خمسين ألف حديث لا تجوز شهادته على قلنسوته!!

212- عن عامر بن سعد عن أبيه بلغ به النبي ﷺ: أعظم المسلمين في المسلمين جرماً، من سأل عن أمر لم يُحرّم فحرّم على الناس من أجل مسألته ⁽¹⁾.

213- روى الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا ⁽²⁾. لهذا هاب الفتيا كثير من الصحابة، وتدافعوها بينهم لما جعل الله في قلوبهم من الخوف والرقابة .

وعن الشعبي والحسن وأبي حصين قالوا: إن أحدكم ليفتي في المسألة لو وردت على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر!! وقد كان كثير من السلف الصالح إذا سئل عن مسألة لا يعلم حكمها قال للسائل: لا أدري، أو قال: الله أعلم، عملاً بما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتمارون في القرآن فقال: إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا يكذب بعضه بعضاً، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه ⁽³⁾.

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 179 رقم 1545 .

(2) إيقاظ الهمم ج 1 ص 118 .

(3) إيقاظ الهمم ج 1 ص 118 .

وقال ابن مسعود: من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه: { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ }⁽¹⁾. وقال عبد الله بن حنبل: سمعت أبي يقول: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت محمد ابن عجلان يقول: إذا أغفل العالم لا أدري، أصيبت مقاتله. وقد عقب ابن الصلاح على هذا الأثر بقوله: هذا إسناد جليل جداً لاجتماع أئمة المذاهب الثلاثة فيه بعضهم عن بعض وقال عبد الرحمن بن مهدي: جاء رجل إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أياماً لا يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إنني أريد الخروج، وقد طال التردد إليك، قال: فأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه، فقال: ما شاء الله يا هذا، إنني إنما أتكلم فيما أحسب فيه الخير، ولست أحسن مسألتك هذه!

قال أبو بكر الأثرم: سمعت أحمد بن حنبل يُستفتى فيكثر أن يقول: لا أدري، وذلك فيما قد عرف الأقاويل فيه!! وعن الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سُئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري. وسُئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: إنها مسألة خفيفة سهلة، فغضب، وقال: ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعت قوله جل ثناؤه: { إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَىٰ قَوْلٍ لَّا ثِقِيلًا }⁽²⁾. فالعلم كله ثقیل، وبخاصة ما يُسأل عنه يوم القيامة. وقال: إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ تصعب عليهم مسائل، ولا يجيب أحد منهم في مسألة حتى يأخذ رأى صاحبه مع ما رزقوا من السداد والتوفيق، مع الطهارة، فكيف بنا الذين قد غطت الخطايا والذنوب قلوبنا؟! قال عبد الرحمن بن مهدي: لا يكون إماماً في الحديث من تتبع شواذ الحديث، أو حدث بكل ما يسمع، أو حدث عن كل أحد. وقال أيضاً: لا يكون إماماً في العلم من روى عن كل أحد، ولا يكون إماماً من روى كل ما سمع.

والخطير في الأمر أن يعتبر الشذوذ في هذه الأيام اجتهاداً، والجرأة على الإفتاء في دين الله تعالى تجديداً، ثم يُعرض ذلك بعبارات معسولة حتى تقبله العقول، وتستسيغه النفوس، مع الغفلة عن قول الله تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }⁽³⁾.

(1) سورة ص آية 86.

(2) سورة المزمل آية 5.

(3) سورة النحل الآيات 116/117.

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه: هذا حرام، ولما لم يحله: هذا حلال . وهذا بيان مهم منه سبحانه، أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام، إلا بما علم أن الله سبحانه وتعالى أحله وحرمه. هذا ما يتعلق بكونه من كبائر الإثم. [خاصة وقد قال رسول الله ﷺ: من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه] ⁽¹⁾ ..

214- قال مالك بن أنس رحمه الله: ربما وردت على المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم، فقليل له: يا أبا عبد الله، والله ما كلامك عند الناس إلا كنقر في حجر، ما تقول شيئاً إلا تلقوه منك، قال: فمن أحق أن يكون هكذا إلا من كان هكذا. قال الراوى [قال عبد الرحمن العمري]: فرأيت في النوم قائلاً يقول: مالك معصوم. وكان إذا سئل عن المسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها، فينصرف ويردد فيها، فقليل له في ذلك فبكى وقال: إنى أخاف أن يكون لى من المسائل يوم وأى يوم، وكان إذا جلس نكس رأسه وحرك شفتيه يذكر الله ولم يلتفت يمينا ولا شمالا، فإذا سئل عن مسألة تغير لونه وكان أحمر فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفتيه ثم يقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال بعضهم: لكأنما مالك والله إذا سئل عن مسألة والله واقف بين الجنة والنار! وقال: ما شيء أشد على من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام، لأن هذا هو القطع في حكم الله. ولقد أدركت أهل العلم والفقهاء ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه. ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غدا لقللوا من هذا. وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعامة خيار الصحابة، كانت ترد عليهم المسائل وهم خير القرن الذى بعث فيهم النبي ﷺ، فكانوا يجمعون أصحاب النبي ﷺ ويسألون ثم حيثئذ يفتون فيها. وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا! فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم .

ولم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا الذين يُقتدى بهم ومعول الإسلام عليهم أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام، ولكن يقول أنا أكره كذا وأرى كذا. وأما حلال وحرام فهذا الافتراء على الله، أما سمعت قول الله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رَّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ } ⁽²⁾. لأن الحلال ما حلله الله ورسوله والحرام

(1) سنن ابن ماجه ج 1 ص 20 رقم 53.

(2) سورة يونس آية 59.

ما حرماه . قال موسى بن داود: ما رأيت أحدا من العلماء أكثر [من] قول لا، أحسن من مالك وربما سمعته يقول: [إذا سئل عن شيء غريب] ليس نبتلى بهذا الأمر ليس هذا ببلدنا، وكان يقول للرجل يسأله: اذهب حتى أنظر في أمرك، قال الراوى: فقلت إن الفقه من بابه وما رفعه الله إلا بالتقوى، وسأل رجل مالكا عن مسألة وذكر أنه أرسل فيها من مسيرة ستة أشهر من المغرب! فقال له: أخبر الذى أرسلك أنه لا علم لى بها! قال: ومن يعلمها؟! قال: من علمه الله. وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري ما ابتلينا بهذه المسألة ببلدنا ولا سمعنا أحدا من أشياخنا تكلم فيها، ولكن تعود. فلما كان من الغد جاء وقد حمل ثقله على بغله يقوده فقال: مسألتي؟ فقال: ما أدري ما هى! فقال الرجل: يا أبا عبد الله تركت خلفى من يقول ليس على وجه الأرض أعلم منك، فقال مالك: غير مستوحش، إذا رجعت فأخبرهم أنى لا أحسن! وسأله آخر فلم يجبه فقال له: يا أبا عبد الله أجبنى؟ فقال: ويحك تريد أن تجعلنى حجة بينك وبين الله، أحتاج أنا أولا أن أنظر كيف خلاصى ثم أخلصك. وسئل من العراق عن أربعين مسألة، فما أجاب منها إلا فى خمس!!

قال ابن عجلان: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري. وكان يقول فى أكثر ما يُسأل عنه لا أدري. قال عمر بن يزيد فقلت لمالك فى ذلك فقال: يرجع أهل الشام إلى شامهم وأهل العراق إلى عراقهم وأهل مصر إلى مصرهم، ثم لعلى أرجع عما أفتيهم به [فما العمل وقد رحلوا لبلادهم وعملوا بما قلت لهم]؟ فأخبرت الليث بذلك فبكى وقال: مالك والله أقوى من الليث. وسئل مرة عن نيف وعشرين مسألة فما أجاب منها إلا فى واحدة!! وربما سئل عن مائة مسألة فيجيب منها فى خمس أو عشر، ويقول فى الباقي لا أدري .

قال أبو مصعب قال لنا المغيرة: تعالوا نجتمع كل ما بقى علينا مما نريد أن نسأل عنه مالكا، فمكثنا نجتمع ذلك وكتبناه، ووجه به المغيرة إليه وسأله الجواب، فأجابه فى بعضه، وكتب فى الكثير منه لا أدري فقال المغيرة: يا قوم لا والله ما رفع الله هذا الرجل إلا بالتقوى، من كان منكم يُسأل عن هذا فيرضى أن يقول لا أدري؟ والروايات عنه ﷺ فى لا أدري ولا أحسن كثيرة حتى قيل: لو شاء رجل أن يملأ صحيفته من قول مالك لا أدري لفعل قبل أن يجيب فى مسألة. وقيل له: إذا قلت أنت يا أبا عبد الله لا أدري فمن يدري؟ قال: ويحك أعرفتني ومن أنا وإيش منزلتى حتى أدري ما لا تدرون! ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر ﷺ وقال: هذا ابن عمر يقول

لا أدري فمن أنا؟ وإنما أهلك الناس العجب وطلب الرياسة، وهذا يضمنحل عن قليل. وقال مرة أخرى قد ابتلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذه الأشياء فلم يجب فيها. وقال ابن الزبير لا أدري وابن عمر لا أدري. قال بعضهم ما سمعت قط أكثر قولاً من مالك: لا حول ولا قوة إلا بالله ولو نشاء أن نصرف بالواحنا مملوءة بقوله لا أدري { إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِّينَ } (1). لفعلنا. وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيوع من أهل مصر، فقال مالك رضي الله عنه: ومن أين علموها؟ قال: منك، فقال مالك: ما أعلمها فكيف يعلمونها بي؟!

وقال ابن وهب رضي الله عنه قال مالك رضي الله عنه: سمعت من ابن شهاب أحاديث كثيرة ما حدثت بها قط ولا أحدث بها. قال الفروي: فقلت له لم؟ قال: ليس عليها العمل. وقال رجل لمالك: إن الثوري حدثنا عنك في كذا، فقال: إني لأحدث في كذا وكذا حديثاً ما أظهرتها بالمدينة.

وقيل له: عند ابن عيينة أحاديث ليست عندك، فقال: أنا أحدث الناس بكل ما سمعت إني إذا أحمق. وفي رواية إني أريد أن أضلهم إذاً، ولقد خرجت مني أحاديث وددت أني ضربت بكل حديث منها سوطاً ولم أحدث بها، وإن كنت أجزع الناس من السياط.

ولما مات رضي الله عنه وجد في تركته أحاديث كثيرة جداً لم يحدث بشيء منها في حياته، وكان إذا قيل له ليس هذا الحديث عند غيرك تركه! وإن قيل له هذا ما يحتج به أهل البدع تركه! وقيل له: إن فلانا يحدث بغرائب فقال: من الغريب نفر. وكان إذا شك في الحديث طرحه كله وقال: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وكل ما لم يوافق ذلك فاتركوه. وقال: ليس كل ما قال الرجل وإن كان فاضلاً يتبع ويجعل سنة ويذهب به إلى الأمصار. قال الله تعالى: { فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } (2).

وسئل عن مسألة أجاب فيها ثم قال: مكانك، لا أدري. إنما هو الرأي وأنا أخطئ وأرجع، وكل ما أقول يكتب. وقال أشهب: ورأني أكتب جوابه في مسألة فقال: لا تكتبها فإني لا أدري أثبت عليها أم لا! قال ابن وهب: سمعته يعيب كثرة الجواب من العالم حين يُسأل، وسمعته عندما يكثر عليه من السؤال يكفّ ويقول: حسبكم من أكثر أخطاءً، وكان يعيب كثرة ذلك وقال: يتكلم كأنه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا يهدر في كل شيء.

(1) سورة الجاثية آية 32.

(2) سورة الزمر آية 17/18.

وسأله رجل عراقي، عن رجل وطئ دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة ففقس البيضة عن فرخ أياكله؟ فقال مالك: سل عما يكون ودع ما لا يكون. وسأله آخر عن نحو هذا فلم يجبه، فقال له: لم لا تحييني يا أبا عبد الله؟ فقال: لو سألت عما تنتفع به أجبتك. وقيل له: إن قريشا تقول إنك لا تذكر في مجلسك آباءها وفضائلها، فقال: إنما نتكلم فيما نرجو بركته !

قال ابن القاسم: كان مالك لا يكاد يجيب، وكان أصحابه يحتالون أن يجيء رجل بالمسألة التي يحبون أن يعلموها كأنها مسألة بلوى فيجيب فيها. وقال لابن وهب: اتق هذا الإكثار وهذا السماع الذي لا يستقيم أن يحدث به، فقال: إنما أسمع لأعرفه لا لأحدث به، فقال له: ما يسمع إنسان شيئا إلا يحدث به. وعلى ذلك لقد سمعت من ابن شهاب أشياء ما تحدثت بها وأرجو أن لا أفعل ما عشت، ولقد ندمت أن لا أكون طرحت من الحديث أكثر مما طرحت. قال أشهب: رأيت في النوم قائلا يقول: لقد لزم مالك كلمة عند فتواه، لو وردت على الجبال لقلعتها وذلك قوله: ما شاء الله لا قوة إلا بالله .

هذه جملة تدل الإنسان على من يكون من العلماء أولى بالفتيا والتقليد له، ويتبين بالتفاوت في هذه الأوصاف الراجح من المرجوح، ولم آت بها على ترجيح تقليد مالك، وإن كان أرجح بسبب شدة اتصافه بها، ولكن لتتخذ قانونا في سائر العلماء فإنها موجودة في سائر هداة الإسلام غير أن بعضهم أشد اتصافا بها من بعض ..

215- وروى القاسم بن محمد أنه جاءه رجل فسأله عن شيء فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني دفعت إليك لا أعرف غيرك، فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله لا أحسنه. فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها، فوالله ما رأيت في مجلس أبيك مثل اليوم، فقال القاسم: والله لئن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا أعلم. جاء رجل إلى سحنون رضي الله عنه يسأله عن مسألة، فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام فقال: مسألتى أصلحك الله اليوم [لى] ثلاثة أيام؟ فقال له: وما أصنع بمسألتك، مسألتك معضلة وفيها أقاويل وأنا متحير في ذلك، فقال: أنت أصلحك الله لكل معضلة، فقال سحنون: هيهات يا ابن أخي، ليس بقولك هذا أبذل لحمي ودمي للنار، وما أكثر ما لا أعرف، إن صبرت رجوت أن تنقلب بمسألتك، وإن أردت أن تمضي إلى غيري فامضي تجاب في مسألتك في ساعة! فقال: إنما جئت إليك ولا أستفتي غيرك، قال: فاصبر ثم [فتح الله تعالى عليه] فأجابه بعد ذلك ..

216- قيل لسحنون بن سعيد رحمه الله: إنك لتسأل عن المسألة لو سئل عنها أحد من أصحابك لأجاب فيها فترجح فيها وتتوقف! فقال: إن فتنة الجواب بالصواب أشد من فتنة المال ..

217- قال أبو سليمان: العزلة إنما تنفع العلماء العقلاء وهى من أضر شيء على الجاهل، وقد روى عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه قال للمغيرة: تفقه ثم اعتزل ..

218- وقال ابن عمر رضي الله عنهما للذى قال له فقيه: إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة ..

219- عن عبد الرحمن بن أبى ليل قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد، فما كان منهم محدثاً إلا ودان أخاه قد كفاه الحديث، ولا مفتى إلا ودان أخاه كفاه الفتيا. وعن ابن شبرمة، قال ابن مسعود لتميم بن حزم: يا تميم، إن استطعت أن [لا] تكون المحدث فافعل! وعن معاوية بن أبى عياش، أنه كان جالسا عند عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر: فجاءهما محمد بن إياس بن البكير فقال: إن رجلا من أهل البادية طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول، فاذهب إلى ابن عباس وأبى هريرة، فإنى تركتهما عند عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فسلهما ثم ائتنا فأخبرنا؟ فذهب فسألها، فقال ابن عباس لأبى هريرة: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة؟

فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها، والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجا غيره . وحدثنا عن شيخ من أهل المدينة يكنى أبا إسحاق قال: كنت أرى الرجل فى ذلك الزمان، وأنه ليدخل يسأل عن الشيء فيدفعه الناس من مجلس إلى مجلس، حتى يدفع إلى مجلس سعيد بن المسيب رحمه الله كراهية الفتيا، وكانوا يدعون سعيد بن المسيب الجريء !! وعن ابن سيرين قال عمر رضي الله عنه لأبى مسعود عقبة بن عمر: ألم أنبئ أنك تفتى الناس ولحارها من تولى قارها ..

220- وعن سحنون رحمه الله قال: أنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أفاويل من ثمانية أئمة، فكيف ينبغى أن أعجل بالجواب؟!

221- بلغنا عن سمع سحنون بن سعيد، يزرى على من يعجل فى الفتوى، ويذكر النهى عن ذلك عن المتقدمين من معلميه وقال: إني لأسأل عن المسألة فأعرفها وأعرف فى أى كتاب هى، وفى أى ورقة وفى أى صفحة، وعلى كم هى من سطر! فما يمنعنى من الجواب فيها إلا كراهة المرأة بعدى على الفتوى.

وبلغنا عن الخليل بن أحمد أنه كان يقول: إن الرجل يُسأل عن المسألة ويعجل في الجواب فيصيب فأذمّه، ويُسأل عن مسألة فيتثبت في الجواب فيخطئ فأحمده. وذكر أبو عبد الله المالكي فيها جمعه من مناقب شيخه أبي الحسن القابسي الإمام المالكي، أنه كان ليس شيء أشد عليه من الفتوى، وأنه قال له عشية من العشايا: ما ابتلى أحد بما ابتليت به، أفيتت اليوم في عشر مسائل! [فما نقول نحن الآن في زماننا الذي يفتى فيه العالم في دقائق ما يجاوز هذا العدد بمراحل كثيرة وبسرعة لا تدل على التأني أو التروي]!!

222- وعن الشافعي أنه سئل في مسألة فسكت، ف قيل له: ألا تحبب رحمك الله؟ فقال: حتى أدرى الفضل في سكوتي أو في الجواب. وعن مالك رحمه الله أنه ربما كان يُسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها، وكان يقول: من أجاب في مسألة، فينبغي من قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه في الآخرة ثم يجيب فيها، فالعلم كله ثقل وبخاصة ما يُسأل عنه يوم القيامة. وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنهما، أنه كان لا يكاد يفتي فتيا ولا يقول شيئا إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني! وقد كان فيهم رضي الله عنهم، من يتباطأ بالجواب عما هو فيه غير مستريب، ويتوقف في الأمر السهل الذي هو عنه مجيب ..

223- عن أبي حصين قال: سألت إبراهيم رحمه الله [النخعي] عن شيء فقال: أما وجدت أحدا تسأله فيما بيني وبينك غيري؟! وهكذا كان إمساك ابن شهاب رحمه الله عن الكلام في حادثة لم تنزل به وإن كانت نزلت بغيره ..

224- عن ميمون أبي حمزة قال لى إبراهيم رحمه الله [النخعي]: يا أبا حمزة، والله لقد تكلمت ولو وجدت بدءا ما تكلمت، إن زمانا أكون فيه فقيه أهل الكوفة لزمان سوء ..

225- عن ابن سيرين: كنا إذا جلسنا إليه حدثنا وتحدثنا وضحك وسأل عن الأخبار، فإذا سئل عن شيء من الفقه والحلال والحرام، تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان ..

226- وعن موسى بن علي قال: سمعت أبي قال: إن الرجل كان يأتي زيد بن ثابت رضي الله عنه فيسأله عن الشيء فيقول: الله أنزل هذه؟ فإن قال الله أنزل هذا، أفثاه، وإن لم يحلف تركه !!

227- عن مسروق قال: كنت أمشي مع أبي بن كعب رضي الله عنه فقال فتى: ما تقول يا عماء في كذا وكذا؟ قال: يا ابن أخي أكان هذا؟ قال: لا. قال: فاعفنا حتى يكون.

حدثنا الصلت بن راشد قال: سألت طاوسا عن مسألة فقال لى أكان هذا؟

قلت: نعم.

قال: الله، قلت: الله، ثم قال: أخبرنا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم هنا وهنا، فإنكم إن لم تعجلوا بالبلاء قبل نزوله، لم ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سُئل سُدد، وإذا قال وُفق ..

228- وقال النبي ﷺ: شرار عباد الله يتبعون شرار المسائل ليمتحنوا بها عباد الله إعتائاً، والله تعالى خصيمهم يوم القيامة، لأن كل سائل مسؤول يوم القيامة ما أردت به [بهذا السؤال] ⁽¹⁾ ؟

229- حدثنا بشر بن عمر الزهراني قال: سمعت مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: قال رجل للشعبي، إني خبأت لك مسائل، فقال: خبئها لإبليس حتى تلقاه فسله عنها ..

230- وقال حماد بن زيد قيل لأيوب رضي الله عنه: مالك لا تنظر في الرأي؟ فقال أيوب: قيل للحمار مالك لا تجتر؟ قال: أكره مضغ الباطل ..

231- وقال معن الفزاز وجماعة: إن مالك رضي الله عنه بكى في مرض موته وقال: والله لو ددت أني ضربت في كل مسألة أفطيت بها، وليتني لم أفث بالرأى ..

232- حدثنا أبو عاصم قال: سمعت سفيان الثوري يقول: كان الرجل إذا أراد أن يكتب الحديث تأدب وتعبد قبل ذلك بعشرين سنة !!

233- قال إبراهيم النخعي رحمه الله: كان الرجل إذا أراد أن يأخذ عن الرجل، نظر في صلاته وفي حاله وفي سمته، ثم يأخذ عنه !

234- قال أبو عمر بن عبد البر بإسناده عن مالك رضي الله عنه قال: أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة بن أبي عبد الرحمن رضي الله عنه فوجده يبكي! فقال له: ما يبكيك وارتاع لبكائه، أمصيبة دخلت عليك؟ فقال: لا، ولكن أستفتي من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم. وبعض من يفتي أحق ههنا بالسجن من السراق! رحم الله ربيعة كيف لو أدرك زماننا؟! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل. [هذا قول مالك رحمه الله عن زمانه هو! ونحن نقول:

(1) تفسير التستري ج 1 ص 19.

فكيف إذا أدرك أبو عمر بن عبد البر، ومالك رضى الله عنهما، زماننا الحالى وما به من كثرة المفتين
بالعجائب والغرائب وغريب الفتوى، حتى إن البعض منهم تجاوز عدد فتاويه السبعين ألف
فتوى، وهناك من فاقه وتعداه فى العدد وكأهم فى سباق !! ماذا كانا سيقولان عن زماننا وعن
من يُفتى به [؟]!

* * *

الفصل الخامس

لا يجوز للمفتي تتبع الحيل المحرمة والمكروهة

235- عن عرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم وأقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يبعث منكم بعدى فيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وفي لفظ: تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك. وفيه: عليكم بما عرفتم من سنتي⁽¹⁾.

فهذه الأحاديث وغيرها تبين أن رسول الله ﷺ حذر الأمة الأمور المحدثه، وبين أنها ضلالة، وأن من أحدث في أمر الدين ما ليس منه فهو مردود، وهذه الجملة لا تنحصر دلائلها وكثرة وصايا السلف بمضمونها، وكذلك الأدلة على لزوم طريقة الصحابة والتابعين لهم ومجانبة ما أحدث بعدهم، مما يخالف طريقهم من الكتاب والسنة والآثار كثيرة جدا، وإذا كان كذلك فهذه الحيل من الأمور المحدثه ومن البدع الطارئة. أما الإفتاء بها وتعليمها للناس وإنفاذها في الحكم واعتقاد جوازها، فأول ما حدث في الإسلام في أواخر عصر صغار التابعين بعد المائة الأولى بسنين كثيرة وليس فيها حيلة واحدة تؤثر عن أصحاب رسول الله ﷺ. بل المستفيض عن الصحابة أنهم كانوا إذا سئلوا عن فعل شيء من ذلك، أعظموه وزجروا عنه، وفي هذا عن الصحابة مسألتان: العينة والتحليل وغيرهما ما بين قولهم في هذا الجنس، وأما فعلها من بعض الجهال، فقد كان يصدر القليل منه في العصر الأول، لكنه ينكره الفقهاء من الصحابة والتابعين على من يفعله، كما كانوا ينكرون عليهم الكذب والربا وسائر المحرمات، ويرونها داخلة في قوله ﷺ: من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد، وهذا الذي ذكرناه من حدوث الفتوى بهذه الحيل، وكونها بدعة أمر لا يشك فيه أدنى من له علم بآثار السلف وأيام الإسلام وترتيب طبقات المفتين والحكام.

(1) الفتاوى الكبرى ج 3 ص 164 رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

ويستبان ذلك بأشياء، منها:

أن الكتب المصنفة في أحاديث رسول الله ﷺ، وفتاوى الصحابة والتابعين، وقضاياهم ليس فيها عن أحد منهم شيء من ذلك ولو كانوا يفتون بشيء من ذلك، لنقل كما نقل غيره، والذين صنفوا في الحيل من المتأخرين حرصوا على أثر يقتدون به في ذلك، فلم يجدوا شيئاً من ذلك فثبت بما ذكرناه أنه لم يحك أحد من القائلين بالحيل والمنكرين لها عن أحد من الصحابة الإفتاء بشيء من هذه الحيل، التي يُقصد بها الاستحلال بالطرق المدلسة التي لا يُقصد بها المقصود الشرعي، وهذا هو المقصود هنا، فإن أقبح البدع ما خالفت كتاباً أو سنة أو إجماعاً .

إن هذه الحيل أول ما ظهر الإفتاء بها في أواخر عصر التابعين، أنكر ذلك علماء ذلك الزمان، مثل أيوب السخيتاني، وحماد بن زيد، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، ويزيد بن هارون، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن المبارك، والفضيل بن عياض، ومثل شريك بن عبد الله، والقاسم بن معن، وحفص بن غياث قضاة الكوفة، وتكلم علماء ذلك العصر مثل أيوب السخيتاني وابن عون، والقاسم بن خيمرة، والسفيانين، والحمادين، ومالك، والأوزاعي، ومن شاء الله من العلماء في الدين، وتوسعوا فيها من أهل الكوفة وغيرهم بكلام غليظ لا يقال مثله إلا عند ظهور بدعة لا تعرف، دون من أفتى بما كان من الصحابة تفتى به، أو بحق منه، ومعلوم أن هؤلاء، وأمثالهم هم سرج الإسلام، ومصاييح الهدى، وأعلام الدين، وهم كانوا أعلم أهل وقتهم، وأعلم ممن بعدهم بالسنة الماضية وأفقه في الدين، وأورع في المنطق، وقد كانوا يختلفون في مسائل الفقه، ويقولون بجتهاد الرأي ولا ينكرون على من سلك هذا السبيل .

فلما اشتد نكيرهم على أهل الرأي الذين استحلوا به الحيل، علم أنهم علموا أن هذه بدعة محدثة، وفي كلامهم دلالات على ذلك، مثل وصفهم من كان يفتى بذلك بأنه يقلب الإسلام ظهراً لبطن، ويترك الإسلام أرق من الثوب السابري، وينقض الإسلام عروة عروة إلى أمثال هذه الكلمات .

وكان أعظم ما أنكروا على المتوسع في الرأي مخالفة الأحاديث والإفتاء بالحيل، ومعلوم أن أحداً من أهل الفتوى لا يخالف حديث رسول الله ﷺ عمداً، وإنما يخالفه، لأنه لم يبلغه، أو لنسيانه إياه وذهوله عنه، أو لأنه لم يبلغه من وجه يثق به، أو لعدم تفتنه لوجه الدلالة منه، أو لقلّة اعتنائه بمعرفته، أو لنوع تأويل يتأوله عليه، أو ظنه أنه منسوخ، ونحو ذلك وما من الفقهاء أحد

إلا وقد خفيت عليه بعض السنة، وإنما المنكر الذى لم يكن يعرف فى الماضين الإفتاء بالحيل. وقد ذكر عن بعض أهل رأى أنه قال: ما نقوموا علينا من أنا عمدنا إلى أشياء كانت حراما عليهم فاحتلنا فيها حتى صارت حلالا !! وقال آخران: إنا احتلنا للناس منذ كذا وكذا سنة احتال على هذا فى قضية جرت له مع رجل .

ولما وضع بعض الناس كتابا فى الحيل !! اشتد نكير السلف، لذلك قال أحمد بن زهير بن مروان: كانت امرأة ها هنا تمر، وأرادت أن تحتلع من زوجها فأبى زوجها عليها، فقيل لها: لو ارتددت عن الإسلام لبنت من زوجك! ففعلت ذلك .

فذكر ذلك لعبد الله بن المبارك وقيل له: إن هذا كتاب الحيل، فقال عبدالله: من وضع هذا الكتاب فهو كافر. ومن سمع به فرضى به فهو كافر. ومن حمله من كورة إلى كورة فهو كافر. ومن كان عنده فرضى به فهو كافر .

وقال إسحاق بن راهويه، عن شقيق بن عبد الملك: أن ابن المبارك قال فى قصة بنت أبى روح حيث أمرت بالارتداد، وذلك فى أيام أبى غسان، فذكر شيئا ثم قال ابن المبارك، وهو مغضب: أحدثوا فى الإسلام، ومن كان أمر بهذا فهو كافر، ومن كان هذا الكتاب عنده، أو فى بيته ليأمر به، أو هويه ولم يأمر به فهو كافر .

ثم قال ابن المبارك: ما أرى الشيطان كان يحسن مثل هذا، حتى جاء هؤلاء فأفادها منهم فأشاعها حينئذ، أو كان يحسنها ولم يجد من يمضيها حتى جاء هؤلاء !

وقال إسحق الطالقانى قيل: يا أبا عبد الرحمن إن هذا وضعه إبليس يعنى كتاب الحيل، فقال: إبليس من الأبالسة. وقال النضر بن شميل: فى كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرون أو ثلاثون مسألة كلها كفر. وقال أبو حاتم الرازى: قال شريك بن عبد الله قاضى الكوفة الإمام المشهور وذكر له كتاب الحيل قال: من يخادع الله يخدعه، وقال حفص بن غياث: كان ينبغي أن يكتب عليه كتاب الفجور. وقال إسماعيل بن حماد: قال القاسم بن معن بن عبد الرحمن قاضى الكوفة أيضا: كتابكم هذا الذى وضعتموه فى الحيل كتاب الفجور. وقال سعيد بن سابو: الجواب إن الرجل ليأتى الرجل من أصحاب الحيل فيعلمه الفجور. وقال حماد بن زيد: سمعت أيوب يقول: ويلهم من يخدعون؟! وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى: سمعت يزيد بن هارون يقول: لقد

أفتى أصحاب الحيل فى شيء لو أفتى به اليهود والنصارى كان قبيحا. أتاها رجل فقال: إني حلفت أن لا أطلق امرأتى بوجه من الوجوه، وإنهم قد بذلوا إليه مالا كثيرا، قال: فقبّل أمها! قال يزيد بن هارون: يأمره بأن يقبّل امرأة أجنبية .

وقال حبيش بن سندی: سئل أبو عبد الله أحمد بن حنبل عن الرجل يشتري جارية ثم يعتقها من يومه، ويتزوجها أيطؤها من يومه؟ قال: كيف يطؤها من يومه هذا، وقد وطئها ذلك بالأمس، هذا من طريق الحيلة وغضب. وقال: هذا أخبث قول. رواه الإمام أبو بكر الخلال فى العلم عن عبد الخالق بن منصور قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من كان كتاب الحيل ببيته يفتى به فهو كافر بما أنزل على محمد ﷺ .

وإنما قال هؤلاء الأئمة مثل هذا الكلام فى كتاب الحيل، لأن فيه الاحتيال على تأخير صوم رمضان، وإسقاط الزكاة، والحج، وإسقاط الشفعة، وحل الربا، وإسقاط الكفارات فى الصيام، والإحرام والأيمان، وحل السفاح، وفسخ العقود وفيه الكذب، وشهادة الزور، وإبطال الحقوق وغير ذلك. ومن أقبح ما فيه، الاحتيال لمن أرادت فراق زوجها بأن ترد عن الإسلام فيعرض عليها الإسلام فلا تسلم، فتحبس وينفسخ النكاح، ثم تعود إلى الإسلام، وإلى أشياء أخرى، وكثير من هذه الحيل حرام باتفاق العلماء، بل بعضها كفر ..

236- هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهى الشرعية، ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه، إذ الفقيه من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده وتعظيم حرمانه والوقوف عندها، ليس المتحيل على إباحة محارمه وإسقاط فرائضه .

ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيباً وإنما هو استحلال تأويل واحتيال، ظاهره ظاهر الاتقاء وباطنه باطن الاعتداء. ولم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين فى بعض ظاهره دون حقيقته. وقيل: من يخدع الله يخدعه ..

237- قال أبو بكر الصديق العتيق رضوان الله عليه: ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر، والبغى والنكث. قال الله تعالى عز اسمه: { فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّهَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ }⁽¹⁾. وقال عز من

(1) سورة الفتح آية 10.

قائل: { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ }⁽¹⁾. وقال عز جده: { إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }⁽²⁾..

238- عذب الله أهل الجنة الذين احتالوا على أن لا يتصدقوا، [أن الله سبحانه أخبر في سورة القلم عن أهل الجنة الذين بلاهم بما بلاهم به، وهم قوم كان للمساكين حق في أموالهم إذا جردوا محصولهم نهاراً بأن يلتقط المساكين ما يتساقط من الثمر فأرادوا أن يجردوا ليلاً ليسقط ذلك الحق ولئلا يأتيهم مسكين، وأنه عاقبهم بأنه أرسل على جنتهم طائفا وهم نائمون فأصبحت كالصريم، وذلك لما تحيلوا على إسقاط نصيب المساكين، بأن يصرموها مصبحين قبل مجيء المساكين، فكان في ذلك عبرة لكل محتال على إسقاط حق من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده]⁽³⁾.

وعذب الله القرية التي كانت حاضرة البحر، لما استحلوا المحرم بالحيلة بأن مسخهم قردة وخنزير. [قال الحسن: رموها في السبت، يعني: احتالوا على وقوعها في الماء يوم السبت، كما بين غيره أنهم حفروا لها حياضاً، ثم فتحوها عشية الجمعة، أو أنه أراد أنهم رموا الحبال يوم السبت، ثم أخرجوها في الماء إلى يوم الأحد، فاستخرجوها بالحيتان يوم الأحد، ولم يرد أنهم باشروا إلقاءها يوم السبت، فإنهم لو اجترأوا على ذلك لاستخرجوها]⁽⁴⁾..

239- قال النبي ﷺ: لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل⁽⁵⁾. في عرف الفقهاء [هي] الحيل التي يستحل بها المحارم، كحيل اليهود [والروافض]، وكل حيلة تضمنت إسقاط حق الله أو آدمي، فهي تندرج فيما يستحل بها المحارم، فإن ترك الواجب من المحارم..

240- وقال ﷺ: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فأذا بها فباعوها فأكلوا أثمانها، فإنما أذا بها حتى أزالوا عنها اسم الشحم. وقال الخطابي: في هذا الحديث بيان بطلان كل حيلة

(1) سورة فاطر آية 43.

(2) سورة يونس آية 23.

(3) إغائة اللفهان ج 1 ص 342.

(4) الفتاوى الكبرى ج 3 ص 117.

(5) الفتاوى الكبرى ج 3 ص 191.

يحتال بها للتوصل إلى المحرم، وأنه لا يتغير حكمه بتغير هيئته وتبديل اسمه، فوجه الدلالة ما أشار إليه الإمام أحمد، من أن اليهود لما حرم الله عليهم الشحوم، أرادوا الاحتيال على الانتفاع بها على وجه لا يقال في الظاهر الجواب إنهم انتفعوا بالشحم فجملوه، وقصدوا بذلك أن يزول عنه اسم الشحم، ثم انتفعوا بثمنه بعد ذلك لثلا يحصل الانتفاع بعين المحرم، ثم مع أنهم احتالوا حيلة خرجوا بها في زعمهم من ظاهر التحريم من هذين الوجهين لعنهم الله سبحانه وتعالى على لسان رسول الله ﷺ على هذا الاستحلال، نظرا إلى المقصود، فإن ما حكمه التحريم لا يختلف سواء كان جامدا أو مائعا، وبديل الشيء يقوم مقامه ويسد مسده، فإذا حرم الله الانتفاع بشيء حرم الاعتياض عن تلك المنفعة⁽¹⁾..

241- وقال الإمام أحمد: هذه الحيل التي وضعها هؤلاء عمدوا إلى السنن فاحتالوا في نقضها، وأتوا إلى الذي قيل لهم إنه حرام فاحتالوا فيه حتى أحلوه! وقال: إذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة فصار إليها، فقد صار إلى ذلك الذي حلف عليه بعينه. وقال: من احتال بحيلة فهو حائن وقال: ما أخبثهم - يعني أصحاب الحيل - يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ ..

242- قال النووي: يحرم التساهل في الفتوى، ومن عُرف به يحرم استفتاءه، فمن التساهل أن لا يثبت ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، ومن التساهل أن تحمله الأغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة أو المكروهة والتمسك بالشبهة، طلباً للترخيص لمن يروم نفعه أو التغليظ على من يريد ضره!

243- وقيل: لا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبع الحيل المحرمة والمكروهة، ولا تتبع الرخص لمن أراد نفعه، فإن فعل ذلك فسق، وحرم استفتاءه. وإن حسن قصده ..

244- قال ابن القيم رحمه الله: لا يجوز للمفتي أن يشهد على الله ورسوله ﷺ بأنه أحل كذا أو حرمه أو أوجبه أو كرهه، إلا لما يعلم أن الأمر فيه كذلك مما نص الله ورسوله ﷺ على إباحته أو تحريمه أو إيجابه أو كراهته، وأما ما وجده في كتابه الذي تلقاه عن قلدته دينه، فليس له أن يشهد على الله ورسوله به ويغير الناس بذلك ولا علم له بحكم الله ورسوله .

وسمعت شيخ الإسلام يقول: حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم فجرت حكومة حكم فيها أحدهم بقول زفر، فقلت له: ما هذه الحكومة؟ فقال: هذا حكم الله، فقلت له:

(1) الفتاوى الكبرى ج 3 ص 124 .

صار قول زفر هو حكم الله الذى حكم به وألزم به الأمة! قل: هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله .

ولهذا كان الأئمة الأربعة، يتورعون عن إطلاق لفظ التحريم، ويطلقون لفظ الكراهية، وكانوا يستعملون الكراهية فى معناها الذى استعملت فيه فى كلام الله ورسوله ﷺ ..

245- قال الميمونى: قلت لأبى عبد الله، من حلف على يمين ثم احتال لإبطالها هل تجوز تلك الحيلة؟ قال: لا، نحن لا نرى الحيلة، من احتال بحيلة فهو حاث. حدثنا أبو داود السجستانى قال: سمعت أبا عبد الله وذكر الحيل عن أصحاب الرأى فقال: يحتالون لنقض سنن رسول الله ﷺ قال إبراهيم بن شماس السمرقندى: قال رجل للفضيل بن عياض: يا أبا على إنى استفتيت رجلا فى يمين بليت بها، فقال لى إن فعلت ذلك حثت وأنا أحتال لك أفأفعل حتى لا أحنث؟ فقال له الفضيل: أتعرف الرجل؟ قال: نعم، قال: ارجع واستفته، فإنى أحسبه شيطانا شبه لك فى صورة إنسان! وقال سهل بن عبد الله التستري: من أفتى بالناس بالحيلة فيما لا يجوز، بتأول الرأى والهوى بلا كتاب ولا سنة فهذا من علماء السوء. وبمثل هذا هلك الأولون والآخرون، ولهذا ثلاث عقوبات يعاقب بها فى عاجل الدنيا:

يبعد علم الورع من قلبه، ويضيع منه، وتزين له الدنيا ويرغب فيها ويفتن بها، ويطلب الدنيا تضييعا . فلو أعطى جميع الدنيا فى هلاك دينه لأخذه ولا يبالي ..

* * *

الفصل السادس

ضرورة رجوع المفتى عن فتواه

إذا تبين له أن الحق في غيرها

246- عن أبيض بن حمال رضي الله عنه قال: وفدت إلى رسول الله ﷺ فاستقطعت الملح فقطعه لي، فلما وليت قال رجل: يا رسول الله تدرى ما أقطعت؟ إنما أقطعت الماء العد فرجع فيه ⁽¹⁾. قال الشيخ الإمام أبو بكر: الماء العد يعنى الدائم الذى لا انقطاع له مثل ماء العين والبئر، وهذا إذا لم يكن في ملك أحد فالناس فيه شركاء، لا يختص به بعضهم دون بعض، ولهذا رجع النبي فيه. قال الشيخ الإمام أبو بكر: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يوجب دفع زكاة الأموال الباطنة إلى الأمراء، فلما أخبر أنهم لا يضعونها مواضعها، رجع عن رأيه في الدفع إليهم، وأمر الناس أن يتولوا بأنفسهم صرفها إلى الأصناف. فإذا أفتى الفقيه رجلاً بفتوى، ثم قال له: قد رجعت عن فتواي، فإن كان ذلك قبل أن يعمل المستفتى بها كف عنها.

أخبرنا ابن وهب رضي الله عنه: قال مالك رضي الله عنه: كان ابن هرمز رضي الله عنه رجلاً كنت أحب أن أقتدى به، وكان قليل الكلام قليل الفتيا شديد التحفظ، وكان كثيراً ما يفتى الرجل ثم يبعث في أثره من يرد إليه حتى يخبره بغير ما أفتاه، وكان بصيراً بالكلام، وكان يرد على أهل الأهواء، وكان من أعلم الناس بما اختلف فيه من هذه الأهواء.

قال أحمد بن الحسن بن زياد: إن الحسن بن زياد اللؤلؤى استفتى في مسألة فأخطأ فلم يعرف الذى أفتاه، فاكترى منادياً ينادى: أن الحسن بن زياد استفتى يوم كذا وكذا في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه الحسن بن زياد بشيء فليرجع إليه!! فمكث أياماً لا يفتى حتى وجد صاحب الفتوى، فأعلمه أنه قد أخطأ، وأن الصواب بها كذا وكذا. [سبحان الله على التقى والخوف والرغبة الشديدة من الله، فبمثل هؤلاء انتشر نور الإسلام]. وإن كان رجوع المفتى عن فتواه بعد عمل المستفتى بها نظر في ذلك، فإن كان قد بان للمفتى أنه خالف نص كتاب أو سنة أو إجماعاً، وجب نقض العمل بها وإبطاله، ولزم المفتى تعريف المستفتى ذلك.

(1) الماء العد: الدائم الذى لا انقطاع له مثل ماء العين والبئر. الفقيه والمتفقه ج 2 ص 421.

حُذِّثْنَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنه عَمَّا لَفِظَ الْبَحْرَ، فَنَهَى عَنْ أَكْلِهِ، ثُمَّ دَعَى بِالصَّحْفِ [فَلَمَّا] قَرَأَ { أَجَلَ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ } ⁽¹⁾. فَأَرْسَلَنِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَكْلِهِ .

عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِيَاسَ، عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي شَمَخٍ ثُمَّ أَبْصَرَ أُمَّهَا فَأَعْجَبَتْهُ، فَذَهَبَ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً فَلَمْ أَدْخُلْ بِهَا ثُمَّ أَعْجَبَتْنِي أُمُّهَا أَفَأُطْلِقُ الْمَرْأَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَطَلَقَهَا وَتَزَوَّجَ أُمَّهَا. فَاتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ الْمَدِينَةَ فَسَأَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالُوا: لَا يَصْلَحُ، ثُمَّ قَدِمَ فَاتَى بَنِي شَمَخٍ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي تَزَوَّجَ أُمَّ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ؟ قَالُوا: هَاهُنَا، قَالَ: فَلْيَفَارِقْهَا. قَالُوا: كَيْفَ وَقَدْ نَثَرْتَ لَهُ بَطْنَهَا؟! قَالَ: وَإِنْ كَانَتْ فَعَلْتُ، فَلْيَفَارِقْهَا فَإِنَّهَا حَرَامٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قُلْتُ: لَعَلَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ تَأَوَّلَ فِي فَتْوَاهُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: { فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } ⁽²⁾. أَنْ الِاسْتِثْنَاءَ رَاجَعَ إِلَى أُمِّهِاتِ النِّسَاءِ وَإِلَى الرَّبَائِبِ جَمِيعَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَإِنْ كَانَ رَجُوعُ الْمَفْتَى عَنْ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ مِنْ جِهَةِ اجْتِهَادٍ هُوَ أَقْوَى، أَوْ قِيَاسٌ هُوَ أَوْلَى، لَمْ يَنْقُضِ الْعَمَلُ الْمَتَّقِدَمَ لِأَنَّ الْجَهْتَادَ لَا يَنْقُضُ بِالْجَهْتَادِ .

وَعَنْ مَسْعُودِ بْنِ الْحَكَمِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي امْرَأَةٍ، تَرَكَتْ زَوْجَهَا وَأُمَّهَا وَأَخَوْتَهَا لِأُمِّهَا وَأَخَوْتَهَا لِأُمِّهَا وَأَبِيهَا، فَشَرِكَ بَيْنَ الْأَخَوَةِ لِلْأُمِّ وَبَيْنَ الْأَخَوَةِ لِلْأَبِ وَالْأُمِّ بِالثَّلَاثِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّكَ لَمْ تَشْرِكْ بَيْنَهُمْ عَامَ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: فَتِلْكَ عَلَى مَا قَضَيْنَا يَوْمَئِذٍ وَهَذِهِ عَلَى مَا قَضَيْنَا الْيَوْمَ. قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: قَالَ الثَّوْرِيُّ رضي الله عنه: لَوْ لَمْ أَسْتَفِدْ فِي سَفَرِي هَذَا مِنْ عُمَرَ غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ لَظَنَنْتُ أَنَّي قَدْ أَصَبْتُ خَيْرًا ..

* * *

(1) سورة المائدة آية 96.

(2) سورة النساء آية 23.

الفصل السابع

أقوال متنوعة فى الإفتاء والمفتين

247- اعلّموا أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولّاها الخلفاء الراشدون المهديون [أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم أجمعين، وهم الذين أجمعت عليهم الأمة، ولم يختلف على اختيارهم] وكانوا أئمة، علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه، وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الأقضية، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادرا فى وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجرّدوا لها، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم .

فلما [اتسعت الدولة الإسلامية] أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير علم بالفتاوى والأحكام، فاضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم .

وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول، وملازم صفو الدين وسمت علماء السلف، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى [بعض ضعاف النفوس من] أهل تلك العصور، عز العلماء وإقبال الأئمة والولاء عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشربوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة، فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلوات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من نجح ولم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال .

فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم، إلا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من العلماء، وقد كان أكثر الإقبال فى تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها فى الولايات والحكومات. ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء، من يسمع مقالات الناس فى قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها، فعلت رغبته إلى المناظرة والمجادلة فى الكلام، فأكب الناس على علم الكلام، وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات، واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع

المبتدعة! كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى والدين وتقلد أحكام المسلمين، إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم .

ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه، لما كان قد تولد من فتح باب التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المقضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب أبي حنيفة والشافعي على الخصوص. فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع، وتقرير علل المذهب، وتمهيد أصول الفتاوى، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات، ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات، وهم مستمررون عليه إلى الآن !

248- وقال مالك: إن إياس بن معاوية قال لربيعة: إن الشيء إذا بنى على عوج لم يكدر يعتدل، قال مالك: يريد بذلك المفتي الذي [لا] يتكلم على أصل يبنى عليه كلامه ..

249- قالوا: لأن المخبر كالمفتي، ثم ثبت أن ما يفتي به المفتي لا يلزم العالم العمل به حتى يعلم صحته، فكذلك ما يخبر المخبر يجب أن لا يلزم العمل به حتى تعلم صحته ..

250- وجاء عن أبي سعيد عبد السلام التنوخي الملقب بسحنون إمام المالكية، أنه قال: أشقى الناس من باع آخرته بدنياه، وأشقى منه من باع آخرته بدنياه غيره. قال: ففكرت فيمن باع آخرته بدنياه غيره، فوجدته المفتي! يأتيه الرجل قد حنث في امرأته ورقيقه فيقول له لا شيء عليك، فيذهب الحانث فيتمتع بامرأته ورقيقه وقد باع المفتي دينه بدنياه هذا ..

251- قوله تعالى: { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ }⁽¹⁾. قال ابن عرفة: يدخل فيه المفتي إذا أفتى بما لا يعلم، والقاضي إذا حكم بما لا يعلم، فإنه قال على الله ما (لا) يعلم. قيل لابن عرفة: يؤخذ منه إبطال العمل بالقياس؟ فقال: أما من لا يقول به فظاهر، وأما من يقول به فمقدمات القياس ظنية فتكون (النتيجة) ظنية، لكن يلزم عليه إبطال العمل بجميع الأحكام الشرعية، لأنها كلها ظنية فليس المراد العلم الحقيقي بل ما عليه الظن ..

(1) سورة البقرة آية 169.

252- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه. زاد سليمان المهري في حديثه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره، فقد خانته وهذا لفظ سليمان⁽¹⁾..

253- اعلّموا أنه لا خلاف [بين أئمة المذاهب الأربعة، وكبار العلماء الصالحين المعتد بهم المأخوذ عنهم] في أنه لا يستفتى أهل الرأي المخالفون لسنة رسول الله ﷺ وبالله التوفيق، ولا سيما كثير من المتسبين إلى الفتوى في هذا الزمان وغيره .

قال بعض العلماء: فكيف لو رأى ربيعة زماننا، وإقدام من لا علم عنده على الفتيا وتوثبه عليها، ومدّ باع التكلف إليها وتسلقه بالجهل والجرأة عليها، مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة، وهو من بين أهل العلم منكر أو غريب، فليس له في معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب، ولا يبدى جوابا بإحسان، وإن ساعد القدر فتواه، كذلك يقول فلان بن فلان يمدون للإفتاء باعا قصيرة وأكثرهم عند الفتاوى وكذلك وكثير منهم نصيبهم، مثل ما حكاه أبو محمد بن حزم رحمه الله قال: كان عندنا مفت قليل البضاعة، فكان لا يفتى حتى يتقدمه من يكتب الجواب، فيكتب تحته جوابي مثل جواب الشيخ! فقدّر أن اختلف مفتيان في جواب، فكتب تحتهما، جوابي مثل جواب الشيخين! فقليل له: إنها قد تناقضا؟! فقال: وأنا أيضا تناقضت كما تناقضا !!

وقد أقام الله سبحانه، لكل عالم فاضل، من يظهر مائلته، ويرى الجهال وهم الأكثرون مساجلته ومشاكلته، وأنه يجري معه في الميدان، وأنها عند المسابقة كفرسى رهان، ولا سيما إذا طول الأردن وأرخص الذوائب الطويلة وراءه كذنب الأتان، وهدر باللسان وخلا له الميدان من الفرسان .

فَلَوْلَيْسَ الْجَمَارُ ثِيَابَ خَزٍّ لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ

وهذا الضرب إنما يستفتون بالشكل لا بالفضل، وبالمناصب لا بالأهلية، قد غرهم عكوف من لا علم عنده عليهم، ومسارعة أجهل منهم إليهم، تعج منهم الحقوق إلى الله تعالى عجيجا، وتضج منهم الأحكام إلى من أنزلها ضجيجا، فمن أقدم بالجرأة على ما ليس له من فتيا أو قضاء أو تدريس قضاء، استحق اسم الذم، ولم يحل قبول فتياه ولا قضائه، هذا حكم دين الإسلام .

(1) أخرجه أبو داود كتاب العلم باب التوقي في الفتيا رقم 3460.

وَإِنْ رَغِمَتْ أُفُوفٌ مِنْ أَنْبَاسٍ فَقُلْ يَارَبِّ لَا تُرْغِمْ سِرًّا وَاهَا

254- يقول الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور رحمته الله [مفتى تونس وكبير علمائها العاملين العالمين] في قوله تعالى: { وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } ⁽¹⁾. وقوله تعالى: { وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا } ⁽²⁾. هو المال يأخذونه، جزاء على إفتائهم بما يلائم هواهم، مخالفاً لشرعهم أو على الحكم بذلك، فالثمن يطلق على الرشوة لأنها ثمن يدفع عوضاً عن جور الحاكم وتحريف المفتى. وقوله سبحانه: { أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ } ⁽³⁾. جيء باسم الإشارة لإشعارهم لئلا يخفى أمرهم على الناس، وللتنبية على أن ما يخبر به عن اسم الإشارة استحقوه بسبب ما ذكر قبل اسم الإشارة، كما تقدم في قوله تعالى: { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ } ⁽⁴⁾. وهو تأكيد للسببية المدلول عليها بالموصول، وفعل (يَأْكُلُونَ) مستعار لأخذ الرُّشَا المعبر عنها بالثمن، والظاهر أنه مستعمل في زمان الحال، أى ما يأكلون وقت كتمانهم واشترائهم (إِلَّا النَّارَ) لأنه الأصل في المضارع. والأكل مستعار للانتفاع مع الإخفاء، لأن الأكل انتفاع بالطعام وتغيب له، فهو خفى لا يظهر كحال الرشوة، ولما لم يكن لآكل الرشوة على كتمان الأحكام أكل نار تعين أن في الكلام مجازاً، ف قيل: هو مجاز عقلي في تعلق الأكل بالنار وليست هى له وإنما له سببها أعنى الرشوة.

255- وعن سحنون رحمته الله قال: كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بالكلمة، ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير فيحبسها ولا يتكلم بها مخافة المباهاة، وكان إذا أعجبه الصمت تكلم. ويقول: أجزأ الناس على الفتيا أقلهم علماً. وعن سحنون قال: أكل بالمسكنة ولا آكل بالعلم. محب الدنيا أعمى لم ينوره العلم. ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء! وقيل: إن الأمير زيادة الله، بعث يُسأل سحنونا عن مسألة، فلم يجبه! فقال له محمد بن عبدوس: أخرج من بلد القوم، أمس ترجع عن الصلاة خلف قاضيههم واليوم لا تجيبهم؟! قال: أفأجيب من يريد أن يتفكه، يريد أن يأخذ قولى وقول غيرى ولو كان شيئاً يقصد به الدين لأجبهته ..

(1) سورة البقرة آية 174 .

(2) سورة البقرة آية 41 .

(3) سورة البقرة آية 174 .

(4) سورة البقرة آية 5 .

256- قال جعفر بن الحسن رأيت أبا حنيفة في النوم [بعد وفاته] فقلت: ما فعل الله بك يا أبا حنيفة؟ قال: غفر لي، فقلت له: بالعلم؟ قال: ما أضر الفتيا على أهلها! فقلت: فيها؟ قال: بقول الناس في ما لم يعلم الله مني. قال سحنون: إنا لله ما أشقى المفتي والحاكم. ثم قال: ها أنذا يتعلم مني ما تضرب به الرقاب وتوطأ به الفروج وتؤخذ به الحقوق، أما كنت عن هذا غنيا!

وقال أبو عثمان بن الحداد: القاضي أيسر مأتما وأقرب إلى السلام من الفقيه، لأن الفقيه من شأنه إصدار ما يرد عليه من ساعته بما حضره من القول، والقاضي شأنه الإناءة والتثبت، ومن تأنى وتثبت تهيأ له من الصواب ما لا يتهيأ لصاحب البديهة ..

257- قالوا: المفتي أقرب إلى السلامة من القاضي، لأنه لا يلزم بفتواه، والقاضي يلزم بقوله فخطره أشد ..

258- عن جابر بن زيد قال: لقيني ابن عمر رضي الله عنه فقال: يا جابر إنك من فقهاء البصرة وستستفتي، فلا تفتين إلا بكتاب ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلك ..

259- وقال بعضهم: كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والوديعة والفتيا ..

260- وقيل فضل الحسن البصري رضي الله عنه على التابعين بخمسة أشياء: أولها: لم يأمر أحداً بشيء حتى عمله، والثاني: لم ينه أحداً عن شيء حتى انتهى عنه، والثالث: كل من طلب منه شيئاً مما رزقه الله تعالى لم يبخل به من العلم والمال، والرابع: كان يستغنى بعلمه عن الناس، والخامس: كانت سريره وعلايته سواء ..

261- سأل رجل ابن عمر رضي الله عنه عن شيء فقال: لا أعلم لي به، ثم قال بعد ما ولى الرجل: نعم ما قال ابن عمر: قال لما لا يعلم لا أعلم. وعن سفيان بن عيينة: كنت في حلقة رجل من ولد عبد الله بن عمر رضي الله عنه فسئل عن شيء فقال: لا أدري. فقال له يحيى بن سعيد: العجب منك كل العجب تقول لا أدري وأنت ابن إمام هدى؟

فقال: أولاً أخبرك بأعجب مني عند الله وعند من عقل عن الله؟ من قال بغير علم، أو حدث عن غير ثقة. قال الهيثم بن جميل: شهدت مالك بن أنس، سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري ..

262- قال أسلم: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنه نمشي فليحقنا أعرابي فقال: أنت عبد الله بن عمر؟ قال: نعم قال: سألت عنك فدللت عليك فأخبرني أترث العمة؟ فقال ابن عمر: لا أدري، فقال: أنت لا تدري ولا ندري! قال: نعم اذهب إلى العلماء بالمدينة فسلهم، فلما أدبر، قبل ابن عمر يديه فقال: نعم ما قال أبو عبد الرحمن سئل عما لا يدري فقال لا أدري ..

263- وعن أبي سليمان بن بلال: شهدت القاسم بن محمد، والناس يسألونه، فقال: يا هؤلاء بعض مسائلكم فإننا لا نعلم كل شيء. وكان عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري، حتى يكون أصلاً منه في أيديهم، إذا سئل أحدهم عما لا يعلم قال: لا أدري ..

264- عن محمد بن الحسن أنه سئل متى يحل للرجل أن يفتي؟ قال: إذا كان صوابه أكثر من خطئه. وعن أبي بكر الإسكاف البخلي أنه سئل عن عالم في بلده ليس هناك أعلم منه هل يسعه ألا يفتي؟ قال: إن كان من أهل الاجتهاد، فلا يسعه، قيل: كيف يكون من أهل الاجتهاد؟ قال: أن يعرف وجوه المسائل، ويناظر أقرانه إذا خالفوه، قيل: أدنى الشروط للاجتهاد حفظ المبسوط انتهى .

وفي البحر الرائق عن أبي الليث قال: سئل أبو نصر عن مسألة وردت عليه، ما تقول رحمك الله وقعت عندك كتب أربعة، كتاب إبراهيم بن رستم، وأدب القاضي من الخصاص، وكتاب المجرد، وكتاب النوادر من جهة هشام، هل يجوز لنا أن نفتي منها أولاً؟ وهذه الكتب محمودة عندك، فقال: ما صح عن أصحابنا فذلك علم محبوب مرغوب به مرضى عنه، وأما الفتيا فإنني لا أرى لأحد أن يفتي بشيء لا يفهمه، ولا يحمل أثقال الناس، فإن كانت مسائل قد اشتهرت، وظهرت، وانجلت عن أصحابنا رجوت أن يسع لي الاعتماد عليها ..

265- وقيل: إنه لا يجوز للمفتي أن يفتي بالحكاية عن غيره، بل إنما يفتي باجتهاده، لأنه إنما يسأل عما عنده ولا يسأل عن قول غيره. وإن سئل أن يحكى قول غيره جاز له حكايته، ولو جاز أن يفتي بالحكاية جاز للعامي أن يفتي بما يحده في كتب الفقهاء! ومتى لم يتقدم من المفتي اجتهاد في المسألة وجب عليه الاجتهاد فيها قبل الفتوى، فإن تقدم منه اجتهاد وقول في المسألة وكان ذاكرًا لذلك القول وطريقة الاجتهاد لم يجب عليه تجديد الاجتهاد لأنه كالمجتهد في الحال، وإن لم يذكر طريقة الاجتهاد فهو في حكم من لا اجتهاد له! فالواجب عليه تجديد الاجتهاد ..

266- وعن أبي يوسف وزفر وغيرهما رحمهم الله أنهم قالوا: لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا. قيل لعصام بن يوسف رحمه الله: إنك تكثر الخلاف لأبي حنيفة قال: لأن أبا حنيفة أوتى من الفهم ما لم نؤت، فأدرك بفهمه ما لم ندركه، ولا يسعنا أن نفتي بقوله ما لم نفهم ..

267- قال علي ابن المديني: كان سفيان رضي الله عنه إذا سئل عن شيء يقول: لا أحسن، فنقول: من نسأل؟ فيقول: سل العلماء وسل الله التوفيق ..

268- وقال بعض العلماء: من حرص على الفتوى وسابق إليها وثابر عليها قل توفيقه واضطرب في أمره، وإن كان كارها لذلك غير مختار له ما وجد مندوحة عنه وقدر أن يحيل بالأمر فيه إلى غيره، كانت المعونة له من الله أكثر والصلاح في جوابه وفتاويه أغلب ..

269- عن محمد بن سيرين قال حذيفة رضي الله عنه: إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: رجل يعلم ناسخ القرآن ومنسوخه، وأمير لا يجد بدا، وأحمق متكلف! قال ابن سيرين: فأنا لست بأحد هذين وأرجو أن لا أكون متكلفا ..

270- وقيل: إن أسباب الاختلاف بين أهل الحديث وأصحاب الرأي، أنه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب وإبراهيم والزهري، وفي عصر مالك وسفيان وبعد ذلك، قوم يكرهون الخوض بالرأي ويهابون الفتيا والاستنباط إلا لضرورة لا يجدون منها بدا، وكان أكبر همهم رواية حديث رسول الله ﷺ. سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن شيء فقال: إنني لأكره أن أحل لك شيئا حرمه الله عليك، أو أحرم ما أحله الله لك. وقال معاذ بن جبل: يا أيها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله، فإنه لا ينفك المسلمون أن يكون فيهم من إذا سئل سدد. وروى عن عمر وابن مسعود كراهة التكلم فيما لم ينزل. وقال أبو النضر: لما قدم أبو سلمة البصرة أتته أنا والحسن، فقال للحسن: أنت الحسن، ما كان أحد بالبصرة أحب إلى لقائه منك، وذلك أنه بلغني أنك تفتي برأيك، فلا تفت برأيك إلا أن يكون سنة عن رسول الله ﷺ أو كتاب منزل. وقال ابن المنكدر: إن العالم يدخل فيما بين الله وبين عباده، فليطلب لنفسه المخرج. وسئل الشعبي كيف كنتم تصنعون إذا سئلتهم؟ قال: على الخير وقعت، كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه أفتهم فلا يزال حتى يرجع إلى الأول! وقال الشعبي: ما حدثوك هؤلاء عن رسول الله ﷺ فخذ به، وما قالوه برأيهم فألقه في الحش [أي فارم به]. أخرج هذه الآثار عن آخرها الدارمي ..

271- قال بعضهم: إنما العالم الذى إذا سئل عن المسألة كأنما تقلع ضرسه. وقال رقبة بن مصقلة: ليس العالم الذى يجمع الناس فيقص عليهم، إنما العالم الذى إذا سئل عن العلم كأنما يسعط الخردل. وعن أبى حفص النيسابورى الكبير أنه قال: إنما العالم الذى يُسأل عن مسألة فى الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع، يخاف أن يُسأل فى الآخرة عما سئل عنه فى الدنيا، ويفزع أن لا يتخلص من السؤال إلا أن يرى أنه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء.

ومن ههنا كان ابن عمر رضى الله عنهما يسكت عن تسع مسائل ويحيب عن واحدة ويقول: تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون عليه فى جهنم، تقولون أفتانا ابن عمر بهذا. وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يبكى ويقول: لم تجد من تسأله غيرى حتى احتجتم إليّ؟ قال: وجهدنا بإبراهيم النخعى أن نسنده إلى سارية فأبى، وكان إذا سئل عن شيء بكى وقال: قد احتاج الناس إليّ. وكان سفيان بن عيينة رضي الله عنه قد تفرد فى زمانه بعلوم انفرد بها فى وقته وكان مع ذلك يضرب المثل لنفسه ويقول:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسود

272- كان أبو حنيفة رحمه الله يرى الحجر على ثلاثة: مفتى ماجن - وطبيب جاهل - ومكارى مفلس - دفعا لضررهم عن الناس. وأما المفتى الماجن، فهو الذى يعلم الناس الحيل الباطلة بأن يعلم المرأة أن ترتد فتبين من زوجها ثم تسلم! ويعلم الرجل أن يرتد فتسقط عنه الزكاة، ثم يسلم ولا يبالي بأن يحل حراماً أو يحرم حلالاً، فضرره متعدد إلى العامة. والطبيب الجاهل، وهو الذى لا يعلم دواء الأمراض وتشخيصها فيسقى دواء مهلكاً. والمكارى المفلس، هو الذى [يؤجر] الدابة ويأخذ الكراء، فإذا جاء أوان السفر فلا دابة له. وفى الذخيرة وهو الذى يأخذ كراء الإبل وليس له إبل ولا ظهر يحمل عليه ولا مال يشتريه، وعند أوان الخروج يخفى نفسه، فيؤدى إلى إتلاف مال الناس..

273- وقيل: المفتى الماجن هو الذى يعلم الناس الحيل، وقيل: الذى يفتى عن جهل..

274- وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: لم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال، لكنى أدركتهم يقولون مستحب ومكروه. ومعناه أنهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب، فأما الحرام فكان فحشه ظاهراً. وكان هشام بن عروة يقول: لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم، فإنهم قد أعدوا [لكل شيء] جواباً، ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها! قال الغزالي:

لم يزل السلف من العلماء، مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وإبراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط، يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم، إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين، منها أن لا يكون مسارعاً إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو إجماع أو قياس جلي أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدري، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية، هذا هو الحزم، لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري. وقد قال الشعبي: لا أدري نصف العلم. وقال أبو حفص النيسابوري: العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة، من أين أجبت؟ وكان أبو العالية الرياحي وإبراهيم بن أدهم والثوري، يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا! وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر مما يقول أدري، منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث.

275- وعن الربيع بن خيثم قال: أيها المفتونون انظروا كيف تفتنون، لا يقول أحدكم: إن الله عز وجل أحل كذا أو أمر به، فيقول الله تعالى: كذبت، لم أحله ولم أمر به. ولا يقول أحدكم: إن الله حرم كذا وكذا ونهى عنه، فيقول الله تعالى: كذبت، لم أحرمه ولم أنه عنه ..

276- قال المحاسبى رحمه الله تعالى: يُسأل المفتى يوم القيامة عن ثلاث: هل أفتى عن علم، وهل نصح في الفتيا، وهل أخلص فيها لله تعالى؟

* * *

الفصل الثامن

التحذير من إتيان السلاطين والأمراء

والحكام وأبناء الدنيا

مقدمة:

كان علماء السلف الصالح بكل حذر يتعاملون مع السلاطين والأمراء والحكام، فالدخول على هؤلاء ليس بالأمر الهين السهل، فالأمر يحتاج لرجال يعرفون كيف يتعاملون معهم خوفاً من الله، وخوفاً من الفتنة ومن الانزلاق إلى دائرة النفاق إلا من رحم ربي .

كان في السابق العالم الذى يدخل على الحكام، يذكرهم بما فيهم من الخير، وينصح لهم في أمور الدنيا والدين، يذكرهم بواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الله والرعية وحقوقها التى جعلها في أعناقهم، يخوفهم من الله وغضبه وما أعده للظالمين وللراحمين من عباده، فيكون بذلك عوناً لهم في أداء أمانة الرعاية وحسن النصيحة .

ذلك أن الأصل في الإسلام، هو اجتماع الحكم والعلم بالسلطان والقرآن، وما حصلت الجفوة بين السلطان والعلماء، إلا عندما بدأت الأمة تنجرف عن مسارها الصحيح، فأصبح تفكير السلطان في وادٍ والعلماء في وادٍ آخر، أصبحتا كقضبان القطار لا يلتقيان، فقد اختلفت الرؤى وتباينت الأهداف فاختلفت الموازين وتبدلت المعالم .

فأصبح من يتردد على السلطان محل تهمة ومثار شبهة، ليس لفساد البعض من العلماء حينها، وإنما لابتعاد السلطان عن المنهج القويم، وإضاعته لأوامر وأحكام الشارع الحكيم، فنفر العلماء الصالحون من الحكام وابتعدوا عنهم واعتقدوا بذلك أنهم يحسنون صنعاً. فكانت فرصة سانحة وغنيمة سائغة لعلماء الدنيا وأصحاب الأهواء في التقرب للسلاطين والأمراء والحكام وأولى الأمر، وتحقيق مآربهم من خلال هذا التقرب والاحتكاك، فأتسع الخرق على الرقع مع مرور الزمان، وأصبح العلماء الصالحون يطعنون في عدالة المترددين على الحكام، وكلما مرَّ زمان وعصر كان الذى جاء بعده أشر منه .

ففى الزمن الماضى لم يكن الانحراف فى الحكام قد وصل ذروته، كما لم يكن السوء فى العلماء قد بلغ نهايته، فكان الحكام يطبقون الشريعة، ويعلمون راية الإسلام، ويذودون عن حياض

السدين ويحفظون للأمة كرامتها ولو ظاهرياً، ومع ذلك كان التشنيع على علماء السوء وفقهاء السلاطين، يزداد حتى ألفت ضدهم الكتب من أئمة لهم وزنهم وقيمتهم في الإسلام .

فكيف بنا اليوم، وقد أصبح صوت العالم ضعيفاً لا يسمع، وبات غريباً عند الأمراء، بل وشاذاً ومكروهاً في كثير من الأحيان، فظهر بذلك الفساد في البر والبحر، وخفت صوت العالم الرباني الصادق وانطفأت مشاعل الهداية، فأقصى أهل الدين والصلاح، وقرب علماء الدنيا ضعاف النفوس أهل المطامع والأهواء، الذين لا يبالون بما يفتون ولا يتورعون فيما يدعون، فيقولون على الله ورسوله ما لا يعلمون، يقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون !

فأصبح الحاكم اليوم تُصنع له الفتوى وتُستخرج شرعيتها، من خلال عالم لا يخاف عالم السر والنجوى، فظهرت الفتاوى والأحكام الغريبة المريبة، وأصبحت الأمة أمام دعاة على أبواب جهنم، وأبواق تشرّع الفساد وتؤصّل المنكرات وتحلّ لهم ما حرم الله .

ومع هذا كله، لم تيأس الأمة من بارقة أمل وخير ورحمة من الله تعالى، في علماء عزّ نظيرهم وقلّ مثلهم ومثيلهم، ممن لا يزالون يؤدون رسالة العالم الحق بصفاء جوهرها، لا يضرهم من خذلهم، ولا يخيفهم من قلاهم وهجرهم، فهم وإن أقصاهم السلاطين فقد قربهم رب السلاطين..

277- من أقوال السلف في فتنة الدخول على السلطان: قال وهب بن منبه رحمته الله: إن جمع المال وغشيان السلطان، لا يبقيان من حسنات المرء، إلا كما يبقى ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظيرة غنم فباتا يجوسان حتى أصبحا!! وهذا المعنى يشهد له قول الرسول ﷺ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: ما ذئبان جائعان أرسلا في حظيرة غنم بأفسد لها من حب المال والشرف لدين المرء. أو نحو هذا من قوله ﷺ (1) ..

278- جاء عن أبي الشعثاء أنه قال: قلت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، إنا ندخل على أمرائنا فنقول قولاً، فإذا خرجنا من عندهم قلنا غيره. قال: كنا نعد ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. قال تبارك وتعالى: { وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } (2) ..

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 456 رقم 15822 .

(2) سورة هود آية 113 .

279- وحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال: سهرت ليلتى أفكر فى كلمة أَرْضَى بها سلطانى ولا أسخط بها ربى فما وجدتُها!! وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه! قيل: وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله عز وجل..

280- وحدثنا عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان ذا لسانين فى الدنيا جعل له لسانان من نار يوم القيامة⁽¹⁾..

281- قال أبو عثمان سعيد الخنات: سمعت ذا النون يقول: ثلاثة من أعلام الخير فى العالم التقى: قمع الطمع عن القلب فى الخلق، وتقريب الفقير والرفق، والتباعد من السلطان..

282- وقال ابن الجوزى فى كتاب السر المصون: أما السلاطين فإياك وإياك ومعاشرتهم، فإنها تفسدك وتفسدهم وتفسد من يقتدى بك وسلامتك من مخالطتهم أبعد من العيوق⁽²⁾. وأقل الأحوال فى ذلك أن تميل نفسك إلى حب الدنيا..

283- وقال ميمون بن مهران رضي الله عنه: صحبة السلطان خطر، إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، والسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك. وقال القرطبى رحمته الله: قال سفيان الثورى رحمته الله: من أخذ من ظالم درعا أو مالا أو سلاحا، فغزا به فى سبيل الله، لعن بكل قدم يرفعها ويضعها حتى يرجع! وإياك ومحبة فاجر أو ظالم أو فاسق أو مبتدع، أو تميل إلى أحد منهم، أو تبش فى وجهه! وإياك والركون إلى الظلمة، فقد قال الله تعالى: { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ }⁽³⁾. إياك وحب من لا يستحق المحبة من المخطئين، أو تقبل منهم إحسانا فإنه جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها..

284- وقال سمنون العابد الشهير رحمته الله: ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك، وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا مع أنى لا آخذ منه شيئا ولا أشرب له شربة ماء!

(1) ذم الغيبة والنميمة ج 1 ص 122 رقم 140.

(2) العيوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا فى ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا.

(3) سورة هود آية 113.

ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بنى إسرائيل، يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه، ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن [البصرى ؓ]: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله ﷺ قيل: عنى به سعد بن أبى وقاص، وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم. وقد قال له بنوه: يأتى هؤلاء من ليس هو مثلك فى الصحبة والقدم فى الإسلام فلو أتيتهم؟ فقال: يا بنى أتى جيفة قد أحاط بها قوم؟! والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها . قالوا: يا أبانا إذن نهلك هزلاً، قال: يا بنى، لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحب إلى من أن أموت منافقاً سميناً !!

قال الحسن: خصمهم والله، إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الإيمان . وفى هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق ألبة وهو مضاد للإيمان. وهذه فتنة عظيمة للعلماء، وذريعة صعبة للشيطان عليهم . لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلتقى إليه، أن فى وعظك لهم ودخولك عليهم ما يجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع، إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف فى الكلام ويدهن ويخوض فى الشاء والإطراء وفيه هلاك الدين ..

285- روى أن موسى بن مساور الضبى ؓ، وكان جيداً فاضلاً، ترك ما ورثه عن أبيه لإخوته تورعاً، ولم يتناول منه شيئاً، لأن أباه كان يتولى [عمالاً] للسلطان !!
286- وقيل للأعمش ؓ: لقد أحيت العلم لكثرة من يأخذه عنك، فقال: لا تعجلوا، ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث لا يفلح منه إلا القليل، والثلث الباقي يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق، ولذلك قال سعيد بن المسيب ؓ: إذا رأيت العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص. وقال الأوزاعى ؓ: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً.
وكتب عمر بن عبد العزيز ؓ إلى الحسن [البصرى ؓ]: أما بعد، فأشعر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى، فكتب إليه أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلن تريداهم، ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يندسوه بالخيانة .

هذا فى عمر بن عبد العزيز ؓ وكان أزهد أهل زمانه! [ومن سعى بالرجل الصالح، ومن نادى به البعض وأنا منهم بالخليفة الثالث، لاستقرار أمور الدولة الإسلامية فى عهده ولعدله

والإجماع عليه]، فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه، فكيف يستنسب طلب غيرهم ومخالطته؟

287- روى أن الرشيد جمع الفقهاء، ثم خرج عليهم فقاموا له إلا محمد بن الحسن عليه السلام! فلما دخل استدعاه، فشمت به بعض أعدائه، فلما رآه الرشيد قال: لم لم تقم لي كما قام أصحابك؟ فقال: إنك يا أمير المؤمنين أنزلتني منزلة العالم، وما كنت لأنزل نفسي منزلة الخادم. فقال له: أحسنت، وسأله عن مسألة في السيرة، فأجاب عنها، فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: فرقها في أصحابك. فخرج والمال بين يديه فأنحر من كان شمت به وحسده ..

288- قال عبد الرحمن بن يزيد: قلنا لعلمة عليه السلام: لو دخلت على الأمراء؟ قال: أخاف أن ينتقصوا مني أكثر مما أنتقص منهم ..

289- وقال أبو الفرج ابن الجوزي: من صفات علماء الآخرة، أن يكونوا منقبضين عن السلاطين، محترزين عن مخالطتهم ..

290- وقال بعض السلف: دخولك إلى الملوك يدعوك إلى ثلاث: إثارك رضاهم، وتعظيمك دنياهم، وتركيتك عملهم، فإن فعلت هؤلاء فقد هلكت من الإحياء. والحاصل أن الداخل على الأمراء معرض لأن يعصى الله تعالى، إما بفعله أو سكوته أو بقوله أو باعتقاده. وقد وقع لبعض المشايخ أنه دخل على سلطان، ثم خرج عنه وجاء خلوته ودخل الخلاء، وفي يده شمع فارتفع عنه شرارة نار فأحرقت لحيته ووجهه، فخرج من الخلاء مسرعاً وهو ينادي { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } ⁽¹⁾ ..

291- وذكر ابن الجوزي عليه السلام: أنه لا يجوز الدخول على الأمراء والعمال والظلمة، واستدل بالخبر والأثر والمعنى قائلًا إلا بعذرين: أحدهما: إلزام من جهتهم يخاف الخلاف فيه والأذى. والثاني: أن يدخل ليرفع ظلماً عن مسلم. فيجوز بشرط، أن لا يكذب، ولا يثنى، ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولاً، انتهى كلامه .

وينبغي أن يجوز ذلك في موضع يكون فيه كف ظلم عظيم، لأنه يجوز سلوك أدنى المفسدتين والتزامها بكف أعلاهما ورفعها !!

* * *

(1) سورة هود آية 113 .

الفصل التاسع

النهي عن العمل مع السلاطين وذم مخالطهم

292- قال الغزالي: فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وما يحرم، وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم. اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال: الحالة الأولى: وهي شرها أن تدخل عليهم .
والثانية: وهي دونها أن يدخلوا عليك .
والثالثة: وهي الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك .

أما الحالة الأولى وهي الدخول عليهم: فهو مذموم جدا في الشرع، وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار، فنقلها لتعرف ذم الشرع له، ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم. أما الأخبار، فإنه لما وصف رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة قال: فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم، ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم . الحديث أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال: ومن خالطهم هلك . وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة⁽¹⁾. [بين رسول الله ﷺ لنا مداخلة الظلمة وما هو القول الفصل والحكم العدل فقال: في حديث صحيح من غشى إيوانهم فصدقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني، ولا أنا منه، ولا هو وارد على الحوض يوم القيامة، ومن غشيه أو لم يغشه فلم يصدقهم في كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فهو مني، وهو وارد على الحوض يوم القيامة⁽²⁾. وقد ثبت في الصحيح في ذكر أئمة الجور، ومداخلتهم، فقال ﷺ: ولكن من رضى وتابع، فتقرر لك بهذا، أن المداخل لهم إذا لم يصدقهم في كذبهم، ولا أعانهم على ظلمهم، ولا رضى، ولا تابع فهو من رسول الله ﷺ، ورسول الله منه، فكانت هذه مرتبة عالية، وفضيلة جلييلة، فكيف إذا جمع بين عدم وقوع ذلك منه، والسعى في التخفيف، أو في الموعظة الحسنة⁽³⁾ .

(1) جامع الأحاديث ج 5 ص 14 رقم 13068 .

(2) أخرجه الترمذى برقم 614 .

(3) سنن الترمذى ج 2 ص 513 .

وروى أبو هريرة قال ﷺ: أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء⁽¹⁾.
وفي الخبر: خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء .
وفي الخبر أيضا: العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا فعلوا ذلك،
فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم . الحديث أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص
الأبري وقال: حديثه غير محفوظ تقدم في العلم رواه أنس ﷺ .
وقال سفيان ﷺ: في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك .
وقال عباد بن الصامت ﷺ: حب القارئ الأمراء نفاق ورياء .
وقال أبو ذر ﷺ: من كثر سواد قوم فهو منهم، أى من كثر سواد الظلمة .
واستعمل عمر بن عبد العزيز ﷺ رجلا فقيل له: كان عاملا للحجاج فعزله، فقال الرجل:
إنما عملت له شيئا يسيراً! فقال له عمر: حسبك صحبتته يوما أو بعض يوم شؤما وشرًا . وكان
سعيد بن المسيب ﷺ يتجر في الزيت ويقول: إن في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين . وقال وهيب
ﷺ: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين . وقال محمد بن سلمة ﷺ:
الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء !
ولما خالط الزهري السلطان: كتب إليه أخ له في الدين، عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن،
فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك
نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه ﷺ، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء!
قال الله تعالى: { لَتَبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ }⁽²⁾ . فاعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما
احتملت، أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل البغى بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلا
حين أدناك، اتخذوك قطبا تدور عليك رحي ظلمهم وجسرا يعبرون عليك إلى بلادهم، وسلما
يصعدون فيه إلى ضلالهم، ويدخلون بك الشك على العلماء، ويصطادون بك قلوب الجهلاء . فما
أيسر ما عمروا في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك!
فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: { فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ }⁽³⁾ .
وإنك تعامل من لا يجهل، ويحفظ عليك من لا يغفل، فداؤ دينك فقد دخله سقم .

(1) سنن ابن ماجه ج 1 ص 94 .

(2) سورة آل عمران آية 187 .

(3) سورة مريم آية 59 .

وهي زادك فقد حضر سفر بعيد { رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ }⁽¹⁾. والسلام فهذه الأخبار والآثار تدل على ما فى مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد .

وقال الغزالي: من تواضع لغنى ليس بظالم لأجل غناه لا لمعنى آخر اقتضى التواضع، نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم؟ فلا يباح إلا مجرد السلام، فأما تقبيل اليد والانحناء فى الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف أو [عند] الإمام العادل أو لعالم أو لمن يستحق ذلك بأمر دينى. وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام والإعراض عنهم استحقاقا لهم، وعدّ ذلك من محاسن القربات! فأما السكوت عن ردّ الجواب ففيه نظر، لأن ذلك واجب فلا ينبغى أن يسقط بالظلم. فإن ترك الداخل [عليهم] جميع ذلك واقتصر على السلام، فلا يخلو من الجلوس على بساطهم، وإذا كان أغلب أمواهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فأما السكوت، فهو أنه سىرى فى مجلسهم الفرش الحرير وأوانى الفضة والحرير على غلمانهم، ما هو حرام وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة. بل سيسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وإيذاء، والسكوت على جميع ذلك حرام. بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام، وجميع ما فى أيديهم حرام، والسكوت على ذلك غير جائز، فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله فإن قلت إنه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت فهذا حق، ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر. وعند هذا أقول: من علم فسادا فى موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته، فلا يجوز له أن يحضر ليجرى ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت، بل ينبغى أن يحترز عن مشاهدته. وأما القول فهو أن يدعو للظالم أو يثنى عليه أو يصدقه فيما يقول، من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار فى وجهه، أو يظهر له الحب والموالة والاشتياق إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه، فإنه فى الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الأقسام. أما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول: أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو أطال الله عمرك فى طاعته، أو ما يجرى هذا المجرى. فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما فى

(1) سورة إبراهيم آية 38.

معناه فغير جائز. قال ﷺ: [من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصى الله] ⁽¹⁾. فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فسيذكر ما ليس فيه، فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما لظالم، وهذه ثلاث معاص. وقد قال ﷺ: إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ⁽²⁾. وفي خبر آخر قال ﷺ: من أكرم فاسقا فقد أعان على هدم الإسلام ⁽³⁾. فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول والتزكية والثناء على ما يعمل، كان عاصيا بالتصديق والإعانة، فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه، كما أن التكذيب والذمة والتقيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه. والإعانة على المعصية معصية ولو بشرط كلمة.

ولقد سئل سفيان الثوري عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا. دعه حتى يموت فإن ذلك إعانة له!! وقال غيره: يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يعرض عنه فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقاءه، فإن كان كاذبا عصي معصية الكذب والنفاق، وإن كان صادقا عصي بحبه بقاء الظالم وحقه أن ييغضه في الله ويمقتته، فالبغض في الله واجب ومحبة المعصية والراضى بها عاص. ومن أحب ظلما فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبتته، وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث إنه لم ييغضه. وكان الواجب عليه أن ييغضه وإن اجتمع في شخص خير وشر، وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويغض لأجل ذلك الشر. فإن سلم من ذلك كله وهيهات. فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه، فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه، ويكون مقتحما نهي رسول الله ﷺ حيث قال: يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق ⁽⁴⁾. وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول، ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به، وكل ذلك إما مكروهات

(1) ذكره البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا في الصمت من قول الحسن البصري وأخرجه أبو نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قوله وذكره الزمخشري في تفسير هو والعزالي أيضا في موضعين آخرين من الأحياء لكنه الورع لابن حنبل ج 1 ص 97.

(2) المغنى عن حمل الأسفار ج 1 ص 432 رقم 1647 ابن أبي الدنيا في الصمت ج 2 ص 88 وابن عدى في الكامل وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف.

(3) المغنى عن حمل الأسفار ج 1 ص 432 رقم 1648 غريب بهذا اللفظ والمعروف (من وقر صاحب بدعة) الحديث رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر بأسانيد ضعيفة قال ابن الجوزي كلها موضوعة ج 2 ص 88.

(4) أخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير أقلوا الدخول على الأغنياء، فإنه أجدر أن لا تردوا نعم الله عز وجل صحيح الإسناد.

أو محظورات. دعى سعيد بن المسيب رضي الله عنه إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال: لا أباع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ: نهى عن بيعتين⁽¹⁾. فقيل له: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر، فقال: لا والله لا يقتدى بي أحد من الناس، فجلد مائة وألبس المسوح!!

الحالة الثالثة: أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه، فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم، وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن. وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم: إنما بينى وبين الملوك يوم واحد، فأما أمس فلا يجدون لذته، وإنى وإياهم فى غد لعلى وجل، وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون فى اليوم؟ وما قاله أبو الدرداء إذ قال: أهل الأموال يأكلون وتأنى، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها، وعليهم حسابها، ونحن منها براء. فإن قلت: قد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين، فأقول: نعم، تعلم الدخول منهم ثم ادخل. كما حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا إلى مكة، فلما دخلها قال: اتئوني برجل من الصحابة؟ فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفتانوا فقال: من التابعين فأتى بطاووس اليماني رضي الله عنه، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بإمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يكنه وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضبا شديدا حتى هم بقتله!! فقيل له: أنت فى حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك، فقال: يا طاووس، ما الذى حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذى صنعت؟ فازداد غضبا وغيظا وقال: خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بإزائى بغير إذننى، وقلت كيف أنت يا هشام؟

قال: أما خلع نعلي بحاشية بساطك، فإنى أخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على. وأما قولك لم تقبل يدى، فإنى سمعت بقول لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو والده من رحمة. وأما قولك لم تسلم على بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب. وأما قولك لم تكننى، فإن الله تعالى سمى أنبياءه

(1) حديث أخرجه أبو نعيم فى الحلية بإسناد صحيح من رواية يحيى بن سعيد.

وأولياؤه فقال: يا يحيى يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ }⁽¹⁾. وأما قولك جلست بإزائي، فإني سمعت على يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له هشام: عظني؟ فقال: سمعت على يقول: إن في جهنم حيّات كالقلال، وعقارب كالبعال، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته، ثم قام وهرب.

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال لى: ارفع إلينا حاجتك فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً. فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك؟ فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً، فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم. فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك؟ فقلت: حج عمر بن الخطاب رحمه الله فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً! وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها وخرج! فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا، وكانوا يغرون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم.

ولما استعمل عثمان بن عفان رحمه الله عبد الله بن عامر، أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبطأ عنه أبو ذر رضي الله عنه وكان له صديقاً، فعاتبه، فقال أبو ذر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الرجل إذا ولي ولايته تباعد الله عنه⁽²⁾.

ودخل مالك بن دينار رحمه الله على أمير البصرة فقال أيها الأمير: قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول: ما أحمق من سلطان، وما أجهل ممن عصاني، ومن أعز ممن اعتز بى. أيها الراعى السوء، دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً، فأكلت اللحم، ولبست الصوف، وتركها عظماً تتقعقع.

فقال له والى البصرة: أتدرى ما الذى يجرك علينا ويجنبنا عنك؟ قال: لا. قال: قلة طمعك فينا وترك الإمساك لما فى أيدينا.

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله واقفاً مع سليمان بن عبد الملك، فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل، فقال له عمر: هذا صوت رحمته، فكيف إذا سمعت صوت عذابه؟!

(1) سورة المسد آية 1.

(2) حديث أبي ذر لم أقف له على أصل.

ثم نظر سليمان إلى الناس فقال: ما أكثر الناس؟ فقال عمر رضي الله عنه: خصماؤك يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: ابتلاك الله بهم .

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لأبى حازم: عظمى. فقال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك الساعة قريبة ..

293- وحكى أن أبا بكرة دخل [ناصحاً أمير المؤمنين] معاوية رضي الله عنه فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علماً لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين أعنى علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم، وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم، وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى .

أحدهما: أن يظهر أن قصده في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك، وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم! وعلامة الصدق في طلب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى على كفايته، كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره، فإنه يعظم به فرحه، فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لكلامه على كلام غيره فهو مغرور .

ثانيهما: أن يزعم أنه أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة، وهذا أيضاً مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره، وإذا ظهر طريق الدخول عليهم، فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل.

مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فإن كان له مال معين فلا يحل أخذه، وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصديق به على المساكين، كما سبق فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعصى بأخذه، ولكن من العلماء من امتنع عنه، فعند هذا ينظر في الأولى فنقول:

الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل:

الغائلة الأولى: أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما كنت تمد يدك إليه ولا تدخله في ضمانك، فإن كان كذلك فلا تأخذه فإن ذلك محذور ولا يفى الخير فى مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراءة على كسب الحرام الغائلة .

الغائلة الثانية: أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون، فهذا أعظم من الأول. فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعى على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة، فالمقتدى والمتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غايه الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير .

وقد حكى وهب بن منبه رحمه الله: أن رجلا [عاملا] أتى به إلى ملك بمشهد من الناس ليكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل، فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل! فقيل له في ذلك فقال: إن الناس قد اعتقدوا أنى طولبت بأكل لحم الخنزير، فإذا خرجت سالما وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون. ودخل وهب بن منبه وطاووس على محمد بن يوسف أخى الحاجج وكان عاملا، فى غداة باردة فى مجلس بارز، فقال لغلامه: هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبى عبد الرحمن أى طاووس، وكان قد قعد على كرسى، فألقى عليه، فلم يزل يحرك كتفيه، حتى ألقى الطيلسان عنه [ولم يلمسه لمسة واحدة بيده]!! فغضب محمد بن يوسف. فقال وهب: كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به، قال: نعم، لولا أن يقول من بعدى، إنه أخذه طاووس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لفعلت !

الغائلة الثالثة: أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك، فإن كان كذلك فلا تقبل ذلك هو السم القاتل والداء الدفين، أعنى ما يجبب الظلمة إليك فإن من أحببته لا بد أن تحرص عليه وتداهن فيه .

قالت عائشة [أم المؤمنين] رضى الله عنها وأرضاها: جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، وقال عليه السلام: اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبي ⁽¹⁾. بين عليه السلام أن القلب لا يكاد يمتنع

(1) الحديث أخرجه ابن مردويه فى التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المدينى فى كتاب تضييع العمر والأيام مرسلا وأسانيده كلها ضعيفة.

من ذلك. وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم، فأخرجها كلها، فأتاه محمد بن واسع فقال: ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق؟ قال: سل أصحابي، فقالوا: أخرجها كله، فقال: أنشدك الله أقلبك أشد حبا له الآن أم قبل أن يرسل إليك؟ [قال مالك] لا بل الآن! قال: إنما كنت أخاف [عليك] هذا! وقد صدق، فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبته وموته، وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله، وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم. قال سليمان وابن مسعود رضي الله عنهما: من رضى بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده! قال تعالى { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا }⁽¹⁾. قيل: لا ترضوا بأعمالهم، فإن كنت في القوة بحيث لا تزداد حبا لهم بذلك فلا بأس بالأخذ. وقد حكى عن بعض عباد البصرة: أنه كان يأخذ أموالا ويفرقها فقيل له: ألا تخاف أن تجهم؟ فقال: لو أخذ رجل بيدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي، لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله، وبهذا تبين أخذ المال الآن منهم، وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال، محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل ..

294- قال خلف البرازاني: قال سفيان الثوري رحمه الله: القبول مما في أيديهم من استحلال

المحارم والتبسم في وجوههم علامة الرضا بفعالهم، وإدمان النظر إليهم يميم القلب ..

295- حدثنا محمد بن منصور قال: خرج مكحول وعطاء إلى هشام، فلما دخلا الرصافة

أنابا رواحلهما ودخلا المسجد يركعان، فإذا بخصيف رحمه الله يحدث فلما رآهما قال: كان العلماء إذا علموا عملوا وإذا عملوا عرفوا فإذا عرفوا هربوا. فقال أحدهما لصاحبه: ما عنى إلا إيانا، فركبا رواحلهما ورجعا ولم يدخلا على هشام!! فبلغ ذلك هشاما فبعث بالجائزة في طلبهما ..

296- يقول الغزالي: مسألة: معاملة قضاتهم وعماهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد.

أما القضاة، فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم، ويغرون الخلق بزيهم، فإنهم على زى العلماء ويختلطون بهم، ويأخذون من أموالهم، والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوى الجاه والحشمة .

قال طاووس رحمه الله : لا أشهد عندهم، وإن تحققت، لأنى أخاف تعديهم على من شهدت

عليه. وبالجمل، إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، فلولا القضاة السوء والعلماء السوء، لقل فساد الملوك خوفاً من إنكارهم. ولذلك قال رحمه الله: لا تزال هذه الأمة

(1) سورة هود آية 113 .

تحت يدي الله وكنفه ما لم يمالئ قراؤها أمراءها⁽¹⁾. وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء، وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنة .

وقال سفيان رحمه الله: لا تخالط السلطان ولا من يخالطه. وقال: صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض. وقد صدق فإن رسول الله ﷺ: لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر. وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال: حتى أعلم ما تكتب بها، فكل من حو اليهم من خدمهم وأتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعاً .

وروى عن عثمان بن زائدة رحمه الله: أن رجلاً من الجند سأله وقال: أين الطريق؟ فسكت وأظهر الصمم، وخاف أن يكون متوجهاً إلى ظلم، فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معيناً!!

وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف، مع الفساق من التجار والحاكمة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف، مع غلبة الكذب والفسق عليهم، [ولا] مع الكفار من أهل الذمة، وإنما هذا في الظلمة خاصة، الآكلين لأموال اليتامى والمساكين، والمواظين على إيذاء المسلمين، الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها. وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية، والفسق لازم لا يتعدى، وكذا الكفر وهو جنائية على حق الله تعالى وحسابه على الله، وأما معصية الولاية بالظلم وهو متعد، فإنما يغلظ أمرهم لذلك، وبقدر عموم الظلم وعموم التعدى يزدادون عند الله مقتاً، فيجب أن يزداد منهم اجتناباً ومن معاملتهم احترازاً. فقد قال رحمه الله: يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار⁽²⁾.

وقال: رحمه الله من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر⁽³⁾. [وهم من يضربون الناس ويفرقونهم كما يحدث في التجمعات والمظاهرات وغيرها].

يقول الغزالي: وإنما نزل قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ }⁽⁴⁾. في قوم من المسلمين كانوا يكثرلون جماعة المشركين بالمخالطة .

(1) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 282.

(2) المغنى عن حمل الأسفار ج 1 ص 457 رقم 1746.

(3) صحيح مسلم ج 3 ص 1680 رقم 2128.

(4) سورة النساء آية 97.

وقد روى أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون: إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم، فقال: ما بال الأخيار؟ قال: إنهم لا يغضبون لغضبى، فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم. وبهذا يتبين أن بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب. [وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ لعن الله علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم⁽¹⁾. قال رسول الله: لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهاهم علماءؤهم فلم ينتهوا، فجالسوه في مجالسهم، وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم⁽²⁾..]

297- حدثنا الفضل بن الربيع عن أبيه قال: دخل عمرو بن عبيد الله على المنصور، وعليه طيلسان مخرق، فأخذ المنصور طيلسانا كان عليه طبريا، فألقاه فوق ظهره، وقال له: عظمي؟ فوعظه حتى بكى، ثم قال له: سلني حوائجك؟ قال: أولها أن تأمر برفع الطيلسان عني، وأن لا تعطيني شيئا حتى أسألك، ولا تبعث إليّ حتى أجيئك، فإنه إن جمعني وإياك ببلد صرت إليك فيه، ثم مضى !!

298- خرج الحسن [البصري] من عند [الأمير] ابن هبيرة، فإذا هو ببعض القراء على الباب فقال: ما يجلسكم هاهنا تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء؟ أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرّق الله بين أرواحكم وأجسادكم، أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وشمزتم ثيابكم، وجززتم شعوركهم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم فزهّدوا فيكم، فضحتم القراء فضحككم الله، أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، أما إنكم لو جلستم في بيوتكم لكان خيرا لكم حتى يكونوا هم الذين يرسلون إليكم، ولكن أعظم لكم في أعينهم، لكنكم رغبتم فيما عندهم فزهّدوا فيما عندكم! أبعد الله من أبعد. تفرقوا فرق الله بين أعصابكم وأضلاعكم ..

299- أخبرنا صالح بن خليفة الكوفي سمعت سفيان الثوري رحمه الله يقول: إن فجار القراء اتخذوا سلما إلى الدنيا فقالوا: ندخل على الأمراء نفرج عن مكروب ونكلم في محبوس. وعن عمار بن سيف، أنه سمع سفيان الثوري رحمه الله يقول: النظر إلى السلطان خطيئة.

(1) أبو داود والترمذي وابن ماجه ج 2 ص 150.

(2) لفظ الترمذي وقال حسن غريب، المغنى عن حمل الأسفار ج 1 ص 458 رقم 1748.

وعن الفضيل بن عياض قال: لو أن أهل العلم أكرموا على أنفسهم وشحوا على دينهم، وأعزوا العلم وصانوه وأنزلوه حيث أنزله الله، لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس، واشتغلوا بما يعينهم، وعز الإسلام وأهله. لكنهم استذلوا أنفسهم ولم يبالوا بما نقص من دينهم، إذا سلمت لهم دنياهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا ما في أيديهم فذلوا وهانوا على الناس.

لما قدم [الأمير] طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان يريد الحج: نزل في دار إسحاق بن إبراهيم، فوجه إسحاق إلى العلماء، فأحضرهم ليراهم طاهر، ويقرأ عليهم، فحضر أصحاب الحديث والفقهاء، وأحضر ابن الأعرابي وأبا نصر صاحب الأصمعي، ووجه إلى أبي عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله في الحضور، فأبى أن يحضر وقال: العلم يقصد ..

300- كان بمكة أمير قد أمر رجلاً أن يقوم له على الصنّاع في عبارة ثغر من الثغور: فوق في نفسه من ذلك شيء، فسأل سفيان رحمه الله عن ذلك؟ فقال: لا تفعلن ولا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير، فقال: يا أبا عبد الله، سور في سبيل الله تعالى للمسلمين! فقال: نعم، ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوافك أجرتك، فتكون قد أحببت من بغض الله عز وجل، وقد جاء في الخبر: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله عز وجل. وفي الحديث: أن الله ليغضب إذا مدح الفاسق، وفي خبر آخر: من أكرم فاسقاً فكأنما أعان على هدم الإسلام⁽¹⁾ ..

* * *

301- انقباض [أكابر] العلماء المتقين من إتيان الأمراء والسلاطين، كان الإمام أحمد رحمه الله: لا يأتي الخلفاء ولا الولاة والأمراء ويمتنع من الكتابة إليهم، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً وهذا على سبيل الورع. والظاهر كراهته إن خيف منه الوقوع في محذور، وعدمها إن أمن ذلك، فإن عرى عن المفسدة واقتربت به مصلحة من تخوفه لهم ووعظه إياهم وقضاء حاجته كان مستحباً، وعلى هذه الأحوال ينزل كلام السلف وأفعالهم رضى الله عنهم .

وهذا كلام ابن البنا رحمه الله ذكره ابن عبد القوي قال: إنما المذكور بالذم من خالطهم فسعى بمسلم أو أقرأ وساعد على منكر، فيجب حمل أحاديث التغليظ فيه على ما ذكرنا جمعاً بين الأدلة. وأما السلطان العادل فالدخول عليه ومساعدته على عدله من أجل القرب، فقد كان عروة بن الزبير وابن شهاب وطبقتهما من خيار العلماء يصحبون عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكان الشعبي

(1) الآداب الشرعية ج 3 ص 457 قوت القلوب ج 2 ص 435.

وقبيصة بن ذؤيب والحسن وأبة الزناد ومالك والأوزاعي والشافعي وغيرهم يدخلون على السلطان، وعلى كل حال فالسلامة الانقطاع عنهم كما اختاره أحمد وكثير من العلماء.

قال ابن الجوزي: فإن دخل عليه السلطان زائراً فجواب السلام لا بد منه، كذا قال: ثم يجب عليه أن ينصحه بأن يخوفه من ركوب المعاصي [إن] ظن أن التخويف يؤثر في قلبه، وعليه أن يرشده إلى المصالح، وإما أن يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه والسلامة في ذلك. ثم ينبغي أن يعتقد بغضهم على ظلمهم، فلا يحب بقاءهم ولا يثنى عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم، ولا يتأسف على ما يفوته بسبب مفارقتهم.

وروى أحمد عن ميمون بن مهران رحمه الله قال: ثلاثة لا تبلون نفسك بهم: لا تدخلن على ذي سلطان وإن قلت: أمره بطاعة الله. ولا تخلون بامرأة وإن قلت: أعلمها كتاب الله. ولا تصغين بسمعك لذى هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه.

قال الشيخ تقي الدين رحمه الله: ولهذا قال النبي ﷺ في الدجال: فمن سمع به فليأمنه، فإن الرجل يأتيه وهو يعلم أنه الدجال، فلا يزال به ما يراه من الشبهات حتى يفتنه في ذلك⁽¹⁾.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً، ما بعث الله من نبي إلا كان له من أمته حواريون وأنصار يستنون بسنته ويهتدون بهديه ثم إنه يخلف من بعده خلوفاً يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون⁽²⁾.

وعن داود الطائفي رحمه الله وقيل له: أرأيت من يدخل على هؤلاء فيأمرهم وينهاهم؟ قال: أخاف عليه السوط. قيل: إنه يقوى، قال: أخاف عليه السيف. قيل: إنه يقوى، قال: أخاف عليه الداء الدفين العُجب. وقال أحمد بن شبيه رحمه الله: قدمت بغداد لأدخل على الخليفة فأمره وأنهاه، فدخلت على أحمد بن حنبل رحمه الله فاستشرته في ذلك، فقال: أخاف عليك أن لا تقوم بذلك، قلت له: فقد عرضت نفسي على الضرب والقتل وقد قبلت ذلك، فقال لي: استشر في هذا بشراً وأخبرني بما يقول لك؟ فأتيت بشراً، فأخبرته بذلك فقال: لا أرى لك، أخاف أن تحونك نفسك، قلت: فإنني أصبر على ذلك قال: لا أرى لك ذلك، قلت: لم؟ قال: إنني أخاف عليك أن يقدم عليك بقتل فتكون سبب دخوله إلى النار. قال: فأتيت أحمد فأخبرته، فقال: ما أحسن ما قال لك!

(1) أخرجه أحمد وأبو داود وإسناده صحيح.

(2) الآداب الشرعية ج 3 ص 462.

وأخبرني أحمد بن أبي هارون أن مثنى الأنباري حدثهم أنه قال لأبي عبد الله: ما تقول في السلطان إن أرسل إلى يسألني عن العمال، أخبره بما فيهم؟ قال: تدارى السلطان، قلت: فالحديث الذي جاء كلمة حق عند إمام جائر؟ فقدم هذا وكان عنده أن هذا أفضل .

وقال المروزي^١: سمعت إسحاق بن إبراهيم ونحن بالعسكر، يناشد أبا عبد الله ويسأله الدخول على الخليفة ليأمره وينهاه وقال له: هذا إسحاق بن راهويه يدخل على ابن طاهر فيأمره وينهاه، فقال له أبو عبد الله: تحتج على إسحاق فأنا غير راض بفعله، ما له في رؤيتي خير ولا لي في رؤيته خير، يجب على إذا رأيته أن أمره وأنهاه، الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة، نحن متباعدون منهم وما أرانا نسلم فكيف لو قربنا منهم؟

قال المروذي: سمعت إسماعيل ابن أخت ابن المبارك يناظر أبا عبد الله ويكلمه في الدخول على الخليفة، فقال له أبو عبد الله: قد قال خالك يعني ابن المبارك: لا تأتهم، فإن أتيتهم فأصدقهم وأنا أخاف أن لا أصدقهم .

وقال في الفنون: أكثر من يخالط السلطان لشدة حرصهم على تنفيق نفوسهم عليه بإظهار الفضائل وتدقيق المذاهب في درك المباغى والمطالب يبلغون مبلغا يغفلون به عن الصواب، لأن السلاطين دأبهم الاستشعار، والخوف من دواهي الأعداء، فإذا أحسوا من إنسان تنغرا ولمحا تحرزوا منه بعاجل أحوالهم، والتحرز نوع إقصاء فإنه لا قرية لمن لا تؤمن مكايده، وعنهم يفتعلون الدواهي لما عساه يلم بجانبهم، فإن التغافل أصلح لمخالطتهم من التجالد وإظهار الملح، فإن للسلطان كنزا لا يحب ظهوره إلى كل أحد، ويخاف من تكشف أحواله بالدخول عليه من باب الخبرة به. وقال ابن عبد البر^٢ في كتاب بهجة المجالس يقال: شر الأمراء أبعدهم من العلماء، وشر العلماء أقربهم من الأمراء. قال الفرزدق:

قل لمبصر والمرء فى دولة السلطان أعمى مادام يدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه واستوى بالرجال كان بصيرا
وقال بعضهم:

قالوا تقرب من السلطان قلت لهم يعيذنى الله من قرب السلاطين
إن قلت دنيا فلا دنيا لمتحن أو قلت دنيا فلا دين لمفتون

ومن الأمثال في خطر صحبة السلطان:

السلطان كالنار إن باعدتها بطل نفعها، وإن قاربته عظم ضررها. صاحب السلطان كراكب الأسد يهابه الناس، وهو لمركبه أهيب. أجرأ الناس على الأسد أكثرهم له رؤية. ثلاثة لا أمان لهم: السلطان والبحر والزمان. مثل أصحاب السلطان، كقوم رقوا جبلا ثم وقعوا منه، فكان أبعدهم من المرتقى أقربهم إلى التلف. قيل: لا تغتر بالأمير إذا غشك الوزير. ومنهم من قال: لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير ..

302- وأخرج ابن النجار عن الحسن [البصري ؓ] أنه قال: إن سركم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم، فكفوا أيديكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضهم ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم . وقال مالك بن أنس: ؓ أدركت بضعة عشر رجلا من التابعين يقولون: لا تأتوهم، ولا تأمروهم، يعنى السلطان .

وقال عبيد الله بن محمد القرشي: كنا مع سفيان الثوري ؓ بمكة، فجاءه كتاب من عياله من الكوفة: بلغت بنا الحاجة أنا نقل النوى فنأكله !! فبكى سفيان ؓ . فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله، لو مررت إلى السلطان صرت إلى ما تريد! فقال سفيان: والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها !!

حدثنا عبد الله بن حسين عن سفيان الثوري ؓ إنه كان يقول: تعزوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم .

حدثنا أحمد بن أبي الخوارى قال: قلت لأبي سليمان: تخالف العلماء؟ فغضب وقال: رأيت عالماً [صالحا يتقى الله] يأتي باب السلطان فيأخذ دراهمهم؟!

عن أبي الزناد عن أبيه قال: كان الفقهاء كلهم بالمدينة يأتون عمر بن عبد العزيز ؓ، خلا سعيد بن المسيب ؓ، فكان عمر يرضى أن يكون بينهما رسول، وكنت الرسول بينهما. وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: قدم عطاء الخراساني على هشام بن عبد الملك فتزل على مكحول، فقال لمكحول: ها هنا أحد يعظنا؟ قال: نعم، يزيد بن ميسرة فأتوه، فقال له عطاء: عظنا رحمك الله؟ قال: نعم، كانت العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا. قال: أعد على؟ فأعاد عليه فرجع ولم يلق هشاما!

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: ما زال العلم عزيزا حتى حمل إلى أبواب الملوك فأخذوا عليه أجرا، فتنزع الله الخلاوة من قلوبهم ومنعهم العمل به. وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال: إن آفة القراء العجب، واحذروا أبواب الملوك فإنها تزيل النعم، فقيل: كيف؟ قال: الرجل يكون عليه من الله نعمة وليس له إلى خلق حاجة، فإذا دخل إلى هؤلاء فرأى ما بسط لهم في الدور والخدم استصغر ما هو فيه من خير ثم تزول النعم.

وقال مهنا: سألت أحمد [بن حنبل] عن إبراهيم بن موسى المروى فقال: رجل وسخ! فقلت: ما قولك إنه وسخ؟ قال: من يتبع الولاة والقضاة فهو وسخ. وكان هذا رأى جماعة من السلف وكلامهم في ذلك مشهور، منهم سويد بن غفلة وطاووس والنخعي وأبو حازم الأعرج والثوري والفضيل بن عياض وابن المبارك وداود الطائفي وعبد الله بن إدريس وبشر بن الحارث الحافي وغيرهم [رضي الله عنهم].

وقد سبق قوله عليه الصلاة والسلام: من أتى أبواب السلطان افتتن⁽¹⁾. محمول على من أتاه لطلب الدنيا، لا سيما إن كان ظالما جائرا، أو على من اعتاد ذلك ولزمه، فإنه يخاف عليه الافتتان والعجب، بدليل قوله في لفظ آخر [عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى مسدد قال ومن لزم السلطان افتتن زاد وما ازداد عبد من السلطان دنوا إلا ازداد من الله بعدا⁽²⁾]. وخالفهم في ذلك جماعة من السلف، منهم عبد الرحمن بن أبي ليلى والزهري والأوزاعي وغيرهم.

ومن العجب أن أبا جعفر العقيلي ذكر عبد الرحمن بن أبي ليلى في كتابه في الضعفاء، ولم يذكر فيه إلا قول إبراهيم النخعي: كان صاحب أمراء!

وعن أحمد [بن حنبل] أيضا معنى قول هؤلاء، وروى الخلال عنه، أنه سئل عن الأخبار التي جاءت في أبواب هؤلاء السلاطين إذا كان للرجل مظلمة، فلم ير أن هذا داخل في ذلك إذا كان مظلوما، فذكر له تعظيمهم، فكأنه هاب ذلك..

303- ومن تلبس إبليس على الفقهاء، مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداونتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه! لينالوا من دنياهم

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 371 رقم 8823 أخرجه أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان وهو حديث حسن.

(2) سنن أبي داود ج 3 ص 111 رقم 2680.

عرضا فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه الأول: يقول الأمير: لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من مالي؟ والثاني: يقول العامى: لا بأس بهذا الأمير ولا بهاله ولا بأفعاله، فإن فلانا الفقيه لا يبرح عنده !

والثالث: [أن] الفقيه يفسد دينه بذلك، وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان، فيقول: إنما ندخل لنشفع في مسلم، وينكشف هذا التلبس بأنه لو دخل غيره يشفع، لما أعجبه ذلك وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان!

ومن تلبس إبليس عليه في أخذ أموالهم فيقول: لك فيها حق معلوم، فإن كانت من حرام لم يحل له منها شيء، وإن كانت من شبهة فتركها أولى، وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاهة في إقامة الرعونة، وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح. وقد لبس إبليس على قوم من العلماء ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين، فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء، فيجمع لهم آفاتين: غيبة الناس ومدح النفس. وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم، لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مدهانتهم وترك الإنكار عليهم، وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول: ما أخاف من إهانتهم لى إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبى إليهم! وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم، فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات [يفرون منهم] فنشأ أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم [فنالوها]. ويدلك على [ذلك] أنهم قصدوا بالعلوم أن الأمراء كانوا قديما يميلون إلى سماع الحجج في الأصول، فأظهر الناس علم الكلام، ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه فمال الناس إلى الجدل، ثم [مال] بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها! ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصص وقل الفقهاء !!

304- وعن محمد بن وهيب بن هشام قال: أنشدنى بعض أصحابى لابن المبارك رحمه الله:

كُلِّ الْجَاوِرْسَ وَالْأَرْزَ	بِالْخُبْرِ الشَّعِيرِ
وَاجْعَاكَ مِنْ ذَلِكَ طَعَاماً	تَنْجُ مِنْ حَرِّ السَّعِيرِ
وَأَنَاى مَا اسْتَطَعْتَ	هَذَاكَ اللَّهُ عَنِ بَابِ الْأَمِيرِ

قال محمد بن عبد الله بن الحكم: سمعت الشافعي يقول: كان لى صديق يقال له حصين، وكان يبرنى ويصلنى فولاه أمير المؤمنين السيين فكتبت إليه:

خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنْ وَدَّكَ طَالِقٌ مِنْى وَلَيْسَ طَلَقُ ذَاتِ الْبَيِّنِ
فَإِنْ ارْعَوَيْتَ فَإِنَّهَا تَطْلِقُ وَيَدُومُ وَدُّكَ عَلَى ثِنْتَيْنِ
وَإِنْ التَّوَيْتَ شَفَعَتْهَا بِمِثَالِهَا وَتَكُونُ تَطْلِقَتَيْنِ فِى حَاضِرَيْنِ
فَإِذَا الثَّلَاثُ أَتَتْكَ مِنْى طَائِعاً لَمْ تُغْنِ عَنْكَ وَلا يَةِ الْبَحْرَيْنِ
لَمْ أَرْضَ أَنْ أَهْجُرَ حَصِيناً وَحَدَهُ حَتَّى إِسْوَدَّ وَجْهُ كُلِّ حَاصِنِ
وأخرج أبو نعيم عن محمد بن وهب، قال أنشدنى بعض أصحابنا لابن المبارك:

أَلَا إِقْتَدَيْتُمْ بِسُفْيَانٍ وَمَسْعَرِكُمْ وَبِابْنِ مَغُولٍ إِذْ يَجْمَعُهُمُ الْوَرَعُ
وَبِالْتَّقَى أَخَى طِيٍّ فَرَابِعُهُمْ زَيْنُ الْيَلَادِ جَمِيعاً خَيْرُهُ فَارِعُ
مِثْلُ الْفِرَاحِ تَرَاهُمْ فِى تَهْجُدِهِمْ سُهُدُ الْعُيُونِ فَلَا غَمَضٌ وَلَا هَجْعُ
جُلُسُ الْبُيُوتِ جُثُوماً فِى مَنَازِلِهِمْ إِلَّا النَّوَائِبُ أَوْ تُزْعِجُهُمُ الْجَمْعُ
خُمْصُ الْبُطُونِ مَعَ الْأَكْبَادِ جَائِعَةً لَا يَطْمَعُونَ حَرَاماً خَشِيَةَ الْفَرْعِ
لِلنَّاسِ هَمٌّ وَهُمْ الْقَوْمُ أَنْفُسُهُمْ عِنْدَ الْحَصَادِ الْقَوْمُ مَا زَرَعُوا
وقال بعضهم:

هِيَ هَاتِ اغْتَرَّ بِالسُّلْطَانِ تَأْتِيهِ قَدْ ضَلَّ وَالْجُ أَبْوَابَ السَّلاطينِ
وعن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أَرَى أَنَا سَاءَ بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنَعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِى الْعَيْشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنِ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ
305- قال عمر رضي الله عنه: من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله. وقال الشاعر:

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُ مَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِى أَكْنَافِهِمْ ظِلُّ
مَاذَا تَرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمْ غَضِبُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا
فَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنِ إِثْيَانِهِمْ أَبَدًا إِنَّ الْوَقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ دُلُّ

وقال آخر:

لَا تَصْحَبَنَّ ذَوِي السُّلْطَانِ فِي عَمَلٍ تُصْبِحُ عَلَى وَجَلٍ تُمَسِي عَلَى وَجَلٍ
كُلِّ التُّرَابَ وَلَا تَعْمَلْ لَهُمْ عَمَلًا فَالشَّرُّ أَجْمَعُهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ
306- فقد الحسن [البصري ؓ] بعض من يختلف إليه فسأل عنه، ف قيل له: استقصاه

الحجاج! فقال: أعوذ [بالله] من خشوع النفاق، من الناس من يتصنع للدنيا ويكمن لفرصة منها
كما يكمن الأسد لفريسته، فإذا تمكن منها وثب عليها، يوشك أن يثب الله عليه وثبة يصطلم بها
دنياه وآخرته، فلم تمض إلا أيام حتى مات ..

307- كان إسماعيل بن إسحاق من علماء أهل الدنيا ومن عقلائهم، وكان مؤاخياً لأبي
الحسن بن أبي الورد ؓ، وكان من أهل المعرفة، فلما ولي إسماعيل القضاء هجره ابن أبي الورد،
ثم إنه اضطر إلى أن دخل عليه في شهادة، ف ضرب ابن أبي الورد يده على كتف إسماعيل القاضي
وقال: يا إسماعيل، علم أجلسك هذا المجلس كان الجهل خيراً [لك] منه! فوضع إسماعيل رداءه
على وجهه وجعل يبكي حتى بلّاه ..

308- قال حماد بن سلمة: ما كنا نشبه شمائل إسماعيل بن عليّة إلا بشمائل يونس ؓ حتى
دخل فيما دخل فيه، من ولايته الصدقة، وكان موصوفاً بالدين والورع، منظوراً إليه في الفضل
والعلم، وبدت منه هفوات خفيفة لم تغير رتبته إن شاء الله .

حدثنا محمد بن داود البصري فقال: لما ولي إسماعيل بن عليّة على العشور والصدقات،
كتب إلى عبد الله بن المبارك، يستمده برجال من القراء يعينونه على ذلك، فكتب إليه عبد الله:

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيَاءُ	يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ
اِحْتَلَّتْ الدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا	بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْأَشْيَاءِ
فَصِرْتُ مَجْنُوناً بِهَا بَعْدَ مَا	كُنْتُ دَوَاءً لِلْمَجْنُونِينَ
أَيُّنَ رَوَايَتِكَ فِيمَا مَضَى	عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ
وَدَرَسَكَ الْعِلْمَ بِأَثَرِهِ	فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السُّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتُ أُكْرِهْتُ فَذَا بَاطِلٌ	زَلَّ عَمَّارُ الْعِلْمِ فِي الطُّغْيَانِ
لَا تَبِعِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا كَمَا	يَفْعَلُ ضَالِلُ الرُّهْبَانِ

فلما وقف على هذه الأبيات، قام من مجلس القضاء، فوطئ بساط الرشيد وقال: الله الله،
 ارحم شيتي فإني لا أصبر على الخطأ! قال: لعل مجنون أغرى عليك [بمجلس القضاء] ثم
 أعفاه، فوجه إليه ابن المبارك بالصرة ..

309- حدثنا سلام الخواص قال أنشدني ابن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب	ويشيعها الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	والخير للنفس عصيانها
وهل أهلك الدين إلا الملوكة	وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يزرعوا	ولم تغل بالبيع أثمانها
لقد وقع القوم في جيفة	يبين للعاقل إثنانها

وقال محمود الوراق:

ركبوا المراكب واغتندوا	زمر إلى باب الخليفة
وصلوا البكور إلى الرواح	ليبلغوا الرتب الشريف
حتى إذا ظفروا بما طلبوا	من الحال اللطيف
وغدا المولى منهم فرحا	بما تحوى الصحيف
وتعسفوا من تحتهم	بالظلم والسير العنيف
خانوا الخليفة عهدده	بتعسف الطرق المخوف
باعوا الأمانة بالخيانة	واشترى بالأمن جيف
عقدوا الشحوم وأهزلوا	تلك الأمانات السخيف
ضاقت قبور القوم	واتسعت قصورهم المنيف
من كل ذى ادب ومعرف	وآراء متفقة حصيف
جمع الحديث إلى	قياس أبى حنيف
فأتاك يصلح للقضاء	بلحية فوق الوظيف
لم ينتفع بالعلم إذ	شغفته دنياه الشغوف
نسوى إليه ولاذ فى	الدنيا بأسباب ضعيف

وفي معنى قول محمود: من كل ذي أدب ومعرفة وآراء حسيّفة قول أبي العتاهية:

عجبا لأرباب العقول	والحرص فى طلب الفضول
سلاسل أكسية الأراميل	واليتامى والكهول
والجامعين المكثرين	من الخيانة والغلول
والمؤثرين لدار رحلتهم	على دار الحلال
وضموا عقولهم من الد	نيا بمدرجة الس
ولهموا بأطراف الفروع	وأغفلوا علم الأصول
وتتبعوا جمع الحطام	وفارقوا أثر الرسول
ولقد رأوا غيلان ريب	الدهر غولا بعد غول

310- روى ابن بطّة رحمه الله بسنده قال: أصبح على بن المدينى ذات يوم مغموماً، فقال له أصحابه: مم غمك؟ قال: رأيت فى منامى داود عليه السلام قد صافحنى، فقيل له: ليس إلا خيراً، نبى من الأنبياء. وكان على بن المدينى من أعبر الناس للرؤيا، فقال: أما إنه لو كان أيوب لابتليت فى بدنى، ولو كان يعقوب لابتليت فى ولدى، ولكنه داود ابتلى فى دينه، وأنا أخاف الله أبتلى فى دينى! فما كانت إلا أيام حتى امتحن [بالإقرار بأن القرآن مخلوق] فأجاب !! فبينما هو جالس ذات يوم بعد المحنة لأصحابه، إذا جاءته جارية برقعة دفعتها إليه، فقرأ ثم بكى، فسئل عما فيها؟ فقال: بعض الأبيات فإذا هى:

يَا ابْنَ الْمَدِينِ الَّذِي عَرَضْتَ لَهُ
مَاذَا دَعَاكَ إِلَى انْتِحَالِ مَقَالَةٍ
أَمْ رَبِّدَا لَكَ رُشْدُهُ فَنَبِغْتَهُ
وَلَقَدْ عَاهِدْتَكِ مَرَّةً مُتَشَدِّدًا
إِنَّ الْمُرْزَى مِنْ يُصَابُ بِدِينِهِ
دُنْيَا فَجَادَ بِدِينِهِ لِيْنَالَهَا
قَدْ كُنْتَ تَزْعُمُ كَافِرًا مِنْ قَالِهَا
أَمْ زِينَةُ الدُّنْيَا أَرَدْتَ نَوَالَهَا ؟
صَعِبَ الْمَقَالَةِ لِلَّتِي تُدْعَى لَهَا
لَا مَنْ يُرْزَأُ نَاقَةً وَفِصَالَهَا

وذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله، أن الإمام أحمد رحمه الله [هو من] عمل الأبيات، في شأن علي بن
المديني وأرسلها إليه، وذكر هذه الأبيات ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد رحمه الله بسنده ..

311- وقال محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر، يصفون اجتهد النساء في العبادة، وأنه خرج إلى الغزو مع أمير مصر، فوصف من شهامته وإقامته السنن الماثورة في فداء المسلمين، واحترازه عن مجالس السلطان الذي خرج معه، والانبساط في المأكل أنه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج. قال أبو الحسن الميموني: سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: قد كان عندنا ورأيت كَيْسًا وما رأيت به بأسًا، رأيت حافظًا لحديثه وما رأيت إلا خيرا. فقلت: رأيت جماعة يسيئون الثناء عليه قال: هو يغشى السلطان بسبب ضيعة له ..

* * *

الفصل العاشر

العلماء ومنح الحكام

هل للمفتي أخذ الأجرة والهدية أجرة على فتواه؟

312- اختلف العلماء في قبول منح الحكام أو أعطياتهم، تبعاً لاختلاف آرائهم في ذلك، لذلك كانوا أقساماً. القسم الأول: كان يرفض أخذ المال من الحاكم، ويتعد عنه، ومن هؤلاء أبو حنيفة وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وعمر بن عبيد، والطبري، وابن المسيب وأضرابهم. لأن أعطيات الحكام ومنحهم، كانت يومئذ بمثابة امتحان يجربه بعض الحكام للعلماء، لمعرفة مقدار الولاء لهم .

[لذلك كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله يرفض كل منحة وعطاء، وهو يعلم أن رفضه هذا يعرضه للأذى والمضايقة. فقد روى أبو طالب المكي في مناقبه عن الإمام أبي حفص الكبير البخاري، أن الإمام [أحمد بن حنبل] لما فر من ابن هبيرة إلى مكة، أقام بها إلى أن ظهرت الهاشمية فقدم الكوفة، فأشخص إلى بغداد، فأمر له المنصور بعشرة آلاف درهم وجارية، فقال له عبد الملك بن حميد وزيره، وكان جيد الرأي فيه: اقبل الجائزة فإن الخليفة يطلب عليك علة، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال: أما المال فقد كتب في الديوان أنه قبل، وأما الجارية فإما أن تقبلها وإما أن تعتذر حتى أعذرک عنده، قال: إني ضعيف عن النساء لا حاجة في جارية لا أصل إليها ولا أحسن أن أبيع جارية وصلت إلى من حرم أمير المؤمنين⁽¹⁾ .

وذكر المرغيناني عن الحميدي عن أبيه قال: لما أشخصه المنصور إلى بغداد شخصت معه فلما خرج من عند المنصور ممتع اللون سألته عن ذلك فقال: دعاني إلى القضاء فقلت لا أصلح لذلك لأنه ليس لي قلب أحكم به عليك وعلى أولادك وقوادك !!

فقال: لم تقبل صلتي؟ فقلت: تعطيني من بيت المال ولست من المقاتلة حتى أخذ ما لهم، ولا من الذرية حتى أخذ عطاياهم، ولا من الفقراء حتى أخذ ما يأخذونه !
قال: فأقم حتى يستفتيك القضاة فيما يحتاجون إليك من الأحكام .

(1) طبقات الحنفية ج 1 ص 492.

وعن الحسن بن زياد أنه لم يقبل من أحد هدية ولا جائزة. وعن سهل بن مزاحم كنا ندخل بيته ولا نرى إلا البوارى. وعن عبد الرزاق كنا إذا رأيناه رأينا آثار البكاء في عينيه وخديه. وسئل أبو مقاتل عنه وعن سفيان رضي الله عنه فقال: ليس من ابتلى فهرب كمن ابتلى فصبر. يريد أن سفيان رضي الله عنه لما دعى للقضاء هرب والإمام صبر على الشياطين. [وفي الوقت الذي كان يرد جوائزهم ومنحهم برفق كان يرد هداياهم كذلك. وروى أنه وقع بين المنصور وزوجته شقاق بسبب ميله عنها، واختارت أبا حنيفة ليحكم بينهما، فقال: ليتكلم أمير المؤمنين؟ قال: يا أبا حنيفة كم يحل للرجل أن يتزوج من النساء فيجمع بينهن؟ قال: أربع، قال: وكم يحل له من الإماء؟ فقال: ما شاء ليس لهن عدد. قال: أيجوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟ فقال: لا، قال المنصور: قد سمعت. فقال أبو حنيفة: إنما أحل الله هذا لأهل العدل، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فواحدة. فينبغي أن نتأدب لله ونتعظ بمواعظه. فسكت المنصور وطال سكوته، فقام أبو حنيفة وخرج، فلما بلغ منزله أرسلت إليه زوج المنصور خادما ومعه مال وثياب وجارية وحمار، فردّها وقال للخادم: أقرئها السلام وقل لها إنما ناضلت عن ديني وقمت بذلك لله.

أما سفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وعمر بن عبيد، وأحمد بن حنبل، والطبري، وابن المسيب [رضي الله عنهم] فقد وضع موقفهم برفض العطاء والنفور منه، أو طلب شيء منهم، أو مجرد زيارته لهم [أي للسلطين] وقد عرفوا أنهم من المعوزين في فصول الكتاب.

القسم الثاني: كان يأخذ أعطيات الحكام، بقصد إنفاقها وتوزيعها على طلبة العلم، الذين أصيبوا بالفاقة. وكان هذا الأخذ لا يثنى عليهم عن الإنكار عليهم وإبداء النصيحة لهم. ومن هؤلاء الحسن البصري والإمام مالك بن أنس. وكان مالك لا يتأثم من الأخذ من الخلفاء لأنه من بيت مال المسلمين. ومن أحق من أهل العلم الذين وقفوا أنفسهم على تعليم الناس أمور دينهم ⁽¹⁾..

313- القسم الثالث: كان يأخذ الحظ المقسوم له من الحكام، منهم جعفر [أحد أئمة الروافض الشيعة وكبرائهم] كان يأخذ حظ بنى هاشم من الأموال !! وكان الشافعي يأخذ حظه من سهم بنى المطلب من الغنيمة! ينفق على العلماء وطلبة العلم ..

(1) كتاب أبو حنيفة لأبي زهرة.

314- وجاء في الموسوعة الفقهية: الأولى للمفتي أن يكون متبرعاً بعمله ولا يأخذ عليه شيئاً، وإن تفرغ للإفتاء فله أن يأخذ عليه رزقا من بيت المال على الصحيح عند الشافعية، وهو مذهب الحنابلة، واشترط الفريقان لجواز ذلك شرطين: الأول: أن لا يكون له كفاية. والثاني: أن لا يتعين عليه، فإن تعين عليه، بأن لم يكن بالبلد عالم يقوم مقامه، أو كان له كفاية لم يجز. وقال ابن القيم: إن لم يكن محتاجاً ففيه وجهان: لتردده بين القياس على عامل الزكاة أو على العامل في مال اليتيم⁽¹⁾. وألحق الخطيب البغدادي والصيمري أن يحتاج أهل بلد إلى من يتفرغ لفتاويهم، ويجعلوا له رزقا من أموالهم، فيجوز، ولا يصلح ذلك إن كان له رزق من بيت المال.

قال الخطيب: وعلى الإمام أن يفرض لمن نصّب نفسه للفتوى في الأحكام ما يغنيه عن الاحتراف ويكون ذلك من بيت المال، ثم روى بإسناده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى كل رجل ممن هذه صفته مائة دينار في السنة⁽²⁾.

وأما الأجرة، فلا يجوز أخذها من أعيان المستفتين على الأصح عند الشافعية، وهو مذهب الحنفية والحنابلة، قال الحنابلة: لأن الفتيا عمل يختص فاعله أن يكون من أهل القرية، ولأنه منصب تبليغ عن الله ورسوله، فلا تجوز المعاوضة عليه، كما لو قال له: لا أعلمك الإسلام أو الوضوء أو الصلاة إلا بأجرة، قالوا: فهذا حرام قطعاً، وعليه رد العوض، ولا يملكه، قالوا: ويلزمه الإجابة مجانا لله بلفظه أو خطه إن طلب المستفتي الجواب كتابة، لكن لا يلزمه الورق والخبر. وأجاز الحنفية وبعض الشافعية أخذ المفتي الأجرة على الكتابة، لأنه كالنسخ⁽³⁾. وقال المالكية: يجوز للمفتي أخذ الأجرة على الفتوى إن لم تتعين عليه⁽⁴⁾.

أخذ المفتي الهدية: الأصل أنه يجوز للمفتي أخذ الهدية من الناس بخلاف القاضي، والأولى له أن يأخذها ويكافأ عليها، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يقبل الهدية ويثيب عليها⁽⁵⁾. وهذا إن كانت بغير سبب الفتيا، لأنه إنما يهدى إليه لعلمه، بخلاف القاضي. وإن كانت بسبب الفتيا

(1) أعلام الموقعين ج 4 ص 432.

(2) المجموع ج 1 ص 46.

(3) حاشية ابن عابدين ج 4 ص 311، وإعلام الموقعين ج 4 ص 232، وشرح المنتهى ج 3 ص 462.

(4) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ج 1 ص 20.

(5) حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها. أخرجه البخاري فتح الباري 5 / 260 من حديث عائشة.

فالأولى عدم القبول، ليكون إفتاؤه خالصاً لله، وهذا إن كان إفتاؤه لا يختلف بين من يهديه ومن لا يهديه، وإن كان يهديه لتكون سبباً إلى أن يفتيه بها لا يفتى به غيره من الرخص .
قال ابن القيم: لا يجوز له قبولها .

وقال ابن عابدين: إن كانت سبباً ليرخص له بوجه صحيح فأخذها مكروه كراهة شديدة، وإن كان بوجه باطل فهو رجل فاجر، يدل أحكام الله، ويشتري بها ثمنًا قليلاً⁽¹⁾. وفي الشرح الكبير للمالكية: يجوز للمفتي قبول الهدية ممن لا يرجو منه جاها ولا عوناً على خصم⁽²⁾.

315- وكان سفيان إذا حدث مسعر بن كدام رضي الله عنه [قال]: أخبرني أبو سلمة، يستحي أن يقول مسعر: وكان في جبهته مثل ركة العنز من السجود، وكان يقول: لا ينبغي أن يثنى على وشعبة بن الحجاج رضي الله تعالى عنه ورحمه، كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الرواية والحديث، وكان رضي الله عنه يقول: والله إن الشيطان صار يلعب بالقراء كما يلعب الصبي بالجوز فكيف بغير القراء؟ وكان قد عبّد الله تعالى حتى جف جلده على عظمه فليس بينها لحم، وكان يصوم الدهر كله، وكان يعيب على من يلبس ثوبا بثمانية دراهم ويقول هلاًّ اشترت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة. وقوموا حمار شعبة وسرجه ولجامة بسبعة عشر درهماً، وقوموا ثيابه فلم تساو عشرة دراهم، وهي قميص وإزار ورداء! أرسل له المهدي ثلاثين ألف درهم ففرقها في المجلس ولم يأخذ منها درهماً، وإن أهله لمحتاجون إلى رغيّف!! توفي رضي الله عنه بالبصرة وهو ابن سبع وتسعين سنة، سنة ستين ومائة، والله أعلم ..

316- عاد الشيخ شهاب الدين السهروردي من دمشق بهدايا الملك العادل، ومعه أموال كثيرة لنفسه وكان قبل ذلك فقيراً زاهداً، فلما عاد منع من الوعظ وأخذت منه الربط التي يباشرها، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين فاستغنى منه خلق كثير. فقال المحيي بن الجوزي في مجلس وعظه: لا حاجة بالرجل يأخذ أموالاً من غير حقها ويصرفها إلى من يستحقها، ولو ترك على ما كان، كان تركها أولى به من تناولها، وإنما أراد أن ترتفع منزلته ببذلها ويعود إلى حاله كما كان، مباشرة لما بذلها، فليحذر العبد الدنيا فإنها خداعة غرارة تسترق فحول العلماء والعباد، وقد وقع ابن الجوزي فيما بعد فيما وقع فيه السهروردي وأعظم!

(1) حاشية ابن عابدين ج 4 ص 311، وشرح المنتهى ج 3 ص 471، وإعلام الموقعين ج 4 ص 232.

(2) الشرح الكبير وحاشية الدسوقي ج 4 ص 140.

317- ولما بعث بعض الخلفاء مالا مستكثرا إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع عليه السلام منه فلم يقبله ولم يلتبس منه شيئا. وأما مالك بن دينار عليه السلام فإنه قبل ما أمر له به واشترى به أرقاء وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا. فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان، فقال له: يا مالك، قبلت جوائز السلطان؟! فقال له مالك: يا أبا عبد الله، سل أصحابي ماذا فعلت بها؟ فقالوا له: اشترى بها أرقاء وأعتقهم، فقال له: سألتك بالله، أقبلت الآن لهم مثل ما كان قبل أن يصلوك؟ قال: اللهم لا، قال: أترى أى شيء دخل عليك؟ فقام مالك وحشى على رأسه التراب وقال: إنما مالك حمار، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع، وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحمه الله. ولما ثقل محمد بن واسع عليه السلام كثر عليه الناس في العيادة وقال بعض أصحابه: فدخلت عليه فإذا قوم قعود وقوم قيام، فقال: ماذا يغنى هؤلاء عنى إذا أخذ بناصيتي وقدمى غدا وألقيت في النار؟

318- قال الغزالي في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم: لقد احتج من أجاز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال ما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام، بما روى عن جماعة من الصحابة، أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة، وأخذوا الأموال، منهم أبو هريرة وأبو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وجابر بن عبد الله وجابر وأنس بن مالك والمسور بن مخرمة. فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك. وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج. وأخذ كثير من التابعين كالشعبي وإبراهيم والحسن وابن أبي ليلى. وأخذ الشافعي من هارون الرشيد ألف دينار في دفعة. وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمعة.

وإنما ترك من ترك العطاء منهم، تورعا مخافة على دينه أن يحمل على ما لا يحل. ألا ترى قول أبي ذر للأحنف بن قيس: خذ العطاء ما كان نحلة، فإذا كان أثان دينكم فدعوه. وقال أبو هريرة: إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل! وعن سعيد بن المسيب: أن أبا هريرة كان إذا أعطاه معاوية عليه السلام سكت. وإن منعه وقع فيه!

وعن الشعبي عن مسروق: لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار، أى يحمله ذلك على الحرام لأنه في نفسه حرام. وعن نافع أنه قال: بعث ابن معمر إلى ابن عمر عليه السلام بستين ألفا، فقسمها على الناس، ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل!! وعن حبيب بن أبي ثابت قال: لقد رأيت جائزة المختار لابن عباس فقبلها، فقيل ما هي؟ قال: مال

وكسوة. وعن الزبير بن عدى قال سلمان: إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئاً، فاقبل، فإن المهنأ لك وعليه الوزر. وقال العلاء بن زهير الأزد: أتى إبراهيم أبى وهو عامل على حلوان فأجازه فقبل، وقال إبراهيم: لا بأس بجائزة العمال. لأن للعمال مؤنة ورزقاً، ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله. فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة .

وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله تعالى! وزعمت هذه الفرقة، أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع، كالخلفاء الراشدين وأبى ذر وغيرهم من الزهاد، فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهداً! ومن الحلال الذى يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعاً وتقوى! فإقدام هؤلاء يدل على الجواز، وامتناع أولئك لا يدل على التحريم. وما نقل عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثين ألفاً، وما نقل عن الحسن [البصرى رضي الله عنه] من قوله: لا أتوضأ من ماء صيرفي ولو ضاق وقت الصلاة لأنى لا أدرى أصل ماله، كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع، ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً. فهذه هى شبهة من يجوز أخذ مال السلطان الظالم. والجواب: أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى ما نقل من ردهم وإنكارهم، وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع، فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع، فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات:

الدرجة الأولى: أن لا يأخذ من أموالهم شيئاً أصلاً كما فعله الورعون منهم، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون، حتى إن أبا بكر رضي الله عنه، حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال! وحتى إن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوماً، فدخلت ابنة له وأخذت درهماً من المال، فنهض عمر رضي الله عنه في طلبها حتى سقطت الملحفة من أحد منكبيه، ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكى وجعلت الدرهم في فيها، فأدخل عمر رضي الله عنه إصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال: أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبتهم وبعيدهم. [هذا أميرنا عمر رضي الله عنه الخليفة الثاني بعد رسولنا صلى الله عليه وسلم، فهل ولدت النساء مثله؟]

لما كسح أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه بيت المال، وجد درهماً، فمر ابن لعمر رضي الله عنه فأعطاه إياه، فرأى عمر رضي الله عنه ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال: أعطانيه أبو موسى فقال: يا أبا موسى ما كان

في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر؟! أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بمظلمة!! ورد الدرهم إلى بيت المال. هذا مع أن المال كان حالاً، ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر، فكان يستبرئ لدينه ويقتصر على الأقل، امثالاً لقوله ﷺ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. ولقوله: ومن تركها فقد استبرأ لعرضه. متفق عليه من حديث النعمان بن بشير. لما سمعه من رسول الله ﷺ من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ، حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة اتق الله يا أبا الوليد لا تحييء يوم القيامة ببيع تحمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها تواج، فقال: يا رسول الله أهكذا يكون؟ قال: نعم والذي نفسي بيده إلا من رحم الله. قال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على شيء أبداً. حديث أخرجه الشافعي في المسند من حديث طاووس ومرسلاً ولأبي يعلى في المعجم من حديث ابن عمر مختصراً وإسناده صحيح. وقال ﷺ: إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدى، إنما أخاف عليكم أن تنافسوا. متفق عليه من حديث عقبة بن عامر. وإنما خاف التنافس في المال. ولذلك قال عمر ﷺ: في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال: أنى لم أجد نفسى فيه إلا كالوالى على مال اليتيم، إن استغنيت استعفت وإن افتقرت أكلت بالمعروف. [وهم الآن يغرفون غرفاً ويغدقون على كل من هبَّ ودبَّ، ممن ناصرهم وأعلن ولاءه لهم، فيا سبحان الله ما أعظم الفرق بين الأمس واليوم!!]

وروى أن ابناً لطاووس ﷺ افتعل كتاباً عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز ﷺ، فأعطاه ثلاثمائة دينار، [فبلغ ذلك طاووس] فباع طاووس ضيعة له! وبعث من ثمنها إلى عمر بثلاثمائة دينار! هذا مع أن السلطان ليس مثل عمر بن عبد العزيز ﷺ فهذه الدرجة العليا في الورع.

الدرجة الثانية: هو أن يأخذ مال السلطان، ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال، فاشتغال يد السلطان على حرام آخر لا يضره، وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم.

مثل ابن عمر ﷺ فإنه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدّهم ذماً لأموالهم، وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذاً عند الله تعالى بها، فقالوا له: إنا لنرجو لك الخير، حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت، وابن عمر ﷺ ساكت، فقال: ماذا تقول يا ابن عمر؟ فقال: أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة وستر دفتري. وفي حديث آخر أنه

قال: إن الخبيث لا يكفر الخبيث، وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شراً. فقال له ابن عامر: ألا تدعولي؟ فقال ابن عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول. حديث أخرجه مسلم من حديث ابن عمر. وقد وليت البصرة. فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج: ما شبت من الطعام منذ انتهت الدار إلى يومى هذا، فهذا هو المألوف منهم، وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يعجبه شيء إلا خرج عنه. طلب منه [الأمير بن عامر عبدة نافع بثلاثين ألفاً] فقال: إني أخاف أن تقتلنى دراهم ابن عامر [وقال لعبده] اذهب فأنت حرٌّ! وقال أبو سعيد الخدرى: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا إلا ابن عمر، فبهذا يتضح أنه لا يظن به وبمن كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدرى أنه حلال .

الدرجة الثالثة: إن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على المستحقين فإن ما لا يتعين مالكة هذا حكم الشرع فيه .

فإذا كان السلطان إن لم يأخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم، فنقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه في يده، وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتى وجهه .

وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم ولذلك قال ابن المبارك: إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما، لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفاً! [وأم المؤمنين] عائشة رضي الله عنها فعلت مثل ذلك، وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال: رأيت أن أخذه منهم وأتصدق أحب إليّ من أن أدعه في أيديهم! وهكذا فعل الشافعى بما قبله من هارون فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة .

الدرجة الرابعة: أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقى ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال، وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضي الله عنهم والتابعين بعد الخلفاء الراشدين، لم يكن أكثر مالهم حراماً ويدل عليه تعليل، فإن ما يأخذه من الحلال أكثر فهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلاً على الأكثر، ونحن إنما توقفنا فيه في حق آحاد الناس .

ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر، فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتياداً على الأغلب، وإنها منعناه إذا كان الأكثر حراماً .

فإذا فهمت هذه الدرجات تحققت أن إدارات الظلمة في زماننا لا تجرى مجرى ذلك، وأنها تفارقه من وجهين قاطعين أحدهما:

أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفىء والغنيمة لا وجود لها، وليس يدخل منها شيء في يد السلطان ولم يبقَ إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به. فإنهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط. ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عُشر معشار عشيره .

إن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين، كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين، وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال، بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون، ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم، ولا يغشون مجالسهم، ولا يكثرهم جمعهم ولا يحبون بقاءهم، بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم. فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم، ولم يكن يأخذهم بأس .

فأما الآن: فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية، إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثرت بهم والاستعانة بهم على أغراضهم، والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتركية والإطراء في حضورهم ومغيبيهم !

فلو لم يذل الآخذ نفسه بالسؤال أولاً، وبالتردد في الخدمة ثانياً، وبالثناء والدعاء ثالثاً، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعاً، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامساً، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادساً، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوئ أعماله سابعاً، لم ينعم عليه بدرهم واحد !!

ولو كان في الفضل مثلاً !! فإذا لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان، ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعاني! فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه؟! فمن استجراً على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين !! ففى أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم، وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم، والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم،

وكل ذلك معصية، فإذا قد تبينَ مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل، فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك، لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم، ولا إلى مساعدتهم فلا يحرم الأخذ..

* * *

الفصل الحادى عشر

صفات علماء الدنيا والآخرة

والأقول المشتركة فيهما والفرق بينهما

مقدمة:

تتجلى قدرة الله سبحانه وتعالى فى كل شيء من مخلوقاته، ومن ذلك قدرته سبحانه على خلق المتضادات المتقابلات، فقد خلق الله الأنبياء والرسل وهم أفضل الخلق وصفوته وأطهرهم، وخلق إبليس لعنه الله أخبث المخلوقات ذوات الشر، وخلق الله الليل والنهار، والسماء والأرض، والداء والدواء، والموت والحياة، والبعث والنشور، والشر والخير، والقبح والحسن، وخلق علماء السوء فى مقابل علماء الآخرة .

فلولا وجود أمثال بلعام بن باعوراء، وبشر المريسى، وابن أبى دؤاد، وعلماء الروافض الشيعة ومن شاكلهم كثيرون على مرّ العصور والدهور، عليهم من الله ما يستحقون ما تعاقب ليل ونهار، ما عرفنا فضل علماء كالإمام أحمد بن حنبل، وبشر الحافى، وابن أبى العز، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأمثالهم من علماء الآخرة الأبرار وغيرهم مما ستجد أسماؤهم فى هذا المصنف، فكما قيل: فبضدها تتميز الأشياء، فلولا موقف ابن أبى داود الحيثى وسلطانه عند المأمون، وبشر المريسى الخسيس، لما استبان لنا صدق وثبات أحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، وأبى نعيم وغيرهم من علماء الأمة المخلصين الأخيار، فسبحان من لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سدى وكان دوماً وأبداً رقيباً ومحاسباً!

إن أعظم مصاب تمنى به أمة الإسلام، أن تصاب فى علمائها ومن يتصدرون بها أمر دين الله، من فتيا وحديث، وهم طلاب دنيا ليسوا أهلاً للصدارة، لقلّة ورعهم وتقواهم وخشيتهم لله وغريب فتواهم، ثم لقلّة علمهم بالفقه، ينتسبون إلى العلم والدين اسماً، كما هو الحال فى بعض أهل زماننا، خاصة ونحن فى زمان يحارب به الإسلام ليس كالسابق فى الخفاء، ولو حارب دين كما يحارب ديننا لانتهى، لكن الله مؤيد له والضامن لحفظه وبقائه وانتشاره، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر 9. حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فالإسلام ليس ديناً فقط، بل هو وطن وهوية. فالعلماء الصالحون هم ورثة الأنبياء عليهم السلام

لم يكن ميراثهم ديناراً ولا درهماً، وإنما كان علماً نافعا وعملاً صالحاً، وجهاداً في سبيل الله، هم صمام أمان الأمة إذا ما داهمتها الخطوب الجسام، هم الذين يصلحون ما أفسد الناس، ويتصدون للتيارات الجارفة والأفكار المنحرفة التي تدفع بهم نحو الهلاك، هم القادة المصلحون الذين يقودون العباد والبلاد إلى شاطئ السلامة والأمان، هم طليعة الشعوب يتقدمون بهم نحو كل خير ومحل ثقتهم وآمالهم، لذا أمر الله تعالى بطاعة العلماء المخلصين، وخصَّهم بالذكر في قوله الكريم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء 59. وفي قوله تبارك ربي وتعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43. وفي قوله تعالى: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 83.

إن أولى الأمر الذين تجب طاعتهم هم العلماء. ولعلماء الإسلام الصالحين دوماً سلطان على الأرواح، تخضع له العامة والخاصة طوعية رغبة وحباً، خضوعاً فطرياً لا تكلف فيه، لشعورهم بأن العلماء هم المرجع في بيان الدين، وهم صلة بين العبد وربّه في أمور دنياهم ودينهم، وهم المعبرون حقاً عن حقائق الشرائع، وهم المؤمنون على بقاءه، والورثة الحقيقيون لمقام النبوة، هذا هو دور العلماء، هكذا كانوا من قبل وهكذا يجب أن يكونوا في كل العصور إلى قيام الساعة.

فالعلماء الصالحون هم: العارفون بشرع الله، المتفقهون في دينه، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، الذين وهبهم الله الحكمة .

العلماء الصالحون هم: الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم، في الفقه والعلم بالكتاب والسنة، وأمور الدنيا والدين .

العلماء الصالحون هم: فقهاء أمة الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنعام، الذين خصوا باستنباط الأحكام وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام .

العلماء الصالحون هم: أئمة الدين، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد، وصبروا على ما أصابهم من أذى.

العلماء الصالحون هم: من ورثوا من الأنبياء العلم والعمل به، فهم يحملونه في صدورهم وتنطق به أفعالهم وأقوالهم قبل ألسنتهم وبه يدعون إليه الناس .

العلماء الصالحون هم: الفرقة الناجية إن شاء الله التي تفقهت في دين الله، وقامت بواجب الدعوة لله .

العلماء الصالحون هم: هداة الناس، لذا فلا يخلو زمان من الأزمان منهم، حتى يأتي أمر الله. إن العلماء الصالحين الربانيين الصادقين هم: رأس الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، تعرفهم بمواقفهم في نصره الحق والغيرة على دين الله والذود عن حياضه .

وبهذا نعلم بأن العلماء ليسوا سواء، فمنهم الصالح ومنهم الطالح الضال عن الهدى وفي أمثالهم قال ابن القيم: أي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يُترك وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أحرص، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء، الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين! وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاث بحسب وسعه.

وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقتته لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم، كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل. وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره أثرا: أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يارب كيف وفيهم فلان العابد؟! فقال: به فابدأ! فإنه لم يتمعر وجهه في يوم قط!! قال تعالى: { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ } الأعراف 176. فاعلم، بأنه قد وردت آيات كثيرة وأحاديث وفيرة وآثار غزيرة، في وصف هذين النوعين، وبيان ما يمتاز به كل فريق منهم، سنذكر بإذن الله طرفاً منها وبالله تعالى التوفيق ..

319- العلماء ثلاثة: عالم استنار بنوره واستنار به الناس، فهذا من خلفاء الرسل وورثة الأنبياء، وعالم استنار بنوره ولم يستنر به غيره، فهذا إن لم يفرط كان نفعه قاصراً على نفسه، فبينه وبين الأول ما بينهما، وعالم لم يستنر بنوره ولا استنار به غيره، فهذا علمه وبال عليه وبسطته للناس فتنة لهم، وبسطة الأول رحمة لهم ..

320- أخرج ابن أبي شيبة [البصري] قال: العلماء ثلاثة: منهم عالم لنفسه ولغيره فذلك أفضلهم وخيرهم، ومنهم عالم لنفسه محسن، ومنهم عالم لا لنفسه ولا لغيره فذلك شرهم ..

321- قال سفيان الثوري رحمه الله: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله فعلامته أن يخشى الله ويقف عند حدود الله، وعالم بالله دون أوامر الله فعلامته أن يخشى الله ولا يقف عند حدوده، وعالم بأوامر الله دون الله فعلامته أن لا يقف عند حدود الله ولا يخشى الله، وهو ممن تسعّر بهم النار يوم القيامة..

322- عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد⁽¹⁾. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الأنبياء، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا ففهم على ما جاءت به الرسل، وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلطين. وقد قال بعض السلف: العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وعلماء الظاهر هم زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السماء والملوك، وعلماء الظاهر أهل الخبر واللسان، وعلماء الباطن أرباب القلوب والعيان..

323- ويروى أن الرشيد حلف بالطلاق ثلاثاً، إن باتت زبيدة في ملكه وندم وتحير، فقيل: هنا فتى من أصحاب أبي حنيفة يرجى منه المخرج، فدعاه فعرض عليه وقال: استعمل حق العلم قال: كيف وأنت على السرير وأنا على الأرض! فوضع له كرسي فجلس عليه ثم قال: تبيت الليلة في المسجد ولا يد لأحد على المسجد [فقد] قال تعالى: { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ }. فوله الرشيد قضاء القضاة!!

324- وقد روينا حديثاً مقطوعاً عن سفيان عن مالك بن مغول قيل: يا رسول الله أى العمل أفضل؟ قال: اجتناب المحارم ولا يزال فوقك رطباً من ذكر الله تعالى. قيل: يا رسول الله فأى الأصحاب خير؟ قال: صاحب إن ذكرت أعانك وإن نسيت ذكرتك.

قيل: فأى الأصحاب شر؟ قال: صاحب إن سكت لم يذكرك وإن ذكرت لم يُعَنك.

قيل: فأى الناس أعلم؟ قال: أشدهم لله تعالى خشية.

قيل: فأخبرنا بخيارنا نجالسهم؟ قال: الذين إذا رُؤوا ذكروا الله تعالى.

قالوا: فأى الناس شر يا رسول الله؟ قال: اللهم غفرا، قالوا: أخبرنا يا رسول الله؟ قال:

العلماء إذا فسدوا⁽²⁾..

(1) قوت القلوب ج 1 ص 270.

(2) قوت القلوب ج 1 ص 246.

325- حدثنا عن الحسن عن أبي بكرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، أى الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. قال: فأى الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله⁽¹⁾..

326- [وفى حديث آخر] قيل: يا رسول الله من خير الناس؟ قال: من طال عمره وحسن عمله. قيل: فأى الناس شر؟ قال: من طال عمره وساء عمله وخيف شره ولم يرج خيره⁽²⁾..

327- حدثنا سفيان بن عيينة قال: سئل لقمان أى الناس خير؟ قال: المسلم العالم الغنى، قالوا: الغنى فى المال؟ قال: لا ولكن الذى إذا احتيج إليه نفع، قيل له: فأى الناس شر؟ قال: الذى لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً..

328- عن ابن عباس قال رسول الله: علماء هذه الأمة رجالان: رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتري به ثمناً، فذلك تستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير فى جو السماء ويقدم على الله سيّدا شريفاً حتى يرافق المرسلين. ورجل آتاه الله علماً فبخل به عن عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمناً، فذاك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وينادى مناد، هذا الذى آتاه الله علماً فبخل به عن عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمناً، وكذلك حتى يفرغ من الحساب. لم يرو هذا الحديث عن العوام إلا عبد الله بن خراش ولا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد⁽³⁾..

329- عن على قال العلماء رجالان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النار ليتأذوا من ريح العالم التارك لعلمه..

330- كان الحسن [البصرى رحمته الله] يقول: إن الله تبارك وتعالى لا يعبأ بصاحب رواية إنما يعبأ بذى فهم ودراية. وقال أيضاً: من لم يكن له عقل يسومه لم تنفعه كثرة مروياته للحديث، صار المتكلمون يدعون علماء، والقصاص يسمون عارفين، والرواة والنقلة يقال لهم علماء من غير فقه فى دين ولا بصيرة فى يقين!! وروينا عن ابن أبى عتبة قال: كنا نجلس إلى عطاء الخراسانى رحمته الله بعد الصبح فيتكلم علينا، فاحتبس ذات غداة، فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء، فأنكر صوته رجاء بن أبى حيوه رحمته الله فقال: من هذا المتكلم؟

(1) المستدرك على الصحيحين ج 1 ص 489 رقم 1256.

(2) تفسير روح البيان ج 1 ص 82.

(3) المعجم الأوسط ج 7 ص 171 رقم 7187 قوت القلوب ج 1 ص 248.

فقال: أنا فلان، فقال: اسكت فإنه يكره أن يسمع العلم إلا من أهله وكذلك كانوا يقولون: أبى أهل العلم بالله تعالى أن يسمعوا هذا العلم إلا من أهله الزاهدين في الدنيا وكرهوا أن يسمعه من أبناء الدنيا وزعموا أنه لا يليق بهم. واعلم أن العبد إذا كان يذكر الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء، وكذلك كان المتقدمون إذا افتتحووا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والإفهام..

331- وقال عمر رضي الله عنه: ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب، فلا ينفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه، فتلون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح، ينزل عليها قطر السماء، فلا يوجد لها عذوبة، فيخبرك عالمهم متى تلقاه أنه يخشى الله بلسانه، والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ، وما أجذب القلوب !! فوالله الذى لا إله إلا هو، ما ذلك إلا لأن المعلمين علّموا لغير الله تعالى، والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى. وقال حذيفة رضي الله عنه: إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا، وذلك لكثرة البطالين. والله در القائل في وصف علماء الدنيا:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواء فهو من هذين أعجب
قال الشاعر

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب
وقيل في علماء السوء كذلك:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً فالموبات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

* * *

- 332- قال أبو حاتم: سمعت الفضيل بن عياض رضي الله عنه يقول: في جهنم رحي، تطحن العلماء طحناً! فقيل: من هؤلاء؟ قال: قوم علموا فلم يعملوا..
- 333- وقال يحيى بن بيان سمعت سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: العالم طيب هذه الأمة والمال داؤها، فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره؟!
- 334- اجتمع عالم برجل ذي هيئة حسنة ولباس جميل ورواء، فجلس مخاضة فلم ير شيئاً! فقالوا: كيف رأيته؟ فقال: رأيته داراً حسنة مزخرفة ولكن ليس بها ساكن!
- 335- وقد رويناه في مقامات علماء السوء، حديثاً شديداً نعوذ بالله من أهله، ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه، مسنداً موقوفاً على معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع⁽¹⁾. وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفي الصمت سلامة وعلم. ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره، فذلك في الدرك الأول من النار.
- ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان، فإن رد عليه شيء من علمه أو تهاون بشيء من حقه فغضب، فذلك في الدرك الثاني من النار.
- ومن العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لأهل الشرف واليسار، ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً فذلك في الدرك الثالث من النار.
- ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله عز وجل يبغض المتكلمين، فذلك في الدرك الرابع من النار.
- ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار.
- ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكرًا في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار.
- ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وعظ عَنَّفَ وإن وعُظَّ أَنَفَ، فذلك في الدرك السابع من النار.
- فعليك بالصمت فيه تغلب الشيطان، وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب. وقد رويناه حديثاً يدل على أوصاف علماء الآخرة، وفيه أصول ما يدعون الخلق إليه من

(1) أسنى المطالب ج 1 ص 294.

مقامات الإيمان وأسباب الدين والإيقان، رويناه عن شقيق بن إبراهيم البلخي عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله ﷺ وأوقفته أنا على جابر بن عبد الله.

قال ﷺ: لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة، فإذا فُقد المتقون وقَلَّ الخائفون وعُدِمَ الزاهدون، ذهبت هذه العلوم لأنها قائمة بهم، موجودة عندهم، هم أربابها والناطقون بها⁽¹⁾.

وفي ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، وذم علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا، فرقت العلماء بين العلم بالله تعالى وبين العلم بأمر الله تعالى، وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة. فقال سفيان: ﷺ العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل، وعالم بالله تعالى فذاك التقى الخائف، وعالم بأمر الله تعالى غير عالم بالله تعالى فذاك العالم الفاجر.

وقيل أيضاً: عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه، وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجي. ومما يدل على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، أن كل عالم بعلم إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم! إلا العلماء بالله عز وجل، فإنما يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة، فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه ولبسته للعلماء به، فكانت سيماهم كما قيل: ما ألبس الله تعالى عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة، وهي لبسة الأنبياء وسيما الصديقين والعلماء.

وقد كان سهل رحمه الله يقول: العلماء ثلاثة: عالم بالله تعالى، وعالم لله تعالى، وعالم بحكم الله تعالى، يعنى العالم بالله تعالى العارف الموقن، والعالم لله عز وجل هو العالم بعلم الإخلاص والأحوال والمعاملات، والعالم بحكم الله تعالى هو العالم بتفصيل الحلال والحرام. ثم قال: طلاب العلم ثلاثة: واحد يطلبه للعمل به، وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط، وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتناول الحرام فيجعله حلالاً فهذا يكون [هلاكه و] هلاك الحق على يديه. وقد حدثت عن أبي يوسف، أنه كان إذا صار رأس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها فتسقط عنهما الزكاة!! فذكر ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال: ذلك من فقهه، إنما يطلب لعلم المعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع، فإذا طلب لمثل هذا ولتأويل الهوى، كان الجهل خيراً منه وصار هذا العلم هو الضار الذي استعاذ الرسول منه.

(1) تنزيه الشريعة ج 1 ص 256.

وروينا عن عمر رضي الله عنه وغيره: كم من عالم فاجر وعابد وجاهل، فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين.

وروينا عن كعب الأحبار رضي الله عنه: يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، ويخوفون ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاية ولا ينتهون، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، ويأكلون الدنيا بألستهم أكلاً، يقربون الأغنياء ويباعدون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغايّر النساء على الرجال، يغضب أحدهم على جلسه إذا جالس غيره ذلك حظهم من العلم! وقال صالح بن حسان: أدركت المشيخة وهم يتعوذون بالله تعالى، من الفاجر العالم بالسنة. وقال سهل بن عبد الله: طلاب العلم ثلاثة:

فواحد يطلب علم الورع مخافة دخول الشبهة عليه، فيدع الحلال خوف الحرام فهذا زاهد تقي، وآخر يطلب علم الاختلاف والأقاويل فيدع ما عليه ويدخل فيما أباح الله تعالى بالسعة ويأخذ للرخصة.

وآخر يُسأل عن شيء فيقال: هذا لا يجوز، فيقول: كيف أصنع حتى يجوز لي!!
فيسأل العلماء فيخبرونه بالاختلاف والشبهة، فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد أهلك نفسه وهم علماء السوء.

فاعلم أن كل محب للدنيا ناطق بعلم فإنه آكل للمال بالباطل، وكل من أكل أموال الناس بالباطل فإنه يصد عن سبيل الله لا محالة وإن لم يظهر ذلك في مقاله، ولكنك تعرفه في لحن معناه بدقائق الصد عن مجالسة غيره وبلطائف المنع من طرقات الآخرة، لأن حب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بذلك شاء أم أبى. وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار من العلماء، فمن تواضع لله تعالى ورثه الله تعالى الحكمة.

وفي الخبر عن ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله تعالى ليمقت الخبر السمين. وقال رسول الله ﷺ للمالك ابن الصيف: [خبر من أحبار اليهود] نشدتك الله تعالى، ألم تجد فيما أنزل تعالى على موسى عليه السلام أن الله تعالى يبغض الخبر السمين⁽¹⁾. وكان ابن الصيف سميناً فغضب عندها فقال: { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ }⁽²⁾. ففيه نزلت هذه الآية تعريفاً لبهته: { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ

(1) قوت القلوب ج 1 ص 244.

(2) سورة الأنعام آية 91.

الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا {⁽¹⁾. فقال له أصحابه: ويحك ماذا قلت؟! جحدت كتاب موسى؟! فقال: إنه محكنى فقلت ذلك.

ويقال: ما أتى الله تعالى عبداً علماً إلا أتاه معه حليماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً، فذلك علامة العلم النافع، ومن آتاه عزّ وجلّ زهداً وتواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين.

وكان الحسن [البصري رحمته الله] يقول: الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سر باله.

وفي أخبار داود عليه السلام: إن الله تعالى أوحى إليه يا داود، لا تسألن عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدقك عن طريق محبتي، أولئك قطاع طريق عبادى المريرين.

يا داود، إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيق مناجاتي.

يا داود، إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً.

يا داود، من ردّ إلى هارباً كتبته عندى جهيداً ومن كتبته جهيداً لم أعذبه أبداً.

ورويانا عن عيسى عليه السلام: مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر، لا هى تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص إلى الزرع، وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون الله عزّ وجلّ، وقال: ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها حسن وباطنها نتن، ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى.

وقد كان أبو محمد يقول: لا تقطعوا أمراً من الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء، تحمدوا العاقبة عند الله، قيل: يا أبا محمد، من العلماء؟ قال: الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا، ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم، وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته: شاور في أمورك الذين يخشون الله تعالى.

وقال بعض العلماء: أهل العلم على ضربين، عالم عامة وعالم خاصة، فأما عالم العامة فهو المفتى في الحلال والحرام وهؤلاء أصحاب الأساطين، وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء أهل الزوايا وهم المنفردون. وقد كانوا يقولون مثل الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله مثل دجلة كل أحد يعرفها، ومثل بشر بن الحارث رضي الله عنه مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد. وقال حماد بن زيد: قيل لأبيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما مضى؟ فقال: العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر. ففرق بين العلم والكلام!

(1) سورة الأنعام آية 91.

وسئل سفيان رحمته الله عن العالم من هو؟ فقال: من يضع العلم في مواضعه ويؤتي كل شيء حقه.

وقيل: علماء الآخرة ثلاثة: عالم رباني عالم بالربوبية فننسبه إلى رب كما ساءهم الله في قوله: { كُونُوا رَبَّائِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ } ⁽¹⁾. فسمى العالم بكتابه ربانياً والدارس له ربانياً، فهذا قد جمع العلم والعمل وكذلك يقال: العالم الرباني هو الذي يعلم ويعمل ويعلم الناس الخير قال تعالى في تقدمتهم: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } ⁽²⁾.

فقدم الربانيين على الأحبار وهم علماء الكتب، وكذلك عن مجاهد قال: الربانيون فوق الأحبار درجة وقال غيره: الأحبار فوق الرهبان، يعني علماء القلوب أرفع من علماء الألسنة، والعلماء بالكتب أفضل من العباد بدرجة، وقد ضمهم الله تعالى إلى أنبيائه في النصرة له والصبر معه في قوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ } ⁽³⁾. ثم وصفهم بالثبات لأمره والقوة في دينه والصبر لحكمه في تمام الآية. وقد كان الثوري يقول: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط. وقد وصف الله تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال تعالى في علماء الدنيا: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } ⁽⁴⁾. وقال تعالى في نعت علماء الآخرة: { وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بَيَّاتٍ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } ⁽⁵⁾.

ومن أغلظ ما سمعت فيمن أكل الدنيا بالعلم، ما حدثونا عن عتبة بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال: كان رجل يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثني موسى وحدثني موسى نجي الله، حدثني موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله ففقدته موسى صفي الله، فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثراً! حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه جبل أسود، فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلاناً؟ قال الرجل: نعم، هو ذا الخنزير!

(1) سورة آل عمران آية 79.

(2) سورة المائدة آية 63.

(3) سورة آل عمران آية 146.

(4) سورة آل عمران آية 187.

(5) سورة آل عمران آية 199.

فقال موسى: يا رب أسألك أن تردّه إلى حاله حتى أسأله فيما أصابه هذا، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى لو دعوتني بما دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكني أخبرك لم صنعت به هذا، لأنه كان يطلب الدنيا بالدين.

وروينا [عن الحسن البصري رحمته الله] بأنه انصرف يوماً من مجلسه، فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه كيساً فيه خمسة آلاف درهم، وأخرج من حقيته رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق بر خراسان فقال الحسن [البصري رحمته الله]: ما هذا؟ فقال: يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال له: عافاك الله ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة لا خلاق له.

وفي الخبر: إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب، وما يزن عند الله جناح بعوضة، وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم، الآكلون لها بالدين، المتخذون الأصدقاء والأخلاء من أبنائها، المكرمون المحبون لهم، المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم، هم معروفون في كل زمان بأوصافهم ولحن قولهم وسياهم.

وقد وصف الله العلماء بالزهد في الدنيا والاستصغار لها وبعمل الصالحات والإيمان بها، كما وصف أبناء الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها، قال تعالى في معنى ذلك: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ }⁽¹⁾. ثم قال عز وجل: { وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ }⁽²⁾. أى لا يلقى هذه الحكمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون. وروينا عن جندب بن عبد الله البجلي رحمته الله قال: كنا عند رسول صلوات الله عليه غلماناً حزاورة فيعلمنا الإيمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً، وعن ابن مسعود قال: أنزل القرآن ليعمل به، فاتخذتم دراسته عملاً، وسيأتى قوم يثقفونه تثقيف الغناء ليسوا بخياركم. وعن ابن عمر رحمتهما الله وغيره: لقد عشنا برهة من دهرنا، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغى أن يتوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن، ولقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره وما ينبغى أن يقف عنده وينثره نثر الدقل.

(1) سورة القصص آية 80 / 79.

(2) سورة القصص آية 80.

وقال ﷺ: رحم الله من سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه⁽¹⁾. وقد أخبر أن حامل الفقه يكون غير فقيه القلب إذا لم يعمل بعلمه، وأنه قد يحمل إلى من هو أفقه منه إذا عمل به ووعاه، كما قال في الخبر الآخر: رب مبلغ أوعى من سامع فمدحه بالعمل به إذا وعاه. [وعن سفيان بن عوف القاري يقول: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ يقول: قال لي النبي ﷺ: طوبى للغرباء، قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيه أكثر ممن يطيعهم⁽²⁾]. [وعن عبد الله بن عمر ؓ قال رسول الله ﷺ: أحب شيء إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفرارون بدينهم، يبعثهم الله عز وجل يوم القيامة مع عيسى بن مريم ؑ⁽³⁾]. [وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: ويل للعرب من شر قد اقترب فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسك كافراً، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا، قليل المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر أو قال: على الشوك. قال حسن في حديثه خبط الشوك⁽⁴⁾].

وقد خرج الطبراني وغيره بإسناد فيه نظر من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: إن لكل شيء إقبلاً وإدباراً، وإن من إقبال هذا الدين ما كنتم عليه من العمى والجهالة وما بعثنى الله به، وإن من إقبال هذا الدين أن تفقه القبيلة بأسرها، حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفساقان فهما مقهوران ذليلان، إن تكلماً قُمعاً وقَهراً واضطهدا. وإن من إدبار هذا الدين أن تجفو القبيلة بأسرها، حتى لا يرى فيها إلا الفقيه والفقيهان فهما مقهوران ذليلان! إن تكلماً فأمرنا بالمعروف ونهيا عن المنكر قُمعاً واضطهدا، فهما مقهوران ذليلان لا يجدان على ذلك أعواناً ولا أنصاراً⁽⁵⁾. فوصف في هذا الحديث المؤمن العالم بالسنة الفقيه في الدين، بأنه سيكون في آخر الزمان عند فساده، مقهوراً ذليلاً لا يجد أعواناً ولا أنصاراً [قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: وكان من كبار العارفين في زمان أبي سليمان الداراني: إنى أدركت من الأزمنة زماناً عاد فيه الإسلام غريباً كما

(1) سنن ابن ماجه ج 1 ص 84.

(2) الزهد لابن المبارك ج 1 ص 267.

(3) الزهد لابن حنبل ج 1 ص 149.

(4) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 390 رقم 9061.

(5) المعجم الكبير ج 8 ص 198.

بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريباً كما بدأ، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتوناً بحب الدنيا، يُحب التعظيم والرئاسة. وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلاً في عبادته مخدوعاً صريعاً غدره إبليس، وقد صعد به إلى أعلى درجة من العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها؟! وسائر ذلك من الرعاع همج عوج وذئاب مختلصة وسباع ضارية وثعالب ضوار! هذا وصف عيون أهل زمانه من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة⁽¹⁾. فهذا وصفه لأهل زمانه فكيف بما حدث بعده من العظماء والدواهي، التي لم تخطر بباله ولم تدّر في خياله؟

[وخرج الطبراني من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: المتمسك بستى عند فساد أمتي له أجر شهيد⁽²⁾].

وخرج أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده [الحسن البصري رحمه الله] قال: لو أن رجلاً من الصدر الأول بُعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة. ومن هذا المعنى ما رواه أبو نعيم وغيره الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق. قسم هم أهل الشبهات: وهم من لا بصيرة له من حملة العلم ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، فتأخذه الشبهة فيقع في الحيرة والشكوك، ويخرج من ذلك إلى البدع والضلالات.

وقسم هم أهل الشهوات وحظهم نوعان:

أحدهما: من يطلب الدنيا بنفس العلم، فيجعل العلم آلة لكسب الدنيا.

والثاني: من همه جمع الدنيا واكتنازها وادخارها.

وكل أولئك ليسوا من رعاة الدين، وإنما هم كالأنعام، ولهذا شبه الله تعالى من حمّل التوراة ثم لم يحملها، بالحمار الذي يحمل أسفاراً، وشبه عالم السوء الذي انسلخ من آيات الله وأخلد إلى الأرض واتبع هواه بالكلب، والكلب والحمار أخس الأنعام وأضل سبيلاً.

(1) خرجه أبو نعيم في الحلية.

(2) المعجم الأوسط ج 5 ص 315 رقم 5414.

والقسم الثالث: من حملة العلم هم أهله وحملته ورعاته، والقائمون بحجج الله وبياناته، وذكر أنهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، إشارة إلى قلة هذا القسم، وغرخته من حملة أهل العلم!

وقد قسم الحسن البصري رحمه الله قراء القرآن ثلاثة أصناف:

صنف اتخذوه بضاعة فيتأكلون به.

وصنف أقاموا حروفه وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستندوا به لطلب الولاية، أكثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله.

وضرب عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم، فركدوا به في محاريبهم وحنوا به برانسهم واستشعروا الخوف، وارتدوا الحزن، فأولئك الذين يسقى الله بهم الغيث، وينصر بهم على الأعداء، والله هؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر بين قراء القرآن..

* * *

الفصل الثانی عشر

صفات علماء الدنيا والسلطين

وما جاء بهم من أحاديث الرسول ﷺ

مقدمة:

خلال الحقب التاريخية المختلفة، ومنذ نزول الرسالات السماوية وكذلك بعد ابتعاث رسولنا محمد ﷺ، كان دوماً هناك علماء دين، باعوا دينهم بدنياههم وارتضوا أن يكونوا بوقاً للسلطين الجائرين يفصلون لهم الفتاوى على مقاسهم وكيفما يريدون، ذكر الله تبارك وتعالى لنا في القرآن الكريم البعض منهم وصفاتهم، وكيف يلوون ألسنتهم ليضلوا الناس، ويوهموهم بمنطقهم الزائف القوى قال تعالى: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل عمران 78.

نعم إن في كل زمان لله علماء، وللسلطان الجائر علماء، أخذ الله عليهم الميثاق أن يبلغوا عنه آياته بالحق، ولا يزيغوا عنه، فالعالم الذى يراعى رضا الله فحسب في فتواه هو عالم ربانى، والعالم الذى يراعى رضا السلطان الجائر في فتواه هو عالم سلطة.

الأولون سباهم النبى ﷺ ورثة الأنبياء، والآخرين سباهم ﷺ الأئمة المضلين، هم بلاء عرفناه في كل زمان ومكان! وهم من يسمون الآن بعلماء السلطة أو السلطان، فكم تتردد هذه العبارة كثيراً في بعض الأطروحات، التى يطرحها المفكرون والكتاب وربما الشعوب العربية والإسلامية، وتطلق هذه العبارة على العلماء اللادينيين للبلاد الإسلامية، الذين جعلوا من أنفسهم وكلاء لأنظمة لا تلاقى سياستها قبولاً لدى المجتمع الذى تحكمه.

وقد كشفت الكوارث والمحن التى مرّت وتمرّ بها الأمة الإسلامية، تقلبات وتحولات وتناقضات في مواقف كثير منهم، ما كانت تخطر على بال، لولا أن شاهدناها وعاصرناها لما صدقناها.

فكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها ويعلن غيرها، ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدى على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً؟! ولقد رأينا من هؤلاء من يكتب

في تحريم الربا كله عاما ثم يكتب في حله كذلك عاما آخر. وقد شاع منذ أواخر العصور الأموية، وبداية الدولة العباسية، وجود علماء السلاطين، الذين يسايرون رغباتهم ويضفون على أفعالهم الصفة الشرعية باسم الدين، فهم يدافعون عن تلك الأنظمة وسياستها من خلال وظيفتهم، ويطلقون الفتاوى الغريبة، المؤيدة لتلك الأنظمة والمكفرة لمن يخرج عليهم! هم المطايا التي يستخدمها السلاطين الجاثرون، ليمرروا على الناس كل ما يشتهونه من أوامر ونواه، فهم من يستخدمونهم للوئى أعناق النصوص الشرعية، حتى تتغير مقاصدها، وتتغير الأفكار التي تحملها، فيحملونها أفكاراً ومفاهيم ما أنزل الله بها من سلطان فتتغير.

وهؤلاء هم أخطر على الإسلام والمسلمين من غيرهم، وذلك لعدة أمور:

الأمر الأول: أن لديهم قدرة فائقة على إظهار الحق في صورة الباطل، والعكس، ذلك بأنهم قد اعتمدوا على عمومات مخصصة، أو مطلقات مقيدة، أو مجملات مفسرة، أو أقوال شاذة، وهم يعلمون ذلك جيداً. ولكن عامة الناس لا يعلمون، فيضللون الناس في فهم أحكام الله وينصرون الظالم، ويخذلون المظلوم. وهؤلاء يدخلون في قوله تعالى: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } آل عمران 71.

الأمر الثاني: أن هؤلاء العلماء هم الذين تمجدهم أبواق وسائل الإعلام، ويمكن لهم الظهور أمام الأمة في الفتوى، والقضاء، وغيرهما، فيفتتن الجهال والعوام بهم وفتاويهم، ويغترون بقضائهم، في عصر تُقلب فيه تلك الحقائق.

الأمر الثالث: قوتهم وقدرتهم في التصدى لكل من أراد تنبيه الناس على باطلهم، حرصاً منهم على عدم ظهور غيرهم على الساحة، ليتسنى لهم الاستمرار في المناصب التي تدرّ عليهم الأموال. وهذه الفئة أشد خطراً على الحق وأهله، وأعظم الفئات مناصرة للباطل وأهله، لأنها تغزو العقول باسم الدين وتنسب الباطل الذي تحاول به كسب العقول إلى الله.

ثمياً لهم الوسائل في الإعلام، بصفتهم كبار علماء الأمة وفقهائها، فيوقعون في فتاواهم وأحكامهم عن الله ورسوله، فتفتح بفتاويهم أبواب السجون وتسفك بفتاويهم الدماء، وتستحل الحرمات، وتصادر الأموال ويخرج بها الناس من ديارهم، ويفرق بينهم وبين أولادهم، وأزواجهم. إن من البلاء وأعظم الرزايا، أن تصاب الأمة الإسلامية في قلبها وصمام أمانها، وذلك بموت علمائها الأخيار، أو تكميم أفواه المخلصين الأبرار، وابتلاء الأمة بمن لا تبرا بهم،

الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، ويتنصلون من قول الحق، ويفتون بغير علم، ويسكتون على الباطل إلا ما رحم ربي، هؤلاء هم الذين باعوا ولاءهم لغير الله سبحانه وتعالى، فبالرغم من العلم الذي يحملونه، دلّسوا على أنفسهم ودلّسوا على الناس، مقابل مناصب وأموال وأراض وقصور، فاستخدموا ما يعلمون من الدين لصالح الدنيا!! لا يداومون على حال، يلبسون لكل حلة لبوسها، هؤلاء هم الذين يتقلدون المناصب، والذين ينقلون إلى طلبه العلم إسلاماً جديداً، فيصفون الواقع بوصف مخالف لوجهة نظر الشرع الإسلامي.

وأراد الله سبحانه أن يفضح المنافقين، ويخرج ما في قلوبهم، ويظهرهم على حقيقتهم للناس، وصدق الله العظيم، حينما يقول: { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } آل عمران 179. لقد أظهر الله حقيقتهم في النفاق والتزلف للحكام، إن النفاق قبيح وأقبح ما يكون في أهل العلم، والكذب شنيع وأشنع ما يكون في الرؤساء والحكام. ولعلماء السوء علامات يعرفون بها تميزهم، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- عدم الخشية والخوف من الله، والوقوف على حدوده بل التجرؤ على تلك الحدود، ومن لم يخش الله فليس بعالم، قال تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28.

2- تزل به القدم في اتباع المشابه بسبب الزيف الذي حل في قلبه، فتراه داعية فتن وقلقل، قال تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } آل عمران 7.

3- كتمان العلم: إما تحقيقاً لمصلحة شخصية أو خوفاً وجبناً، ولهذا ذم الله أحبار السوء من اليهود: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَروا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ } آل عمران 187. وقال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة 146.

4- يؤثرون الدنيا على الآخرة، فيصدق عليهم قوله تعالى: { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } الأعلى 16/17.

5- الاشتغال بالجدل والخصومات والتوسع في العلوم الفارغات والفتاوى الغريبات، فيدخلوا الأمة في قضايا جانبية وخلافات فلسفية، مما يوسع الهوة ويزيد الفارقة والانقسام في الأمة.

6- اقتصار العالم على الوعظ والإفتاء: بعيداً عن واقع الأمة وآلامها.

7- مخالفة قول العالم لفعله: فأقوالهم تدعو إلى الدين، وأفعالهم تنفر منه.

8- الهوى: محبة الدنيا والتعلق بالجاه والمنصب والشهرة والأضواء، والقرب من أرباب المال والجاه والسلطة، بإصدار الفتاوى التى تؤيد الباطل، والأحكام التى تزكى الفساد وترسّخه، وغايتهم نيل رضا الحكام وذوى الهيئات.

9- كثرة الدخول على السلاطين وأهل الدنيا، والتزلف إلى الحكام من غير قيام بواجب النصيح لولاة الأمر، وفق ما يرضى الله عنهم فى حق رعيّتهم.

ولا يعنى هذا، أن كل عالم دخل على السلاطين والأمراء نصنّفه من علماء السوء، فهذه نظرة قاصرة، وإنما بتبعات ذلك الدخول من إصدار فتاوى، تزيف بها الحقائق، وعدم النصيح للسلطان، والتكسب المهيّن بالعلم، فمن علمنا من حاله ذلك، فإنها بوادى السوء فى العالم، ونذير التردى، وعلامة السقوط.

وقيل: إذا أراد الله بالحاكم خيراً، هياً له وزراء صالحين، ومستشارين ناصحين، وجلساء عالمين وإذا أراد به غير ذلك، هياً له وزراء خبيثاء غاشين، ومستشارين خائنين، وعلماء سوء ضالين مضلين، كائمين للحق مزينين للباطل.

ولهذا عندما احتضن المأمون والمعتصم والواثق العباسيين وأشباههم، بعض علماء السوء وقربوهم إليهم، أمثال ابن أبى دؤاد، وبشر المريسى، وعلماء الروافض لا كثر الله من أمثالهم، أزاغهم عن مذهب أهل السنّة والجماعة، وابتدعوا لهم مذهباً شيطانياً هو مذهب الاعتزال. فزينوه لهم حتى تبنوه، وامتحنوا العلماء الأخيار والأئمة الكبار بفتنة خلق القرآن! فسجنوا وعذبوا وقتلوا، فعلى كل صانع بدعة من الله ما يستحق إلى يوم الدين.

ألا فليتيق الله وليراجع حساباته كل عالم سوء، وليتب توبة نصوحة إلى الله، وتحللاً من مظالم المسلمين التى حصلت بسبب فتاواهم فإن اليوم عمل وغداً أجل، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا فتاواكم قبل أن توزن عليكم أعمالكم وأقوالكم. وليكن شعار الشعبى هو شعار كل عالم حيث قال: لأن أكون ذنباً فى الحق، خير من أن أكون رأساً فى الباطل.

نسأل الله أن يأخذ بأيدى علمائنا الصالحين، إلى كل خير وأن يجنبهم مهاوى الردى. أن الواجب الأول على كل مسلم، أن يعرف دينه معرفة صحيحة، وأن يستقيه من مصادره الأصيلة المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فمن خلال ثقات العلماء وحملته العدول المخلصين

الصادقين، الذين حملوا لواء الدعوة لهذا الدين، عملاً بقول رسول الله ﷺ: دِينُكَ دِينُكَ لِحُمُكَ
وَدُمُكَ، خذَه عن الذين استقاموا ولا تأخذه عن الذين قالوا، صدق رسولنا الكريم.

إن ما ذكرته إنما هو من أجل تذكير الناس وتنبية الغافل، وتبيين الحق لمن ينشده، سائلاً الله
عز وجل، أن يلهمنا الصواب فيما نقول، وأن يرزقنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرزقنا الباطل باطلاً
ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والله در
القاتل في وصف علماء الدنيا:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من هذين أعجب

* * *

336- حَرَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الْفِتْيَا وَالْقَضَاءِ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَعْظَمِ
الْمَحْرَمَاتِ بَلْ جَعَلَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا مِنْهَا، فَقَالَ تَعَالَى: { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ } (1).

فرتب المحرمات سبحانه أربع مراتب: وبدأ بأسهلها وهي الفواحش، ثم ثنى بها هو أشد
تحريماً منها وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بها هو أعظم تحريماً منها وهو الشرك به سبحانه، ثم ربح
بها هو أشد من ذلك كله وهو القول عليه [سبحانه وتعالى] بلا علم.

وقال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ { (2). فتقدم
سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يجرمه هذا حرام، ولما لم يحله هذا
حلال. روى أن رجلاً رأى ربيعة بن عبد الرحمن رضي الله عنه يبكي فقال: ما يبكيك؟! فقال: استفتيت من
لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم. وقال: [إن] بعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من
السراق فكيف لو رأى ربيعة أهل زماننا، وإقدام من لا علم له على الفتيا، مع قلة خبرته وسوء
سيرته وشؤم سريره، وإنما قصده السمعة والرياء، ومماثلة العلماء الراسخين السابقين؟! !

(1) سورة الأعراف آية 33.

(2) سورة النحل الآيات 116 / 117.

[عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان، أمراء ظلمة، ووزراء فسقة، وقضاة خونة، وفقهاء كذبة، فمن أدرك ذلك الزمان منكم، فلا يكونن لهم عريفا ولا جابيا ولا شرطيا⁽¹⁾]..

337- قيل: إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، فكان عند أهل الدنيا والآخرة في الذروة العليا والرتبة الكبرى وإذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء فسقط من مرتبته وهان على أهل الدنيا، وفي الآخرة عند الله: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُ الَّذِي أَخَذُوا أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }⁽²⁾. قال ابن الزمكاني قال بعض مشايخنا: كأن هذه الآية فينا نزلت، وقد طم البلاء وعم، بسبب طمع العلماء في الحطام، وصار المؤمن القابض على دينه معهم كالقابض على الجمر، لأنهم قد تمكنوا من صدور الخلق لغلبة الجهل عليهم، فهم المقتدى بهم والمنظور إليهم، فهم عند الخلق علماء وفي الملكوت جهال، فمن تمسك بالسنة بين ظهرائي هؤلاء بعد تمكنهم من الرياسة ونفاذ القول في الخلق، فقد بارزهم بالمحاربة، لأن في تمسكه بها هتكا لسترهم عند العامة وكشفا لعوارهم، ونشرا لفضائحهم، فالتمسك بالحق يرصدونه بالعداوة ويرمونهم عن قوس واحدة، ويقذفونه بالعظائم!!

338- تقول العرب: من شرب من كأس الملوك احترق.

وقال ﷺ: يكون في آخر الزمان الأمراء كالأسد، والعلماء كالنمر، والقضاة كالكلب، والفقهاء كالذئب، والناس كالشاة، فكيف حال الشاة مع هؤلاء⁽³⁾؟! وقال أحدهم:

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب؟

وقال ﷺ: سيأتي على أمتي زمان لا يعرفون العلماء إلا بثوب حسن، ولا يعرفون القراء إلا بصوت حسن، ولا يعبدون الله إلا في شهر رمضان! وإذا كان كذلك، سلط الله عليهم سلطانا لا

(1) رواه الخطيب والطبراني في الصغير والأوسط جامع الأحاديث ج 9 ص 341 رقم 28826.

(2) سورة الأعراف آية 169.

(3) كتاب الدرة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء ج 1 ص 222.

علم له ولا حلم له ولا رحم له ولا عقل له⁽¹⁾. وقال ﷺ: سيأتي على أمتي زمان لا يأتي المسجد إلا تاجر قلبه في صندوقه، أو زارع قلبه في مزرعته، فإذا سلم الإمام وثب كما وثب الصيد، فإذا كان كذلك ابتلاههم الله تعالى بأربعة أشياء: أولها السلطان الجائر، والخوف من الأعداء، والزلزلة، والقحط، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإن لم يتوبوا زاد الله عليهم⁽²⁾..

339- وقال الشاعر:

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد
وقال الحكماء: ليس أحد أشد عيباً ممن باع دينه وآخرته بدنياه غيره، وجميع العمال والغلمان لأجل نصيبهم من الدنيا، يغرون الوالى ويحسنون الظلم عنده، فيلقونه في النار ليصلوا إلى أغراضهم، وأى عدو أشد عداوة ممن يسعى في هلاكك لأجل درهم حرام يكتسبه ويحصله.

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون

فلا تغفل عن الخيرات فيه فلا تدري السكون متى يكون

340- عن معاذ رضي الله عنه قال النبي ﷺ: ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعاً، إلا كان شريكه

في كل لون يعذب به في نار جهنم⁽³⁾..

341- وأخرج عبد بن حميد عن معاذ بن جبل: قال رسول الله ﷺ: خذوا العطاء ما كان

عطاء، فإذا كان رشوة عن دينكم فلا تأخذوه، ولن تتركوه يمنحكم من ذلك الفقر والمخافة. إن بنى يأجوج قد جاؤوا، وإن رحى الإسلام ستدور. إلى آخر الحديث⁽⁴⁾. [وفي قول آخر: إن بنى فرج فارس والروم قد داروا، فحيث ما دار القرآن فدوروا به، يوشك السلطان والقرآن أن يقتلا ويتفرقا، إنه سيكون عليكم ملوك يحكمون لكم بحكم ولهم بغيره، فإن أطعتموهم أضلوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم! قالوا: يا رسول الله فكيف بنا إن أدركنا ذلك؟

قال: تكونون كأصحاب عيسى نشروا بالمنشير ورفعوا على الخشب، موت في طاعة خير

من حياة في معصية.

(1) الدرة الغراء ج 1 ص 222.

(2) المرجع السابق.

(3) جامع الأحاديث ج 6 ص 289 رقم 18823.

(4) الدر المنثور ج 3 ص 125.

إن أول ما كان نقص في بنى إسرائيل، أنهم كانوا يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر شبه التعزير، فكان أحدهم إذا لقي صاحبه الذى كان يعيب عليه آكله وشاربه كأنه لم يعب عليه شيئاً، فلعنهم الله على لسان داود وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لكم، والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم فلتتأطرنه عليه أطرا أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض⁽¹⁾..

342- حدثنا عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً⁽²⁾..

343- عن أبى هريرة قال النبى ﷺ: إن فى جهنم وادياً تستعيز منه كل يوم سبعين مرة، أعدة الله للقراء المرائين بأعمالهم، وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان⁽³⁾..

344- عن أبى هريرة قال النبى ﷺ: إن أبغض الخلق إلى الله تعالى العالم يزور العمال⁽⁴⁾..

345- عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص⁽⁵⁾..

346- عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: تعوذوا بالله من جبّ الحزن، قالوا يا رسول الله: وما جبّ الحزن؟ قال: واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمئة مرة! قالوا يا رسول الله: ومن يدخله؟ قال: أعد للقراء المرائين بأعمالهم، وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء⁽⁶⁾..

(1) الأملّى ج 2 ص 363.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 371 رقم 8823.

(3) جامع الأحاديث ج 3 ص 121 رقم 7659.

(4) جامع الأحاديث ج 2 ص 205 رقم 4869.

(5) الفردوس ج 1 ص 276 رقم 1077، والفتح الكبير ج 1 ص 105 رقم 1053 وجامع الأحاديث ج 1 ص 209 رقم 1370.

(6) سنن ابن ماجه ج 1 ص 94 رقم 256.

347- عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إن أناسا من أمتي سيتفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن ويقولون نأتى الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك، كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا⁽¹⁾ ..

348- عن يوسف بن عبد الحميد قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فحدثني أن رسول الله ﷺ دعا لأهله فقلت: أنا من أهل البيت؟ فقال في الثالثة: نعم، ما لم تقم على باب سدة أو تأتى أميرا تسأله⁽²⁾. قال الحافظ المنذرى في الترغيب والترهيب المراد بالسدة، باب السلطان ونحوه ..

349- عن أنس وحذيفة قال رسول الله ﷺ: العلماء أمناء الرسل على عباد الله عز وجل، ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطان ودخلوا الدنيا، فقد خانوا الرسل فاحذروهم واخشوهم⁽³⁾ ..

350- عن عمر بن الخطاب ؓ قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، وإن الله يمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء، لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، وإن الأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة⁽⁴⁾ ..

351- عن معاذ ؓ: قال رسول الله ﷺ: إذا قرأ الرجل وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان تملقا إليه وطمعا لما في يديه، خاض بقدر خطاه في نار جهنم⁽⁵⁾ ..

352- عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ: سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم⁽⁶⁾ ..

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: سيكون في أمتي زنادقة منهم الذين يقرأون القرآن رياء⁽⁷⁾ ..

(1) سنن ابن ماجه ج 1 ص 93 رقم 255.

(2) الإصابة في تمييز الصحابة ج 1 ص 413 رقم 968.

(3) الفردوس ج 3 ص 75 رقم 4210 جامع الأحاديث ج 5 ص 228 رقم 14529.

(4) الفردوس بمأثور الخطاب ج 1 ص 155 رقم 566.

(5) كنز العمال ج 10 ص 85 رقم 29027.

(6) الفردوس بمأثور الخطاب ج 2 ص 315 رقم 3428.

(7) الفردوس بمأثور الخطاب ج 2 ص 315 رقم 3429.

353- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: سيكون في آخر الزمان علماء يرغبون الناس في الآخرة ولا يرغبون، ويزهدون الناس في الدنيا ولا يزهّدون، وينبسطون عند الكبراء وينقبضون عند الفقراء، وينهون عن غشيان الأمراء ولا ينتهون، أولئك الجبارون أعداء الرحمن⁽¹⁾..

354- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال النبي ﷺ: من مشى إلى سلطان جائر طوعاً من ذات نفسه، ملقاً إليه بقلائه والتسليم عليه، خاض في نار جهنم بقدر خطاه إلى أن يرجع من عنده إلى منزله، فإن مال إلى هواه أو شد على عضده، لم يحلل به من الله لعنة إلا كان عليه مثلها، ولم يعذب في النار بنوع من العذاب إلا عذب بمثله⁽²⁾..

355- عن علي قال النبي ﷺ: إياكم ومجالسة السلطان، فإنه ذهاب الدين، وإياكم ومعونته فإنكم لا تحمدون أمره⁽³⁾..

356- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن ناوأهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد، ومن خالطهم هلك⁽⁴⁾..

357- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: أبعد الخلق من الله رجلان، رجل يجالس الأمراء فما قالوا من جور صدقهم عليه، ومعلم الصبيان لا يواسي بينهم ولا يراقب الله في اليتيم⁽⁵⁾..

358- وأخرج الحكيم الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أتاني رسول الله ﷺ وأنا أعرف الحزن في وجهه، فأخذ بلحيته، فقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أتاني جبريل آنفاً، فقال لي: إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر، غير كثير، قلت: ومن أين ذلك؟! قال: من قبل قرائهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا يعطونها، وتتبع القراء أهواء الأمراء. قلت: يا جبريل فبم يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعه تركوه. وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الحارث: أنه سمع النبي ﷺ يقول: سيكون بعدى سلاطين، الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل، لا يعطون أحداً شيئاً، إلا أخذوا من دينه مثله. وأخرج الديلمي، عن

(1) تنزيه الشريعة ج 1 ص 273 رقم 60 فيض القدير ج 4 ص 133.

(2) جامع الأحاديث ج 7 ص 392 رقم 23175.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب ج 1 ص 382 رقم 1536.

(4) مصنف ابن أبي شيبة ج 7 ص 530 رقم 37743.

(5) جامع الأحاديث ج 1 ص 44 رقم 136 تنزيه الشريعة ج 1 ص 252 رقم 8.

أبى الأعور السلمى: قال رسول الله ﷺ: إياكم، وأبواب السلطان. وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده والديلمي، عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: اتقوا أبواب السلطان وحواشيها، فإن أقرب الناس منها أبعدهم من الله، ومن أثر السلطان على الله، جعل الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة وأذهب عنه الورع وتركه حيران. [اللهم لك الحمد فقد أشفيت صدورنا من سيئ العلماء]، وفي الفردوس من حديث على مرفوعاً: أفضل التابعين من أمتي من لا يقرب أبواب السلاطين⁽¹⁾..

359- وعن سفيان رضي الله عنه قال: إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مرأى، فإياك أن تخدع بقوله: أردّ مظلمة، وأدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة من إبليس اتخذها فجار القراء سلماً! وقال: إني لألقى الرجل أبغضه فيقول لى: كيف أصبحت فيلن له قلبى، فكيف بمن أكل ثريدهم ووطئ بساطهم، ومن ثم ورد، اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فيرعاه قلبي..

360- ما يتوقع في آخر الزمان من ظهور الشياطين يتحدثون ويفتنون الناس، عن واثلة ابن الأسقع رضي الله عنه قال النبي ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يطوف إبليس في الأسواق يقول: حدثني فلان بن فلان بكذا وكذا⁽²⁾..

361- حدثنا عن طاووس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: يوشك أن تظهر شياطين، كان سليمان أوثقهم في البحر، يصلون معكم في مساجدكم، ويقرؤون معكم القرآن، ويمجادلونكم في الدين، وإنهم شياطين الإنس⁽³⁾.

362- قال ابن مسعود رضي الله عنه: أى أهل النار أشدّ عذاباً؟ فقال رجل: المنافقون.

قال: صدقت. قال: فهل تدري كيف يعذبون؟

قال: يجعلون في توايت من حديد تطبق عليهم، ثم يجعلون في الدرك الأسفل من النار في تنانير أصغر من [فرخ] الرخ، يقال له: جب الحزن، فيطبق على أقوام بأعمالهم آخر الأبد..

(1) مما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين ج 1 ص 4.

(2) كنز العمال ج 10 ص 93 رقم 29130.

(3) ذخيرة الحفاظ ج 5 ص 2807 رقم 6581.

363- عن أبى هريرة وابن عباس قالاً: خطبنا رسول الله ﷺ، فذكر حديثاً فيه: ومن تعلم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حطام الدنيا وزينتها استوجب سخط الله تعالى، وكان في درجة اليهود والنصارى الذين نبذوا كتاب الله عز وجل وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً. ومن قرأ القرآن رياء وسمعة، أو يريد به الدنيا، لقي الله تعالى ووجهه عظم ليس عليه لحم، ودع القرآن في قفاه، حتى يقذفه في النار، فيهوى فيها مع من هوى.

ومن قرأه ولم يعمل به، حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى. فيقول: { رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى { (1) ..

364- عن عمار بن ياسر عن النبي ﷺ قال: من كان ذا وجهين في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة (2) ..

365- عن عمر بن الخطاب ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان (3). قال الطيبي: يدل على أنه إذا استقصى الأشياء المخوفة لم يوجد أخوف من قول كل منافق عليم اللسان، أى كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، ذا هيبة وأهبة يتعزز ويتعاضم بها، يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه!! ويستقبح عيب غيره ويفعل ما هو أقبح منه، ويظهر للناس التنسك والتعبد ويسارر ربه بالعظائم إذا خلا، ذئب من الذئاب لكن عليه ثياب! فهذا هو الذى حذر منه الشارع هنا. فاحذر: من أن يخطفك بحلاوة لسانه، ويجرقك بنار عصيانه، ويقتلك بنتن باطنه وجنانه.

قال الزمخشري رحمه الله: والمنافقون أحبب الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى وأمقتهم عنده لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً، وبالشكر استهزاء وخداعاً، ولذلك أنزل فيهم { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } (4).

(1) المطالب العلية ج 14 ص 406 رقم 3501 (زوائد الهيتمي) ج 1 ص 314، سورة طه الآيات 125/126.

(2) صحيح ابن حبان ج 13 ص 68 رقم 5756.

(3) مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 22 رقم 143 فيض القدير ج 2 ص 419.

(4) سورة النساء آية 145.

وكان يحيى بن معاذ يقول: علماء الدنيا يا أصحاب القصور، قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأبوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية؟

وأكثر علماء الزمان ضربان: ضرب منكبٌ على حطام الدنيا، لا يمل من جمعه ونراه شهره ودهره يتقلب في ذلك كالهج في المزابل يطير من عذرة إلى عذرة، وقد أخذت دنياه بمجامع قلبه ولزمه خوف الفقر وحب الإكثار، واتخذ المال عدة للنوائب، لا يتنكر عليه تغلب الدنيا.

وضرب: هم أهل تصنع ودهاء وخداع وتزين للمخلوقين، وتملق للحكام، شحاً على رئاستهم، يلتقطون الرخص ويخادعون الله بالحيل! دينهم المداينة وساكن قلوبهم المتى، طمأنيتهم إلى الدنيا وسكونهم إلى أسبابها، اشتغلوا بالأقوال عن الأفعال وسيكافئهم الجبار المتعال..

366- حدثنا كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني أخاف على أمتي من بعدى من أعمال ثلاثة: قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: زلة العالم أو حكم جائر أو هوى متبع⁽¹⁾..

367- عن ابن مسعود: ﷺ قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤون القرآن ويجهلون في العبادة، يشتغلون بأهل البدع، يشركون من حيث لا يعلمون، يأخذون على قراءتهم، وعليهم الوزر، يأكلون الدنيا بالدين، هم أتباع الدجال الأعور، قلت: يا رسول الله، كيف ذاك وعندهم القرآن؟ قال: يحرفون تفسير القرآن على ما يريدون كما فعلت اليهود، حرفوا التوراة فضرب الله قلوب بعضهم على بعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون⁽²⁾..

368- قال رسول الله ﷺ: إياكم وخشوع النفاق، قالت عائشة رضي الله عنها: وما خشوع النفاق؟ قال: يخشع البدن ولا يخشع القلب⁽³⁾.

(1) المعجم الكبير ج 17 ص 17 رقم 14.

(2) معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ج 2 ص 611.

(3) التذكرة الحمدونية ج 1 ص 51.

وقال رسول الله ﷺ: لا تزال يد الله عليها رفراف بالرحمة والرزق والنصر، ما لم يرفق خيارهم بشراهم، وما لم يعظم أمراؤهم فجارهم، وما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك فليتنظروا من الله النكال، يضربهم الله بالفقر والحاجة والذل⁽¹⁾.

وقال ﷺ: إن الله يغضب إذا مدح الفاسق⁽²⁾.

وقال ﷺ: إذا مدح الفاسق اهتز لذلك العرش وغضب له الرب تعالى⁽³⁾..

ومما يروى عنه ﷺ: من أثر الدنيا على الآخرة ابتلاه [الله تعالى] بثلاث: هم لا يفارق قلبه أبداً، وفقير لا يستغنى معه أبداً، وحرص لا يشبع معه أبداً⁽⁴⁾..

369- عن أنس رضي الله عنه: ﷺ: ويل لأمتي من علماء السوء، يتخذون العلم تجارة يبيعونها بيعاً، لا أربح الله تجارتهم⁽⁵⁾..

370- عن أبي هريرة: قال النبي: إن الله تبارك وتعالى يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة⁽⁶⁾. وعن أبي أمامة: سيكون في آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك الزمان، فليتعوذ بالله منهم⁽⁷⁾..

371- قيل لأسامة بن زيد ألا تكلم عثمان فقال: ترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم أني لأكلمه دون أن أفتح باباً أكون أول من فتحه، ثم قال: أما إنني لا أقول لرجل إن كان على أميراً أنه خير الناس بعد شيء سمعت من رسول الله ﷺ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتى برجل كان والياً فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور في النار كما يدور الحمار بالرحا، فيجمع إليه أهل النار

(1) التذكرة الحمدونية ج 1 ص 51.

(2) التذكرة الحمدونية ج 1 ص 51.

(3) الفردوس بمأثور الخطاب ج 1 ص 366، كنز العمال ج 3 ص 230، شعب الإيمان ج 4 ص 4886، الإصابة ج 9 ص 117. الفسق: العصيان والخروج عن الدين والترك لأمر الله عز وجل والخروج الاستقامة والجور.

(4) التذكرة الحمدونية ج 1 ص 51.

(5) ربيع الأبرار ج 4 ص 189.

(6) كنز العمال ج 10 ص 82 رقم 28982.

(7) كنز العمال ج 10 ص 82 رقم 28989.

فيقولون: ألسنت كنت تأمر بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه⁽¹⁾..

372- عن أنس بن مالك: قيل: يا رسول الله، متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم، قلنا: يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم⁽²⁾. قال زيد: تفسير معنى قول النبي ﷺ والعلم في رذالتكم إذا كان العلم في الفساق..

373- عن أبي هريرة: قال ﷺ: سيكون في أمتي زنادقة منهم الذين يقرأون القرآن رياء⁽³⁾..

374- [وفي الحديث عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: ومن تعلم القرآن ابتغاء وجه الله وتفقهاً في الدين، كان له من الثواب مثل جميع ما أعطى الملائكة والأنبياء والرسل، ومن تعلم القرآن رياء وسمعة، ليأرى به السفهاء ويأرى به العلماء، ويطلب به الدنيا، بدد الله عظامه يوم القيامة وكان من أشد أهل النار عذاباً، ولا يبقى فيها نوع من أنواع العذاب إلا عذب به لشدة غضب الله وسخطه عليه.

ومن تعلم العلم وتواضع في العلم وعلمه عباد الله يريد بذلك ما عند الله، لم يكن في الجنة أفضل ثواباً ولا أعظم منزلة منه، ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة، إلا وله فيها أوفر النصيب وأوفر المنازل.

ألا وإن العلم أفضل العبادة وملاك الدين الورع، وإنما العالم من عمل بعلمه، وإن كان قليل العلم، فلا يحقرن من المعاصي شيئاً وإن صغر في أعينكم، فإنه لا صغير مع الإصرار ولا كبير مع الاستغفار، ألا وإن الله سائلكم عن أعمالكم حتى عن مس أحدكم ثوب أخيه، فاعلموا

(1) مسند الحميدي ج 1 ص 250 رقم 547 أخرجه مسلم كتاب الزهد باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله رقم 2989.

(2) سنن ابن ماجه ج 2 ص 1331 رقم 4015.

(3) الفردوس ج 2 ص 315 رقم 3429 جامع الأحاديث ج 5 ص 29 رقم 13167.

عباد الله أن العبد يبعث يوم القيامة على ما مات عليه، وقد خلق الله الجنة والنار، فمن اختار النار على الجنة فأبعده الله [إلى آخر الحديث] ⁽¹⁾ ..

375- عن أبي أمامة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: رب عابد جاهل ورب عالم فاجر، فاحذروا الجهال من العباد والفجار من العلماء ⁽²⁾ ..

376- عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: أخاف على أمتي من بعدى ثلاثة: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن والتكذيب بالقدر ⁽³⁾ ..

377- عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم ⁽⁴⁾ .
— عن أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم ⁽⁵⁾ .
— عن أبي ذر: قال رسول الله: غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال، الأئمة المضلون ⁽⁶⁾ .

— عن جندب عن حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: إنما أتخوف عليكم رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رأى عليه بهجته وكان رداء، الردء العون والناصر للإسلام، اعتزل إلى ما شاء الله فانسلك منه وخرج على جاره بسيفه ورماه بالشرك ⁽⁷⁾ .

— عن علي: قال رسول الله ﷺ: إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيحجره إيمانه، وأما المشرك فيقمعه كفره، ولكن أتخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون ⁽⁸⁾ .

(1) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ج 1 ص 321 المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ج 14 ص 406 رقم 407.

(2) كنز العمال ج 9 ص 19 رقم 24847.

(3) كنز العمال ج 10 ص 81 رقم 28966.

(4) كنز العمال ج 10 ص 85 حديث رقم: 29024 أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الرواية.

(5) كنز العمال رقم 29037.

(6) كنز العمال رقم 29043.

(7) كنز العمال رقم 29045.

(8) كنز العمال رقم 29046.

— عن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: مما أتخوف على أمتي، أن يكثر فيهم المال حتى يتنافسوا فيقتتلوا عليه، وإن مما أتخوف على أمتي، أن يفتح لهم القرآن حتى يقرأه المؤمن والكافر والمنافق، فيحل حلاله المؤمن ابتغاء تأويله⁽¹⁾.

— عن أبي الدرداء: قال رسول الله ﷺ: نزل الله في بعض كتابه وأوحى إلى بعض أنبيائه: قل للذين يتفقهون بغير الدين ويتعلمون لغير العلم، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون لباس مسوك الكباش وقلوبهم لعلب الذناب، ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر، إياي يخدعون أو بى يستهزؤون؟! فبى حلفت لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيران⁽²⁾.

— عن أنس رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: من طلب الدنيا بعمل الآخرة فليس له في الآخرة نصيب⁽³⁾..

378- عن ابن عمرو رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: أكثر منافقي أمتي قراؤها⁽⁴⁾.

— عن عمر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدى، رجل يتأول القرآن، يضعه على غير مواضعه، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره⁽⁵⁾..

379- عن ابن عباس: قال النبي ﷺ: شر الناس فاسق قرأ كتاب الله وتفقه في دين الله ثم بذل نفسه لفاجر، إذا نشط تفكه بقراءته ومحادثته، فيطبع الله على قلب القائل والمستمع⁽⁶⁾..

380- عن عطية بن بشر المازني: قال رسول الله ﷺ: علّم الله تعالى آدم ألف حرفة من الحرف وقال له: قل لولدك وذريتك، إن لم تصبروا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدين، فإن الدين لى وحدى خالصا. ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له⁽⁷⁾..

(1) كنز العمال رقم 29053.

(2) كنز العمال رقم 29054.

(3) كنز العمال رقم 29067 الديلمي عن أنس.

(4) كنز العمال رقم 28972.

(5) كنز العمال رقم 28978.

(6) كنز العمال ج10 ص89 رقم 29089.

(7) كنز العمال ج10 ص89 رقم 29091.

381- عن صهيب: قَالَ النَّبِيُّ: يَا صَهِيبُ، لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ كَثِيرٌ أَمْرًاؤُهُ قَلِيلٌ فَقَهَّاءُهُ، كَذَابٌ خُطْبَاؤُهُ مَرَاؤُونَ قَرَاؤُهُ يَتَفَقَّهُونَ فِي غَيْرِ الدِّينِ، يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطْبَ، أَلَا وَإِنَّ النَّارَ مَثْوًى لَهَا وَبُئْسَ لِلظَّالِمِينَ مَنَازِلًا⁽¹⁾.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ رُؤُوسًا جَهَالًا يَفْتُونُ النَّاسَ فَيُضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ⁽²⁾.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يُؤْتَى بِعُلَمَاءِ السُّوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقْذَفُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ أَحَدُهُمْ فِي جَهَنَّمَ بِقَصْبِهِ. وَقِيلَ: الْقَصْبُ اسْمٌ لِلْأَمْعَاءِ كُلِّهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَقَالُ لَهُ: يَا وَيْلَكَ بِكَ اهْتَدَيْنَا فَمَا بِكَ؟! قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَخَالَفُ مَا كُنْتُ أَنْهَاكُمْ⁽³⁾.

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: مَرْفُوعًا، إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيَا تَسْتَعِيزُ مِنْهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقَرَاءِ الْمَرَاتِينَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَإِنْ أَبْغَضَ الْخَلْقُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَالِمَ السُّلْطَانِ⁽⁴⁾.

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؓ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ فَاجِرٌ جَرِيءٌ، يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَرْعَى إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ⁽⁵⁾.

- عَنْ أَنَسٍ ؓ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرَى بِي عَلَى قَوْمٍ تَقْرُضُ شَفَاهِهِمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ لَجَبْرِيلَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟

قَالَ: خُطْبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ⁽⁶⁾.

- عَنْ جَنْدَبٍ ؓ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: الْعَالَمُ بَغِيرُ عَمَلٍ، كَالْمَصْبَاحِ يَحْرِقُ نَفْسَهُ وَيُضِيءُ لِلنَّاسِ⁽⁷⁾.

(1) كنز العمال رقم 29092 الديلمي.

(2) كنز العمال رقم 29096 أبو نعيم والديلمي.

(3) كنز العمال رقم 29097 ابن النجار.

(4) كنز العمال رقم 29103.

(5) كنز العمال رقم 29104 الديلمي.

(6) كنز العمال رقم 29106.

(7) كنز العمال رقم 29109 الديلمي.

— عن ابن المبارك عن ابن عمرو: من سمع أى من نَوَّه بعلمه وشهر ليراه الناس ويمدحوه، سمَّع الله به سامع خلقه وحقره وصغره⁽¹⁾.

382- عن أبي هريرة: قال النَّبِيُّ ﷺ: العالم والعلم والعمل فى الجنة، فإذا لم يعمل العالم بما يعلم كان العلم والعمل فى الجنة والعالم فى النار⁽²⁾.

عن أنس: قال رسول الله ﷺ: تعوذوا بالله من فخر القراء فهم أشد فخرًا من الجبابرة، ولا شيء أبغض إلى من قارئ فخور⁽³⁾..

383- عن سعد بن أبى وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ: بعثه إلى حى من قریش فرجع إليه وهو يظهر التكبير فقال رسول الله ﷺ: أما سعد فقد رأى عجباً فقال: يا رسول الله أتيتك من عند قوم هم وأنعامهم سواء، إنما همتهم ما لبسوا على ظهورهم وأكلوا فى بطونهم. فقال رسول الله ﷺ: يا سعد ألا أخبرك بأعجب من ذلك، قوم علموا ما جهل هؤلاء ثم جهلوا كجهلهم⁽⁴⁾..

384- عن أبى هريرة قال النَّبِيُّ ﷺ: احذروا الشهوة الخفية العالم يحب أن يجلس إليه⁽⁵⁾..

385- عن ابن عمر ﷺ: عن النَّبِيِّ ﷺ: يأتى على الناس زمان، يحسد الفقهاء بعضهم بعضاً، ويغار بعضهم على بعض، كتغائر التيوس بعضها على بعض⁽⁶⁾. وعن علي قال النَّبِيُّ ﷺ: يكون بعدى قصاص، لا ينظر الله إليهم⁽⁷⁾..

386- قال ﷺ: شر الناس العلماء السوء⁽⁸⁾..

387- عن أبى سعيد ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ: فى غزوة تبوك وهو مضيف ظهره إلى نخلة فقال: ألا أنبئكم بخير الناس وشر الناس؟ إن خير الناس رجل عمل فى سبيل الله عز وجل

(1) كنز العمال رقم 29107 عن ابن المبارك.

(2) كنز العمال حديث رقم 29110 أبو نعيم.

(3) كنز العمال حديث رقم 29113 الديلمي.

(4) ابن عساكر كنز العمال ج10 ص92 رقم 29116.

(5) جامع الأحاديث ج1 ص110.

(6) كنز العمال ج10 ص92 رقم 29119.

(7) كنز العمال ج10 ص92 رقم 29124.

(8) إحياء علوم الدين ج3 ص388، المغنى عن حمل الأسفار ج2 ص976 رقم 3561.

على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو قدميه، حتى يأتيه الموت وهو على ذلك، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً جريئاً يقرأ كتاب الله عز وجل لا يرعوى على شيء منه⁽¹⁾ ..

388- عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير يقولها ثلاثاً، ثم قال: ألا إن شر الشر شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء⁽²⁾ ..

389- عن عبيد الله بن أبي رافع: أن رسول الله ﷺ قال: لا أعرفن الرجل متكئاً يأتية الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما ندرى هذا هو كتاب الله وليس هذا فيه⁽³⁾ ..

390- عن سهل بن سعد الساعدي: قال رسول الله ﷺ: اللهم لا يدركني زمان ولا أدركه لا يتبع فيه العالم، ولا يُستحيا فيه من الحليم، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب⁽⁴⁾ ..

391- عن علي: قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علمائهم أشر من تحت أديم السماء، من عندهم يمدح الفتنة⁽⁵⁾ ..

392- عن أبي سعيد قال: بعث إلى النبي ﷺ بذهبية فقسمها بين الأربعة: الأقرع بن حابس ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي، ثم أحد بنى نبهان وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بنى كلاب، فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطى صناديد أهل نجد ويدعنا! قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية مخلوق فقال: اتق الله يا محمد! فقال ﷺ: من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني؟! فسأله رجل قتله أحسبه خالد بن الوليد رضي الله عنه، فلما ولى قال: إن من ضئضىء هذا أو في عقب هذا، قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد⁽⁶⁾ ..

(1) الجهاد لابن المبارك ج 1 ص 138 رقم 167.

(2) سنن الدارمي ج 1 ص 116 رقم 370.

(3) المستدرک على الصحيحين ج 1 ص 191 رقم 369.

(4) السنن الواردة في الفتن ج 3 ص 391 رقم 221.

(5) شعب الإيمان ج 2 ص 311 رقم 198.

(6) صحيح البخاري ج 3 ص 1219 رقم 3166.

393- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال لى رسول الله ﷺ: إن فى أمتى نيفا وسبعين داعيا إلى النار! ولو شئت أنبأتكم بأسمائهم وأسماء آبائهم⁽¹⁾..

394- ومن حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال النبى ﷺ: وأنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة المضلين، فإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة⁽²⁾..

395- قال الغزالي: احذر من الاغترار بعلماء السوء، فإن شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين! إذ الشياطين بواسطتهم يتصدون إلى انتزاع الدين من قلوب المؤمنين. ولهذا لما سئل رسول الله من أشر الخلق؟ قال: اللهم غفرا، حتى كرروا عليه فقال: هم علماء السوء⁽³⁾..

396- قال رسول الله ﷺ: لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم⁽⁴⁾. وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ: أن الله لعن علماء بنى إسرائيل إذ خالطوا الظالمين فى معاشهم⁽⁵⁾.

397- عن أنس بن مالك رضي الله عنه عنه ﷺ: ويل لأمتى من علماء السوء، يتخذون هذا العلم تجارة يبيعونها من أمراء زمانهم ربحا لأنفسهم، لا أربح الله تجارتهم⁽⁶⁾..

398- عن أبى هريرة: قال رسول الله ﷺ: من تعلّم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة⁽⁷⁾..

عن ابن عمر رضي الله عنه: عن النبى ﷺ: من تعلّم علماً لغير الله أو أراد به غير الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار⁽⁸⁾.

(1) ميزان الاعتدال ج 5 ص 512 رواه ثلاثة عنه عمار بن محمد عن ليث بن أبى سليم.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 123 رقم 17156.

(3) فيض القدير ج 1 ص 140.

(4) إحياء علوم الدين ج 2 ص 151 لفظ الترمذى وقال حسن غريب.

(5) الفردوس بمأثور الخطاب ج 4 ص 398 رقم 7154 أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه.

(6) الفردوس بمأثور الخطاب ج 4 ص 398 رقم 7154.

(7) كنز العمال ج 10 ص 84،85 رقم 29020 أخرجه أبو داود كتاب العلم باب فى طلب العلم لغير الله برقم 3647.

(8) كنز العمال ج 10 ص 84،85 رقم 29062.

عن ابن عباس: قال النبي ﷺ: من طلب العلم لغير العمل فهو كالمستهزئ بربه عز وجل⁽¹⁾.

عن أبي هريرة: قال النبي ﷺ: من أكل بالعلم طمس الله على وجهه ورده على عقبه وكانت النار أولى به⁽²⁾..

399- في آفات العلم ووعيد من لم يعمل بعلمه: عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل⁽³⁾..

400- ومما جاء في علماء السوء وذكر آفاتهم: عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا⁽⁴⁾. قال أبو سليمان: أعلم رسول الله: أن آفة العلم ذهاب أهله، وانتحال الجهال وترؤسهم على الناس باسمه وحذر الناس أن يقتدروا بمن كان من أهل هذه الصفة، وأخبر أنهم ضلال مضلون وأنذر به ﷺ..

401- عن أنس قال رسول الله ﷺ: أشد الناس حسرة يوم القيامة، رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه، ورجل علم عاماً فانتفع به من سمعه منه دونه⁽⁵⁾..

402- عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة، من قتل نبياً أو قتله نبى، أو قتل أحد والديه، والمصورون، وعالم لم ينتفع بعلمه⁽⁶⁾..

403- [ونختم الأحاديث هذه بحديث]:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ما من عالم لا يعمل بعلمه، إلا نزع الله روحه على غير الشهادة، وناداه من السماء، يا فاجر، خسرت الدنيا والآخرة⁽⁷⁾.

(1) المرجع السابق برقم 29066 الديلمى.

(2) المرجع السابق برقم 29034.

(3) كنز العمال ج 10 ص 80 رقم 28954.

(4) العزلة ج 1 ص 82 رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(5) كنز العمال ج 10 ص 60 رقم 28696 ابن عساكر.

(6) الدر المنثور ج 5 ص 266.

(7) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 9.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه، لعنه العلم من جوفه، ويلعنه كل شيء طلعت عليه الشمس، وتكتب الحفظة كل يوم ختما على صحيفته، هذا عبد آيس من رحمة الله.

يا عبد الله، يا مضيع حقوق سيده، يا من لا يعمل بعلمه عليك لعنة الله. فإذا مات نزع الله روحه على غير الشهادة، ويحرم الموت على الإيمان⁽¹⁾..

(1) تنقيح القول الحثيث بشرح لباب الحديث ج 1 ص 9.

الفصل الثالث عشر

صفات علماء الدنيا والسلطين

وما جاء بهم من أقوال

404- قال الغزالي متسائلاً مستغرباً: كيف يكون من العلماء من لا عقل له، ومن لا يعلم عِظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان، كيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة، وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع، فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره، فكيف يعد من زمرة العلماء؟! ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان، قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته. وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا أثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي. يا داود: لا تسأل عني علماً قد أسكرته الدنيا فيصدقك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي. يا داود: إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً. يا داود: من رد إليّ هارباً كتبته جهبذاً ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه أبداً. ولذلك قال الحسن [البصري] عليه السلام: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة! وقال يحيى بن معاذ عليه السلام: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا..

405- قال الثوري عليه السلام: قال الله تعالى: { اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ } ⁽¹⁾. يعنى وأشباههم وأعوانهم. يقال يوم القيامة: ليقم ولالة السوء وأعوانهم؟ قال: فمن لاق لهم دواة، أو برى لهم قلماً، أو حمل لهم لبداءً، أو أعانهم على أمر، فهو معهم. جاء رجل إلى ابن المبارك فقال: إني خياط، وربما خطت شيئاً لبعض وكلاء السلطان، فماذا ترى أأكون من أعوان الظلمة؟ [أى فهل تشملني الآية التي تقول: { وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } ⁽²⁾]. قال ابن المبارك: لست من أعوان الظلمة، بل أنت من الظلمة، إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيط!!

406- حدثنا أبو بكر المروذي عليه السلام قال: سمعت أبا عبدالله وقال له عمه: لو دخلت إلى الخليفة فإنك تكرم عليه، قال: إنما غمى من كرامتي عليه..

(1) سورة الصافات آية 22.

(2) سورة هود آية 113.

وعن سعيد بن يعقوب قال: كتب إلى أحمد بسم الله الرحمن الرحيم، من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب أما بعد، فإن الدنيا داء والسلطان داء، والعالم طيب، فإذا رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليك..

407- عن سفيان الثوري رحمه الله قال: كان خيار الناس فيما مضى وأشرافهم المنظور إليه منهم في الدين، الذين يقومون إلى هؤلاء فيأمروهم وينهونهم، وكان آخرون لازمين لبيوتهم عندهم ليس لهم ذلك، فكانوا لا يرفعون ولا يذكرون، ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمروهم وينهونهم شرار الناس، والذين لزموا بيوتهم ولا يأتونهم خيار الناس؟!

408- قال رشدين بن سعد: سمعت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول: أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة، أخ يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند ذي سلطان..

409- حدثنا محمد بن جعفر الشيعي قال: كنا عند يوسف بن أسباط رحمه الله، فذكر ثمانية مؤدب الأمين بن هارون الرشيد، فجعل يدعو له ويشئى عليه! فأنكر ذلك عليه، فقال: له عندي يد ليس يعرفها أحد. قلنا: وإيش يده عندك؟ فقال: بلغنى أن هارون أراد أن يجمع العلماء لابنه عبد الله، فذكرت فيمن ذكر، فقال له ثمانية: يا أمير المؤمنين، يوسف بن أسباط قد ذهب عقله، فأنا والله أدعو له في صلاتي وأذكر له هذا أبداً!!

410- قال أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري رحمه الله: سمعت أبا عثمان سعيد بن إسماعيل رحمه الله يقول: ينبغى لمن يخاف الله عز وجل، [أن] لا يأتى باب السلطان حتى يدعى، فيأتيه وهو خائف من ربه عز وجل. فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويقول الحق! كما جاء في الخبر، أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، ثم ينصرف عنهم وهو خائف من ربه فهذا غير مفتتن. إنما المفتتن أن يأتيهم راغباً طالباً للدنيا، طالباً للعز طالباً للرئاسة، [قد اطلع الله على ما في قلبه، وهل يخفى على الله من شيء؟ فهذا الذي] يتعزز بعز السلطان ويتكبر بسلطانه، فإذا أتاهم داهنهم ومال إليهم، ورضى بسوء فعلهم، وأعانهم عليه، وصدقهم على غير الحق من قولهم، [بل أوجد لهم مخارج الأمور] ورجع عنهم مفتخراً بهم [وبقربه منهم ورضاهم عنه]، آمناً لمكر الله، معتزاً بما نال من العز بهم، يؤذى الناس ويطغى فيهم ويتقوى عليهم باختلافه إلى السلطان، فهذا الذي افتتن ونسى الآخرة وعصى ربه وآذى المؤمنين ونقص من دينه ما لا تجبره الدنيا كلها لو كانت له [وما أكثرهم في زماننا! نسأل الله السلامة]..

411- عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضي الله عنه قال: فنت النبي ﷺ في صلاة المغرب والغداة، فذكرت ذلك لإبراهيم فغضب وقال: إن ابن أبي ليلى كان صاحب أمراء..

412- قال محمد بن زيد: كنت مع ابن المبارك ببغداد، فرأى إسماعيل بن علية راكبا بغله على باب السلطان فأنشأ يقول:

يا جاعل الدين له بازيًا	يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالديـن
يا فاضح العلم ومن كان ذا	لب ومن عاب السلاطين
وصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواءً للمجـانين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
أين أحاديثك والقول فى	لزوم أبواب السـلاطين
قول أكرهت وماذا كذا	زل جمار العلم فى الطـين

فلما قرأ ابن علية الكتاب بكى، ثم كتب جوابه وكتب فى أسفله:

أف لـدنيا أبـت تواتينى إلا بنقضى لها عرى دينى
عينى لحينى تدير مقلتها تطلب ما سرها لتردينى

413- عن القرطبي قال: من كان إماماً لظالم لا يصلى وراءه إلا أن يظهر عذره أو يتوب..

414- عن عبيد الله بن الوليد الصافي، أنه سأل عطاء بن أبي رباح، عن أخ له كاتب، قلت: ليس يلى من أمور السلطان شيئاً، إلا أنه يكتب لهم بقلم ما دخل وما خرج. فإن ترك قلمه صار عليه دين واحتاج. وإن أخذ له كان له فيه غنى: قال: الرأس من هو؟ قال: [الأمير] خالد ابن عبد الله. قال: قال العبد الصالح: يعنى موسى عليه السلام: { رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ } ⁽¹⁾. فلا يهتم بشيء، وليرم قلمه، فإن الله سيأتيه برزق. قوله تعالى: (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) عن الضحاك قال: معينا للمجرمين: وقال قتادة: لن أعين ظالماً على فجره..

(1) سورة القصص آية 17.

415- قال أبو حازم رحمه الله: كان العلماء يفرون من السلطان ويطلبهم، وهم اليوم يأتون أبواب السلطان والسلطان يفر منهم! قال أيوب السختياني قال لى أبو قلابة رحمه الله: يا أبا أيوب، احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية. وقال ابن عون رحمه الله: كان الرجل يفر بها عنده من الأمراء جهده فإذا أخذ لم يجد بدا..

416- يقول الإمام الغزالي في الإحياء: الدخول على الأمراء مذموم جداً في الشرع، وفيه تشديدات وتغليظات تواردت بها الأخبار والآثار، فكيف بمن دق الأبواب، وانتظر عند عتبات الملوك والزرعءاء والحكام، لنيل رضا، أو كسب حفنة من مال، أو تحقيق رغبة في تصدر منصب وجيه؟! والواقع يجلى سببا من أسباب تساقط بعض العلماء، وتوليهم المراكز والمناصب والوظائف لدى الحكام الجائرين المرتنين، فإن تفوه العالم بالقول الحق، ولم يعجب الحاكم، قطع عنه مورد رزقه، أو عزله عن منصبه، أو حاول تشويه سمعته..

417- وأخرج الدارمي في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن يكرم دينه، فلا يدخل على السلطان، ولا يخلون بالنسوان ولا يخاصمن أصحاب الأهواء.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سلمة بن نبيب قال: قلت لأبي وكان قد شهد النبي صلى الله عليه وسلم ورآه وسمع منه، يا أبت لو أتيت هذا السلطان فأصبت منهم وأصاب قومك في جناحك؟ قال: أى بنى إني أخاف أن أجلس منهم مجلساً يدخلني النار.

وأخرج الدارمي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من طلب العلم لأربع دخل النار: لياهى به العلماء، ويأرى به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء. وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: ألا! لا يمشين رجل منكم شبراً إلى ذى سلطان.

وأخرج ابن أبي شيبة، والبيهقي، عن سلمة بن قيس، قال: لقيت أبا ذر رضي الله عنه فقال: يا سلمة ابن قيس! ثلاث فاحفظها: لا تجمع بين الضرائر فإنك لن تعدل ولو حرصت، ولا تعمل على الصدقة، فإن صاحب الصدقة زائد وناقص، ولا تغش [أى لا تدخل] ذا سلطان فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً، إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

قال سفيان الثوري رحمه الله: إن دعوك لتقرأ عليهم: قل هو الله أحد، فلا تأتهم. رواه البيهقي.

وقد ذهب جمهور العلماء من السلف، وصلحاء الخلف إلى أن هذه الأحاديث والآثار جارية على إطلاقها، سواء دعوه إلى المجيء إليهم، أم لا، وسواء دعوه لمصلحة دينية أم لغيرها..

418- عن سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله قيل له: ألا تدخل على الولاة فتتخلف وتعتهم وتنهاهم؟ فقال: أتأمروني أن أسبح في بحر ولا تبطل قدماي؟! إني أخاف أن يترحبوا بي فأميل إليهم فيحبط عملي!

وكان يقول: إذا رأيتم شرطياً نائماً عن صلاة فلا توقظوه لها، فإنه يقوم يؤذى الناس ونومه أحسن!!

419- ويقول الإمام الشوكاني رحمه الله ضمن فتاواه (4657/9 - 4689). وفيها يوضح حكم اتصال العلماء الناصحين بالأمراء والسلطين. يقول مبيناً شرعية ذلك:

فإن قلت: قد يكون من الملوك من هو ظالم جائر، قلت: نعم، ولكن هذا المتصل بهم لم يتصل بهم ليعينهم على ظلمهم وجورهم، بل ليقضى بين الناس بحكم الله، أو يُفتى بحكم الله، أو يقبض من الدعاوى ما أوجبه الله، أو يجاهد من يحق جهاده، ويعادى من تحق عداوته، فإن كان الأمر هكذا، فلو كان الملك قد بلغ من الظلم إلى أعلى درجاته، لم يكن على هؤلاء من ظلمه شيء، بل إذا كان لأحدهم مدخل في تخفيف الظلم، ولو أقل قليل، أو أحقر حقير، كان مع ما هو فيه من المنصب مأجوراً أبغى أجر، لأنه قد صار مع منصبه في حكم من يطلب الحق، ويكره الباطل، ويسعى بما تبلغ إليه طاقته في دفعه، ولم يُعنه على ظلمه، ولا يسعى في تقرير ما هو عليه، أو تحسينه، أو إيراد الشبه في تجويزه.

فإن أدخل نفسه في شيء من هذه الأمور، فهو في عداد الظلمة، وفريق الجورة، ومن جملة الخونة. وليس كلامنا فيمن كان هكذا، إنما كلامنا فيمن قام بما وُكل إليه من الأمر الديني، غير مشغول بما هم فيه، إلا ما كان من أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو تخفيف ظلم أو تخويف من عاقبته أو وعظ فاعله بما يندفع فيه بعض شره.

وكيف يظن بحامل علم، أو بذى دين، أن يُدخل الظلمة فيما هو ظلم، وقد تبرأ الله سبحانه إلى عباده من الظلم.

فقال تعالى: { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }⁽¹⁾.

وقال تبارك اسمه: { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }⁽²⁾.

وقال جل وعلا: { وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا }⁽³⁾.

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا }⁽⁴⁾.

وقال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ }⁽⁵⁾.

وقال تعالى: { وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }⁽⁶⁾.

وقال تعالى: { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ }⁽⁷⁾. وغير ذلك من الآيات القرآنية.

وفي حديث قدسي: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا⁽⁸⁾. وهذا حديث من كلام الله تعالى، وإن لم تكن قرآناً. فإنه يجمع الدين كله، فإن ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم، وكل ما أمر به راجع إلى العدل. وقال رسول الله ﷺ: إن الله يميل للظالم، فإذا أخذه لم يفلته. ثم قرأ { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ }⁽⁹⁾. والآيات والأحاديث في تحريم الظلم وذم فاعله وما يستحقه من العقوبة كثيرة جداً.

ولا يخفى على ذى عقل، أنه لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخله الملوک، لتعطلت الشريعة المطهرة، لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت تلك المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة، وعمّ الجهل وطمّ، وخولفت أحكام الكتاب والسنة جهاراً لا سيما من الملك وخاصته وأتباعه، وحصل لهم الغرض الموافق لهم، وخبطوا في

(1) سورة النحل آية 118.

(2) سورة فصلت آية 46.

(3) سورة الكهف آية 49.

(4) سورة يونس آية 44.

(5) سورة النساء آية 40.

(6) سورة البقرة آية 182.

(7) سورة الزخرف آية 76.

(8) أخرجه مسلم برقم 2577 وابن حبان برقم 618.

(9) سورة هود آية 102.

دين الإسلام كيف شاءوا، وخالفوه مخالفة ظاهرة، وذهبت شعائر الإسلام، ولا سيما الملوك الذين لا يفعلون ذلك إلا مخافة على ملكهم أن يُسلب، وعلى عزهم أن يذل. ووجدوا أعظم السبل إلى التخلص عن أكثر أحكام الإسلام قائلين: جهلنا، لم نجد من يعلمنا، لم نلقَ من يبصرنا، فرَّ عنا العارفون بالدين، وهرب منا العلماء، وفي الحقيقة أنهم يَعِدُّون ذلك فرصةً انتهزوها.

وسبب هذا البلاء العظيم، والخطب الوخيم، والوزير للإسلام وأهله الذي لا يُقادر قدره، ولا يتهيأ به الدهر مثله صنفان من الناس:

الصنف الأول: جماعة زهدوا بغير علم، وعبدوا بغير فهم، وتورعوا بغير إدراك للمصالح الشرعية والشعائر الدينية، وما يُفضى إلى تعطل الأحكام، وذهاب غالب دين الإسلام، فتصدوا للمواعظ والإرشاد للعباد، وبالغوا في ذلك ومقصدهم حسنٌ، وصورة فعلهم جميلة، ولكنهم لم يكن لهم من العلم ما يوردون به الأشياء مواردًا، ويصدروها مصادرها، جعلوا لقصورهم أهل المناصب الدينية التي لا يتم أمرها، ولا يُنفذ حكمها إلا سلطان وملك البلاد من جملة أنواع الظلم، وجعلوا صاحبها من جملة أعوان الظلمة، وسمع ذلك منهم عامة رعاي غشون مجالس مثلهم من القصاص، مع خلو هؤلاء السامعين عن الورع، وتعطلهم عن علم الشرع، فأخذوا تلك المواعظ على ظاهرها، وقبلوها حق قبولها، لخلو أذهانهم عن وازع الشرع والعقل والورع، فصار بين هذين النوعين من الجهل ما يملأ الخافقين.

والصنف الثاني: جماعة لهم شُغلةٌ بالعلم، وأهلية له، وأرادوا أن يكون لهم من المناصب الدينية التي قد صارت بيد غيرهم ما ينتفعون به في دنياهم فأعوزهم ذلك، وعجزوا عنه، فأظهروا الرغبة عنه، وأنهم تركوه اختياراً ورغبةً، وتنزَّهاً عنه، وضربت ألسنتهم بسبب أهل المناصب الدينية، وثلب أعراضهم، والتنقص بهم، وأظهروا أنهم إنما تركوا ذلك لأن فيه مداخلة للملوك، وأخذ بعض من بيوت الأموال، وأن أهل المناصب قد صاروا أعواناً للظلمة، ومن الآكلين للسحت، ولا حامل لهم على ذلك إلا مجرد الحسد والبغى، والتحسر على أن يكونوا مثلهم فوضعوا أنفسهم موضع أهل التعفف عن ذلك، والتورع عنه بنيات فاسدة، ومقاصد كاسدة، مع ما في ذلك من الدخول في خصلة من خصال النفاق وكما قال القائل:

دُئِبَ تَرَاهُ مُصْلِيًّا	فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رُكِعَ
يَدْعُو وَجِلَ دَعَائِهِ	مَا لِلْفَرِيْسَةِ لَا تَقْعُ؟
عَجَلَ بِهَا يَا ذَا الْعِلَالِ	إِنَّ الْفَوَادَ قَدْ انْصَدَعَ

وقد عرفنا من هذا الجنس جماعات، وانتهت أحوالهم إلى بليات، وعرفنا منهم من ظفر بعد استكثاره من هذه البليات بمنصب من المناصب، فكان أشراً أهل ذلك المنصب وبلغ في التكالب على الحطام، والتهافت على الجرائم، إلى أبلغ غاية .

ومنهم من جالس بعد مزيد من التعفف، وكثرة التقاعس ملكاً، أو قريب ملك أو صاحب ملك، فصار يُطريهم بما لا يستحل بعضه فضلاً عن كله.

ومن له أدنى وازع من دين، بلا أدنى زاجر من عقل، بل عرفنا منهم من صار نهماً، وضعه من يتصل به لنقل أخبار الناس إليه ففعل، ولكن لم يقتصر على نقل ما سمع، بل جاوز ذلك إلى التزيد عليه بالزور والبهتان، حتى يجعل ذلك الذى وضعه للنقل عدواً عظيماً لمن لا ذنب له، ولا قال بعض ما كذب عليه، فضلاً عن كله.

وبالجملة، ما جربنا واحداً من هذا الصنف، إلا وكشفت الأيام عن باطن مخالف ما كان يظهره، وقول وفعل ينافى ما كان يشتغل به أيام تعطله، فليأخذ المتحرى لدينه حذره منهم، ولا يركن عليهم فى شيء من الأعمال الدينية، كائناً ما كان.

* * *

إذا [خلاصة] أقوال العلماء فى الدخول على السلطان:

القول الأول: ما ذهب إليه جمهور السلف، من النهى عن التردد على أبواب السلاطين، واعتزالهم. قال الحافظ بن رجب الحنبلى رحمته الله: وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك لمن أراد أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، أيضاً. ومن نهى عن ذلك عمر بن عبد العزيز وابن المبارك والثورى وغيرهم من الأئمة.

القول الثانى: هو كراهة الدخول على السلاطين وهو ما ذهب إليه الحافظ بن رجب الحنبلى رحمته الله فيما يبدو من كلامه فقد قال: كراهة الدخول على الملوك والدنو منهم، وهو الباب الذى يدخل منه علماء الدنيا إلى نيل الشرف والرئاسة فيها.

القول الثالث: هو جواز الدخول عليهم مع تقييد ذلك الأمر وحصره بشروط وهو الرأى الذى ذهب إليه بعض السلف والخلف، وهو رأى مالك وانتصر له إمام المغرب ابن عبد البر النمري الأندلسى. قيل للإمام مالك رحمته الله: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون؟

فقال: يرحمك الله، فأين المتكلم بحق! وقال: حق على كل مسلم جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه، أن يدخل إلى ذى سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان، فهو الفضل الذى ليس بعده فضل.

ونجد أن الشوكانى رحمته الله في رسالته هذه يذكر أقوالا ثلاثة في مسألة الدخول على السلاطين:

الأول: أن الاتصال بالسلاطين جائز وحسن.

الثانى: أن الاتصال بالسلاطين واجب.

الثالث: أن الاتصال بالسلاطين ممنوع.

أما عن كونه جائزاً وحسناً: فلأن الاتصال مرتبة دون المحبة، ومحبة السلاطين جائزة لخصالهم الخيرة، ولا يتردد عالم فى القول بجواز هذا الاتصال سيما إن كان سيترتب عليه جلب منافع للأمة.

أما عن كونه واجبا: ففي حالة إذا لم يتم الواجب إلا به، أو لم يندفع المحرم والضرر إلا به، انطلقا من القاعدة الأصولية التى جوهرها أن: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

أما الاتصال الممنوع بالسلاطين:

فهو مواصلتهم لا لمصلحة دينية تعود آثارها الإيجابية على الأمة، أو إذا ترتب على هذا الاتصال فساد يلحق بالمجتمع بأى صورة من صور الفساد. قال عبد الرحمن الشيرازى: اعلم أن استيلاء الدنيا على الملوك وإقبالهم عليها ربما شغلهم عن أمر الآخرة، وأغفلهم عن مهمات الدين، فيحتاجون إلى اللذات ويهملون الديانات، لأن النفوس مطبوعة على الميل إلى الترف وإيثار التنعم وكراهة التكليف، فلا ينبغى أن تخلو مجالسهم من علماء الدين، لينهوهم عن الغفلة ويذكروهم عند ضراوة الشهوة، ويوضحون لهم نهج الآخرة ومعالم الشريعة، وقد كان ذلك شعار الخلفاء الراشدين فى مجالسهم واستماع مواعظ العلماء.

وكانوا فى ذلك على ثلاث طبقات:

1- طبقة لما سمعوا الموعظة والتذكير نبذوا ملك الدنيا الذى يفنى ليعتاضوا عنه ملك الآخرة

الذى يبقى، وأخرجوا ذلك من قلوبهم وأيديهم، واهتموا بأمر الآخرة والعمل لينالوا الفوز الكبير والنعيم الدائم.

2- طبقة عند سماع الموعظة أخرجوا ملك الدنيا من قلوبهم ولم يخرجوه من أيديهم، واهتموا بأمر الآخرة مع بقائهم في الملك، وهذه الطبقة مجاهدتهم عظيمة ومثلهم في ذلك مثل من ألزم نفسه الظماً وبحضرته نهر بارد ينظر إليه ويقدر على تناوله وشربه، وهذا مقام الخلفاء الراشدين وأمرائهم وعماهم ومن سلك سبيلهم.

3- طبقة أصمهم حب الدنيا ونيل لذاتها عن استماع المواعظ، وأعمى أبصارهم عن كل مذكر وواعظ، فآثروا اللذات على المهمات وقطعتهم الشهوات عن أمور الديانات..

420- قال النبي ﷺ: يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض بالخيال في سبيل الله، ثم يأتي قوم، يقرأون القرآن يقولون: قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا؟ ومن أفقه منا؟ ومن أعلم منا؟ هل في أولئك من خير؟ فأولئك منكم، وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار⁽¹⁾. ابن المبارك عن العباس بن عبد المطلب. [وفي لفظ آخر: أولئك شرار هذه الأمة]..

421- قال سهل التستري رحمه الله: إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة، واستماع كلام أهل الغفلة، وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله، بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول، لأن كل إنسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه..

422- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إن أناساً من أمتي يستفقهون في الدين (أي يتفقهون في أحكامه فيصيرون فقهاء) ويقرأون القرآن ويقولون: (أي يقول بعضهم لبعض) نأتى الأمراء (أي ولاية أمور الناس) فنصيب من دنياهم (حظا يعود نفعه علينا) ونعتزلهم بديننا (فلا نوافقهم على ارتكاب المعاصي) ولا يكون ذلك (أي السلامة من ارتكاب الآثام مع مخالطتهم والإصابة من دنياهم) كما لا يجتنى من القتاد (شجر كثير الشوك يثبت) إلا الشوك، كذلك لا يجتنى من قربهم إلا الخطايا.

لأن الدنيا خضرة حلوة وزمامها بأيدي الأمراء، ومخالطهم لا ينفك عن التكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم وتحسين حالهم لهم، مع ما هم عليه من الظلم، وذلك هو السم القاتل، فمخالطتهم مفتاح لعدة شرور⁽²⁾. قال الغزالي: إذا مالت قلوب العلماء إلى الدنيا وأهلها، سلبها الله ينابيع الحكمة، وأطفأ مصابيح الهدى من قلوبهم..

(1) أخرجه ابن ماجه من حديث جندى مختصراً مع اختلاف قوت القلوب ج 1 ص 250.

(2) فيض القدير ج 2 ص 432، سنن ابن ماجه، ج 1 ص 93 رقم 255 وقال صحيح وأقره الذهبي.

423- قال أبو عبيدة عليه السلام: من أراد أن يأكل الخبز بالعلم فليتبك عليه البواكي..

424- وكان أحمد بن حنبل عليه السلام يقول: لا تكتبوا العلم عمن يأخذ عليه عرضاً من الدنيا [أى مالا]..

425- قال الأوزاعي عليه السلام: شكت النواويس ما تجد من نتن ريح الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه!

وكان ابن المبارك يقول: الشَّرُّ طُخَيْر من أصحابنا! قيل: يا أبا عبد الرحمن، وكيف ذاك؟! قال: الشرطي إذا كبر تاب، وهم إذا كبروا دخلوا عمل السلطان..

426- عن مكحول عليه السلام قال: تفقه الرعاع فساد للدين، وتفقه السفلة فساد للدنيا..

427- قال عبد الله بن المبارك وغيره: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسادا فسد الناس، قيل: من هما؟ قال: الملوك وعلماء السوء وقال:

رَأَيْتُ الذَّنُوبَ تَمِيتُ الْقُلُوبَ وَيُورِثُ الذَّنْوَ إِدْمَانُهَا
وَتَرَكْتُ الذَّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصِيَانُهَا
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرَهْبَانُهَا

428- قال عيسى ابن مريم صلوات الله على نبينا وعليه: ويلكم يا عبيد الدنيا، جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يستطيع تناولها، لا عبيد أتقياء ولا أحرار كرام.

ويلكم يا أجراء السوء: الأجر تأخذون والعمل تفسدون، سوف تلقون ما تحذرون، يوشك رب العمل أن ينظر في عمله الذي أفسدتم، وفي أجره الذي آخذتم.

ويلكم يا غرماء السوء: تبدؤون قبل قضاء الدين بالنوافل تطوعون وما أمرتم به لا تؤدون، إن رب الدين لا يقبل الهدية حتى يُقْضَى دينه..

429- وعن وهب بن منبه عليه السلام: أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: ويلكم يا عبيد الدنيا، ماذا

يغنى عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها، وكذلك لا يغنى عن العالم كثرة علمه إذا لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل، وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم، فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف، منكسين رؤوسهم للأرض

يطرفون من تحت حواجبهم كما يرمق الذباب! قولهم مخالف فعلهم، من يجتنى من الشوك العنب؟ ومن الحنظل التين؟ كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب إلا زوراً.

إن البعير إذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع إلى وطنه وأصله، وإن العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وخلا منه وعطله.

ويلكم يا عبيد الدنيا: إن لكل شيء علامة يعرف بها وتشهد له أو عليه، وإن للدين ثلاث علامات يعرف بهن: الإيمان والعلم والعمل.

يا معشر الحواريين لحق ما أقول لكم، إن شركم عالم يؤثر هواه على عمله، يود أن الناس كلهم مثله، ما أحب إلى عبيد الدنيا أن يجدوا معذرة وأبعدهم منها لو كانوا يعلمون!

430- عن مالك بن دينار رحمته الله قال عيسى عليه السلام: إنما أبعثكم كالكباش تلتقطون خراف بنى إسرائيل، فلا تكونوا كالذئب الضواري التي تختطف الخرفان، ما لكم تأتون عليكم ثياب الشعر وقلوبكم قلوب الخنازير..

431- قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين: إن أبغض العلماء والقراء إلى الله، الذين يحبون أن يسودوا في المجالس، ويذكروا عند الطعام، ويشار إليهم بالأصابع، الذين يفرغون جراب الأرامل، أولئك يضاعف الله لهم العذاب..

432- ما أجمل كلمات ابن القيم رحمه الله وهو يقول: علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قال قائلهم للناس هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا [هم أنفسهم] أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع الطرق..

433- عن سفيان بن عيينة رحمته الله: قال المسيح عليه السلام: ويلكم يا علماء السوء، لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب فيمر ويمسك النخالة! وكذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم، ويحكم، إن الذي يخوض النهر لا بد أن يصيب ثوبه الماء، وإن جهد أن لا يصيبه، كذلك من يحب الدنيا لا ينجو من الخطايا..

434- عن أبي سعيد الخدري رحمته الله قال: اقرأوا القرآن تسألون الله به، قبل أن يقرأه أقوام يسألون به الناس! سيقراً القرآن ثلاثة رجال: رجل يباهى به الناس، ورجل يستأكل به الناس، وقارئ يقرأه الله..

435- لما مات عمر بن عبد العزيز [ال خليفة العادل، رحمه الله تعالى]، أراد القائم من بعده [وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك] أن يمشى على نمطه [ويحكم بسيرته في العدل، فلم يستطع ولم تتركه بطانة السوء] حتى شهد له أربعون شيخاً [من علماء الدنيا]. بأن الخليفة لا حساب عليه ولا عقاب !!! [فأضلوه بعلم، فضل وأضل، وكانت هذه من بدايات انحدار الدولة الأموية وابتعاد الناس عنهم]..

436- قال المدائني: كتب [الأمير] خالد بن عبد الله إلى بلال [ابن أبي بردة وهو على البصرة] أن ولي نصر بن حسان العنبري ولاية، فأرسل إليه بلال يدعوه، فقال للرسول: قل له أصلي ثم آتيك. فقال للرسول قل له: إن الذي كنت تصلي [من أجله وتظهر لنا خشوعك لتوليك إياه] قد جاءك، فدع الصلاة وأقبل!!

437- أخبرنا أحمد بن عاصم قال: كانت يدى في يد زهير بن نعيم البابي أمشى معه، فانتبهنا إلى رجل مكفوف يقرأ [القرآن]، فلما سمع قراءته وقف ونظر وقال: لا تغرنك قراءته، والله والله إنه أشر من الغناء وضرب العود، وكان مهيباً فلم أسأله، فقال: يا أخى، لأن يطلب الرجل هذه الدنيا بالزمر والغناء والعود، خير أن يطلبها بالدين..

438- قال بشر بن الحارث: من طلب الرياسة من العلماء، فتقرب إلى الله تعالى ببغضه، فإنه مقيت الله في السماء والأرض..

439- حكى أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم ؓ قال: دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريد الحج وليس معهم جراب ولا طعام، فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة؟ فإننى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل، قال حاتم: عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى، فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن! فبقى حاتم متفكراً يقول: باب عالم على هذه الحالة؟! ثم أذن لهم فدخلوا، فإذا دار نوراً حسناً فوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور، فبقى حاتم متفكراً، ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه، وإذا بفرش وطیئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام ويده مذبذبة، فقعد الرازى عند رأسه وسأله عن حاله وحاتم قائم، فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس!

فقال: لعل لك حاجة؟ فقال: نعم، قال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها، قال: سل؟ قال: قم فاستوِ جالسا حتى أسألك، فأمر غلمانه فأسندوه.

فقال له حاتم عليه السلام: علمك هذا من أين أخذته وجئت به؟ قال: الثقات حدثوني به. قال: عن من؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال: رسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال: عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل، قال حاتم: ففينا أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات إليك، هل سمعت بمن كان في داره [منهم] إشراف ومنعة، [ومن] كانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر؟ قال: لا.

قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته، كانت له عند الله المنزلة أكثر.

قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت بألنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله، أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر؟

يا علماء السوء: مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول: [إذا كان] العالم على هذه الحالة، أفلا أكون أنا شرا منه، وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً.

وبلغ أهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسى بقروين أكثر توسعاً منه! فسار حاتم متعمداً فدخل عليه فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمى، أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة؟ قال: نعم وكرامة، يا غلام هات إناء فيه ماء؟ فأتى به، فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: هكذا فتوضأ. فقال حاتم: مكانك يرحمك الله حتى أتوضأ بين يديك، فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً حتى إذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعاً!

فقال الطنافسى: يا هذا أسرفت، قال له حاتم: فيماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعاً.

فقال حاتم: يا سبحان الله، أنا في كف من ماء أسرفت، وأنت في جميع هذا كله لم تسرف؟! فعلم الطنافسى أنه أراد به بذلك ولم يرد أن يتعلم منه شيئاً، فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً!

فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، أنت رجل أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته؟! قال: معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي: أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه.

فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟ قال: يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم، وتمنع جهلك منهم، وتبذل لهم شيئك، وتكون من شيئهم آيساً، فإذا كنت هكذا سلمت.

ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال: يا قوم أية مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلى فيه؟ قالوا: ما كان له قصر، إنما كان له بيت لاطئ بالأرض، قال: فأين قصور أصحابه [أبي بكر وعمر وعثمان ؓ] قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض، قال حاتم: يا قوم فهذه مدينة فرعون!

فأخذوه وذهبوا به إلى الوالى وقالوا هذا العجمي يقول: هذه مدينة فرعون، قال الوالى: ولم ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل على، أنا رجل أعجمي غريب دخلت البلد فقلت: مدينة من هذه؟ فقالوا: مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } (1).

فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالخص والاجر؟! فخلوا عنه وتركوه. [فلننظر في زماننا هذا عن من ينطبق عليه ما قاله حاتم الأصم، ممن حولنا الذين ادعوا بأنهم علماء ومفتون وهم لله متقون، فغرفوا الأموال غرفاً باسم الدين، فبنوا القصور وتنعموا بالسلطة والجاه، فمنهم من تفاخر على الملاء بأن قصره زادت تكلفه بنائه عن سبعة ملايين! ومنهم من قدر قيمة قصره بأضعاف من ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]..

440- قال المسيح عليه السلام: أواه من العالم الفاجر الذى لا يعرف الله.

وقال المسيح: الحق أقول لكم، أنه لا يوجد هنا على الأرض شر من أن يستر الإنسان نفسه بالعلم ووشاح الدين ليخفى خبيثه.

(1) سورة الأحزاب آية 21 .

احذر [أن] يضللك أحد عن طريق هذا التعليم، لأنه بذلك يعلمك فيما لا يخص الله فيخرجك عن تعاليم الله، إذا حوّل المعلم التعليم لتعاليم للهدم، فلا تسمعوا له.
الحق أقول لكم، أن كل من يفعل حسنا لكي يراه الناس فهو مرء، لأن عمله لا ينفذ إلى القلب الذى لا يراه الناس فيترك فيه كل فكر نجس وكل شهوة قذرة، أتعلمون من هو المرائي؟
هو الذى يعبد بلسانه الله ويعبد بقلبه الناس.

الحق أقول لكم: أن المرائي كقبر أبيض من الخارج، ولكنه مملوء فسادا وديدانا، فإذا كنتم أيها الكهنة تعبدون الله لأن الله خلقكم ويطلب ذلك منكم، فلا أندد بكم لأنكم خدمة الله، ولكن إذا كنتم تفعلون كل شيء لأجل الربح، وتبيعون وتشترون في الهيكل كما في السوق، غير حاسبين أن هيكل الله بيت للصلاة لا للتجارة، وأنتم تحولونه مغارة لصوص، وإذا كنتم تفعلون كل شيء لترضوا الناس، وأخرجتم الله من عقلكم، فإنى أصبح بكم أنكم أبناء الشيطان، لا أبناء إبراهيم الذى ترك بيت أبيه حبا في الله، وكان راضيا أن يذبح ابنه، ويل لكم أيها الكهنة والفقهاء إذا كنتم هكذا لأن الله يأخذ منكم الكهنوت..

441- قال عبيد الله بن أبى جعفر: قيل لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا روح الله وكلمته، من أشد الناس فتنة؟ قال: زلة العالم، إذا زل العالم زل بزلة خلق كثير..

442- عن مكحول عليه السلام عن معاذ بن جبل عليه السلام قال: لا تذهب الدنيا حتى يأتى أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وعرفاء ظلمة، وقراء فسقة أهواؤهم مختلفة، ليست لهم زعة، يلبسون ثياب الرهبان وقلوبهم أئتن من الجيف، فيلبسهم الله فتنة ظلماء يتهاوكون فيما تهوكون اليهود في الظلم..

443- وكان ابن عباس يقول: ويل للعالم من الأتباع، يزل زلة فيرجع عنها، ويحتملها الناس [عنه فيعملون بها] ويذهبون بها في الآفاق. وقال بعض أهل الأدب: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق الخلق معها. وفي الخبر الإسرائيلي: إن عالما كان يضل الناس بالبدع، ثم أدركته توبة فرجع إلى الله تعالى وعمل في الإصلاح دهرا، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له: إن ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك بالغا ما بلغ، ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فأدخلتهم النار؟

444- وقيل: زلة العالم يضرب بها الطبل، وزلة الجاهل يخفيها الجهل..

445- حدثنا عن مالك رحمه الله قال: إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه..

446- قال تبارك وتعالى لداود عليه السلام: إني أعددت منابر وكراسى من نار في جهنم لعلماء السوء، الذين يتكلمون بالهوى..

447- قال فضيل [بن عياض رحمه الله]: لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم، وشحوا على دينهم، وأعزوا هذا العلم وصانوه، وأنزلوه حيث أنزله الله تعالى، إذا خضعت لهم رقاب الجبابرة، وانقاد لهم الناس تبعاً.

ولكنهم ابتذلوا أنفسهم، وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا، فهانوا وذلوا، ووجدوا لغامز فيهم مغمراً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أعظم بها مصيبة..

448- عن أبى إدريس الخولانى قال: من تعلم طرف الحديث ليستقى به قلوب الناس لم يرح رائحة الجنة..

449- الفخر الرازى المتكلم صاحب التيسير والتصانيف، يعرف بابن خطيب الرى، واسمه محمد بن عمر التيمى أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار، نحو من مائتى مصنف، منها التفسير الحافل والمطالب العالية والمباحث الشرقية والأربعين، وله أصول الفقه والمحصول وغيره، وصنف ترجمة الشافعى فى مجلد مفيد وفيه غرائب لا يوافق عليها وينسب إليه أشياء عجيبة، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم وبنيت له مدارس كثيرة فى بلدان شتى، ملك من الذهب العين ثمانين ألف دينار وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس وكان له خمسون مملوكاً من الترك.

وكان يحضر فى مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة، وكانت له عبادات وأوراد، وقد وقع بينه وبين الكرامية فكان يبغضهم ويبغضونه، ويبالغون فى الخط عليه ويبالغ هو أيضاً فى ذمهم، وكان مع غزارة علمه فى فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز، وقد ذكرت وصيته عند موته، وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه.

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى الذيل فى ترجمته: كان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سبا وتكفيرا، وقيل: إنهم وضعوا عليه من سقاه سما فمات ففروحا بموته، وكانوا

يرمونه بالمعاصي مع الممالك وغيرهم! وكانت وفاته في ذى الحجة، ولا كلام في فضله، ولا فيما كان يتعاطاه، وقد كان يصحب السلطان ويجب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً!! وليس ذلك من صفة العلماء. ولهذا وأمثاله، قامت عليه شناعات عظيمة، بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله: قال محمد البادي يعنى العربى يريد به النبى ﷺ نسبة إلى البادية، وبلغنى أنه خلف من الذهب العين مائتى ألف دينار، غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والعقار والآلات!! وخلف ولدين، وكان ابنه الأكبر قد تجند وخدم السلطان محمد بن تكش..

450- وحكى ابن قاضى شهبه، عن ابن كثير في تاريخه، إن العادلية خربت سنة أربع وسبعائة ثم جددت عمارتها فعادت لها أيامها ثم انحطت عقب وقائع تيمور لنك، فخلت من المدرسين وتناولتها أيدى المختلسين ثم تقهقرت أحوالها، فتولاها الشيخ شهاب الدين أحمد المينى بالعلم والفضل فدرس بالسميساطية وجعل سكنه بها، وبسبب كثرة مخالطته للكبراء وأرباب المناصب، توجه عليه تدريس العادلية الكبرى وتولية السميساطية والعمرية، فانتقل إلى العادلية ولم يزل بها إلى أن توفى فاستولى أولاده على المدارس الثلاث المذكورة!

ثم انتقلت إلى أولادهم زمن محمد أفندى المينى، مفتى دمشق فاستولى عليها واتخذ العادلية بيتاً للسكنى، وجعل مسجدها إسطبلاً للدواب!!

وتصرف فيها وفي أوقاف المدارس الثلاث كيفما شاء وشاء له الهوى، ثم مات فأكمل الاستيلاء ولده توفيق أفندى، وبقيت إلى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الألف تحت سيطرته ونفوذه، وفي أيامنا جعل مسجدها مخزناً لبيع الفحم، واتخذ أعوانه ممن يعيشون من أكل أموال الأوقاف سلاحاً للمدافعة عنها ليعينوه هو وشيعته على المدافعة عما اختلسوه من الأوقاف [وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} (1)].

451- رفع بعض العلماء، حوائجه إلى المنصور فقضاها فقال: يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى؟ قال: وما هي؟ قال: شفاعتك يوم القيامة!! فقال له بعض من حضر: إياك وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق في المأمن، فهؤلاء خدموا العلم دهرهم وصاموا نهارهم وقاموا ليلهم وأتوا بالحسنات كالجبال، لكنهم تلطخوا بالأقذار لما ترددوا على أبواب الظلمة [ونافقوهم]، لينالوا من دنياهم التى نهوا عن زهرتها، فلم ينفعهم الدواء..

(1) سورة إبراهيم آية 42.

452- وقال الإمام الشعراني رحمه الله: علماء السوء، أضر على الناس من إبليس! لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن، عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين، فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصي، فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه. وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجداهم، فمن أطاعهم ضل سعيه، وهو يحسب أنه يحسن صنعا، فاستعذ بالله منهم واجتنبهم وكن مع العلماء الصادقين العاملين.

أبو نصر بشر بن الحارث الحافي رحمه الله كان يقول: كان العلماء رضى الله عنهم موصوفين بثلاثة أشياء: صدق اللسان، وطيب المطعم، وكثرة الزهد في الدنيا.

وأنا اليوم لا أعرف أحداً فيه واحدة من هذه الخصال!! فكيف أعبا بهم أو أبش في وجوههم، وكيف يدعى هؤلاء العلم؟! وهم يتغايرون على الدنيا ويتحاسدون عليها، ويجرحون أقرانهم عند الأمراء ويغتابونهم، خوفاً أن يميلوا إلى غيرهم بسحتهم وحطامهم.

ويحكم يا علماء السوء: أنتم ورثة الأنبياء؟! وإنما ورثوكم العلم فحملتوه وزغتم عن العمل به، وجعلتم علمكم حرفة تكسبون بها معاشكم، أفلا تخافون أن تكونوا أول من تسعر بكم النار؟! إياكم ومجاورة الأغنياء وقراء الأسواق والأمراء، فإنهم يفسدون كل من جالسهم. وقيل له: إن العابد الفلاني يعظم فلاناً ويعتقده، والأمير الفلاني، لا يقدم أحداً على فلان من القراء وأطبقت أهل بلده على اعتقاده! فقال: إنه لهالك مع الهالكين.

وكان رحمه الله يقول: الدنيا أفاعى قلوب العلماء، وسحارة قلوب العباد والقراء، تلعب بهم كما يلعب الصبيان بالكرة.

خصلتان تبعدان العبد من الله تعالى: أداء نافلة بتضييع فريضة، وعمل بالجوارح من غير صدق بالقلب. وكان رحمه الله يبكي ويقول: قد توعدت طريق الصالحين وقل فيها السالكون، وهجرت الأعمال وقل فيها الراغبون، ورفض الحق، ودرس هذا الأمر، فلا أراه إلا في لسان كل بطال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال الصالحة، قد افترش الرخص وتمهد التأويلات واعتل بذلك العصاة، ثم يقول: واغماه من فتنة العلماء واكرياه من حيرة الأدلاء..

453- قال محمد بن حسان: شهدت فضيل بن عياض رحمه الله في مجلس سفيان بن عيينة رحمه الله فقال الفضيل: أنتم معشر العلماء سرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة، كنتم نجوماً يبتدى بكم فصرتم حيرة، لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء وقد علم من أين هو حتى يسند ظهره،

فيقول: حدثني فلان عن فلان! فرفع سفيان رضي الله عنه رأسه فقال: هات والله إن كنا لسنا بصالحين إنا لنحب الصالحين، فسكت فضيل، وطلب إليه سفيان، فحدثنا ثلث الليلة ثلاثين حديثاً..

454- وهذا عتاب بن إبراهيم المحدث، اشتهر عنه أنه نافق الخليفة المهدي، وكذب على رسول الله ﷺ! فقد كان المهدي يحب اللعب بالحمام والسباق بينها، فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم عتاب بن إبراهيم، فحدثه بحديث أبي هريرة: لا سبق إلا في نصل، أو خف، أو حافر. وزاد [في] الحديث (أو جناح)! فأمر له المهدي بعشرة آلاف! ولما خرج قال: والله إنني أعلم أن عتاباً كذب على رسول الله ﷺ. [أيها الظالم لنفسه، عندما تأكدت من كذبه أمامك وأمام شهودك، لم تقم عليه الحد، وأنت ولي الأمر واكتفيت بالصمت؟! لماذا لم تحرس ألسنة أخرى قد تفتري الأحاديث مستقبلاً على رسول الله ﷺ، حبا في كسب المال والتقرب منك، وقد رأوك تنعم على الكاذب ولا تقيم عليه حد الله بل تكافئه؟!]

455- وقال بكار: سمعت وهب بن منه رضي الله عنه يقول: مر رجل من العباد على رجل فوجده مهموماً منكساً فقال: ما شأنك أراك منكساً؟ فقال: [أتعجب من] أمر فلان، قد بلغ من العبادة ما قد علمت، ثم رجع إلى أهل الدنيا! فقال: لا تعجب ممن يرجع، ولكن اعجب ممن يستقيم..

456- وحدثونا عن بعض العلماء: أنه كان قاضياً بصنعاء فدخل على الأمير وقت غدائه، فعرض عليه الأكل فقال: إني صائم، فلما أخذ الأمير في الأكل وهو يحدثه، إذ نظر القاضي فإذا قد جاؤوا بحمّل مشوي، فجعل القاضي يزحف ويتقدم إلى المائدة، ثم مدّ يده يأكل! فقال له الأمير: ألم تقل إني صائم؟! فقال: أيها الأمير، أنا على قضاء يوم أصومه، أقدر مني على [ترك لحم] مثل هذا الحمل!!

457- وكان الأوزاعي رضي الله عنه يروى عن بلال بن سعد رضي الله عنه أنه كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي والعون فيستعيز بالله تعالى من حاله ويمقته، وينظر إلى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوّف للطمع والرياسة فلا يمقته! هذا العالم أحقّ بالمقت من ذلك الشرطي..

458- حدثنا أبو سلمة عثمان عن منصور بن زاذان: نبئت أن بعض من يلقي في النار ليتأذى أهلها بريحه فيقال له: ويلك ما كنت تعمل أما يكفيننا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وتنن رائحتك؟ فيقول: إني كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي!

حدثنا معروف الكرخي قال بكر بن خنيس: إن في جهنم لواد تتعوذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات! وإن في الوادي لجباً يتعوذ الوادي وجهنم من ذلك الجب كل يوم

سبع مرات! وإن في الجب حية يتعوذ الجب والوادي وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات!! تبدأ بفسقة حملة القرآن، فيقولون: أى رب، بدئ بنا قبل عبدة الأوثان؟! فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم. قال السرى بن المغلس: سمعت بعض الحكماء يقول: ويل للقائلين بالحق العاملين بالباطل الذين قالوا الحسنات وعملوا السيئات، كيف يشنأهم قولهم إذا خالفوا أمر الله عز وجل، فنزلوا بأعمالهم منازل المجرمين..

459- قال الشاعر:

وراعى الشاة يحمى الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب
وقال الآخر:

يا معشر القراء يا ملح البلد مايصلح المالح إذا المالح فسد
وأنشدوا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها
وقال آخر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

460- رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي: وقد ذكر عن عمر رضي الله عنه أنه قال لزياد: هل

تدرى ما يهدم الإسلام؟ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون، اتقوا الله وما حدث في قرائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بوجهين ولسانين.

وقد ذكر أن من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار، يلقيك صاحب الغيبة فيغتاب عندك من يرى أنك تحب غيبته ويخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله، فإذا هو قد أصاب عند كل واحد منكما حاجته، وخفى على كل واحد منكما ما يأتي عند صاحبه، فيا لعباد الله، أما في القوم من رشيد ولا مصلح به يجمع هذا عن مكيدته ويرده عن عرض أخيه المسلم، عرف هواهم فيما مشى به إليهم فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته، فأكل بدينه مع أديانهم، فالله الله، ناصحوا الله في أمتكم إذ كنتم حملة الكتاب والسنة، فإن الكتاب لا ينطق حتى ينطق به، وإن السنة لا تعمل حتى يعمل بها.

فمتى يتعلم الجاهل إذا سكت العالم فلم ينكر ما ظهر ولم يأمر بما ترك؟ { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ }⁽¹⁾. اتقوا الله فإنكم في زمان رق فيه الورع وقل فيه الخشوع وحمل العلم مفسدوه! فأحبوا أن يعرفوا بحمله وكرهوا أن يعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوى لما أدخلوا فيه من الخطأ، وحرفوا الكلم عما تركوا من الحق إلى ما عملوا به من باطل، فذنبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصير لا يعترف به، كيف يهتدى المستدل المسترشد إذا كان الدليل حائراً؟ أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها، فشاركوههم في العيش وزايلوهم بالقول ودافعوا بالقول عن أنفسهم، أن يُنسبوا إلى عملهم، فلم يتبرؤوا مما انتفوا منه، ولم يدخلوا فيما نُسبوا إليه أنفسهم. لأن العامل بالحق متكلم وإن سكت. وقد ذكر أن الله تعالى يقول: إني لست كل كلام الحكيم أتقبل، ولكنني أنظر إلى همه وهواه، فإن كان همه وهواه لي، جعلت صمته حمدا ووقارا وإن لم يتكلم.

وقال الله تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا }⁽²⁾. ولم يعملوا بها، { كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا }⁽³⁾. أى كتباً. وقال تعالى: { خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ }⁽³⁾. قال العمل بما فيه، ولا تكتفوا من السنة بانتحالها بالقول دون العمل بها، فإن انتحال السنة دون العمل بها كذب بالقول مع إضاعة العلم، ولا تعيبوا بالبدع تزيينا بعييها، فإن فساد أهل البدع ليس بزائد في صلاحكم، ولا تعيبوها بغيا على أهلها، فإن البغي من فساد أنفسكم، وليس ينبغي للمطبيب أن يداوى المرضى بما يبرئهم ويمرضه، فإنه إذا مرض اشتغل بمرضه عن مداواتهم، ولكن ينبغي أن يلتبس لنفسه الصحة ليقوى به على علاج المرضى.

فليكن أمركم فيما تنكرون على إخوانكم نظرا منكم لأنفسكم ونصيحة منكم لربكم وشفقة منكم على إخوانكم، وأن تكونوا مع ذلك بعيوب أنفسكم أعنى منكم بعيوب غيركم، وأن يستفطم بعضكم بعضا النصيحة وأن يحظى عندكم من بذلها لكم وقبلها منكم.

قال عمر رضي الله عنه: رحم الله من أهلى إلى عيوبى، تحبون أن تقولوا فيحتمل لكم وإن قيل لكم مثل الذى قلتم غضبتكم، تجدون على الناس فيما تنكرون من أمورهم وتأتون مثل ذلك، أفلا

(1) سورة آل عمران آية 187.

(2) سورة الجمعة آية 5.

(3) سورة البقرة آية 63.

تحبون أن يؤخذ عليكم، اهتموا رأيكم ورأى أهل زمانكم وتثبتوا قبل أن تكلموا وتعلموا قبل أن تعملوا، فإنه يأتي زمان يشتبه فيه الحق والباطل ويكون المعروف فيه منكرا والمنكر فيه معروفا فمنكم مقترب إلى الله بما يباعدته ومتجنب إليه بما يبغضه عليه!! قال الله تعالى: {أَقْمَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} ⁽¹⁾. فعليكم بالوقوف عند الشبهات، حتى يبرز لكم واضح الحق بالبينه، فإن الداخل فيما لا يعلم بغير علم آثم، ومن نظر الله نظر الله له، عليكم بالقرآن فأتموا به وأموا به، وعليكم بطلب أثر الماضين فيه، ولو أن الأخبار والرهبان لم يتقوا زوال مراتبهم وفساد منزلتهم، بإقامة الكتاب وتبينه ما حرفوه ولا كتموه، ولكنهم لما خالفوا الكتاب بأعمالهم، التمسوا أن يخدعوا قومهم عما صنعوا مخافة أن تفسد منازلهم وأن يتبين للناس فسادهم، فحرفوا الكتاب بالتفسير، وما لم يستطيعوا تحريفه كتموه، فسكتوا عن صنيع أنفسهم إبقاءً على منازلهم، وسكتوا عما صنع قومهم مصانعة لهم، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه بل مالوا عليه ورفقوا لهم فيه..

461- حدثنا عاصم الأحول قال: سمعت سفيان ثقة قال: يقال تعوذوا بالله من فتنه العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون..

462- عن الزهري قال: سمعت أبا إدريس الخولاني ثقة يقول: أدركت أبا الدرداء ثقة ووعيت عنه، وأدركت عبادة بن الصامت ثقة ووعيت عنه، وأدركت شداد بن أوس ثقة ووعيت عنه، وفاتني معاذ بن جبل ثقة، فأخبرني يزيد بن عميرة أنه كان يقول في مجلس يجلسه: الله حكم عدل قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون، إن من ورائكم فتنا يكثُر فيها المال ويفتح القرآن حتى يأخذه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فيوشك الرجل أن يقرأ القرآن في ذلك الزمان، فيقول: قد قرأت القرآن فما للناس لا يتبعوني؟! ثم يقول: ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره! فإياكم وما ابتدع فإنما ابتدع ضلالة.

اتقوا زيغة العالم. فإن الشيطان يلقي على فم الحكيم كلمة الضلالة، ويلقى المنافق كلمة الحق. قلنا: وما يدرينا رحمك الله إن المنافق يلقي كلمة الحق، وأن الشيطان يلقي على فم الحكيم كلمة الضلالة؟

قال: اجتنبوا من كلمة الحكيم كل متشابه، الذي إذا سمعته قلت: ما هذا؟ ولا يبعدنك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع ويلقى الحق إذا سمعه فإن على الحق نوراً..

(1) سورة فاطر آية 8.

463- وقال الثوري رحمه الله: نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر، وفتنة القائد الجاهل..

464- عن محمد بن عاصم قال: سمعت أبا سفيان يقول رحمه الله: إذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أن تأخذ عنه، وكل عمل، عمل لغير الله فهو ذنب على عامله..

465- وقال أحمد بن شعيب: إن أول من أحل المسكر من الأنبياء إبراهيم النخعي، وهذه زلة من عالم! وقد حذرنا من زلة العالم ولا حجة في قول أحد مع السنة، وقد زعمت طائفة أن أبا جعفر الطحاوي وكان إمام أهل زمانه، ذهب إلى إباحة الشرب من المسكر ما لم يسكر!!

466- خطب [المنصور] يوما فاعترضه رجل وهو يثنى على الله عز وجل فقال: يا أمير المؤمنين، اذكر من أنت ذاكره واتق الله فيما تأتيه وتذره، فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال: أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} (1). أو أن أكون جبارا عصيا، أيها الناس، إن الموعدة علينا نزلت ومن عندنا نبتت! ثم قال للرجل: ما أظنك في مقالتك هذه تريد وجه الله، وإنما أردت أن يقال عنك: وعظ أمير المؤمنين، أيها الناس لا يغرنكم هذا فتفعلوا كفعله ثم أمر به فاحتفظ به، وعاد إلى خطبته فأكملها، ثم قال لمن هو عنده: اعرض عليه الدنيا، فإن قبلها فأعلمني وإن ردها فأعلمني؟ فما زال الرجل الذي عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا! فوله الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزه حسنة وثياب وشارة وهيئة دنيوية! فقال له الخليفة: ويحك، لو كنت حقا مريدا وجه الله بما قلت على رؤوس الناس، لما قبلت شيئا مما أرى، ولكن أردت أن يقال عنك: إنك وعظت أمير المؤمنين وخرجت عليه، ثم أمر به فضربت عنقه..

467- في شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة ومائتين، كتب المأمون [جزاه الله بما يستحقه] إلى إسحاق بن إبراهيم وهو ببغداد، في أشخاص سبعة نفر من الفقهاء منهم: محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستمل يزد بن هارون، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب، وأبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد بن الدورقي، فأشخصوا، فسألهم وامتنعهم عن خلق القرآن، فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق!! فأشخصهم إلى مدينة السلام، وأحضرهم إسحاق [في] داره، فأشهر أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث، فأقروا بمثل ما أجابوا به المأمون، فخلى سبيلهم!!

(1) سورة البقرة آية 206.

468- عن فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال أمتى بخير ما لم يظهر فيهم حب الدنيا في علماء فساق، وقراء جهال، وجابرة، فإذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب⁽¹⁾ ..

469- وقال أبو مسلم الخولاني العلماء ثلاثة: رجل عاش بعلمه وعاش به الناس، ورجل عاش بعلمه ولم يعيش به الناس، ورجل عاش بعلمه الناس وهلك هو..

470- ذكر الدجال: وهو بشر من بنى آدم يخرج آخر الزمان، يتلى الله عباده به ويقدره على أشياء تدهش العقول وتحير الألباب، يعثر بها بعض العباد، ويثبت الله من سبقت له السعادة. قال البسطامي: ومن أمارات خروجه تهب ريح كريح قوم عاد ويسمعون صيحة عظيمة، وذلك عند ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثرة الزنا وسفك الدماء، وركون العلماء إلى الظلمة، والتردد إلى أبواب الملوك!

471- قال وهيب بن الورد: مثل العالم السوء كمثل حجر دفع في ساقية، فلا هو يشرب من الماء، ولا هو يخل عن الماء فيحیی به الشجر! ولو أن علماء السوء نصحوا الله في عباده فقالوا: يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم به عن نبيكم وصالح سلفكم، فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفاشلة، فإننا قوم مفتنون. كانوا قد نصحوا الله في عباده، ولكنهم يريدون أن يدعوا عباد الله إلى أعمالهم القبيحة فيدخلوا معهم فيها..

472- قال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه، بالذنب يعلمه: وقال آخر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ	هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ	كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْ غَيْرِهَا	فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
هُنَاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى	بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ	عَارًا عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

* * *

(1) الإصابة في تمييز الصحابة ج 8 ص 62.

الفصل الرابع عشر

صفات ومعاونة علماء الآخرة

الذين ثبتوا بوجه الطغاة

مقدمة:

حفلت الدولة الإسلامية في تاريخها الإسلامي بمآثر جلييلة، أظهر علماء تلك العصور عزة الإسلام بصور سجلها التاريخ لهم بمواقفهم الخالدة. أروعها تلك التي سجلها العلماء على العتاة من السلاطين والأمراء والولاة والحكام، الذين خرجوا عن جادة الأمر وغرّتهم الحياة الدنيا، فاتبعوا أهواءهم، حرصا منهم على الحكم والسلطان.

والتزم صالحو العلماء بنصحهم ومحاولة صدهم عن الظلم وتبصيرهم بالعاقبة، ولم تأخذهم في ذلك لومة لائم، لأن الرسول ﷺ يخبرهم بقوله: سيكون بعدى أمراء يكذبون ويظلمون، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، وليس بوارد على الخوض. ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الخوض⁽¹⁾.

فخشوا أن يحشرهم الله مع الظالمين، فألزموا أنفسهم هدى المصطفى ﷺ، ولم يتركوا ظالما مهما علا شأنه ان يتعدى حقوق الله إلا وقفوا في وجهه بقولهم ما يرضى ربهم، كما قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽²⁾.

فمن تمام خشيتهم لله وحده سبحانه، أنهم لا يشتركون بآيات الله ثمنا قليلا، فلا يقدمون الدنيا على الدين، كما فعل ويفعل أهل الانحراف والضلال الذين آثروا الباطل على الحق ودعوا إليه. لذا ينبغي لمن نظمته الله سبحانه في سلك العلماء الصالحين، أن يعرف قدر نعمة الله تعالى عليه، فقد قربته من درجة النبوة بما أنعم عليه وأساده إليه، فلا يحزن لما يفوته من نعم الدنيا، وليتحمل ولا يتبرم بما ينزل به من مصائبها، فإن الابتلاء من علامات قبوله ولحوقه بالصالحين، كما جاء في حديث: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن أشد الناس بلاء الأنبياء

(1) عن كعب بن عجرة مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 243 رقم 18151.

(2) سورة فاطر آية 28.

ثم الأمثل فالأمثل، ثم سائر الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه⁽¹⁾. إذاً فالبلاء بلاءان: بلاء رحمة لتضعيف درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة وعلو منزلة، وبلاء عقوبة لانتهاك حرمة واقتراف معصية. ولن تخلو المكاراه أن تكون لحادث رحمة أو بلاء رغبة عما أنعم الله به منهما أو لسيئة عند إضاعة فلا غنى عن زاجر عنها، فلأجل ذلك كان حلؤها عظمت به المنة، ووجبت لله به النعمة.

قال وهب بن منبه رحمه الله: لا يكون الفقيه فقيها حتى يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وذلك أن صاحب البلاء ينتظر الرخاء وصاحب الرخاء ينتظر البلاء. فقلما انفك ولى أو عالم عن ضروب من الإيذاء.

فعلى العلماء الصدع بالحق عند السلطان، وإظهار السنن الصحيحة والعمل على إخماد البدع، والقيام لله فإنهم القدوة والمرجع في الأحكام وحجة الله على خلقه. ولقد عجبت والله الذى لا إله إلا هو من جرأة البعض، ممن ادعوا العلم على الله، وهو يحلم عنهم.

* * *

اعلم أخى القارئ / أن فى تاريخنا الإسلامى مواقف مشرقة لعلماء حق ثبتوا بوجه الطغاة، فاعلم بأنه ما من إمام ثقة عدل فى الناس إلا وامتنحن وله محنة أصيب بها قبل موته، فمنهم من امتحن بالضرب كأبى حنيفة ومالك والثورى وغيرهم، ومنهم من امتحن بالسجن كالإمام أحمد وغيره، ومات الإمام أبو حنيفة مسجوناً، وكثيراً منهم امتحن بالهرب فترة من حياته هارباً من السلطان كالإمام أحمد، والإمام سفيان الثورى الذى عاش مشرداً. ومنهم من قتل، ومنهم من هدم بيته ومنهم من أحرقوا داره، وآخرون لا ندرى عما أصابهم. ذكرنا البعض ممن تمكنا حصرهم وما أكثر من لم نوفق فى أخبار عنهم!

والسبب فى كل هذا هو أنهم كانوا علماء حق يخشون الله، بقولهم كلمة حق عند سلطان جائر. جريمتهم، أنهم لم تأخذهم فى الله لومة لائم! لم يخضعوا الدين للسلطان، لم يتفننوا فى لوى أعنة الآيات والأحاديث لتناسب هواهم أو أفعالهم، لم يجللوا ويحرموا كما فعل ويفعل وسيفعل غيرهم، ولم تزحزحهم الأهوال عن مواقفهم، لم يرضخوا لمطالب السلطان المنافية لأموال الدين، تحملوا من التعذيب والترهيب ما لا تحتمله إلا الجبال، والأمثلة على ذلك كثيرة.

(1) الأحاديث المختارة ج 3 ص 246.

كان هذا حالهم مع الحكام الذين كانوا يدعون وقتها، أنهم يحكمون بشرع الله لا بالقوانين الوضعية، وكانوا قائمين بجهاد الكفار وأخذ الجزية منهم، ليس كحال الموالين لأعداء الله المعطلين للفرائض المبددين لأموال الأمة.

فإذا كانت شدة السلف على من أتى أبواب الحكام في عصرهم، فكيف يكون الأمر لو رأوا من ينتظم تحت مظلتهم؟ ولا يتكلم إلا بأمرهم؟ يرفل في ثيابهم وينعم بنعمتهم وبأعطياتهم. وقد قال رسول الله ﷺ: رب متخوِّض في مال الله ومال رسول الله فيما شاءت نفسه، له النار غداً⁽¹⁾.

أى رب متصرف في مال الله تعالى بما لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله، ليس له نصيب في الآخرة لاستيفائه حظ نفسه في الدنيا، فعلى المتصرف في الأموال العامة، إذا أراد سلوك مناهج السلامة الاقتصار على الكفاف، وقبض اليد عن التبسط في الاختصاص بالمال العام، وقد فرض رسول الله لعتاب حين ولاه مكة عام الفتح درهما كل يوم، وقد فرض عمر رضي الله عنه لنفسه ولأهله لما ولى الخلافة وكذا فعل ابن عبد العزيز رضي الله عنه. فيا علماء السلاطين اعلموا أن روحكم وروحهم واحدة، ولكن إيمانكم ليس كإيمانهم، فهم قد اشتروا الآخرة بأعلى الأثمان، أما أنتم فقد بعتموها بأبخص الأثمان، والشارى دائماً ربحان والبائع دائماً خسران، فهل علمتم الفرق؟

فلا تكونوا كمن قيل فيهم: إن ناساً قد غرهم حلم الله عنهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم فزلت بهم الأقدام فهووا في النار. إن صالح العلماء عملوا بما علموا، آمنوا بالله حق إيمانه، فلم يخضعوا أنفسهم إلا لله وحده، ولم يرغبوا في العلو في الدنيا، كانوا رحمهم الله يخشون إذا وقفوا بين يدي الله، أن يسألهم عن كل مسألة قضا فيها بين اثنين، لماذا قضيت بذلك؟ ولما جعلت الحق لهذا على ذاك؟ وما دليلك الذي استندت عليه في حكمك؟ وفتواك على ذلك؟

نادى رجل أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر: يا سليمان، أيا سليمان، اذكر يوم الأذان، فنزل عن المنبر ودعا بالرجل فقال له: ما يوم الأذان؟! فقال: { فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ }⁽²⁾.

(1) فيض القدير ج 3 ص 117.

(2) سورة الأعراف آية 44.

ومن العلامات التي يعرف بها العلماء الربانيون:

يعرفون برسوخ أقدامهم في مواطن الشبه، حيث تزيغ الأفهام فلا يسلم إلا من آتاه الله العلم. يعرفون بنسكهم وخشيتهم.

يعرفون باستعلائهم عن الدنيا وحفظها ورفضهم المناصب.

يعرفون بالفرار من الأمراء والحكام لا سيما السلاطين.

يعرفون بالزهد في الدنيا والبعد عن الرفاهية والتنعم.

يعرفون بأن أقوالهم توافق أعمالهم.

يعرفون بأنهم يفرون من الفتوى فرارهم من الأسد.

يعرفون بغلبة السكينة عليهم والحزن والوقار.

يعرفون باتباع ما جاء في الكتاب والسنة، ولا يحرفون ولا يلوون أعنة الآيات والأحاديث لإرضاء السلطان وأرباب المناصب.

يعرفون بالطاعة لله ورسوله والبعد عن الفسق والمعاصي والذنوب.

يعرفون بزهدهم وتواضعهم وعدم اقتنائهم للقصور والقناطر المكننة.

هؤلاء هم العلماء الراسخون العارفون بشرع الله، المتفقهون في دينه، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة، هم الذين جعل الله عز وجل عماد الناس عليهم، في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، فهم أئمة الدين، هم ورثة الأنبياء، هم رأس الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ورأس جماعة المسلمين، التي أمرنا الرسول ﷺ بلزومها وحذرنا من مفارقتها والله تعالى أعلم وأجل.

ما أصدق القائل:

ذهب الذين إذا مررت بدارهم	فاحت نسائم عطرهم تتبعثر
قوم على حب الإله ترعرعوا	وعلى حطام الدار هم يتكبروا
يوم الرحيل تراهم في دهشة	كل على طاعاته يتدثر
يبكى مصلاهم على دمعاتهم	في كل حين هم به يستغفروا
وبكت مواطن خوفهم ورجائهم	يوم اللظى في روحهم تتسعر
ذكرهم في أسطر تحيي بنا	جيلا به أملا عظيما ينظر

سلف عظيم فى المحامد ورثوا طه الكريم وبالعبادة أخبروا
رباه فاجمعنا بهم فى جنّة وأنر بذكراهم طريقا يعبر

473- تنويه: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }⁽¹⁾.

إن قولكم أن الله سبحانه وتعالى أمر بطاعة أولى الأمر وهم العلماء، وطاعتهم تقليد لهم فيما يفتون به، فجوابه أن أولى الأمر قليل: هم الأمراء وقيل هم العلماء وهما روايتان عن الإمام أحمد والتحقيق: أن الآية تتناول الطائفتين وطاعتهم من طاعة الرسول ﷺ، لكن خفى على المقلدين أنهم إنما يطاعون فى طاعة الله، إذا أمروا بأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

فكان العلماء مبلغون لأمر الرسول، والأمراء منفذون له، فحينئذ تجب طاعتهم تبعاً لطاعة الله ورسوله، فأين فى الآية تقديم آراء الرجال على سنة رسول الله ﷺ، وإيثار التقليد عليها؟! إن هذه الآية من أكبر الحجج عليهم وأعظمها إبطالا للتقليد، وذلك من وجوه.

أحدها: الأمر بطاعته التى هى امتثال أمره واجتناب نهيهِ.

الثانى: طاعة رسول الله ﷺ. ولا يكون العبد مطيعاً لله ورسوله حتى يكون عالماً بأمر الله تعالى ورسوله، ومن أقر على نفسه بأنه ليس من أهل العلم بأوامر الله ورسوله وإنما هو مقلد فيها لأهل العلم، لم يمكنه تحقيق طاعة الله ورسوله ﷺ البتة.

الثالث: أن أولى الأمر قد نهوا عن تقليدهم كما صح ذلك عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وغيرهم من الصحابة، والأئمة الأربعة وغيرهم، وحينئذ فطاعتهم فى ذلك إن كانت واجبة بطل التقليد، وإن لم تكن واجبة بطل الاستدلال.

الرابع: أنه سبحانه وتعالى قال فى الآية نفسها { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ }⁽²⁾. وهذا صريح فى إبطال التقليد والمنع من رد المتنازع فيه إلى رأى أو مذهب أو تقليد، فإن قيل: فما هى طاعتهم المختصة بهم، إذ لو كانت الطاعة فيما

(1) سورة النساء آية 59.

(2) سورة النساء آية 59.

يخبرون به عن الله تعالى ورسوله ﷺ، كانت الطاعة لله ورسوله لا لهم. قيل: هذا هو الحق وطاعتهم إنما هي تبع لا استقلال. ولهذا قرنوا بطاعة الرسول، ولم يعد العامل وأفرد طاعة الرسول وأعاد العامل لئلا يتوهم أنه إنما يطاع تبعاً كما يطاع أولو الأمر تبعاً وليس كذلك، بل طاعته واجبة استقلالاً سواء كان ما أمر به ونهى عنه في القرآن أو لم يكن..

474- قال النووي: ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة أثر أمر الآخرة على الدنيا⁽¹⁾..

475- عن بكر بن زرعة قال: سمعت أبا عتبة الخولاني، وكان قد صلى القبلتين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الله تعالى يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته⁽²⁾..

476- عن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون⁽³⁾..

477- وقال [أبو عبيد الله]: في حديثه عليه السلام: إن مثل العالم [الصالح] كالحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء، فبينما هم كذلك إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفككون⁽⁴⁾. يعني يتندمون والتفككن التندم.

قال محمد بن الحارث:

رأيت رفيع الناس من كان عالماً وإن لم يكن في قومه بنجيـب
إذا حل أرضاً عاش فيها بعلمه وما عالم في بلدة بغريـب

478- عن عياض بن سليمان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: خيار أمتي قوم يضحكون جهراً، ويبكون سراً من خوف شدة عذاب الله، يذكرون الله تعالى بالغداة والعشي في البيوت الطيبة

(1) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وفيه سالم المرادي، ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه ابن حبان.

(2) أسد الغابة ج 6 ص 246.

(3) الفتن لنعيم بن حماد ج 2 ص 602.

(4) غريب الحديث لابن سلام ج 3 ص 201.

يعنى المساجد، يدعوهم بألستهم رغبا ورهبا، مؤنتهم على الناس خفيفة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون على الأرض حفاة بلا مرح ولا بذخ يمشون بالسكينة، ويتقربون بالوسيلة: الحديث⁽¹⁾..

479- وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: أرفع الناس منزلة عند الله تعالى من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء. وقال سهل التستري: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فليتنظر إلى مجالس العلماء [المقصود مجالس العلماء الربانيين الصالحين منهم]..

480- عن ابن مسعود رحمه الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس من عالم إلا وقد أخذ الله ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين، يدفع عنه مساوئ عمله لمحاسن عمله، إلا أنه لا يوحى إليه⁽²⁾..

481- قال الشافعي: سمعت سفيان بن عيينة رحمه الله يقول: إن العالم لا يارى ولا يدارى، ينشر حكمة الله، فإن قبلت حمد الله وإن ردت حمد الله..

482- عن أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصاييح الآخرة⁽³⁾..
483- ول بعضهم:

إذا شئت أن تيكى فقيداً من الورى	وتندبه ندب النبى المكرم
فلا تبكين إلا على فقد عالم	يبالغ فى التعليم للمتعلّم
وفقد إمام عادل صان ملكه	بأنوار حكم الله لا بالتحكم
وفقد ولى صالح حافظ الوفا	مطيع لرب العالمين معظّم
وفقد شجاع صادق فى جهاده	قد انتشرت أعلامه للتعظيم
وفقد سخي لا يمل من العطا	يفرح همّ العسر عن كل معدم
فهم خمسة ييكى عليهم وغيرهم	إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم

وقد قيل: إن أم قشعم كانت ناقة مجنونة ألفت رحلها فى النار!

484- [قال الحسن البصرى رحمه الله]: لولا ما أخذ الله على العلماء ما أجت إلا قليلا..

(1) أسد الغابة ج 4 ص 347 رقم 4140 أخرجه أبو موسى.

(2) الدر المنثور ج 6 ص 570 وأخرجه أبو نعيم والديلمي.

(3) جامع الأحاديث ج 1 ص 56 رقم 236.

485- قال مسعر رحمه الله عن سعد بن إبراهيم وقد سأله سائل: أى أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم الله عز وجل. وقال بعض العلماء: لو قال لى قائل أى الناس أعلم؟ لقلت أوردعهم. ولو قال لى قائل أى أهل هذه المدينة خير؟ لقلت: تعرفون أنصحهم لهم؟ فإذا قالوا نعم، قلت هو خيرهم. وقال آخر: لو قيل لى من أحق الناس لأخذت بيد القاضى فقلت هذا! [المقصود لخطورة منصب القاضى والعالم، فإنهم إنما يتحدثون ويحكمون باسم الله على الأرض، وليس لما دون الأنبياء من بنى آدم العصمة من الزلل].

وكان ذو النون رحمه الله يقول: اجلس إلى من تكلمك صفته ولا تجلس إلى من يكلمك لسانه. وقد كان الحسن [البصرى رحمه الله] قبله يقول: جالس من تكلمك أعماله ولا تجالس من يخاطبك مقالته.

وكان سهل رحمه الله يقول: العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به، والعمل هباء إلا الإخلاص وقال مرة: الناس موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون مغرورون إلا المخلصين، والمخلص على وجل حتى يختم له به. ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالماً بعلم غيره ولا حافظاً لفقه سواه، هذا كان اسمه راوية وواعياً وحاملاً وناقلاً! وقد كان الزهرى يقول: كان فلان وعاء للعلم، وحدثنى فلان وكان من أوعية العلم، ولا يقول كان عالماً.

وكانوا يقولون: حماد الراوية، يعنون أنه كان راوياً، وإنما كان العالم عندهم الغنى بعلمه لا بعلم غيره. وكان الفقيه فيهم، هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحدِيث سواه! كما جاء فى الأثر: أى الناس أغنى؟ قال: العالم الغنى بعلمه، إن احتيج إليه نفع وإلا اكتفى عن الناس بعلمه. وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول: لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخيرات أن يعملها، حتى يسمع به فى الأثر، فيحمد الله تعالى إذا وافق ما فى نفسه. وقال بعض العارفين: ما قبلت خاطراً من قلبى حتى يقيم لى شاهد عدل من كتاب وسنة! وكان إمامنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه هذه الأربع: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهى من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك حتى الممات.

وسمى الله تعالى أهل الزهد علماء بقوله تعالى إذ وصف قارون: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكُوْهُ عَظِيمٌ * } وَقَالَ الَّذِينَ

أَوْتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ⁽¹⁾. قيل: هم الزاهدون في الدنيا. وقال عز وجل: { أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا }⁽²⁾. وفي التفسير صبروا على الزهد في الدنيا، وقال تعالى: { وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ }⁽³⁾. قيل على الفقر، ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله عز وجل في وصف العلماء الزاهدين: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا }⁽⁴⁾. قال عقب ذلك في بقية ثنائه عليهم: { وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ }⁽⁵⁾. أى عن زينة الدنيا. ثم قال في مدحهم بوصف آخر: { أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا }⁽⁶⁾. بصبره على الفقر وبوجود زهده، وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده..

486- قال أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي: سمعت الفضيل بن عياض رضي الله عنه يقول: عالم عامل معلّم يدعى كبيراً في ملكوت السماوات..

487- وقال مالك بن دينار رضي الله عنه: إن العالم إذا لم يعمل، زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا..

488- سئل إبراهيم بن أدهم عن العلماء بالقرآن فقال: هم الذين نصبوا الركب والأبدان، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاة ذابلة ودموع وابلة وزفرات عالية، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون..

489- قال عبدالله بن منازل: سئل حمدون رضي الله عنه من العلماء؟

فقال: المستعملون لعلمهم والمتهمون آراءهم، والمقتدون بسير السلف، والمتبعون لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، لباسهم الخشوع وزينتهم الورع وحليتهم الخشية، وكلامهم ذكر الله أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، وصمتهم تفكير في آلاء الله ونعمه، نصيحتهم للخلق مبدولة

(1) سورة القصص الآيات 79 / 80.

(2) سورة القصص آية 54.

(3) سورة الرعد الآيات 23 / 24.

(4) سورة القصص آية 80.

(5) سورة القصص آية 80.

(6) سورة القصص آية 54.

وعيوبهم عندهم مستورة، يزهّدون الخلق في الدنيا بالإعراض عنها، ويرغبونهم في الآخرة بالحرص على طلبها..

490- قال الغزالي قيل: خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة، مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، وإيثار الآخرة على الدنيا، وهو الزهد.

فأما الخشية فمن قوله تعالى: { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }⁽¹⁾.

وأما الخشوع فمن قوله تعالى: { خَاشِعِينَ اللَّهَ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا }⁽²⁾.

وأما التواضع فمن قوله تعالى: { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }⁽³⁾.

وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ }⁽⁴⁾.

وأما الزهد، فمن قوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا }⁽⁵⁾. وكان من سمت علماء الآخرة وهديبهم، أنهم لا يدخلون على ولاة الأمر والأمراء، إلا ناصحين مذكّرين بالحكمة والموعظة الحسنة، من قلوب لا تعرف إلا شرع الله عز وجل، ولا تبتغي إلا مرضاته والنصح لعباده..

491- عن أبي حيان التيمى قال: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبأمر الله، وعالم بالله وليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله. فأما العالم بالله وبأمر الله: فذاك الخائف من الله العالم بسننه وحدوده وفرائضه. وأما العالم بالله وليس بعالم بأمر الله: فذاك الخائف منه وليس بعالم بسننه ولا حدوده ولا فرائضه. وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله: فذاك العالم بسننه وحدوده وفرائضه وليس بخائف منه..

492- قال سفيان بن عيينة: كان يقال: العالم [الصالح] مثل السراج من مرّ به اقتبس منه.

(1) سورة فاطر آية 28.

(2) سورة آل عمران آية 199.

(3) سورة الحجر آية 88.

(4) سورة آل عمران آية 159.

(5) سورة القصص آية 80.

493- قال المروذي: قلت [لأحمد بن حنبل]: قيل لابن المبارك، كيف تعرف العالم الصادق؟ فقال: الذي يزهد في الدنيا ويقبل على أمر آخرته. فقال أبو عبد الله: نعم هكذا أريد أن يكون..

494- موسى بن مساور الضبي رحمه الله، روى عن سفيان بن عيينة ووكيع، وكان جيدا فاضلا، ترك ما ورثه عن أبيه لإخوته تورعا، ولم يتناول منه شيئا، لأن أباه كان يتولى للسلطان!! قال عبدالعزيز بن يوسف: أردت الخروج من البصرة، فبدأت بيحيى بن سعيد رحمه الله فودعته ثم ودعت عبد الرحمن بن مهدي، ثم ودعت زهير بن نعيم البابي العابد المرضي فقلت له: هل من حاجة؟ قال: لا تدخل على قاض ولا على من يدخل على القاضي، فإني في هذا المصر منذ خمسين سنة ما نظرت إلى وجه قاضٍ ولا والٍ!!

495- وقال الهيثم بن عدي: لما انفرد سفيان بن عيينة رحمه الله ومات نظراؤه من العلماء، تكاثر الناس عليه، فأنشد يقول:

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدَى بِالسَّوِّدِ

496- روى أبو نعيم في الحلية عن ميمون بن مهران: أن عبد الله بن عبد الملك بن مروان قدم المدينة، فبعث حاجبه إلى سعيد بن المسيب رحمه الله فقال له: أجب أمير المؤمنين! قال: وما حاجته؟ قال: لتتحدث معه. فقال: لست من حدثه! فرجع الحاجب إليه فأخبره. فقال: دعه. وقال البخاري في تاريخه: سمعت آدم بن أبي إياس يقول: شهدت حماد بن سلمة رحمه الله دعاه السلطان فقال: أأذهب إلى هؤلاء! لا والله لا فعلت!

وروى الخطيب عن حماد بن سلمة رحمه الله: أن بعض الخلفاء أرسل إليه رسولا يقول له: إنه قد عرضت مسألة، فأتنا نسألك. فقال للرسول قل له: إنا أدركنا أقواما لا يأتون أحدا لما بلغهم من الحديث، فإن كانت لك مسألة فاكتبها في رقعة نكتب لك جوابها!

وأخرج أبو الحسن بن فهر في كتاب فضائل مالك رحمه الله، عن عبد الله بن رافع وغيره قال: قدم هارون الرشيد المدينة، فوجه البرمكي [الفارسي] إلى مالك رحمه الله وقال له: احمل إلى الكتاب الذي صنفته حتى أسمع منه. فقال مالك للبرمكي: أقرئه السلام وقل له: إن العلم يزار ولا يزور.

فرجع البرمكى [الفارسي] إلى هارون الرشيد، فقال له: يا أمير المؤمنين! يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك في أمر فخالفك؟! اعزم عليه حتى يأتيك؟ فأرسله إليه، فقال مالك: قل له يا أمير المؤمنين لا تكن أول من وضع العلم فيضعك الله.

وروى عن ابن منير أن سلطان بخارى، بعث إلى محمد بن إسماعيل البخاري رحمته الله يقول: احمل إلى كتاب الجامع والتاريخ لأسمعه منك. فقال البخاري لرسوله قل له: أنا لا أذل العلم، ولا آتى أبواب السلاطين، فإن كانت لك حاجة إلى شيء منه، فلتحضرني في مسجدي أو في داري!

497- كان على بن الحسن الصننلى النيسابوري رحمته الله: من أصحاب أبي عبد الله الصيمري، قرأ بنيسابور ودرس هناك وله يد في الكلام وله نصف تفسير القرآن، كان يعظ على عادة أهل خراسان، وانقطع وتزهّد فلم يدخل على السلاطين. فقال له السلطان ملك شاه في جامع نيسابور لم لا تحيى إليّ؟ فقال: أردت أن تكون من خير الملوك حيث تزور العلماء، ولا أكون من شر العلماء حيث أزور الملوك..

498- وحدثنا أبو بكر بن الأنباري، حدثني أبي قال: بعث سليمان [بن عبد الملك] المهلبى إلى الخليل بن أحمد رحمته الله بمائة ألف درهم وسأله في صحبته، فرد عليه المائة ألف وكتب إليه:

أَبْلَغُ سُلَيْمَانَ أَنَّى عَنْهُ فِي سَاعَةٍ وَفِي غِنَى غَيْرِ أَنَّى لَسْتُ ذَا مَالٍ
سَخَى بِنَفْسِي أَنَّى لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ هُزْلًا وَلَا يَبْقَى عَلَى حَالٍ
فَالرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لَا الْعَجْزُ يُنْقِصُهُ وَلَا يَزِيدُكَ فِيهِ حَوْلٌ مُحْتَالٍ
وَالْفَقْرُ فِي النَّفْسِ لَا فِي الْمَالِ تَعْرِفُهُ وَمِثْلُ ذَاكَ الْغِنَى فِي النَّفْسِ لَا الْمَالِ

وقال الجهم اللغوى: أخبرني بعض الفضلاء، أن الأمير عز الدين حرسك، بعث إلى الشيخ الشاطبي رحمته الله يدعو للحضور عنده، فأمر الشيخ بعض أصحابه أن يكتب إليه هذه الأبيات وهي قوله:

قُلْ لِلْأَمِيرِ مَقَالَةٌ مِنْ نَاصِحٍ فَطَنَ نَبِيَّهُ
إِنَّ الْفَقِيرَ إِذَا أَتَى أَبْوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهِ

وقال سعيد بن إبراهيم بن عبد ربه وقد انقبض عن الملوك في آخر عمره:

أَمِنْ بَعْدِ غَوْصِي فِي عُلُومِ الْحَقَائِقِ وَطَوَّلِ انْبِسَاطِي فِي مَذَاهِبِ خَالِقِ
وَفِي حِينِ إِشْرَافِي عَلَى مَلَكُوتِهِ أَرَى طَالِباً رِزْقاً إِلَى غَيْرِ رَازِقِي
وَقَدْ أَذْنَتِ نَفْسِي بِتَفْوِيضِ خِلْهَا وَأَسْرَعَ فِي سَوْقِي إِلَى الْمَوْتِ سَابِقِي
دُونَكَ يَا مَنْ يَرَى النُّصْحَ ذُلَّةً اسْتَوْسَعَ فِيكَ الشَّامِتِينَ الْمَرَاجِمَا
إِذْ لَعِبْتَ صِبْيَانَهُمْ بِكَ وَابْتَغَيْتَ شُيُوخَهُمْ فِيكَ الصُّرُوفَ الْفَوَاتِحَا
فَقُلْتَ مُجِيباً لَيْسَ يُسْعِدُنِي سِوَى نَجَى الْحَشَا وَالْدَمْعُ يَنْهَلُ حَاجِمَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو وَحَدَّثِي فِي مَصَائِبِي وَهَذَا زَمَانُ الصَّبْرِ لَوْ كُنْتُ حَازِمَا
وَكَمْ زَفَرْتُ تَحْتَ الضُّلُوعِ لَهَيْجُهَا حَكِيمٌ يَبِيعُ الْعِلْمَ بِالْجُورِ حَاكِمَا
وَكَأَنَّ جِنَابَ الْعِلْمِ يَسْمُو بِأَهْلِهِ إِلَى أَطْيَبِ أَنْفَاسِ الْحَيَاةِ تَوَاسِمَا
يَرْدُونَ دُرَّتَ بِهِ زَهْرَةَ الدُّنْيَا إِلَى نَجْعَةِ الْأُخْرَى فَيَرْتَادُ حَائِمَا
وقال الحافظ أبو نصر بن ماکولا:

تَجَمَّعَتْ أَبْوَابُ الْمُلُوكِ لَا تَنِي عَلِمْتُ بِمَا لَمْ يَعْلَمْ الثَّقَلَانِ
رَأَيْتُ سُهَيْلاً لَمْ يَحُدَّ عَنْ طَرِيقِهِ مِنْ الشَّمْسِ إِلَّا مِنْ مَقَامِ هَوَانِ

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن زيد بن أسلم قال: كنت مع أبي حازم رضي الله عنه فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن بن خالد، أن اتنا حتى نسألك وتحدثنا. فقال أبو حازم: معاذ الله، أدركت أهل العلم لا يحملون العلم لأهل الدنيا، فلن أكون أول من فعل ذلك، فإن كان لك حاجة، فأبلغنا؟ فأرسل إليه عبد الرحمن قد ازددت عندنا بهذا كرامة..

499- كان الأعمش رضي الله عنه زاهدا ناسكا تاركا للدنيا حتى وصفه القائل بقوله: ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عنده مع فقره وحاجته! وقال آخر: إنه فقير صبور بجانب للسلطان ورع عالم بالقرآن، وربما يستأنس له بما يروى [بقوله]: اللهم لا تجعل للفاجر عندي نعمة يرعاه بها قلبي..

500- قال مسدد بن قطن: قال أبي: كنت عند سليمان بن حرب رضي الله عنه إذ أقبل [الأمير] طاهر بن عبدالله بن طاهر والمطرقة بين يديه، فلما جلس أقبل عليه سليمان فقبض على لحيته [أي على لحية الأمير]! فقال الأمير: سبحان الله يستخف بشيخ مثلي؟! قال [سليمان] لقد بعثت إلى أن

تعال، فحدثني العالم يأتي أو يؤتي؟ قال: لا أعود يا أبا أيوب، قال: لا تعودن لشيء من هذا إن أردت الحديث فهذا مجلسي!! قال ابن عرعة: وكان طاهر بن عبدالله ببغداد، فطمع في أن يسمع من أبي عبيد^{عليه السلام}، وطمع أن يأتيه في منزله، فلم يفعل أبو عبيد حتى كان هو يأتيه!!

501- وعن مفلح بن الأسود قال: قال المأمون ليحيى بن أكثم: إني أشتهي أن أرى بشر ابن الحارث! قال: إذا، الليلة ولا يكون معنا [أحد]. فركبا، فدق يحيى الباب فقال بشر^{عليه السلام}: من هذا؟ قال: من تحب عليك طاعته. قال: وأي شيء تريد؟ قال: أحب لقاءك؟ فقال بشر: طائعا أو مكرها؟ فقال المأمون ليحيى: اركب. فمرا على رجل يقيم صلاة العشاء الآخرة فدخلوا يصليان فإذا الإمام حسن القراءة، فلما أصبح المأمون وجه إليه، فجاء به فجعل يناظره في الفقه، وجعل الرجل يخالفه، ويقول: القول في هذه المسألة خلاف هذا، فغضب المأمون. فلما كثر خلافه قال عهدي بك، كأنك تذهب إلى أصحابك فتقول: خطأت أمير المؤمنين. فقال: والله يا أمير المؤمنين، إني لأستحي من أصحابي أن يعلموا أنني جئتك!! [الحمد لله الذي جعل في أمة محمد أمثال هؤلاء العظماء الذين قام الإسلام على أكتافهم، فكانوا قدوة الخلق في زمانهم لمن أراد أن يقتدى بهم في كل زمان، ونسأله سبحانه وتعالى ألا يحرم الإسلام والمسلمين من أمثالهم على مر العصور، إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، رحمهم الله ومن اتقى]..

502- قال العلامة ابن قدامة المقدسي: من صفات علماء الآخرة، أن يعلموا أن الدنيا حقيرة وأن الآخرة شريفة، وأنهما كالضرتين فهم يؤثران الآخرة، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم، ويكون ميلهم إلى العلم النافع في الآخرة، ويجتنبون العلوم التي يقل نفعها إثارة لما يعظم نفعه. ومن صفات علماء الآخرة: أن يكونوا منقبضين عن السلاطين، محتزين من مخالطتهم.

روى عن شقيق البلخي^{عليه السلام} أنه قال لحاتم: قد صحبتني مدة فماذا تعلمت؟ قال: ثمانية مسائل: أما الأولى: فإنني نظرت إلى الخلق فإذا كل شخص له محبوب فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه فجعلت محبوبى حسناتي لتكون في القبر معي.

وأما الثانية: فإنني نظرت إلى قوله تعالى: { وَمَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ }⁽¹⁾. فأجهدتها في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

(1) سورة النازعات آية 40.

وأما الثالثة: فإنني رأيت كل من معه شيء له قيمة عنده يحفظه، ثم نظرت في قوله سبحانه وتعالى: { مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ }⁽¹⁾. فكلما وقع معي شيء له قيمة، وجهته إليه ليبقى لي عنده.

وأما الرابعة: فإنني رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف، وليست بشيء، فنظرت في قول الله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }⁽²⁾. فعملت في التقوى لأكون عنده كريماً .
أما الخامسة: فإنني رأيت الناس يتحاسدون، فنظرت في قوله تعالى: { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ }⁽³⁾. فتركت الحسد.

والسادسة: رأيتهم يتعادون، فنظرت في قول الله تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا }⁽⁴⁾. فتركت عدواتهم واتخذت الشيطان وحده عدواً.
السابعة: رأيتهم يذلون أنفسهم، فنظرت في قوله تعالى: { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا }⁽⁵⁾. فاشتغلت بما له على وتركت ما لي عنده .

والثامنة: رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم، فتوكلت على الله تعالى..
503- قال ابن سيرين: كنا عند أبي عبيدة بن أبي حذيفة رضي الله عنه وبين يديه كانون فيه نار، فجاءه رجل فجلس معه على فراشه، فسارّه بشيء لا ندرى ما هو، فقال له: ضع لي إصبعك في هذه النار !! فقال الرجل: سبحان الله، تأمرني أن أضع لك إصبعي في هذه النار؟! فقال له أبو عبيدة: أتبخل على إصبع من أصابعك في نار الدنيا، وتسألني أن أضع لك جسدي كله في نار جهنم؟! فظننا أنه دعاه إلى القضاء..

504- قال حارث بن مالك رضي الله عنه: وكان من أصحاب معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه، لما حضره الموت بكى [فقال] معاذ: ما يبكيك يا حارث؟ قال: ما يبكيني موتك، قد علمت أن الآخرة خير لك من الأولى، لكن من يروى من العلم بعدك؟ قال: مهلا عليك بعبد الله بن مسعود. فقال له: أوصني، فأوصاه بما شاء الله ثم قال: احذر زلة العالم!!

(1) سورة النحل آية 96.

(2) سورة الحجرات آية 13.

(3) سورة الزخرف آية 32.

(4) سورة فاطر آية 6.

(5) سورة هود آية 6.

505- عن مالك بن دينار رحمه الله قال: استعمل هرم بن حيان رحمه الله، فظن أن قومه سيأتونه فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه فسلموا عليه من بعيد فقال: مرحبا بقومي ادنوا؟

فقالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا وبينك. قال: فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم، فرجعوا.

[قال الحسن البصري رحمه الله]: مات هرم بن حيان في غزاة له في يوم صائف، فلما فرغ من دفنه، جاءت سحابة فرشت القبر حتى تروى، لا تجاوز القبر منها قطرة واحدة، ثم عادت عودها على بدنها!!

506- اجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة، فذكروا الرطب فقال وهيب: هو من أحب الطعام إلى إلا أنى لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها! فقال له ابن المبارك: إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز، قال: وما سببه؟ قال إن أصول الضياع قد اختلط بالصوافي، فغشى على وهيب! فقال سفيان: قتلت الرجل، فقال ابن المبارك: ما أردت إلا أن أهون عليه، فلما أفاق قال: لله على أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه! فكان يشرب اللبن، فأنته أمه بلبن فسألها فقالت: هو من شاة بنى فلان، فسأل عن ثمنها ومن أين كان لهم؟ فذكرت، فلما أدناه من فيه قال: بقى أنها من أين كانت ترعى؟ فسكتت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين!

فقال أمه: اشرب فإن الله يغفر لك، فقال: ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرته بمعصيته!!

كان بشر الحافي رحمه الله من الورعين فقليل له: من أين تأكل؟ فقال: من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك، وقال: يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وهكذا كانوا يحتززون من الشبهات وأصناف الحلال ومداخله [فهل ترى لهم مثيلاً بزماننا؟]

507- [وكتب أمير المؤمنين] عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما ولى الخلافة إلى الحسن البصري رحمه الله أن يكتب إليه بصفة الإمام العدل، فكتب إليه الحسن: اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى جعل الإمام العدل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين: كالراعى الشفيق على إبله الحازم الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويزودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنفها من أذى الحر والقر.
والإمام العدل يا أمير المؤمنين: كالأب الحانى على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً، يكسب لهم فى حياته، ويدخر لهم بعد وفاته.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين: كالأم الشفيقة، البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعتة كرها، وربته طفلاً، تسهر لسهره، وتسكن لسكونه، ترضعه تارة، وتقطمه أخرى، وتفرح لعافيته، وتغتم بشكاته.

والإمام العدل يا أمير المؤمنين: كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده. والإمام العدل يا أمير المؤمنين: هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويرىهم، وينقاد لله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله، كعبد ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله، وأهلك ماله. واعلم يا أمير المؤمنين: أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها؟! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟!

508- قال الشيخ سراج الدين أبو حفص البزار عن شيخ الإسلام ابن تيمية، كان من أشجع الناس وأقواهم قلباً، ما رأيت أحداً أثبت منه جأشاً ولا أعظم عناء في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ولا يخاف في الله لومة لائم، وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكا أموراً من الشجاعة يعجز عن وصفها. قالوا: لقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله ومشورته وحسن نظره. ولما ظهر السلطان غازان على دمشق، جاءه ملك الكرخ وبذل له أموالاً جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره وشجع المسلمين ورغبهم في الشهادة ووعدهم النصر والظفر والأمن وزوال الخوف، فانتدب منهم رجالاً من وجهائهم وكبرائهم فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان، فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟ فقبل: هم رؤساء دمشق، فأذن لهم فحضرُوا بين يديه، فتقدم الشيخ، فلما رآه أوقع الله له في قلبه هيبة حتى أدناه وأجلسه. وأخذ الشيخ في الكلام معه أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرخ على المسلمين وضمن له أموالاً، وأخبره بحرمة دماء المسلمين،

وذكره ووعظه، فأجابهم إلى ذلك، وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذرارهم وصين حريمهم.

وعن الشيخ وجيه الدين ابن المنجا قال: كنت حاضرا مع الشيخ حينئذ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره، حتى جثا على ركبتيه وجعل يقرب منه في أثناء حديثه، حتى لقد قرب أن تلاصق ركبته ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه مصغٍ لما يقول لا يعرض عنه، وأن السلطان من شدة ما أوقع الله ما في قلبه من المحبة والهيبة، سأل من يخصه من أهل حضرته من هذا الشيخ؟ وقال: إني لم أر مثله ولا أثبت قلبا منه ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادا مني لأحد منه. فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل، فقال الشيخ للترجمان قل لغازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاضٍ وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا؟! وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت، عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت وجرت، فسأله [غازان]، إن أحببت أن أعمرك لك بلد آبائك حران وتنتقل إليه ويكون برسمك؟

فقال: لا والله لا أرغب عن مهاجر إبراهيم صلى الله عليه وسلم. لا أستبدل به غيره، فخرج من بين يديه مكرما معززا، قد صنع له الله بما طوى عليه نيته الصالحة من بذله نفسه في طلب حقن دماء المسلمين فبلغه ما أراده. وكان ذلك أيضا سببا لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم، وردهم على أهلهم وحفظ حريمهم، وهذا من أعظم الشجاعة والثبات وقوة الجأش. وكان يقول: لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه، فإن رجلا شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال: لو صححت لم تخف أحدا.

وأخبرني من لا أتهمه أن الشيخ رضى الله عنه حين وشى به إلى السلطان المعظم الملك الناصر محمد، فأحضره بين يديه، فكان من جملة كلامه إنني أخبرتك أنك قد أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك؟ فلم يكثر به بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت وصوت عال سمعه كثير من حضر: أنا أفعل ذلك، والله إن ملكك وملك المغل لا يساوى عندي فلسين.

فتبسم السلطان لذلك وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة العظيمة، إنك والله لصادق، وإن الذى وشى بك إلى كاذب. واستقر له في قلبه من المحبة الدينية ما لولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقي إليه في حقه من الأقاويل الزور والبهتان، ممن ظاهر حاله

للطغام العدالة وباطنه مشحون بالفسق والجهالة! ولم يزل المبتدعون أهل الأهواء وآكلو الدنيا بالدين، متعاضدين متناصرين في عدوانه، باذلين وسعهم بالسعى في الفتك به متخربين عليه بالكذب الصراح، مختلفين عليه وناسيين إليه ما لم يقله ولم ينقله، ولم يوجد له به خط ولا وجد له في تصنيف ولا فتوى ولا سمع منه في مجلس، أتراهم ما علموا أن الله سائلهم عن ذلك ومحاسبهم عليه أو ما سمعوا قول الله تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُمْ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }⁽¹⁾. بلى والله ولكن غلب عليهم ما هم فيه من إثارة الدنيا على الآخرة فلهذا حسدوه وأبغضوه لكونه مباينهم ومخالفهم، ولما علم الله نياته ونياتهم أبى أن يظفرهم فيه بما راموا حتى إنه لم يحضر معه منهم أحد في عقد مجلس إلا وصنع الله له ونصره عليهم بما يظهره على لسانه من دحض حججهم الواهية وكشف مكيدتهم للخاصة والعامة. وقد تستروا باسم العلماء والزمرة الفاخرة وهم أبلغ الناس في الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة، وسبب عداوتهم له أن مقصودهم الأكبر طلب الجاه والرئاسة.

ولقد سُجن سنين وشهورا وقصد أعداؤه الفتك به مرارا، فجعل الله حفظه منهم، ولقد ظنوا أن في حبسه مشينة فجعله الله له فضيلة وزينة، وظهر له يوم موته ما لو رآه واده أقر به عينيه فإن الله تعالى لعلمه بقرب أجله، ألبسه الفراغ عن الخلق للقدوم على الحق أجمل حلله كونه حبس على غير جريرة ولا جريمة، بل على قوة في الحق وعزيمة لا يخاف في ذلك أميرا ولا سلطانا ولا سوطا ولا سيفاً، ولا يرجع عنهما لقول أحد وهو متمسك بالعروة الوثقى ويقول له تعالى: { فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }⁽²⁾. ومرض الشيخ، وتوفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وهو مجاهد في ذات الله تعالى صابرا محتسبا. لم يجبن ولم يهلع ولم يضعف ولم يتتبع، كان إلى حين وفاته مشغولا بالله عن جميع ما سواه، فما هو إلا أن سمع الناس بموته، فلم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا حضر، حتى غلقت الأسواق وعطلت معاشها، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم..

(1) سورة ق الآيات 16 / 18.

(2) سورة النساء آية 59.

509- التعريف بأبي بكر النابلسي: لربما كثير منا لا يعرف الشيخ رحمه الله مثله مثل كثير من عظمائنا المجهولين، لدى أفراد شعوبنا العربية والإسلامية مع الأسف. هو الإمام القدوة العالم المجاهد، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي. حدث عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن شيبان الرملي وسعيد بن هاشم بن مرثد الطبراني وعمر بن محمد بن سليمان العطار وعثمان بن محمد بن علي بن جعفر الذهبي ومحمد بن الحسن بن قتيبة وأحمد بن ريجان وأبي الفضل العباس بن الوليد القاضي وأبي عبد الله جعفر بن أحمد بن إدريس القزويني وإسماعيل بن محمد بن محفوظ وأبي سعيد بن الأعرابي وأبي منصور محمد بن سعد.

روى عنه تمام بن محمد وسمع منه بالرملة وعبد الوهاب الميداني وأبو الحسن الدارقطني وأبو مسلم محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر الأصبهاني وأبو القاسم علي بن عمر بن جعفر الحلبي وبشرى بن عبد الله. (تاريخ دمشق). وقتل النابلسي في سنة ثلاث مائة وثلاث وستين، وكان نبيلاً جليلاً رئيس الرملة، هرب إلى دمشق فأخذ منها، وبمصر سلخ!!

ذكر محنته رحمه الله: أن الابتلاء من سنن الأنبياء والصالحين وكما قال ﷺ: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة⁽¹⁾. وكما قال تعالى: { لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }⁽²⁾. وكثير من علماء المسلمين قد سلكوا هذا الدرب الصعب، فمن سعيد بن المسيب إلى سعيد بن جبير إلى الإمام أحمد إلى ابن تيمية إلى غيرهم كثير، ومن ضمن هذه القافلة الصابرة إمامنا المبتلى أبو بكر النابلسي رحمه الله.

ولنترككم مع المؤرخين الذين نقلوا تفاصيل محنته رحمه الله: ذكر الشيخ محمد الأصرم صاحب ترتيب المدارك فقال: قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: إنما حياة السنة بعلماء أهلها والقائمين بنصرة الدين لا يخافون غير الله، ولو لم يكن من غربة السنة، إلا ما كان من أمر أبي بكر النابلسي في هذه القصة عبرٌ عظيمة لكل من تأملها، منها الصبر العظيم الذي تحمله على أيدي

(1) صحيح الجامع.

(2) سورة آل عمران آية 186.

هؤلاء المارقين عن الدين، وتبين مدى الحقد [الفارسي الشيعي] الرافضي على أهل السنة والجماعة وخاصة علمائهم، ولا يبعد القول أن خطر هؤلاء أعمق وأشد من خطر اليهود. وهذه القصة تثبت ذلك، وصدق ابن تيمية في كلمته المشهورة، الرافضة {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ⁽¹⁾. وكثير منهم يواد الكفار من قلبه أكثر من موادته للمسلمين، لما خرج الترك والكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها، كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين، ووزير بغداد العلقمي هو وأمثاله، كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين، وكذلك الذين كانوا بالشام من الرافضة، وكذلك النصاري الذين قاتلهم المسلمون بالشام، كانت الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم ⁽²⁾. [إلى زماننا الحاضر وما سقوط العراق وتدمير بلاد الشام وما يحدث في اليمن منا بعيد]. ففي الرابع من شعبان سنة 358هـ دخل المعز لدين الله، رابع الخلفاء العبيديين (الذين نسبوا أنفسهم زوراً وادعاء إلى فاطمة فسموا أنفسهم الفاطميين)، دخل الإسكندرية قادماً من المغرب، فبدأ بذلك حكم العبيديين لمصر، وقد اعتبره المصريون حكم احتلال لأنه كان في حقيقته غزواً قامت به دولة أجنبية شيعية إسماعيلية لمصر السنية، التي كان يحكمها الإخشيدون التابعون اسماً للخلافة العباسية في بغداد. كان العبيديون مكروهين من عامة أهل مصر وعلمائها بسبب سيرتهم في الحكم، فقد أذلوا العباد وأفقروا البلاد، ونقضوا عهدهم لأهل مصر بأن لا يفرضوا عليهم التشيع، فحاربوا دين الجماعة، وشيعوا القضاء، واستولوا على جوامع السنة وأذنوا بحى على خير العمل، ثم أمر الحاكم بأمر الله بنقش سب الصحابة على الجدران! فحرض العلماء الناس على الثورة عليهم، وكان من أشهرهم شيخ اسمه أبو بكر النابلسي.

قال ابن الجوزي في تاريخه الكبير المنتظم: كانوا ينقلون عن أبي بكر النابلسي أنه قال في حق العبيديين (الفاطميين): إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب عليه أن يرمى في الروم سهماً واحداً وفي العبيديين [الروافض] تسعة!

(1) سورة المجادلة آية 16.

(2) منهاج السنة ج 3 ص 225.

فقبض عليه وأخذ إلى الخليفة، المعز لدين الله العبيدي، فسأله: بلغنا عنك أنك تقول: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب عليه أن يرمى في الروم سهماً واحداً، وفي العبيدين تسعة؟ فقال النابلسي: ما قلت هذا. فظن المعز أنه رجع عن قوله وسأله عما قال، فقال الشيخ: أقول للرجل إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرمى بتسعة، ويرمى العاشر فيكم أيضاً، فإنكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وادعيتهم الألوهية! وأظهرتم المذهب الرديء، وأبطلتم التراويح والضحي، وأمرتم بالقنوت في الظهر وقلبتهم الدين ظهراً لبطن وسببتم الصحابة! وكان المعز بطاشاً فضربه بالسياط، ثم أمر بسلخه [وهو حي]!!

وكانت تلك من أساليب تعذيب العبيدين الباطنيين الروافض، سبحانه الله كيف ورثها منهم أحفادهم المعاصرون! فتولى [سلخه] رجل يهودي، وكان أبوبكر يقرأ القرآن [أثناء سلخه] ولا يتأوه، فداخلت اليهودي رحمة له!! فوكزه بالسكين في فؤاده ليموت عاجلاً، فقضى عليه رحمه الله. فسلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه.

[وقيل]: لما قبض عليه مع ابنه في جملة الأسرى الذين قبض عليهم، وكانوا نحو ثلاثمائة فشهروا على الجمال، وأمر بضرب أعناقهم على النيل، ورمى جثثهم به، إلا النابلسي، فإنه أمر أن يسلخ! وشق السلاخون عرقوبيه، ونفخ كما تنفخ الشاة. ثم سلخ، وهو في كل هذا يقرأ القرآن بصوت قوى وترتيل! إلى أن انتهى السلخ إلى كتفيه فتغاشى ثم مات. فصلب جسده ناحية ثم جلده بعد أن حشى ناحية!! رحمه الله تعالى عليه.

رحم الله علماء ذلك الزمان، لقد عرفوا أنهم طليعة الأمة، وأنهم القدوة لها، وعرفوا أن للعلم ضريبة لا بد من أدائها كاملة غير منقوصة، وعرفوا أن الصمت في الموقف الذي يُفترض فيه الكلام جريمة يحاسبهم عليها الله، فأثروا أن يريحوا ضمائرهم وأن يرضوا ربهم وجهروا بكلمة الحق جهرًا جلياً واضحاً، دفع العالم حياته فأيقظ بموته الأمة وأحيا الدين. ذلك ما فعله نابلسي ذلك الزمان.

أما في هذا الزمان فقد رأينا علماء تقدموا الصفوف وجهروا من فوق المنابر بالحق غير هيايين. ورأينا علماء اختاروا التورية وعمدوا إلى التلميح بلا تصريح، فأدوا الأمانة منقوصة غير كاملة.

ورأينا علماء آثروا الصمت وفرطوا بالأمانة [وما أكثرهم]!

ورأينا علماء ادعوا العلم وهو منهم براء، وناصروا الطاغية وربطوا مصيرهم بمصيره. [ألا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } (1).

510- حدثنا عن الحجاج بن حمزة قال: أتى ابن والى خراسان ابن المبارك رحمته الله فسأله أن يحدثه؟ فأبى عليه ولم يحدثه! فلما خرج، خرج معه ابن المبارك إلى باب الدار فقال له: يا أبا عبد الرحمن، سألتك أن تحدثني فلم تحدثني وخرجت معي إلى باب الدار؟ فقال: أما نفسي فأهنتها لك، وأما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أجله عنك.

لما قيل للفضيل بن عياض رحمته الله: لم لا تحدث جعفر بن يحيى؟ قال: أنا أجمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحدث به جعفر بن يحيى!!

قال جعفر بن حمدويه: كنا بالكوفة على باب قبيصة بن عقبة، ومعنا [الأمير] دلف بن أبي دلف بن عبد العزيز ومعه الخدم، فأبطا قبيصة بالخروج، فدنا خادم وقال: ابن ملك الجبل على الباب وأنت تبطى؟! فخرج وعليه إزار وفي طرف يده كسرة [خبز] فقال: من رضى من الدنيا بهذا إيش يعمل بابن ملك الجبل؟! والله لا حدثته ودخل ورد الباب!!

وعن عبد الله بن كامل عن مالك رحمته الله قال: لما دخل ربيعة رحمته الله [ربيعة هو شيخ الإمام مالك ابن أنس، وهو مفتى المدينة، أقبل] عليه الوليد بن يزيد وهو خليفة فقال له: يا ربيعة حدثنا؟ قال: ما أحدث شيئا، فلما خرج من عنده قال: ألا تعجبون من هذا الذى يقترح على كما يقترح على المغنية، حدثنا يا ربيعة!!

حدثنا شريك فقال: كان أبو جعفر المنصور قد استخفى عند رجل فأكرمه، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه ذلك الرجل بينه فأكرمه أبو جعفر وقال له: سَلْ حاجتك؟ فقال له: أنت تعلم أنى من الله فى نعمة ما لى حاجة إلا أنى أشتى أن يحدثنى الأعمش، فاكتب إليه كتابا ليحدثني؟ فكتب له أبو جعفر كتابا بخطه إلى الأعمش يعرفه فيه وجوب حقه عليه ويأمره بأن يحدثه، فلما مضى الرجل بالكتاب وافى باب الأعمش فدقه، وكان الأعمش يكره أن يدق عليه بابه فقال: من ذا؟ ادخل، فدخل والأعمش يلحف كسبا للشاة، فقال له: مالك؟ فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليك، فقال: هاته فأخذه ثم قال يا بسرة: شاة [عنده اسمها] بسرة، فرفعت رأسها، فجعل يضفرها الكتاب حتى أكلته!! ثم قال: إيش فيه؟ قال: فيه أن تحدثنى، فقال: ما

(1) سورة المطففين الآيات 4 / 6.

أحدثك بحرف فقال: سبحان الله يا أبا محمد، يكتب إليك أمير المؤمنين في شيء فلا تفعله! فقال: والله ما أحدثك ولا أحدث قوما أنت فيهم!

511- دخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال: أيها الأمير، قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول: ما أحق من سلطان وما أجهل ممن عصاني، ومن أعز ممن اعتر بي؟
أيها الراعي السوء، دفعت إليك غنما سمانا صحاحا، فأكلت اللحم ولبست الصوف، وتركت عظامها تتفقع. فقال له وإلى البصرة: أتدرى ما الذى يجرك علينا ويجنبنا عنك؟ قال: لا. قال: قلة الطمع فينا، وتركك الإمساك لما في أيدينا.

ودخل ابن أبى شميعة على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم؟ فقال له: إن الناس لا ينجون في [يوم] القيامة، من غصصها ومراراتها ومعينة الردى فيها، إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه. فبكى عبد الملك وقال: لأجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت..

512- حدثنا عمر بن حبيب رحمته الله قال: حضرت مجلس هارون، فجرت مسألة فتنازعها الحضور وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يحل هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم! فإن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه!

ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم، فقلت: الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن نبي الله وغيره. فنظر إلى الرشيد نظر مغضب، فقامت من المجلس فانصرفت إلى منزلى، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل على فقال لى: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن! فقلت: اللهم إنك تعلم أنى دافعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك صلى الله عليه وسلم أن يطعن على أصحابه فسلمنى منه.

فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع، فلما بصر بى قال لى: يا عمر بن حبيب، ما تلقانى أحد من الرد والدفع لقولى بمثل ما تلقيتنى به. فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذى قلته وجادلت عليه فيه إزاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام فى الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول. فرجع إلى نفسه ثم قال لى: أحيتنى يا عمر بن حبيب أحياءك الله..

513- وكتب الأوزاعي رحمه الله إلى المنصور أبي جعفر في آخر رسالة: واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك إلا عظماً، ولا طاعته إلا وجوباً، ولا الناس فيها خالف ذلك منك إلا إنكاراً، والسلام. ولقد أحسن التنوخي في قوله: والعيب يعلق بالكبير كبير. [وقال غيره]: إن الرجل العالم والمقتدى به أقل عذراً في السقوط من سواه..

514- عن أبي سعيد الخدري رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه أن يذكر تعظيم الله، فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق⁽¹⁾..

515- حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمرو قال: سمعت أحمد بن بديل الكوفي وكان قاضياً يقول: بعث إلى المعتز [الفاطمي الشيعي] رسولاً بعد رسول، فأتيته فقال الحاجب: يا شيخ، نعليك فلم ألتفت إليه، ودخلت الباب الثاني فقال الحاجب: نعليك فلم ألتفت إليه فدخلت الباب الثالث، فقال الحاجب: يا شيخ نعليك فلم ألتفت إليه وقلت: أبا الوادي المقدس أنا فأخلع نعلي؟! فدخلت بنعلي فرفع مجلسي وجلست على مصلاة، فقال: أتعبنك أبا جعفر؟ فقلت: أتعبتني وذعرتني؟ فقال: ما أردنا إلا الخير، أردنا أن نسمع العلم. قلت: وتسمع العلم أيضاً!! ألا جئتنى فإن العلم يؤتى ولا يأتي؟ قال: تعتب أبا جعفر، فقلت له: أكتب. قال: فأخذ الكتاب والدواة والقرطاس، فقلت: أكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرطاس بمداد؟! قال: ففيم أكتب؟ قلت: في ورق بحبر، فجاءوا بورق وحبر فأخذ الكاتب يريد أن يكتب. فقلت: اكتب بخطك، فأومى إلى أنه لا يحسن، فأملت عليه [ثلاثة أحاديث] أسخن الله بهم عينيه فقلت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من استرعى رعية فلم يحطها من ورائها بالنصيحة، أو مات وهو لها غاش، أدخله الله نار جهنم]⁽²⁾.

[وفي حديث آخر: من استرعى رعية فلم يحطها بنصيحة، فقد حرم الله عليه ربح الجنة، وريحها يوجد من مسيرة مئة عام]⁽³⁾.

(1) مسند أبي يعلى ج 2 ص 536.

(2) مسند أبي عوانة ج 4 ص 386 رقم 7044.

(3) مسند ابن المبارك ج 1 ص 164.

والثالث: [قال ﷺ: ما من أمير عشرة لا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً، لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور⁽¹⁾]. ..

516- قال أبو إبراهيم عن أبيه إن الحجاج بن يوسف، لما قتل ابن الزبير أمر بخشبة فصلبه عليها فلما صلب أقبلت أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ إلى الخشبة فعانقتها وجلست تبكي وتقول: وا غوثاه يا الله، ما أعظم ما نزل بنا بعدك يا محمد، يا رسول الله لو تدرك ما نزل بعدك بأصهارك وأرحامك وأبناء المهاجرين لرأيت عظيماً، اللهم فبلغ عنا نبيك ﷺ في عظيم ما نزل بنا. فأخبروا بمقاتلتها عبد الله بن عمر [رضي الله عنهما] فبكي حتى كادت نفسه تفيض، ثم قال لابنه سالم: قدنى إليها؟ وكان قد كبرت سنه وكان يرعش من الكبر وكان قد عُمّر، فقاده ابنه سالم إليها، فلما أشرف على الخشبة نظر إليه مصلوباً فقال: قد كنت نهيتك عن مثل هذا يا أبا خبيب يا أخي فلم تنته، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه. فقلت:

يا رسول الله، كيف يذل نفسه؟ قال: لا يعرض نفسه لمن لا يقوى عليه فذلك ذل نفسه. وسمعت رسول الله ﷺ يقول: لأن يقتلني أمير جائر على طاعة الله، أحب إلى من أن أموت مجاهداً في سبيل الله. فأتى شقى من أشقياء هذه الأمة فبلغ ذلك إلى الحجاج بن يوسف، فأبلغ منه قول ابن عمر كل مبلغ! وقال: اسرجوا لي، فركب إلى خشبة ابن الزبير فأصاب أمه عندها وعبد الله بن عمر وابنه سالم. فقال الحجاج: يا أسماء إن ابنك جبل من جبال العرب وأنه سابقني إلى أمر وأنه سبقني إليه فوضعتة في مكان مثله، ولو نال الذي نلت لكنت أنا مكانه، فهذا أجل من البكاء وليس مثله يبكي عليه. وأما ما بلغني عن ذكرك ما حل بآل محمد رسول الله ﷺ وأصهاره وأرحامه، فنعود بالله من ذلك، إلا من سمى إلى ما سمى إليه ابنك فلا بد لنا من أن نقارعه، فإما لنا وإما علينا، فلا نأسف على أمر فعله الله بنا فإنه يحكم في خلقه بما يشاء.

فقال لها ابن عمر: قومي واقبلي منه، فقامت ولم تكلمه. وانصرف ابن عمر إلى منزله، فدعا الحجاج برجاله فقال لهم: إن ابن عمر قال عند خشبة ابن الزبير ليقتلني أمير جائر على طاعة الله خير من أن أموت بالسيف مجاهداً في سبيل الله، فقد كشف لنا ما هو عليه، وهو ابن خليفة وصاحب رسول الله ﷺ، وأخاف إن خرجنا عنه أن يستحل منا ما استحل ابن الزبير. وعلماء العراق قالوا: الرأي ما ترى؟ قال: نقتله، قالوا: أيها الأمير، اجعل لقتله سبباً تحتج به على الناس

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 431.

قال: اتنوني به؟ فأتوه به، ومعه ابنه سالم فسلم، فقال له الحجاج: اجلس يا شيخ فجلس ثم قال الحجاج: اتنوني برجل من السجن؟ فأتوه به ثم قال: هاتوا السيف؟ فأتوه به، ثم قال: يا سالم بن عبد الله بن عمر خذ هذا السيف فاضرب عنق هذا! وإنما أراد الحجاج أن يقول ابن عمر لابنه لا تفعل، فيقول: أنا إمام أمرت بأمر وتنهى أنت عنه؟ ثم يقول خذوه! فعرف ابن عمر ما أراد فأمسك. فأخذ سالم السيف فهزه ثم تقدم إلى الرجل الأسير فقال له: مد عنقك؟ فمد الرجل، فقال له سالم: يا رجل أزنيت بعد إحصان؟ قال الرجل: لا ما فعلت، قال له: أفرجعت عن الإسلام؟ قال الرجل: لا ما فعلت، قال له سالم: أقتلت نفسا بغير نفس؟ قال الرجل: لا ما فعلت قال سالم: يا حجاج، سمعت أبي وهو يسمع ما أقول، أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لامرئ يؤمن بقتل إلا عن ثلاث خصال: يزني بعد إحصان أو يرتد عن الإسلام أو يقتل نفسا مؤمنة بغير نفس فليس في هذا الرجل شيء من هذا فلم تقتله؟!

قال الحجاج: اضرب عنقه كما أقول لك، فقال سالم للرجل: مد عنقك؟ فمد الرجل عنقه، فقال له سالم: يا أخى أصليت الغداة ركعتي الفجر؟ قال الرجل: نعم قد صليت، قال سالم: يا حجاج سمعت أبي وهو يسمع ما أقول أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من صلى ركعتي الفجر كان في ذمة الله وذمة رسوله حتى تتوارى بالحجاب، يا حجاج كيف تقتل رجلا وهو في ذمة الله؟! قال الحجاج: يا سالم ضع السيف من يدك؟ فدعا رجلا شقيا من أشقياء الأمة فقال له: اضرب عنق هذا؟ فضرب عنقه فقتله. فقال الحجاج لسالم: اسحبه حتى تخرجه؟ فأخذ سالم برجل القتل يحجره وهو يقول: يا أخى سحبك أهون على من قتلك وأنا شاهد لك غدا يوم القيامة أنك مظلوم. فقام عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو يحمد الله حتى خرج فنادى: يا معشر المسلمين اتنوني بسالم ابني؟ فأتوه به فقال له ابن عمر: يا سالم ادن مني حتى أقبلك، يا بني إنما سميتك سالما لتسلم، فاسلم من الدنيا يا بُنى تغنم، ثم قال: يا بني قدني؟ فقاده إلى داره.

فقال الحجاج: هذا أعظم مما كان منا، إنما عمدنا إلى جبل الإسلام وحاجب محمد، ومن عرضت عليه الخلافة فلم يقبلها، ومن حج أربعين حجة ومن سمته قريش حمامة البيت وقدره في العرب ما قد علمتم وحب الأوس والخزرج لأبيه، فلست أرى له بعد ما حضر عندي من أمر هذا القتل أن أدعه بعدى في هذه البلاد!! فقيل له: أيها الأمير اقتله قتلة تبرئ نفسك منه عند العامة لكي لا يشتمل علينا في الفتنة، فبعث الحجاج إلى غلام له يوم الجمعة، وكان ابن عمر

يهجر إلى الجمعة في وقت الضحى، فأمر الحجاج غلامه أن يركب فرسا جساما وأمره أن يطحنه بالفرس ويقتله، فركب الغلام الفرس فنظر إلى ابن عمر وهو ساير يوم الجمعة فحمل عليه بالفرس حتى إذا بلغ إليه صدمه فأقلبه ورضه رضا، فبادر الناس إليه وقالوا: يا غلام أهلكك المسلمين في عالمهم طلبك الله به، وأقام الحجاج ينتظر موته فأبطأ ذلك عليه. فلما رأى ذلك عمد إلى زج [رمح] فسمه سما ناععا، ودفعه إلى بعض رجاله وقال له: امض إلى ابن عمر فأقره سلامي وقل له يقول لك الأمير: ما فعلت في علتك؟ واحذر أن تمس بهذا الزج شيئا حتى تدخل إليه فقد تركت برأسه نارا فإذا سلمت عليه وبلغت كلامي فضع السن على ظهر قدمه واتكئ عليه حتى يدخل، فإن قال لك أهلكتنى فقل له: ما علمت أن رجلك هنا. فدخل عليه الرسول فأقرأه سلامه وجعل الزج على ظهر قدمه حتى دخل في رجله فجرحه جرحا قبيحا، فقال له ابن عمر: يا رجل خف الله فقد والله أهلكتنى، فقال الرجل: ما علمت أبقاك الله أن رجلك هنا، ثم خرج عنه فاشتعل جسد ابن عمر سما، فأقام ثلاثة أيام ثم مات رحمه الله..

517- على بن يعقوب بن جبريل البكرى نور الدين أبو الحسن المصرى الفقيه رحمته الله ولد سنة 673 هـ واشتغل بالفقه والأصول، وقرأ بنفسه مسند الشافعى على ست الوزراء لما قدمت القاهرة، وجرت له محنة بسبب القبط فتعصبوا عليه وأغروا به السلطان، وكان هو قد بسط لسانه في الإنكار، فأمر بقطع لسانه!! فبلغ ذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمته الله وكان بالقاهرة، فطلع إلى القلعة وشفع فيه، فقبل السلطان شفاعته بعد جهد، وشرط أن يخرج من مصر فخرج إلى ديروط، وكان سبب ذلك أنه لما كان في النصف من المحرم سنة 714 هـ بلغه أن النصارى قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص بمصر شيئا، وعلقوه في مجمع كان بالكنيسة المعلقة، فأخذ معه طائفة كبيرة من الناس وهاجم الكنيسة والنصارى في المجمع ونكل بهم وبلغ منهم مبلغا عظيما، وعاد إلى الجامع وأهان قوامته وأكثر من الوقعة في خطيبه.

فدخل البكرى على أرغون النائب، فشنع القول على كريم الدين الصغير ناظر النظار، وعلى كريم الدين ناظر الخاص، وأن ذلك جرى بأمرهما. فبلغ السلطان فأمر بإحضار القضاة وفيهم ابن الوكيل وأحضر البكرى، فتكلم ووعظ وذكر آيات من القرآن وأحاديث، واتفق أنه أغلظ في عبارته وواجه السلطان بقول: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر. فقال له السلطان: وقد اشتد غضبه أنا جائر؟ قال: نعم، أنت سلطت الأقباط على المسلمين وقويت دينهم! فلم يتمالك

السلطان نفسه أن أخذ السيف وهم بالقيام ليضربه، فبادره أمير طغاي وأمسك بيده فالتفت إلى ابن مخلوف وقال: يا قاضى يتجراً على هذا، ما الذى يجب عليه؟ قال [القاضى الذى لم يخش إلا الله]: لم يقل شيئاً يوجب عقوبة، فصاح السلطان بالبكرى اخرج عنى فخرج. فقال ابن الوكيل: ما كان ينبغى أن يغلظ وليتكلم برفق، فأعجب السلطان. فقال ابن جماعة [وهو أحد علماء الدنيا]: قد تجرأ وما بقى إلا أن يزاحم السلطان! فانزعج أيضاً وقال: اقطعوا لسانه!

فبادر طغاي الدويدار ليفعل، فأحضر البكرى واستغاث [بالله]، ودخل ابن الوكيل وهو يبكى ويتحجب فظن السلطان أنه أصابه شيء فقال له: خير خير؟ قال: البكرى عالم صالح لكنه ناشف الدماغ. قال: صدقت وسكن غضبه، ورق له الأمراء وألخوا على السلطان فى أمره حتى رق وأمر بنفيه وإخراجه. فانظر ما فعله ابن جماعة بكلمته الحمقاء وما فعله صدر الدين بن الوكيل رحمه الله من التوصل إلى سلامة هذا المسكين، هكذا ينبغى لمن كان له قبول عند السلاطين، أن يتحيل عليهم فى منافع المسلمين وحقن دمائهم بما أمكنه، [لا أن يخرضه عليهم لينال حظوة لديه]، فإن صاحب الترجمة لم يكن ناشف الدماغ، ولكنه كان فى هذه الوسيلة سلامته من تلك البلية، فنفى من القاهرة إلى بلدة يقال لها ديروط، فكان بها حتى توفى يوم الاثنين سابع ربيع الآخر وكانت جنازته مشهورة..

518- محمد بن محمد بن وقيل: محمد بن حمزة الفنادى رحمته الله، ولى قضاء بروسا وارتفع قدره عند ابن عثمان جدا وحلَّ عنده المحل الأعلى، فصار فى معنى الوزير واشتهر ذكره وشاع فضله قال ابن حجر: كان عارفا بعلم العربية والمعانى والبيان والقراءات، كثير المشاركة فى الفنون وكان حسن السميت كثير الفضل والإفضال. وهو مصنف فصول البدائع فى أصول الشرائع جمع فيه المنار والبزدوى ومحصول الإمام الرازى ومختصر ابن الحاحب وغير ذلك وأقام فى عمله ثلاثين سنة وهو من أجل الكتب الأصولية وأنفعها وأكثرها فوائد وله تفسير للفاخرة ورسالة أتى فيها بمسائل من مائة فن وتكلم فيها على مسائل مشكلة وسماها نموذج العلوم.

ومن [شدة] تصلبه فى الدين وتثبته فى القضاء، رد شهادة سلطان الروم بايزيد بن مراد فى قضية!! فسأله السلطان عن سبب ذلك؟ فقال: إنك تارك للجماعة! فبنى السلطان قدام قصره جامعاً وعيّن لنفسه فيه موضعاً ولم يترك الجماعة بعد ذلك!! فله در هذا العالم الصاعد بالحق، مع ما هو فيه من التقلب فى نعمة سلطانه التى سمعت بعض وصفها. ورب عالم لا يقدر على

الكلمة الواحدة في الحق لمن له عليه أدنى نعمة مخافة من زوالها. بل رب عالم يمنعه رجاء العطية ونيل الرتبة السنية عن التكلم بالحق، ولم يكن بيده إلا مجرد الأمانى، ورحم الله هذا السلطان الذى سمع الحق فاتبع، ولم تصده سورة الملك وما هو فيه من سلطان..

519- حدثنا أحمد بن على البصرى قال: وجه المتوكل إلى أحمد بن المَعْدَل عليه السلام وغيره من العلماء، فجمعهم في داره، ثم خرج عليهم، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المَعْدَل! فقال المتوكل لعبيد الله: إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا؟ فقال له: بلى يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوء. فقال أحمد بن المَعْدَل: يا أمير المؤمنين، ما في بصرى سوء، ولكن نزهتك من عذاب الله، قال النبي ﷺ: من أحب أن يَتَمَثَّلَ الرجال له قياماً، فليتبوأ مقعده من النار. فجاء المتوكل فجلس إلى جانبه..

520- حدثنى أبو عمرو الشغافى قال: صلينا مع أمير المؤمنين المهدي المغرب، ومعنا الحسين بن الحسن عطية العوفى عليه السلام وكان على مظالم المهدي، فلما انصرف المهدي من صلاة المغرب جاء الحسين بن الحسن بن عطية العوفى حتى قعد في قبلته، فقام [المهدي] يتنفل، ف جذب [العوفى] ثوبه! فقال: ما شأنك؟ قال: شيء أولى بك من النافلة! قال: وما ذاك؟ قال: مولاك أوطأ قوما الخيل وغضبهم على ضيعتهم وقد صح ذلك عندى، تأمر بردها وتبعث من يخرجهم؟ فقال المهدي: يصح إن شاء الله تعالى، فقال العوفى: لا إلا الساعة!! فقال المهدي لفلان القائد، اذهب الساعة إلى موضع كذا وكذا فأخرج من فيها وسلم الضيعة إلى فلان. قال: فما أصبحوا حتى ردت الضيعة على صاحبها..

521- كان صالح بن بشير المرى عليه السلام أحد العباد الزهاد، وكان كثير البكاء، وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثورى عليه السلام وغيره من العلماء. ويقول عنه سفيان: هذا نذير قوم. استدعاه المهدي ليحضر عنده، فجاء إليه راكباً على حمار فأدناه من بساط الخليفة وهو راكب، فأمر الخليفة ابنه ولى العهد من بعده، موسى الهادى وهارون الرشيد أن يقوما إليه لينزلاه عن دابته، فابتدراه فأنزلاه، فأقبل صالح على نفسه فقال: لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم وفي هذا المقام. ثم جلس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه ثم قال له: واعلم أن الله قاهر فوق عباده وأن أثبت الناس قدماً [في الدنيا والآخرة]، آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وكلام طويل، فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه..

522- حدثني أبو نعيم بن أعين فقال: قال صالح المري رحمه الله: دخلت على المهدي بالرصافة، فلما مثلت بين يديه قلت: يا أمير المؤمنين، أحمد الله ما أكلمك به اليوم، فإن أولى الناس بالله عز وجل أحملهم لغلظة النصيحة فيه، وجدير بمن له قرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه ويأتم بهديه، وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرک، فمهما ادعيت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله عز وجل، وحل بك من سخط الله عز وجل بقدر ما تجاهلته من العلم وأقدمت عليه من شبهة الباطل، واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالفه في أمته يبتزها أحكامها، ومن كان محمد صلى الله عليه وسلم خصمه كان الله عز وجل خصمه. فأعد لمخاصمة الله عز وجل ومخاصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حججاً تضمن لك النجاة، أو استسلم للهلكة، واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله عز وجل قرينة، وإن أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية، ولكن تتمثل له الإساءة إحساناً ويشهد له عليها خونة العلماء! وبهذه الحباله تصيدت الدنيا نظراءك، فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء، فبکی المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله..

523- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله صاحب الصحيح وإمام أهل الحديث في زمانه، والمقتدى به في أوانه والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه، وكتابه الصحيح يستقى بقرائه الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه وكذلك سائر أهل الإسلام. ولد البخاري رحمه الله في سنة أربع وتسعين ومائة، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ في حجر أمه، فألمه الله حفظ الحديث، وقراه الكتب المشهورة وهو ابن ست عشر سنة، حتى قيل إنه كان يحفظ وهو صبي سبعين ألف حديث سرداً! وحج وعمره ثمانى عشرة سنة فأقام بمكة يطلب بها الحديث، ثم رحل بعد ذلك إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها، وكتب عن أكثر من ألف شيخ، وروى عنه خلائق وأمم، وعن روى عن البخاري مسلم في غير الصحيح وكان مسلم يتتلمذ له ويعظمه، وروى عنه الترمذي في جامعه والنسائي في سننه في قول بعضهم، وقد دخل بغداد ثمانى مرات وفي كل منها يجتمع بالإمام أحمد، فيحضره أحمد على المقام ببغداد ويلومه على الإقامة بخراسان، وقد ذكروا أنه كان ينظر في الكتاب مرة واحدة فيحفظه من نظرة واحدة! والأخبار عنه في ذلك كثيرة وقد أثنى عليه علماء زمانه من شيوخه وأقرانه فقال الإمام أحمد: ما أخرجت خراسان مثله، وقال على بن المديني: لم ير البخاري مثل نفسه، وقال إسحاق

ابن راهويه لو كان في زمن الحسن لاحتاج الناس إليه في الحديث ومعرفته وفقهه، وقال أبو بكر ابن أبي شيبة ومحمد بن عبدالله بن نمير: ما رأينا مثله، وقال علي بن حجر: لا أعلم مثله، وقال محمود بن النظر بن سهل الشافعي: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخاري فضلوه على أنفسهم، وقال أبو العباس الدعولي: كتب أهل بغداد إلى البخاري: المسلمون بخير ما حييت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد! وقد كان رحمه الله يصلي في كل ليلة ثلاث عشرة ركعة، وكان يختم القرآن في كل ليلة من رمضان ختمة، وكانت له جدة ومال جيد ينفق منه سرا وجهرا، وكان يكثر الصدقة بالليل والنهار، وكان مستجاب الدعوة، مسدد الرمية شريف النفس.

سأله السلطان خالد بن أحمد الذهلي نائب الظاهرية ببخاري ليأتيه، وأن يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده، فامتنع عن الحضور وقال لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت له إلى شيء منه، فليحضرني في مسجدي أو في داري، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضا وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فمانعني من الجلوس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، أني لا أكتم العلم، لقول النبي ﷺ: من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار. فكان سبب الوحشة بينهما، فبقى في نفس الأمير من ذلك، فاتفق أن جاء كتاب من محمد بن يحيى الذهلي بأن البخاري يقول لفظه بالقرآن مخلوق!! وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام، وصنف البخاري في ذلك كتاب أفعال العباد، فأراد [الأمير خالد بن أحمد، ومحمد بن يحيى الذهلي] أن يصرفا الناس عن السماع من البخاري، وقد كان الناس يعظمونه جدا، وحين رجع إليهم ثروا على رأسه الذهب والفضة يوم دخل بخاري عائدا إلى أهله، وكان له مجلس يجلس فيه للإملاء بجامعها، فلم يقبلوا من الأمير، فاستعان خالد بن أحمد، بحريث بن أبي الوراق وغيره من [علماء الدنيا، وما أكثرهم في كل زمان، على] البخاري حتى تكلموا في مذهبه ونفاه عن البلد! فخرج منها. فدعا عليهم البخاري فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم.

فأما خالد: فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر [بعزله]، فنودى عليه وهو على أتان، وأشخص على أكاف! وزال ملكه، ولم يبق أحد يساعده إلا ابتلى ببلاء شديد! ثم صارت عاقبة أمره إلى ما قد اشتهر وشاع وسجن في بغداد حتى مات.

وأما حريث [عالم السلطان]: فإنه ابتلى بأهله فرأى فيهم ما يجل عن الوصف!!

وأما فلان أحد القوم وسماه، فإنه ابتلى بأولاده وأراه الله فيهم البلى!!

قال عبدوس بن عبد الجبار السمرقندي: جاء محمد بن إسماعيل إلى قرية خرتنك من قرى سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعت ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله تعالى إليه وقبره بخرتنك.

وأخبرنا عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال: رأيت النبي ﷺ في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع، فسلمت عليه فرد السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟! فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخارى، فلما كان بعد أيام بلغنى موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التى رأيت النبي ﷺ!

وحيثما دفن فاحت من قبره رائحة غالية أطيب من ريح المسك، ثم دام ذلك أياما، ثم جعلت ترى سوارى بيض بحذاء قبره، وكان عمره يوم أن مات اثنتين وستين سنة، وقد ترك رحمه الله بعده علما نافعا للمسلمين، فعلمه لم ينقطع بل هو موصول بما أسداه من الصالحات فى الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث [منها] علم ينتفع به رواه مسلم وتوفى ليلة السبت ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين. وما أحسن ما قال بعض الشعراء:

صحيح البخارى لو أنصفوه	ما خط إلا بماء الذهب
هو الفرق بين الهدى والعمى	هو السد بين الفتى والعطب
أسانيد مثل نجوم السماء	أمام متون لها كالشهب
بها قام ميزان دين الرسول	ودان به العجم بعد العرب
حجاب من النار لا شك فيه	يمز بين الرضى والغضب

وسـتر رقيـق إلى المصـطفـى ونص مـبين لكشـف الـريب
 فيـا عالمـا أجمـع العالمـون على فضـل رتبـته في الرتب
 سـبق الأئمة فيـما جمـعت وفـزت على زعمهم بالقصـب
 نفيت الضـعف من الناقـل ين ومن كان منـهما بالكذب
 وأبرزت في حـسن ترتيـبه وتبويـبه عجبـا للعجـب
 فأعطاك مولاك ما تشتهيـه وأجزل حظـك فيـما وهـب

524- قال رجل لعفان: أحدثك عن حماد رضي الله عنه؟ قال: من حماد ويلك؟ قال: ابن سلمة، قال: ألا تقول أمير المؤمنين!

525- حدثنا مقاتل بن صالح الخراساني صاحب الحميدى بمكة فقال: دخلت على حماد ابن سلمة رضي الله عنه فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه، ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها! فبينما أنا عنده جالس إذ دق عليه داق الباب فقال: يا حبيبة اخرجي فانظري من هذا؟ قالت: هذا رسول [الأمير] محمد بن سليمان، قال: قولي له يدخل وحده، فدخل فسلم وناولته كتابه [فلم يلمسه] وقال لي: اقرأه؟ فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن سليمان إلى حماد بن سلمة، أما بعد فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته، وقعت مسألة فأتنا نسألك عنها. قال يا صبية: هلمي الدواء، ثم قال لي: اقلب الكتاب واكتب، أما بعد وأنت فصبحك الله بما صبح به أوليائه وأهل طاعته، إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحدا، فإن وقعت مسألة فأتنا فسلنا عما بدا لك، وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك، فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام! فبينما أنا عنده جالس إذ دق داق الباب فقال: يا حبيبة اخرجي فانظري من هذا؟ قالت: هذا [الأمير] محمد بن سليمان، قال: فقولي له يدخل وحده، فدخل فسلم، ثم جلس بين يديه ثم ابتداء فقال: ما لي إذا نظرت إليك امتلأت رعبا؟ فقال:

سمعت ثابتا البناني رضي الله عنه يقول: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكتز به الكنوز هاب من كل شيء. فقال: ما تقول يرحمك الله في رجل له ابنان وهو عن أحدهما أرضى، فأراد أن يجعل له في

حياته ثلثي ماله؟ قال: لا تفعل رحمك الله، فإنني سمعت ثابتاً البناني رضي الله عنه يقول: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول]: إن الله إذا أراد أن يعذب عبده بهاله، وفقه عند موته لوصية جائزة!! قال: فحاجة إليك؟ قال: هات ما لم تكن رزية في دين. قال: أربعين ألف درهم، تأخذها تستعين بها على ما أنت عليه، قال: ارددها على من ظلمته بها!! قال: والله ما أعطيك إلا ما ورثته، قال: لا حاجة لي فيها ازوها عنى زوى الله عنك أوزارك. قال: فغير هذا؟ قال: هات ما لم يكن رزية في دين، قال: تأخذها فتقسمها. قال: فلعلني إن عدلت في قسمتها أن يقول بعض من لم يرزق منها، إنه لم يعدل في قسمها فيأثم، ازوها عنى زوى الله عنك أوزارك..

526- حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث قال: سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: كان ابن أبي ذئب رضي الله عنه يشبه بسعيد بن المسيب رضي الله عنه، قيل لأحمد رضي الله عنه: [هل] خلف ابن أبي ذئب مثله ببلاذ؟ قال: لا ولا غيرها! وقال ابن أبي داود: سمعت أحمد قال: كان ابن أبي ذئب ثقة صدوقاً، أفضل من مالك بن أنس، إلا أن مالكا أشد تنقية للرجال منه، وابن أبي ذئب لا يبالي عمن يحدث. أخبرنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: لما حج المهدي دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبق أحد إلا قام [للسلام عليه] إلا ابن أبي ذئب! فقال له المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين! فقال ابن أبي ذئب: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي: دعه فقد قامت كل شعرة في رأسي. قال أبو نعيم: حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، ومعى ابن أبي ذئب ومالك بن أنس، فدعا [أبو جعفر] ابن أبي ذئب فأقعده معه على دار الندوة عند غروب الشمس فقال له: ما تقول في مرتين أو ثلاث؟ فقال: ورب هذه البنية إنك لجائر. فأخذ [وزيره] الربيع بلحيته. فقال له أبو جعفر: كف يا ابن اللخناء، وأمر له بثلاثمائة دينار [فتركها ولم يأخذها]. وأخبرنا محمد بن القاسم بن خلاد فقال: قال ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين، قد هلك الناس فلو أعتتهم بما في يديك من الفيء؟

قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح! فقال ابن أبي ذئب: فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك! قال: ومن هو ويلك؟ قال [أمير المؤمنين] عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فنكس المنصور رأسه، والسيوف بيد المسيب، والعمود بيد مالك بن الهيثم، فلم يعرض له، والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز.

وحدثنا حسن بن زيد قال: ولى عبد الصمد على المدينة، فعاقب بعض القرشيين وحبسه حبسا ضيقا، فكتب بعض قرابته إلى أبى جعفر فشكى ذلك إليه وأخبره، فكتب أبو جعفر إلى المدينة وأرسل رسولا وقال: اذهب فانظر قوما من العلماء فأدخلهم عليه حتى يروا حاله ويكتبوا إلى بها، فأدخلوا عليه فى حبسه مالك بن أنس وابن أبى ذئب وابن أبى سبرة وغيرهم من العلماء، وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عنه الوثاق وألبسه ثيابا وكنس البيت الذى كان فيه ورشه ثم أدخلهم عليه!

فقال لهم الرسول: اكتبوا بما رأيتم، فأخذوا يكتبون يشهد فلان وفلان، فقال ابن أبى ذئب: لا تكتب شهادتى أنا أكتب شهادتى بيدى إذا فرغت فارم إلى بالقرطاس، فكتبوا محبسا لينا ورأينا هيئة حسنة وذكروا ما يشبه هذا الكلام، ثم دفع القرطاس إلى ابن أبى ذئب، فلما نظر فى الكتاب قال: يا مالك داهنت وفعلت وفعلت إلى الهوى، لكنى أكتب رأيت محبسا ضيقا وأمرا شديدا، وجعل يذكر شدة الحبس وبعث بالكتاب إلى أبى جعفر.

فقدم أبو جعفر حاجا فمر بالمدينة فدعاهم، فلما دخلوا عليه جعلوا يذكرون وجعل ابن أبى ذئب يذكر شدة الحبس وضيقه، وشدة عبد الصمد وما يلقون منه، وجعل أبو جعفر يتغير لونه وينظر إلى عبد الصمد غضبان، قال الحسن بن زيد: فلما رأيت ذلك رأيت أن أليته وخشيت على عبد الصمد من أبى جعفر أن يعجل عليه.

قال ابن أبى ذئب: [لعبد الصمد] أما والله إن سألتنى عنك لأخبرنه، فقال أبو جعفر: وإنى أسألك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ولى علينا ففعل بنا وفعل وأطنب، [فقال عبد الصمد بعد أن] ملئ غيظا: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك؟!

فقال له أبو جعفر: فإنى أسألك عن نفسى؟ قال: لا تسألنى، فقال: أنشدك بالله كيف ترانى؟ قال: اللهم لا أعلمك إلا ظالما جائرا!! فقام إليه وفى يده عمود فجلس قربه. قال الحسن بن زيد: فجمعت إلى ثوبى مخافة أن يصيبنى من دمه. فجعل [أبو جعفر] يقول له: يا مجوسى، أتقول هذا لخليفة الله فى أرضه؟! وجعل يردد لها عليه. وابن أبى ذئب يقول: نشدتنى بالله، يا عبد الله إنك نشدتنى بالله!! [فحماه الله من أبى جعفر السفاح]، لم ينله بسوء وتفرقوا على ذلك. فلما كان الغد دعى به ليدخل على أبى جعفر، وكان لأبى جعفر خادم كريم عليه، فحين دنا

ابن أبى ذئب من الباب ليدخل على أبى جعفر، قام إليه الخادم وكان أمر أن يدخله، فجعل يمس على صدر ابن أبى ذئب ويقول: مرحبا برجل لا تأخذه فى الله لومة لائم..

527- قال الأصمعى: حدثنى رجل من أهل المدينة قال: سمعت محمد بن إبراهيم يحدث فقال: شهدت أبا جعفر بالمدينة وهو ينظر فيما بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش، شكوا إلى أبى جعفر شيئا من أمر [عامل المدينة] الحسن بن زيد، فقال الحسن: سل فيهم ابن أبى ذئب؟ فقال أبو جعفر لابن أبى ذئب: ما تقول فى بنى فلان؟ قال: أشرار من أهل بيت أشرار، أشهد أنهم أهل تحكم فى أعراض المسلمين، كثيرو الأذى لهم.

فقال أبو جعفر: قد سمعتم. فقالوا: سله يا أمير المؤمنين عن [عاملك] الحسن بن يزيد، وكان على المدينة، فقال: ما تقول فى الحسن؟ قال: يأخذ بالأحب ويقضى بالهوى أشهد أنه يحكم بغير الحق! فقال: قد سمعت يا حسن ما قال ابن أبى ذئب. فقال الحسن: والله يا أمير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرماك بدهية ونعتك بشر.

قال: فما تقول فى؟ قال: أو يعفنى أمير المؤمنين. فقال: والله لتخبرنى. قال: إن كان لا بد، فإنك لا تعدل بين الرعية ولا تقسم بالسوية، أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه وجعلته فى غير أهله، فتغير وجه أبى جعفر فوضع يده فى قفا ابن أبى ذئب وجعل يقول له: أما والله لولأى لأخذت أبناء فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك، فقال ابن أبى ذئب: قد ولى أبو بكر، وعمر فأخذوا بالحق وقسم بالسوية، وأخذوا بأقفاء فارس والروم. فخلأ أبو جعفر ففاه وقال: والله لو لم أعلم أنك صادق لقتلتك.

فقال له ابن أبى ذئب: والله يا أمير المؤمنين إنى لأنصح لك من ابنك المهدي. فقام إبراهيم ابن محمد بن على صاحب الموصل فقال: طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين! فقال له ابن أبى ذئب: اقعد، فليس فى دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله ظهور. ثم تدارك ابن أبى ذئب الكلام فقال: دعنا يا أمير المؤمنين مما نحن فيه، بلغنى أنك رزقت ابنا صالحا فى العراق، يعنى المهدي. قال: أما إن قلت ذلك إنه لصوام لليوم البعيد ما بين الطرفين. ثم قام ابن أبى ذئب فخرج. فقال أبو جعفر: أما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال برأى نفسه..

528- فصل فى محنة الإمام مالك رحمته الله: قال الطبرى: اختلف فيمن ضرب مالكا وفى سبب ضربه وفى خلافة من ضرب. والأشهر أن [الأمير] جعفر بن سليمان هو الذى ضربه فى ولايته

الأولى بالمدينة، وأما سبب ضربه ﷺ فقليل: إن جعفر نهاه عن حديث ليس على مستكره طلاق، ثم دس إليه من يسأله عنه فحدث به على رؤوس الناس. وخالف ذلك ابن بكير وقال: ما ضرب إلا في تقديمه عثمان ﷺ على علي، فسعى به الطالبيون [أى الشيعة الروافض] حتى ضرب! وأما في خلافة من ضرب؟ فالأشهر أن ذلك كان في أيام أبى جعفر [السفاح]. واختلف أيضا في مقدار ضربه من ثلاثين إلى مائة، ومدت يدها حتى انحلت كتفاه، وبقي بعد ذلك مطابق اليدين لا يستطيع أن يرفعها ولا أن يسوى رداءه!!

وقيل: إنه لما ضرب مُهل مغشياً عليه، فدخل الناس عليه فأفاق، وقال: أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى في حل. وقال الدراوردى سمعته يقول حين ضرب: اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون. قال مصعب: وكان ضربه سنة ست وأربعين ومائة. وذكر ابن الجوزى في (شذور العقود) في سنة سبع وأربعين ومائة، ضرب مالك بن أنس ﷺ سبعين سوطا، لأجل فتوى لا توافق غرض السلطان!!

وقال مالك ﷺ: ما كان علىّ يوم ضربتُ أشد من شعر كان في صدرى، وكان في إزارى خرق ظهرت منه فخذى، فجعلت الله أن أستجد الإزار وأن لا أترك على شعرا، وكان يقول: ضربت فيما ضرب به محمد بن المنكدر وربيعة بن المسيب، ويذكر قول عمر بن عبد العزيز ﷺ: ما أغبط أحدا لم يصبه في هذا الأمر أذى.

قال الجياني: ما زال مالك بعد ذلك الضرب في رفعة من الناس وإعظام، حتى كأن تلك الأسواط حُلّ حُلّى به رحمه الله تعالى ونفع به، آمين.

وكانت وفاته يوم الأحد لثام اثنين وعشرين يوما من مرضه في ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة، وعمره ثمانون [سنة]، وحكى عن ابن سحنون ثمان وتسعين، وقال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التى قبض فيها فقلنا له: يا أبا عبد الله كيف نجدك؟ قال: ما أدرى كيف أقول لكم، إلا أنكم ستعاينون غدا من عفو الله ما لم يكن في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه رحمه الله. وقيل: إنه تشهد ثم قال: لله الأمر من قبل ومن بعد. ورأى عمر بن يحيى بن سعيد في الليلة التى مات فيها مالك قائلا يقول:

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه غداة ثوى الهادى لدى ملحد القبر
إمام الهدى ما زال للعلم صائنا عليه سلام الله فى آخر الدهر

وأنشد ابن المعافى يرثى مالكا رحمه الله تعالى ورضى عنه:

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك إلا أن فقد العلم إذ مات مالك
ومالي لا أبكى على فقد مالك إذ أعز مفقود من الناس مالك
ومالي لا أبكى على فقد مالك وفي فقدته سدت على المسالك

529- ذكر ما نال مالك بن أنس رحمه الله من [الأمير] جعفر بن سليمان، ذكر أنه هاج بالمدينة هيح في ابتداء أيام أبي جعفر، فبعث إليها ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيحها وفتنتها ويجدد بيعة أهلها، فقدمها وهو يتوقد نارا على أهل الخلاف لهم، [أى على أهل السنة] فأظهر الغلظة والشدّة، وسطا بكل من ألد في سلطانهم، وأشار إلى المنازعة لهم، وأخذ الناس بالبيعة. وكان مالك بن أنس رحمه الله لم يزل صغيرا وكبيرا محسدا، وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه في علمه أو عمله أو فهمه أو ورعه، فكيف بمن جمع الله ذلك فيه، ولم يزل منذ نشأ كذلك؟ قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم واللب والنبل، ووصل له ذلك بالدين والفضل، عرف منه ذلك صغيرا وظهر فيه كبيرا، واستلب الرياسة ممن كان قد سبقه إليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به على كل سام. فاستدعى ذلك منهم الحسد له وألجأهم ذلك إلى البغى عليه، فسدوا إلى جعفر بن سليمان من قال له: إن مالكا يفتى الناس بأن أيان البيعة لا تحل ولا تلزمهم لمخالفتك واستكراهك إياهم عليها، وزعموا أنه يفتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبي ﷺ أنه قال: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه. فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف أن ينحل عليه ما أبرم من بيعة أهل المدينة، وهم أن يبدروا فيه بما عافاه الله منه وأنعم على المسلمين ببقائه. فقليل له: لا تبدر فيه ببادرة فإنه من أكرم الناس على أمير المؤمنين وآثرهم عنده ولا بأس عليك منه، فلا تحدث شيئا إلا بأمر أمير المؤمنين. أو يستحق ذلك عندنا بأمر لا يخفى على أهل المدينة، فسد إليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشى أن يؤتى من قبله ومن مأمنه يؤتى الحذر. فسأله عن الأيمان في البيعة فأفتاه مالك بذلك طمأنينة إليه وحسبة فيه، فلم يشعر مالك إلا ورسول جعفر بن سليمان يأتيه، فأتوا به إليه منتهك الحرية مزال الهيبة، فأمر به فضرب سبعين سوطا، فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت البيعة، بلغ بمالك ألم الضرب حتى أضجعه!

وذكروا أنه لما بلغ أبا جعفر ضرب مالك بن أنس وما أنزل به جعفر بن سليمان، أعظم ذلك إعظاما شديدا وأنكره ولم يرضه، وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة، وأمر أن يؤتى به إلى بغداد على قتب، وولى على المدينة رجلا من قريش من بنى مخزوم، كان يوصف بدين وعقل وحزم وذكاء وذلك في شهر رمضان من سنة إحدى وستين ومائة، وكتب أبو جعفر إلى مالك بن أنس ليستقدمه إلى نفسه ببغداد، فأبى مالك وكتب إلى أبي جعفر يستعفيه من ذلك ويتعذر له ببعض العذر، فكتب أبو جعفر إليه أن وافني بالموسم العام القابل إن شاء الله.

وذكروا أن مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى أبا جعفر بمنى أيام منى، فذكروا أن مطرفا أخبرهم وكان من كبار أصحاب مالك، فقال: قال لى مالك: لما صرت بمنى أتيت السراقات فأذنت بنفسى فأذن لى، ثم خرج إلى الآذن من عنده فأدخلنى، فقلت للآذن: إذا انتهيت بى إلى القبة التى يكون فيها أمير المؤمنين فأعلمني؟ فمر بى من سراق إلى سراق ومن قبة إلى أخرى فى كلها أصناف من الرجال بأيديهم السيوف المشهورة والأجزرة المرفوعة حتى قال لى هو فى تلك القبة، ثم تركنى وتأخر عني، فمشيت حتى انتهيت إلى القبة التى هو فيها، فإذا هو قد نزل عن مجلسه الذى يكون فيه إلى البساط الذى دونه، وإذا هو قد لبس ثيابا قصدة لا تشبه ثياب مثله تواضعا لدخولى عليه، وليس معه فى القبة إلا قائم على رأسه بسيف صليت، فلما دنوت منه رحب بى وقرب ثم قال: ها هنا إلى فأوميت للجلوس فقال: ها هنا، فلم يزل يديننى حتى أجلسنى إليه ولصقت ركبتي بركبته، ثم كان أول ما تكلم به أن قال: والله الذى لا إله إلا هو يا أبا عبد الله ما أمرت بالذى كان ولا علمته قبل أن يكون ولا رضيته إذ بلغنى، يعنى الضرب قال مالك: فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول ﷺ ثم نزهته عن الأمر بذلك والرضا به، ثم قال: يا أبا عبد الله، لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، وأنى أخالك أمانا لهم من عذاب الله وسطوته، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة فإنهم ما علمت أسرع الناس إلى الفتن وأضعفهم عنها، قاتلهم الله أنى يؤفكون، وقد أمرت أن يؤتى بعدو الله [جعفر بن سليمان بن العباس] للمدينة [عليّ] قتب، وأمرت بضيق مجلسه والمبالغة فى امتهانه، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف ما نالك منه. فقلت له: عافى الله أمير المؤمنين وأكرم مثواه قد عفوت عنه. قال أبو جعفر: وأنت فعفى الله عنك ووصلك.

قال مالك: ثم قال لى يا أبا عبد الله، ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبنا، وتجنب شدائد عبد الله بن عمر، ورخص عبد الله بن عباس، وشواذ ابن مسعود، واقصد إلى أواسط الأمور وما

اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم، لنحمل الناس إن شاء على علمك وكتبك، ونبتها في الأمصار ونعهد إليهم أن لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها. فقلت له: أصلح الله الأمير، إن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في عملهم رأينا، فقال أبو جعفر: يحملون عليه ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ونقطع طي ظهورهم بالسياط، فتعجل بذلك وضعها، فسيأتيك محمد المهدي ابني العام القابل إن شاء الله إلى المدينة لسمعها منك، فيجدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله. قال مالك: ثم أمر لي بألف دينار عينا ذهباً وكسوة عظيمة وأمر لابني بألف دينار، ثم استأذنته فأذن لي فقممت فودعني ودعا لي ثم مشيت منطلقاً، فلحقني الخصى بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وإن عظم قدره، فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها إلى غلامه، فلما وضع الخصى الكسوة على منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة احتياها، وتبرؤاً من ذلك! فناداه أبو جعفر بلغها رحل أبي عبد الله..

530- يروى أن بلال بن أبي بردة خرج في جنازة وهو أمير على البصرة، فنظر إلى جماعة وقوفا فقال: ما هذا؟ قالوا: مالك بن دينار رضي الله عنه يذكر الناس. فقال لوصيف معه: اذهب إلى مالك ابن دينار فقل له يرتفع إلينا إلى القبر، فجاء الوصيف فأدى الرسالة إلى مالك فصاح به مالك: لا، مالى إليه حاجة فأجيبه فيها، فإن تكن له حاجة فليجئ إلى حاجة نفسه!

فلما دفنوا ميتهم قام بلال بمن معه إلى حلقة مالك، فلما دنا منها نزل ونزل من معه، ثم جاء يمشى إلى الحلقة حتى جلس، فلما رآه مالك بن دينار رضي الله عنه سكت فأطال السكوت، فقال له بلال: يا أبا يحيى ذكرنا؟ قال: أنسيت شيئاً فأذكره؟! قال له: فحدثنا؟ قال: أما هذا فنعم.

قدم علينا أمير قبلك على البصرة، فمات فدفناه في هذه الجبانة، ثم أتينا بزنجى فدفناه إلى جنبه فوالله ما أدرى أيهما كان أكرم على الله سبحانه وتعالى.

فقال بلال: يا أبا يحيى، أتدرى ما الذى جرأك علينا وما الذى أسكتنى عنك؟

قال: لا. قال: لأنك لم تأخذ من دراهمنا شيئاً، أما والله لو أخذت من دراهمنا شيئاً، ما اجترأت على هذه الجرأة! فأفادنى هذا الحديث علماً، ألا فاتقوا دراهمهم، ألا فاتقوا دراهمهم..

531- دخل [أنس بن مالك رضي الله عنه] يوماً على الرشيد فحثه على مصالح المسلمين وقال له: لقد بلغنى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان في فضله وقدمه ينفع لهم عام الرمادة النار تحت القدور

حتى يخرج الدخان من تحت لحيته ﷺ، وقد رضى الناس منكم بدون هذا. وقال يعيش بن هشام الخابور: كنت عند مالك ﷺ إذ أتاه رسول الرشيد ينهاه أن يحدث بحديث معاوية ﷺ في السفرجل فتلا مالك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ} (1). ثم قال: والله لأخبرن بها في هذه العرصة، حدثنا نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأهدى إليه سفرجل، فأعطى أصحابه واحدة واحدة وأعطى معاوية رضى الله عنه ثلاث سفرجلات وقال: القنى بهن في الجنة. وقال رسول الله ﷺ: السفرجل يذهب صحا القلب (2) ..

532- كتب أبو يوسف ﷺ إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، يا أمير المؤمنين، إن الله وله الحمد قد قللك أمراً عظيماً ثوابه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب. قللك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسييت وأنت تبني لخلق كثير، قد استرعاكهم الله واثمنتك عليهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان إذا أسس على غير التقوى أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه، فلا تضيعن ما قللك الله من أمر هذه الأمة، فإن القوة في العمل بإذن الله، ولا تؤخر عمل اليوم إلى غد، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت، إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل فإنه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعى إلى ربه، فأقم الحق فيما ولاك الله وقللك ولو ساعة من نهار، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته، ولا تزغ فتزيع رعيته، وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب. وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للأخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفتنى. وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم.

واحذر، فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقى، ومن يتق الله يقه. واعمل لأجل مفضوض وسبيل مسلوكة وطريق مأخوذ وعمل محفوظ ومنهل مورود فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذى تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته، والخلق له داخرون بين يديه ينتظرون قضاءه، ويخافون عقوبته وكأن ذلك قد كان. فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يوم تزل فيه الأقدام

(1) سورة البقرة آية 159.

(2) الديباج المذهب ج 1 ص 27.

وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: { وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }⁽¹⁾.

وقَالَ تَعَالَى: { هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ }⁽²⁾. وَقَالَ تَعَالَى: { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ }⁽³⁾. وَقَالَ تَعَالَى: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ }⁽⁴⁾. وَقَالَ سبحانه: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا }⁽⁵⁾. فيا لها من عثرة لا تقال ويا لها من ندامة لا تنفع، وإنما هو اختلاف الليل والنهار يلبيان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتیان بكل موعود، ويجزى الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب.

فَاللَّهُ اللَّهُ فَإِنَّ الْبَقَاءَ قَلِيلٌ وَالْخَطْبُ خَطِيرٌ وَالْدُنْيَا هَالِكَةٌ وَهَالِكٌ مِنْ فِيهَا وَالْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، فَلَا تَلْقَ اللَّهُ غَدًا وَأَنْتَ سَالِكٌ سَبِيلَ الْمُعْتَدِينَ، فَإِنَّ دِيَانَ يَوْمِ الدِّينِ إِنَّمَا يَدِينُ الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ وَلَا يَدِينُهُمْ بِمَنَازِلِهِمْ، وَقَدْ حَذَرَكَ اللَّهُ فَاحْذَرْ فَإِنَّكَ لَمْ تَخْلُقْ عَبْثًا وَلَنْ تَتْرَكَ سُدًى.

وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب؟! واعلم أنه لن تزول غداً قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة، فقد قال ﷺ: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسده فيما أبلاه، فأعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها، فإن ما عملت فأثبت فهو عليك غدا يقرأ، فاذا ذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد. وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله ورعاية ما استرعاك، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله، فإنك إن لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعمى في عينك وتتعمى رسومه ويضيق عليك رحبه، وتنكر منه ما تعرف، وتعرف منه ما تنكر، فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها، فإن الراعى المضيع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله، وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضر، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووفاه الله أضعاف ما وفى له.

(1) سورة الحج آية 47.

(2) سورة المرسلات آية 38.

(3) سورة الدخان آية 40.

(4) سورة الأحقاف آية 35.

(5) سورة النازعات آية 46.

فاحذر أن تضيع رعيته فيستوفي ربه حقها منك ويضيعك بما أضعت أجرك، وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره، وعليك ما ضيعت منه، فلا تنس القيام بأمر من ولاك الله أمره فلست تُنسى ولا تغفل عنهم وعمّا يصلحهم فليس يُغفل عنك ولا يضيع حظك، من الدنيا في هذه الأيام والليالي، من كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتحميداً، والصلاة على رسوله نبي الرحمة وإمام الهدى ﷺ.

إن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم، وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر بالبين وإحياء السنن التي سنّها القوم الصالحون أعظم موقفاً، فإن إحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت.

وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانتها بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة، فاستتم ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها والتمس الزيادة بالشكر عليها فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: { لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ }⁽¹⁾. وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا أبغض إليه من الفساد والعمل بالمعاصي كفر النعم، وقل من كفر قوم قط النعمة ثم لم يفرعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط الله عليهم عدوهم..

533- لما حج هارون بعث إلى مالك ﷺ بكيس فيه خمسمائة دينار، فلما قضى نسكه وقدم المدينة بعث إلى مالك أن أمير المؤمنين يجب أن تنتقل معه إلى مدينة السلام فقال للرسول: قل له إن الكيس بخاتمه. وقال رسول الله ﷺ: المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون..

534- الإمام الشهيد المفتي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن البردون الضبي رحمه الله، تلميذ أبي عثمان بن الحداد، قال القاضي عياض: كان يقول: إنني أتكلم في تسعة أعشار قياس العلم، وكان عالماً بالذبح عن مذهب مالك فقيهاً بارعاً في العلم يذهب مذهب الحجة والنظر لم يكن في القيروان أقوى على الحجة والمناظرة منه، سمع من عيسى بن مسكين ومحمد بن محمد وجبل بن حمود وسعيد بن إسحاق وغيرهم من رجال سحنون. وكان مناقضاً للعراقيين [أي للروافض الشيعة] فدارت عليه دوائر في أيام عبيد الله [صاحب المغرب] وضرب بالسياط، ثم سعوا به عند دخول الشيعة إلى القيروان، وكانت الشيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم لهم في مسألة التفضيل

(1) سورة إبراهيم آية 7 .

[واتساع] رخصة مذهبهم، فرفعوا إلى أبي عبد الله الشيعي أن ابن البردون وأبا بكر بن هذيل عليهما السلام يطعنان في دولتهم ولا يفضلان على، فحبسهما ثم أمر متولى القيروان أن يضرب ابن هذيل خمسمائة سوط! ويضرب عنق ابن البردون! فغلط المتولى فقتل ابن هذيل وضرب ابن البردون ثم قتله من الغد.

وقيل لابن البردون لما جرد للقتل أترجع عن مذهبك؟ قال: أعن الإسلام أرجع؟! ثم صلبا في سنة تسع وتسعين ومئتين، وأمر الشيعي الحبيث أن لا يفتى بمذهب مالك، ولا يفتى إلا بمذهب أهل البيت! [وأهل البيت حسب ما جاء بنص القرآن والسنة هم زوجات الرسول عليه السلام، قال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَقْيَنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} * وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} ⁽¹⁾. الخطاب هنا موجه لزوجات النبي ولهن لأن أول الآية وآخرها فيهن. وقال تعالى: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} * قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ} ⁽²⁾. وقد دخل فيه أزواج النبي عليها السلام لأن ابتداء.

وكذلك خطاب الملائكة لأم المؤمنين سارة، زوج نبي الله إبراهيم عليه السلام بلفظ أهل البيت. يدل أيضا على أن أزواج النبي عليها السلام هم أهل بيته، ولأن الملائكة قد سمّت امرأة إبراهيم أهل بيته. وعلى هذا يكون المخاطب بالقرآن الكريم باسم أهل البيت، هم زوجات الرسول عليها السلام لا كما يدعى الروافض الشيعة بأنهم أبناء علي، سواء من فاطمة، أم من نسل الجوارى الفارسيات]. فبقى من يتفقه لمالك إنما يتفقه خفية!

قال الحسين بن سعيد الخراط: كان ابن البردون عليه السلام بارعا في العلم يذهب مذهب النظر، لم يكن في شباب عصره أقوى على الجدل وإقامة الحجة منه، سمع من عيسى بن مسكين ويحيى بن عمر وجماعة، ولما أتى به إلى ابن أبي خنزير، وقف فقال له: يا خنزير، فقال ابن البردون: الخنازير معروفة بأنبيائها، فغضب وضرب عنقه.

(1) سورة الأحزاب الآيات 32 / 34.

(2) سورة هود الآيات 72 / 73.

وقال محمد بن خراسان: لما وصل عبيد الله إلى رقادة طلب من القيروان ابن البردون وابن هذيل فأتياه وهو على السرير وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس عن يساره فقال: أتشهدان أن هذا رسول الله؟!

فقالا بلفظ واحد والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا ذلك. فأمر بذبحهما!! وكانا من العلماء الخاشعين الورعين، وقيل: ضرب ابن البردون، وقتل ابن هذيل، ثم قتل ابن البردون، ثم ربطت أجسادهما بالحبال وجذبتهما البغال مكشوفين في القيروان وصلبا نحو ثلاثة أيام ثم أنزلا ودفنا!!

535- الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري القرطبي رحمته الله. قال بعضهم: كنت جالسا عند ابن أبي خنزير فدخل شيخ ذو هيئة وخشوع، فبكى ابن أبي خنزير! وقال: السلطان عبيد الله المهدي، وجهه إلى يأمرني بدوس هذا حتى يموت! ثم بطحه وقفز عليه السودان حتى مات لجهاده وبغضه لعبيد الله وجنده، وكان سعى به المروذي اللعين، ولما رأى ابن أبي خنزير كثرة أذى عبيد الله للعلماء، تحيل وسعى به حتى قتله سنة ثلاث مئة أو بعدها، فيها لقي الإسلام وأهله من عبيد الله المهدي الزنديق..

536- كانت قرطبة مركز العلم ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم، بها استقرت ملوك الفتح وعظماءه ثم الملوك المروانية، وبها كان يحيى بن يحيى رحمته الله راوية مالك وعبد الملك بن حبيب وتعظيم أهلها للشريعة ومنافستهم في السؤدد بعلمها، وأن ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها يرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم، وكانوا لا يقدمون وزيرا ولا مشورا ما لم يكن عالما!! حتى إن الحاكم المستنصر لما كره له العلماء شرب الخمر، همَّ بقطع شجرة العنب من الأندلس فقبل له: فإنها تعصر من سواها فأمسك عن ذلك، وأنهم كانوا لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة، حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال، خوفا من أن يميل به الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين!

ولقد أخبرت أن الحكم الربضي أراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة، فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك وغيرهما من أعلام العلماء فقالوا له: هو أهل ولكنه شديد الفقر. ومن يكون في هذه الحالة لا تأمنه على حقوق المسلمين، لا سيما وأنت تريد انتفاعه وظهوره في الدخول في الموارث والوصايا وأشباه ذلك، فسكت ولم ير منازعتهم وبقي مهموماً

من كونهم لم يقبلوا قوله، فنظر إليه ولده عبد الرحمن وعلى وجهه أثر ذلك فقال: ما بالك يا مولاي؟ فقال: ألا ترى هؤلاء الذين نقدمهم وننوه عند الناس بمكانتهم حتى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه شطط بل ما لا يعيهم ولا هو مما يرزؤهم شيئاً صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة، وذكر له ما كان منهم فقال يا مولاي: أنت أولى الناس بالإنصاف، إن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نَوَّهت بهم وإنما قدمهم ونوه بهم علمهم، أو كنت تأخذ قوما جهالا فتضعهم في مواضعهم؟ قال: لا، قال:

فأنصفهم فيما تعبوا فيه من العلم لينالوا به لذة الدنيا وراحة الآخرة، قال: صدقت، ثم قال: وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره، فالعلة في ذلك تنحسم بما يبقى لك في الصالحات ذكرا، قال: وما هو؟ قال: تعطيه من مالك قدر ما يلحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك هذا خجل ردهم لك، وتكون هذه مكرمة ما سبقك إليها أحد، فتهلل وجه الحكم وقال: إلى إلى إنها والله شنشنة عيشية وإن الذي قال فينا لصادق:

وأبناء أملاك خضارم سادة صغيرهم عند الأنام كبير

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى، فذكر له عددا فأمر له به في الحين، ثم إنه إذا كان له من الغنى ما يكفه عن أموال الناس، ومن الدين ما يصده عن محارم الله تعالى، ومن العلم ما لا يجهل به التصرف في الشريعة.

فأباحوا له الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلانس والرداء، وأهل قرطبة أشد الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية، حتى إنهم كانوا لا يولون حاكما إلا بشرط أن لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم. قال يحيى بن يحيى رحمته الله سمعت بعض العباد يقول: أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا واستصعب قياده على الهوى..

537- العلامة أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى الفقيه صاحب الشافعى رحمته الله: قال الشافعى ليس في أصحابي أعلم من البويطى. وقال أحمد العجل: ثقة، صاحب سنة. وسمع أيضا من ابن وهب رحمته الله.

وقال الأسنوى في طبقاته: كان ابن أبي الليث الحنفى يحسده، فسعى به إلى الواثق بالله أيام المحنة بالقول بخلق القرآن، فأمر بحمله إلى بغداد مع جماعة من العلماء، فحمل إليها على بغل مغلولاً مقيدا مسلسلا في أربعين رطلا من حديد!! وأريد منه القول بذلك فامتنع، فحبس ببغداد على تلك الحالة إلى أن مات!

وكان في كل جمعة يغسل ثيابه ويتنظف ويغتسل ثم يمشى إذا سمع النداء إلى باب السجن، فيقول له السجنان: ارجع رحمك الله.

فيقول البويطى عليه السلام: اللهم إني أجبت داعيك فمنعوني..

538- الخطيئى منسوب إلى قرية بين أرسوف وقيسارية بالشام يقال لها حطين، خرج منها شيخنا الفقيه الزاهد أبو محمد هياج بن عبيد الخطيئى عليه السلام المقيم بالحرم، سمع من أبى الفرج النحوى بيت المقدس وجماعة من مشايخ الشام ومصر والعراق، وأبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازى. وكان هياج أوحده عصره فى الزهد والورع، وكان يصوم ويفطر بعد ثلاث، ويعتمر كل يوم ثلاث عمر، ويدرس عدة من الدروس.

ولم يكن يدخر شيئاً ولا يملك غير ثوب واحد، وكان قد نيف على الثمانين يزور رسول الله عليه السلام فى كل سنة ماشياً حافياً، وكان يأكل بمكة أكلة وبالطائف أخرى، شكى إليه بعض أصحابه أن نعله سرق فى الطواف فقال: يجب أن تتخذ نعلًا لا تسرق، لأنه عليه السلام منذ دخل الحرم لم يلبس نعلًا! استشهد بمكة فى وقعة وقعت بين أهل السنة والرافضة فحمله أميرها محمد بن أبى هاشم، وضربه ضرباً شديداً على كبر السن! [وقد جاوز الثمانين عاماً]، ثم حمل إلى منزله بمكة فمات وذلك فى سنة 472 رحمه الله..

539- جىء بالعالم حطيط الزيات عليه السلام إلى الحجاج، فلما دخل عليه قال: أنت حطيط؟ قال: نعم سل عما بدا لك، فإنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. قال الحجاج: فما تقول في؟

قال: أقول فيك إنك من أعداء الله فى الأرض، تنتهك المحارم وتقتل بالظنة.

قال: فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟

قال: أقول إنه أعظم جرماً منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياهم.

فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب، فأنتهبه العذاب، إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال، ثم جعلوا يمدون قصبه قصبه، حتى انتحلوا لحمه!! فما سمعوه يقول شيئاً!! فليل للحجاج: إنه فى آخر رمق. فقال: أخرجوه فارموا به فى السوق. قال جعفر (وهو الراوى): فأتيته أنا وصاحب له، فقلنا له: يا حطيط ألك حاجة؟ وعرض عليه الماء عند الموت

فأبى وقال: لا أشرب إلا من ماء الحياة إن شاء الله عز وجل، ثم استشهد، وكان عمره ثمانى عشرة سنة لكنه صبر ﷺ لله تعالى..

540- حدثنا أمية بن شبل عن عثمان بن مردويه قال: كنت مع وهب بن منبه ﷺ وسعيد ابن جبير ﷺ يوم عرفة؟

فقال وهب لسعيد: أبا عبدالله، كم لك منذ خفت من الحجاج؟
قال: خرجت عن امرأتى وهى حامل فجاءنى الذى فى بطنها وقد خرج وجهه.
فقال له وهب: إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عده رخاء وإذا أصابه رخاء عده بلاء!!

541- فى سنة أربع وتسعين قتل الحجاج سعيد بن جبير، قال عون بن أبى راشد العبدى: لما ظفر الحجاج بسعيد بن جبير وأوصل إليه قال له: ما اسمك؟ قال: اسمى سعيد بن جبير، قال: بل شقى بن كسير. قال: أبى كان أعلم باسمى منك.

قال: لقد شقيت وشقى أبوك، قال له: الغيب إنما يعلمه غيرك.
قال: لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى، قال: لو علمت أن ذلك بيدك ما اتخذت لها غيرك.
قال: فما قولك فى الخلفاء، قال: لست عليهم بوكيل، قال: فاختر أى قتلة تريد أن أقتلك.
قال: بل اختر يا شقى لنفسك، فوالله ما تقتلنى اليوم بقتلة إلا قتلت فى الآخرة بمثلها.
فأمر به الحجاج، فأخرج ليقتل، فلما ولى ضحك! فأمر الحجاج برده، وسأله عن ضحكك، فقال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك!
فأمر به فذبح، فلما كب لوجهه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الحجاج غير مؤمن بالله. ثم قال: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد يقتله من بعدى، فذبح واحتز رأسه.

ولم يعيش الحجاج بعده إلا خمس عشرة ليلة، حتى وقعت فى جوفه الأكلة، فمات من ذلك، ويروى أنه كان يقول بعد قتل سعيد: يا قوم، ما لى ولسعيد بن جبير، كلما عزمتم على النوم أخذ بحلقى!

وعن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: مات سعيد بن جبير، وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه..

542- خبر سفيان الثوري رحمه الله مع أبي جعفر: لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفني؟ قال: لا، ولكنك قبضت على قبضة جبار! قال: عطني أبا عبد الله؟ قال: وما عملت فيم علمت فأعظك فيما جهلت؟!

قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: إن الله نهي عنكم فقال تعالى: { وَلَا تَرْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } ⁽¹⁾. فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال: ألقينا الحب إلى العلماء فلقطوا، إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فراراً!!

543- سفيان الثوري يبيكى المنصور: ذكروا أنه لما كان أبو جعفر بمنى في العام الذي حج فيه سفيان الثوري رحمه الله وسليمان الخواص رحمه الله، قال أحدهما لصاحبه: ألا ندخل على هذا الطاغى الذي كان يزاحمنا بالأمس في مجالس العلم عند منصور والزهرى فنكلمه ونأمره بحق وننهاه عن باطل، فلعل أن يقع كلامنا منه موقعا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه. فقال سليمان الخواص: إني لأخشى أن يأتي علينا منه يوم سوء، فقال الثوري: ما أخاف ذلك فإن شئت فادخل وإن شئت دخلت، فدخل سليمان الخواص رحمه الله فأمره ونهاه ووعظه، وذكره الله وما هو صائر إليه ومسؤول عنه، فقال له أبو جعفر: أنت مقتول، ما تقول في كذا وكذا لشيء سأله عنه من باب العلم، فأجابه، فلما خرج قال له سفيان الثوري: ماذا صنعت؟ قال: أمرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضا كان في رقابنا أديناه مع أنه لا يقبل، وسألني عن مسألة فأجبتة، قال سفيان: ما صنعت شيئا، فدخل سفيان الثوري رحمه الله فأمره ونهاه، فقال له: ها هنا أبا عبد الله إلى ادن مني! فقال: إني لا أطأ ما لا أملك ولا تملك، فقال أبو جعفر: يا غلام، أدرج البساط وارفع الوطاء، فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الأرض شيء وهو يقول: { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } ⁽²⁾. فدمعت عينا أبي جعفر، ثم تكلم سفيان دون أن يستأذن، فوعظ وأمر ونهى وذكر وأغلظ في قوله، فقال له الحاجب: أيها الرجل أنت مقتول. قال سفيان: وإن كنت مقتولا فالساعة، فسأله أبو جعفر عن مسألة فأجابه. ثم قال سفيان: فما تقول أنت فيما أنفقت من مال الله ومال أمة محمد بغير إذنهم، وقد قال عمر رضي الله عنه في حجة حجها، وقد أنفق ستة عشر دينارا هو ومن معه: ما أرانا إلا وقد أبحفنا ببيت المال، وقد

(1) سورة هود آية 113.

(2) سورة طه آية 55.

علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك، وأول كتاب كتبه في المجلس عن إبراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: رَبِّ متخوِّض في مال الله ومال رسول الله فيها شاءت نفسه، له النار غدا. فقال أبو عبيدة الكاتب: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فقال له سفيان: اسكت، فإنما أهلك فرعون هامان، ثم خرج سفيان، فقال أبو عبيدة الكاتب: ألا تأمر بقتل هذا الرجل فوالله ما أعلم أحدا أحق بالقتل منه؟ فقال أبو جعفر: اسكت يا أنوك، فوالله ما بقى على الأرض أحد اليوم يستحي منه غير هذا ومالك بن أنس..

544- حدثنا محمد بن أبي داود الأزدي قال سمعت عبد الرزاق يقول: أخذ أبو جعفر بتلاباب الثوري ﷺ وحول وجهه إلى الكعبة فقال: برب هذه البنية أى رجل رأيته؟ قال: برب هذه البنية بئس الرجل رأيته وأطلق يده!

حدثنا يحيى بن يمان قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ما يريد منى أبو جعفر، فوالله لئن قمت بين يديه لأقولن له قم من مقامك فغيرك أولى به منك.

قال ابن المبارك: قيل لسفيان الثوري، لو دخلت عليه؟ قال: إني أخشى أن يسألني الله عن مقامى ما قلت فيه. قيل له: تقول وتحفظ، قال: تأمرونى أن أسبح في البحر ولا تبتل ثيابي؟! قال حيان: وبلغنى أنه قال: ليس أخاف ضربهم، ولكنى أخاف أن يميلوا على بدنياهم ثم لا أرى سيئتهم سيئة!!

قال يزيد بن أبي حكيم: كنا بالمسجد الحرام فأخذ الناس بالبيعة، وعلى سفيان إزار ورداء جديدان فجاء إلى رجل مسكين عليه ثوبان خلقتان فقال [له سفيان]: هل لك أن تأخذ ثوبي الجديدين وتعطني الخلقين؟ قال: نعم، فأعطاه الجديدين وأخذ الخلقين فلبسهما ثم جاء [سفيان] إلى المسجد، فأخذه الحراس فألقوه خارجا من المسجد وقالوا له: يا ساسى أنت ما تصنع هاهنا؟

545- قال محمد بن سهل بن عسكر: سمعت عبد الرزاق يقول: بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة فقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه!!

فجاء النجارون فنصبوا الخشب ونودى بسفيان، وإذا رأسه في حجر فضيل بن عياض ﷺ ورجلاه في حجر ابن عيينة ﷺ فقالوا: يا أبا عبد الله اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء، [استتر] فتقدم إلى الأستار [أستار الكعبة] ثم دخلها ثم أخذها وقال: برئت منه [أى بالله] إن دخلها أبو جعفر! قال: فمات [أبو جعفر بفضل الله] قبل أن يدخل مكة!

فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً. وأحوال الثورى والثناء عليه أكثر من أن تحصى وأوضح من أن تشهر، وهو أحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة وهذه كرامة ثابتة. قال يحيى القطان: رأيت سفيان الثورى فى المنام مكتوباً بين كتفيه بغير سواد: { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } (1) ..

546- قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي وأتى سفيان الثورى ﷺ كبير علماء المسلمين فى عصره، فلما دخل عليه سلم، ولم يسلم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه متكئ على سيفه يرقب أمره!

فأقبل عليه المهدي بوجه طلق، وقال له: يا سفيان انظر هاهنا وهاهنا، أوتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهواناً؟ قال سفيان: إن تحكم فى، يحكم فيك ملك قادر، يفرق بين الحق والباطل. فقال الربيع: يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ أتأذن لى أن أضرب عنقه؟ فقال له المهدي: اسكت ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن تقتلهم فنشقى بسعادتهم! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فى حكم، فكتب عهده ورفع له إليه، فأخذه وخرج ورمى به فى دجلة وغاب عن أنظار الناس، فطلب فى كل بلد فلم يوجد. [سبحان الله، هؤلاء هم عظماء الإسلام بحق، فهل يعيد لنا التاريخ أمثالهم فى زماننا؟!]

547- حدثنا عبد الله بن يحيى بن أبى كثير عن أبيه قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجاً فقال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة؟ قالوا: نعم أبو حازم، فأرسل إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين؟! قال: وجوه الناس أتونى ولم تأتني؟ قال: والله ما عرفتنى قبل هذا ولا أنا رأيتك فأى جفاء رأيت منى؟ فالتفت سليمان إلى الزهرى فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا.

قال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟

فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب. قال: صدقت. فقال: يا أبا حازم ليت شعرى ما لنا عند الله تعالى غدا؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله عز وجل. قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } (2).

(1) سورة البقرة آية 137.

(2) سورة الانفطار الآيات 13/14.

قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: { قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }⁽¹⁾.

قال سليمان: ليت شعري كيف العرض على الله غدا؟ قال: أما المحسن كالغائب يقدم على أهله وأما المسيء كالآبق يقدم به على مولاه.

فبكى سليمان حتى علا نحيبه واشتد بكاءه فقال: كيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون عنكم الصلف وتمسكوا بالمروءة وتقسموا بالسوية وتعدلوا في القضية.

قال: وكيف المأخذ من ذلك؟ قال: تأخذه بحقه وتضعه بحقه في أهله.

قال: من أفضل الخلائق؟ قال: أولو المروءة والنهي.

قال: فما أعدل العدل؟ قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتحافه.

قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين.

قال: فما أفضل الصدقة؟ قال: جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها من ولا أذى.

قال: من أكيس الناس؟ قال: رجل ظفر بطاعة الله تعالى فعمل بها ثم دلَّ الناس عليها.

قال: فمن أحمق الخلق؟ قال: رجل اغتاظ في هوى أخيه وهو ظالم له فباع آخرته بدنياه.

قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك؟ قال: كلا.

قال: ولم؟

قال: إني أخاف أن أركن لكم شيئاً قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا

يكون لي منه نصيرا.

قال: يا أبا حازم ارفع إلى حاجتك؟

قال: نعم، تدخلني الجنة وتخرجني من النار!

قال: ليس ذاك إلي! قال: فما لي حاجة سواها.

قال: فادع الله لي؟ قال: اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن

كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال سليمان: قط!

(1) سورة الأعراف آية 56.

قال أبو حازم رحمه الله: قد أكثرت وأطنبت إن كنت أهله، وإن لم تكن أهله فما حاجتك أن ترمى عن قوس ليس لها وتر!

قال سليمان: أوصني؟

قال: أوصيك وأوجز. نزه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. ثم قام، فلما ولى قال: يا أبا حازم هذه مائة دينار أنفقتها ولك عندى أمثالها كثير، فرمى بها وقال: والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟!

إنى أعيدك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردى عليك بذلاً، إن موسى بن عمران عليه السلام لما ورد ماء مدين قال: { رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَى مِنٍّ خَيْرٍ فَقِيرٌ } ⁽¹⁾. فسأل موسى ربه عز وجل، ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان ولم تظن الرعاة لما فطنتا إليه. فأتيا أباهما شعيياً عليه السلام فأخبرته خبره، فقال: ينبغي أن يكون هذا جائعاً، ثم قال لإحدهما: اذهبي ادعيه، فلما أتته أعظمته وغطت وجهها ثم قالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، فكره موسى عليه السلام ذلك، وأراد أن لا يتبعها، ولم يجد بداً من أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف، فخرج معها وكانت امرأة ذات عجز، فكانت الرياح تضرب ثوبها فتصف لموسى عليه السلام عجزها، فيغض مرة ويعرض أخرى، فقال: يا أمة الله كوني خلفي، فدخل موسى إلى شعيب عليهما السلام والعشاء مهياً، فقال: كل. فقال موسى عليه السلام: لا! قال شعيب: أأست جائعاً؟

قال: بلى ولكنى من أهل بيت لا يبيعون شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، أخشى أن يكون هذا أجر ما سقيت لهما؟ قال شعيب عليه السلام: لا، هذه عادتي وعادة آبائي قرى الضيف وإطعام الطعام، فجلس موسى عليه السلام فأكل. فإن كانت هذه المائة دينار عوضاً عما حدثتك، فالمية والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل منه، وإن كانت من مال المسلمين فى فيها شركاء ونظراء إن وازيتهم، وإلا فلا حاجة لى فيها!

إن بنى إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى، حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة فى علمهم، فلما نكسوا وفسدوا وسقطوا من عين الله تعالى وآمنوا بالجبت والطاغوت، كان علمائهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم فى دنياهم وشاركوا معهم فى قتلهم.

(1) سورة القصص آية 24 .

فقال ابن شهاب: [وكان مفتى سليمان] يا أبا حازم إياي تعنى أو بى تعرض؟ قال: ما إياك اعتمدت ولكن هو ما تسمع. قال سليمان: يا ابن شهاب أتعرفه؟ قال: نعم جارى منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمة قط!

قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتنى ولو أحببت الله تعالى لأحببتنى. قال ابن شهاب: يا أبا حازم تشتمني؟ قال سليمان: ما شتمتك ولكن شتمتك نفسك، أما علمت أن للجار على الجار حقا كحق القرابة.

قال سليمان: يا أبا حازم عظمى وأوجز؟ قال: حلال الدنيا حساب، وحرامها عذاب، وإلى الله المآب، فاتق عذابك أو دع. قال: لقد أوجزت.

فلما ذهب أبو حازم ﷺ قال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين، أتحب أن يكون الناس كلهم مثل أبى حازم؟ قال: لا!!

[وفى قول آخر قال أبو حازم]: يا أمير المؤمنين، إنما أنت سوق فما نفق عندك، حمل إليك من خير أو شر، فاختر لنفسك أيهما شئت، قال: فما لك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك؟ إن أدنيتنى فتننتى، وإن أفصيتنى أحزنتنى، وليس عندك ما أخافك عليه، ولا عندك ما أرجوك له. قال: فارع إلينا حوائجك؟ قال: هيهات قد رفعت حوائجى إلى من لا يخزن الحوائج وهو أقدر منك عليها فما أعطانى منها قبلت وقنعت، وما منعتى منها رضيت يقول الله تعالى: { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }⁽¹⁾. فمن ذا الذى يستطيع أن ينقص مما قسم الله؟ أو يزيد فى قليل ما قسم الله؟ فبكى سليمان بكاء شديدا، فقال رجل من جلسائه: أسأت إلى أمير المؤمنين، قال أبو حازم: اسكت، فإن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه، ثم خرج من عنده، فلما وصل إلى منزله، بعث إليه بهال فرده، وقال للرسول: قل له يا أمير المؤمنين، والله ما أرضاه لك، فيكف أرضاه لنفسى؟!

548- حدثنا ابن عيينة قال: دخل أبو حازم ﷺ على أمير المدينة فقال له: تكلم؟ فقال له: انظر الناس ببابك، إن أدنيت أهل الخير، ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر، ذهب أهل الخير. وقال له: إذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك، وأنت تعصيه.. فاحذره!!

(1) سورة الزخرف آية 32.

549- دخل أحدهم على سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: تكلم؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته، فإن وراءه ما تحب إن قبلته. فقال: إنا نجود بسعة الاحتمال على من نرجو نصحه ولا نأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه تكنفك رجال أسأؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك، حرب الآخرة سلم الدنيا، فلا تأمنهم على من ائتمنك الله عليه، فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعاً، وفي الأمة خسفاً وعسفاً!

وأنت مسؤول عما اجترحوه وليسوا بمسؤولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غيباً من باع آخرته بدنيا غيره. فقال له سليمان: أما إنك قد سللت لسانك وهو أقطع من سيفك. قال: أجل يا أمير المؤمنين ولكن [لك] لا عليك..

550- عن ابن جابر رضي الله عنه قال: بينما نحن عند مكحول رضي الله عنه إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا أن نوسع له، فقال مكحول: دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس يتعلم التواضع. وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي عزم على أن يتأسى بعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فما تركه قرناء السوء وحسنوا له الظلم.

قال حرملة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما ولي يزيد بن عبد الملك [عقب وفاة الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز] قال: سيروا بسيرة عمر.

فمكث كذلك أربعين ليلة، فأتى [له بطانة السوء في قصة طويلة⁽¹⁾] بأربعين شيخاً، من شيوخ أهل الدنيا! شهدوا له على كتاب الله: أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب!!

551- حدثنا أبو عاصم قال لي سفيان رضي الله عنه: جاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاووس رضي الله عنه فلم يلتفت إليه! [فلما انصرف] قيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟! قال: أردت أن يعلم أن الله عبادة يزهدون فيما في يديه.

حدثنا معمر عن ابن طاووس رضي الله عنه قال: كنت لا أزال أقول لأبي إنه ينبغي أن تخرج على هذا السلطان فخرجنا حجاجاً فنزلنا في بعض القرى وفيها عامل يقال له: ابن نجيج، وكان من أخبث عمالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد فإذا ابن نجيج قد أخبر [بوجود] طاووس فجاء

(1) انظرها في كتابنا كشف الخفاء عما جاء في ذم النساء.

فقعد بين يديه فسلم عليه، فلم يجبه! فكلمه، فأعرض عنه! فعدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه! فلما رأيت ما به، قمت إليه فمددت يده، وجعلت أسأله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، قال: بلى لمعرفته بى فعل ما رأيت. فمضى [أبى] وهو ساكت لا يقول لى شيئا، فلما دخلنا المنزل التفت إلى فقال لى: يا لكع، بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك، ألم تستطع أن تحبس عنهم لسانك؟!!

أدرك طاووس عليه السلام خمسين رجلا من الصحابة وعلمائهم وأعلامهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم بمنه، وأكثر روايته عن ابن عباس..

552- قال مالك بن أنس عليه السلام: بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاووس، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت، وبين يديه أنطاع قد بسطت، وجلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأومأ إلينا أن اجلسا، فجلسنا وأطرق عنا طويلا. ثم التفت إلى ابن طاووس فقال له: حدثنى عن أبيك؟

قال: نعم، سمعت أبى يقول: قال رسول الله ﷺ: إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه، فأدخل عليه الجور فى عدله. فأمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه.

قال مالك: فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه. ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عطنى يا ابن طاووس؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى يقول: { أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِى * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }⁽¹⁾. قال مالك: فضممت ثيابى أيضا مخافة أن يملأنى من دمه.

فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه، ثم قال: يا ابن طاووس ناولنى هذه الدواة؟ فأمسك! قال: ما يمنعك أن تناولنيها؟! قال: أخشى أن تكتب بها معصية الله، فأكون شريكا فيها! فلما سمع ذلك قال: قوما عنى. قال ابن طاووس: ذلك ما كنا نبغى منذ اليوم! قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاووس فضله..

(1) سورة الفجر الآيات 6 / 14.

553- عن عطية بن بقية رضي الله عنه قال أبى: دخلت على هارون الرشيد فقال لى: يا بقية إنى أحبك، فقلت: وأهل بلادي؟ قال: لا إنيهم جند سوء، لهم كذا وكذا غدره في الديوان، قلت يا أمير المؤمنين: اعهد [إلى عمالك] إليهم، أن يكونوا لليتامى كالأب الرحيم وللأرامل كالزوج الشفيق. قال: فإنهم لا يفون بذلك، قلت: يا أمير المؤمنين، نحن قوم عرب يسرفون علينا، فقال هارون الرشيد: فذلك كذلك، ثم قال: حدثني يا بقية؟ فقلت: حدثني محمد بن زياد الألهاني عن أبى أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعين ألف، وثلاث حثيات من حثيات ربى. قال: فامتأ من ذلك فرحاً وقال: يا غلام ناولنى الدواة أكتب بها، وكان القائم بأمره الفضل بن الربيع ومرتبته بعيدة، فنادانى فقال لى: يا بقية ناول أمير المؤمنين الدواة بجنبك؟ قلت: ناوله أنت يا هامان، فقال: أسمع ما قال لى يا أمير المؤمنين؟ قال: اسكت، فما كنت أنت عنده هامان، حتى كنت أنا عنده فرعون..

554- قال أحمد بن أبى الحوارى: سمعت رجلاً يحدث عن ابن السكك رضي الله عنه قال: بعث لى هارون، فلما انتهيت إلى باب القصر، أخذ حرسيان بضبعى فأعجلا بى في دهليز القصر فأنتهيت إلى باب القاعة، لقينى خصيان ضخمان فأخذانى من الحرسيين فأعجلا بى في قاعة القصر، فأنتهيت إلى البهو الذى هو فيه، فتلقانى خصيان دونهما فأخذانى فأعجلا بى في البهو، فقال لهما هارون: رفقا بالشيخ. فلما وقفت بين يديه قلت له: يا أمير المؤمنين، ما مرَّ بى يوم منذ ولدتنى أُمى أتعب من يومى هذا، فاتق الله في خلقه واحفظ محمداً في أمته، وانصح لنفسك في رعيتك، فإن لك مقاماً بين يدي الله تعالى أنت فيه أذل من مقامى هذا بين يديك، فاتق الله واعلم أن من أخذ الله وسطواته على أهل المعصية كيت وكيت. قال: فاضطرب على فراشه حتى نزل إلى مصلى بين يدي فراشه فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا ذل الصفة فكيف لو رأيت ذل المعاينة؟ فكادت نفسه تخرج. فقال يحى [البرمكى الفارسى وزير هارون] للخصيين: أخرجاه، فقد أبكى أمير المؤمنين. ثم أدخلت مرة أخرى فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن الذى أكرمك بها أكرمك به، لحقيق عليك أن تحب ما أحبه وتبغض ما أبغضه، فوالله لقد أحب الله داراً وأبغضتها وأبغض داراً وأحببتها، فكأنما أردت خلاف ربك أو أردت سواه.

يا أمير المؤمنين، إنك تموت وحدك وتغسل وحدك وتكفن وحدك وتقبر وحدك.

يا أمير المؤمنين، إنما هو ديب من سقم فيؤخذ بالكظم وتزل القدم ويقع الفوت والندم، فلا توبة تنال ولا عثرة تقال ولا يقبل فداء بهال.

يا أمير المؤمنين، إن الذى فى يدىك لو بقى على من كان قبلك لم يصل إليك، فكذلك لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك، فاتق الله فى خلافته واحفظ وصية محمد ﷺ فى أمته..

555- دخل هارون على بعض النساك فسلم عليه فقال: وعليك السلام أيها الملك ثم قال له: أيها الملك أتحب الله؟ قال: نعم. قال: فتعصيه؟ قال: نعم. قال: كذبت والله فى حبك إياه، إنك لو أحببته إذا ما عصيته، ثم أنشد يقول:

تَعْصَى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِى الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْمَحَبَّ لَمِنْ أَحَبِّ مُطِيعُ
فِى كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَغِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لَشَكْرٍ ذَاكَ مُضِيعُ

وروى زيد بن أسلم عن أبيه رضي الله عنه قال: قلت لجعفر بن سليمان وإلى المدينة: احذر أن يأتى رجل غدا ليس له فى الإسلام نسب ولا أب ولا جد، فيكون أولى برسول الله ﷺ منك، كما كانت امرأة فرعون أولى بنوح ولوط من زوجتيهما، وكما كانت زوجة لوط أولى بفرعون من زوجته. من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه، ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه.

وقال بشر بن السرى: بينما الحجاج جالسا فى الحجر إذ دخل رجل [شيخ] من أهل اليمن، فجعل يطوف [بالكعبة] فوكل به بعض من معه وقال: إذا خرج من طوافه فائتنى به، فلما فرغ أتاه به فقال: ممن أنت؟ قال: من اليمن. قال: أفلك علم بمحمد بن يوسف؟ قال: نعم. قال: فأخبرنى عنه؟ قال: لقد تركته أبيض بضاً سمينا، قال: ويلك، ليس عن هذا أسألك قال: فعمه؟ قال: عن سيرته وطعمته، قال: فأجور السيرة وأخبت الطعم، وأعدى العداة على الله وأحكامه، فغضب الحجاج وقال: ويلك أو ما علمت أنه أخى؟ قال: بلى، قال: إذن أفتك بك، قال: أما علمت أن الله ربى والله هو أمتع لى منك أكثر منك لأخيك؟ قال: أجل أرسله يا غلام..

556- منزلة ومقام الحسن البصرى رضي الله عنه عند [الأمير] عمر بن هبيرة: لما ولى عمر بن هبيرة الفزارى العراق وذلك فى أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصرى رضي الله عنه ومحمد بن سيرين والشعبى سنة ثلاث ومائة فقال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة.

وقد ولأنى ما ترون، فيكتب إلى بالأمر من أمره أعرف فى تنفيذه الهلكة، فأخاف إن أطمعته أغضبت الله، وإن عصيته لم آمن سطوته، فما ترون؟

فقال ابن سيرين والشعبي: قولاً فيه بعض تقية قولاً رققاً فيه، قارب وسدد، فإنما أنت عبد مأمور وكان ابن هبيرة لا يستشفى دون أن يسمع قول الحسن، فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد؟ فقال: يا ابن هبيرة، خاف الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله. إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله. أوشك [الله سبحانه] أن يبعث إليك ملكاً، فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك. يا ابن هبيرة: لا تعص الله، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده، فلا تركب دين الله وعباده بسلطان الله. فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي رواية أخرى قال: أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله، فظ غليظ لا يعصى الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فلا يغني عنك ابن عبد الملك شيئاً، وإنني لأرجو أن الله عز وجل يعصمك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله. فاتق الله أيها الأمير، فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد، نظرة يمقتك بها فيغلق عنك باب الرحمة، واعلم أني أخوفك بما أخوفك الله سبحانه حين يقول تعالى: { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ }⁽¹⁾. وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كفأك بوائق يزيد، وإن كنت مع يزيد على معصية الله وكلك الله إلى يزيد حين لا يغني عنك شيئاً. فبكى ابن هبيرة بكاء شديداً ثم أجازهم فأمر له بأربعة آلاف درهم، وأمر لابن سيرين والشعبي بالفتن. فقالا: رققنا فرقق لنا. فأما الحسن عليه السلام فأرسل إلى المساكين فلما اجتمعوا فرقها، وأما الشعبي فإنه قبلها وشكر عليها..

557- أحضر النضر بن عمرو وكان والياً على البصرة الحسن البصري عليه السلام يوماً فقال: يا أبا سعيد، إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده، وقال عز وجل: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }⁽²⁾. وقال عز من قائل: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }⁽³⁾.

(1) سورة إبراهيم آية 14 .

(2) سورة الأعراف آية 31 .

(3) سورة الأعراف آية 32 .

فقال الحسن عليه السلام: أيها الرجل، اتق الله في نفسك وإياك والأمانى التى ترجحت فيها فتهلك، إن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته، وإنما هى داران من عمل فى هذه أدرك تلك ونال فى هذه ما قدر له منها، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا.

إن الله سبحانه اختار محمدا عليه السلام لنفسه، وبعثه برسالته ورحمته وجعله رسولا إلى كافة خلقه وأنزل عليه كتابا مهيمنا، وحد له فى الدنيا حدودا وجعل له فيها أجلا ثم قال عز وجل: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }⁽¹⁾. وأمرنا أن نأخذ بأمره ونهتدى بهديه وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته، فما بلغنا إليه بفضله ورحمته وما قصرنا عنه، فعلينا أن نستعين ونستغفر فذلك باب مخرجنا، فأما الأمانى فلا خير فيها ولا فى أحد من أهلها. فقال النضر: والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا، فقال الحسن: لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله عليه السلام فأنزل الله تعالى عليه: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }⁽²⁾. فجعل سبحانه اتباعه عليه السلام علما للمحبة وكذب من خالف ذلك، فاتق الله أيها الرجل فى نفسك. وأيم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك فى مكانك، يعلون المنابر وتهتز لهم المراكب ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس، يبنون المدر ويؤثرون الأثر ويتنافسون فى الثياب، أخرجوا من سلطانهم وسلبوا ما جمعوا من دنياهم، وقدموا على ربهم ونزلوا على أعمالهم فالويل لهم يوم التغابن ويا ويحهم {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ }⁽³⁾. مقام آخر للحسن عليه السلام عند النضر وقد أدخل عليه يوما آخر فقال أيها الأمير: أيدك الله إن أخاك من نصحك فى دينك وبصرك عيوبك وهداك إلى مرشدك، وإن عدوك من غرك ومناك. أيها الأمير: اتق الله فإنك أصبحت مخالفا للقوم فى الهدى والسيرة والعلانية والسريرة، وأنت مع ذلك تتمنى الأمانى وترجح فى طلب العذر، والناس أصلحك الله طالبان، فطالب دنيا وطالب آخرة، وأيم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح، وتعب الآخر واخترم. فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفانى وترك الباقي فتكون من النادمين، واعلم أن حكيما قال:

(1) سورة الأحزاب آية 21.

(2) سورة آل عمران آية 31.

(3) سورة عبس الآيات 34 / 37.

أين الملوكُ التي عن حظّها غفلتْ حتى ساقها بكأس الموتِ ساقِها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت أن السلامة منها ترك ما فيها
نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة، ومن الضلالة بعد الهدى، لقد حدثت أيها الأمير عن
بعض الصالحين أنه كان يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون للخونة أميناً، وعلى أعمالهم معينا!!

558- روى أن الحجاج بنى داراً بواسط، ونادى في الناس أن يحضروها وأن يخرجوا
للفرجة عليها والدعاء له بالبركة، فلم يشأ الحسن عليه السلام أن يفوت على نفسه فرصة اجتماع الناس،
فخرج إليهم ليعظهم ويذكرهم ويزهدهم بعرض الدنيا ويرغبهم بما عند الله عز وجل، فلما بلغ
المكان ونظر إلى جموع الناس وهى تطوف بالقصر المنيف، مأخوذة بروعة بنائه مدهوشة بسعة
أرجائه مشدودة إلى براعة زخارفه، وقف فيهم خطيباً وكان فى جملة ما قاله: لقد نظرنا فيما ابتنى
أخبت الأخبثين، فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيد وبنى أعلى مما بنى، ثم أهلك الله فرعون،
وأتى على ما شيد. وقال: الحمد لله، إن الملوك ليرون لأنفسهم عزاً، وإننا لنرى فيهم كل يوم عبداً!
يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده وإلى فرش فينجدته وإلى ملابس ومراكب فيحسنها، ثم يخف به
ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء فيقول: انظروا ما صنعت؟ فقد رأينا أيها المغرور، فكان
ماذا يا أفسق الفاسقين؟! أما أهل السموات فقد مقتوك، وأما أهل الأرض فقد لعنوك. بنيت
دار الفناء وخربت دار البقاء، وغررت فى دار الغرور لتذل فى دار الحبور. ومضى يتدفق على هذا
المنوال، حتى أشفق عليه أحد السامعين من نقمة الحجاج فقال له: حسبك يا أبا سعيد حسبك،
فقال له الحسن: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتُمونه ثم خرج. وبلغ
الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشام فقال: يا أهل الشام أيشتمنى عبد من عبيد أهل
البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون؟! والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء ثم أمر بالسيف
والنطع فأحضرا، ودعا بالجلاد فمثل واقفا بين يديه، ثم وجه إلى الحسن البصرى عليه السلام بعض
شرطه وأمرهم أن يأتوا به.

فشخصت إليه الأبصار ووجفت عليه القلوب، فلما رأى الحسن السيف والنطع والجلاد
حرك شفّتيه بما لم يسمع، ثم أقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية إلى
الله. فلما رآه الحجاج هابه أشد الهيبة [وعصمه الله منه]. فقال يا أبا سعيد: أما كان لإمارتى عليك
حق، حين قلت ما قلت؟

فقال: يرحمك الله أيها الأمير، إن مَنْ خَوَّفَكَ حتى تبلغ أَمْنَكَ، أَرَفَّقُ بِكَ وَأَحَبُّ فَيْكَ مِمَّنْ أَمَّنَكَ حتى تبلغ الخوف، وما أردت الذي سبق إلى وهمك، والأمران بيدك العفو والعقوبة، فافعل الأولى بك، وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل. فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه وأكرمه وحباه!!

وفي رواية أخرى: فلما رآه الحجاج على حاله هذا هابه أشد الهيبة وقال له: هاهنا يا أبا سعيد. هاهنا. ثم ما زال يوسع له ويقول: هاهنا. والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه!! ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج وجعل يسأله عن بعض أمور الدين، والحسن يجيبه كل مسألة بجنان ثابت وبيان ساحر وعلم واسع فقال: ما تقول في عثمان وعلى؟

قال: أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك، قال فرعون لموسى: { قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى }⁽¹⁾. علم عثمان وعلى عند الله. فقال له الحجاج: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد، ثم دعا بغالية وطيب له بها لحيته وودعه!! ولما خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج وقال له: يا أبا سعيد، لقد دعاك الحجاج لغير ما فعل بك، وإنني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف والنطع فحركت شفتيك، فماذا قلت؟ فقال الحسن: لقد قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني أذاه، ففعل ربي عز وجل فجعل نغمته بردا وسلاما على كما جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم..

559- دخل أبو النضر سالم رضي الله عنه مولى عمر بن عبيد الله⁽²⁾. على عامل للخليفة فقال له: يا أبا النضر، إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها لا نجد بدا من إنفاذها، فماذا ترى؟ قال أبو النضر: لقد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة، فأيهما اتبعت كنت من أهله!!

560- أرسل أبو جعفر إلى سفیان الثوري رضي الله عنه فلما دخل عليه قال: عظمي أبا عبد الله؟ قال: وما عملت فيها علمت فأعظك فيما جهلت؟ فما وجد له المنصور جوابا.

(1) سورة طه الآيات 51 / 52.

(2) أبو النضر سالم مولى عمر بن عبيد الله سمع أبا سلمة وبشر بن سعيد روى عنه الثوري ومالك وابن عيينة.

وعن الشعبي أن [الأمير] زيادا، كتب إلى الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه، وكان على الصائفة: إن أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه كتب إلى يأمرني أن أصطفى له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة [واقسم ما سوى ذلك] فكتب إليه: إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، والله لو أن السموات والأرض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل له منها مخرجا، ثم نادى في الناس فقسم فيهما ما اجتمع له من الفيء..

561- حكى أن الفضل بن الربيع [وزير هارون الرشيد] شهد عند أبي يوسف [القاضي] فرد شهادته! فشكاه إلى الخليفة، فقال الخليفة: إن وزيرى رجل دين لا يشهد بالزور فلم رددت شهادته؟ قال: لأنى سمعته يوما قال لك أنا عبدك. فإن كان صادقا فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذبا فكذلك! فعذره الخليفة..

562- قال الربيع بن يونس: سمعت المنصور يقول للفقهاء وفيهم أبو حنيفة: أليس الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيح المؤمنين عند شروطهم؟ فقالوا: بلى، فقال: إن أهل الموصل شرطوا أن لا يخرجوا على وقد خرجوا، فقد أحل الله لى دماءهم وأموالهم. فسكت أبو حنيفة رضي الله عنه وجعل الجواب يكون من غيره. فقال رجل منهم: يدك المبسوطة عليهم وقولك المقبول فيهم، فإن عفوت فأهل العفو أنت، وإن عاقبتهم فيما يستحقون.

فقال المنصور لأبى حنيفة: ما تقول أنت يا شيخ؟ فقال: ألسنا فى خلافة نبوة وأمان؟ قال: بلى، قال: إنهم شرطوا لك ما لا يملكون [وهو استحلال دماءهم] وشرطت عليهم ما ليس لك، فإن أخذت ما لا يحل فشرط الله أحق أن يوفى به.

فقال: قوموا، فقاموا ففرقوا ثم أحضرهم، فقال لأبى حنيفة: يا شيخ، إني فكرت فيما قلت فإذا القول كما قلت، انصرف إلى بلادك ولا تفتى الناس بما يكون فيه شين على إمامك، فتبسّط على أيدي الخوارج!

563- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمى بالولاء، أسر أبوه فى فتح كابل، ثم أسلم وأعتق. ولد أبو حنيفة (سنة 80 هـ). وأدرك أربعة من الصحابة هم: أنس بن مالك، عبد الله بن أبى أوفى، سهل بن سعد الساعدي، وأبو الطفيل عامر بن وائلة. وأصحابه يقولون: إنه لقي بعضهم وروى عنهم، كان فى صباه يجمع بين التجارة وطلب العلم، ثم انقطع للعلم والتدريس والإفتاء، استقضاه بنو أمية فأبى، فامتحن رضي الله عنه لذلك وضرب مائة وعشرة أسواط، ثم

استقضى في عهد بنى العباس فأبى، فحلف عليه المنصور العباسى ليفعلن فحلف أبو حنيفة ألا يفعل فحبسه إلى أن مات رحمه الله سنة 150 هجرية..

564- حدثنا الفريابي قال: اجتمع الثورى والأوزاعى وعباد بن كثير بمكة فقال الثورى عليه السلام للأوزاعى عليه السلام: حدثنا يا أبا عمرو حديثك مع عبد الله بن علي؟ قال: نعم، لما دخل عبد الله بن علي عم السفاح الشام، وقد قتل بنى أمية وأزال الله سبحانه وتعالى دولتهم على يده، جلس يوماً على سريريه وعباً أصحابه أربعة أصناف، صنف معهم السيوف المسللة، وصنف معهم الجزرة أظنها الأطبار، وصنف معهم الأعمدة، وصنف معهم الكافر كوب. ثم بعث إلى فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضرت بين يديه، فلما صرت بالباب أنزلونى وأخذ اثنان بعضدى وأدخلونى بين الصفوف حتى أقامونى مقاماً يسمع الكلام، فدخلت على عبد الله وهو على سريريه وفى يده خيزرانة ينكت بها الأرض، وحوله المسودة بالسيوف المصلتة والعمد الحديد والسيوف والنطع بين يديه، فسلمت عليه فلم يرد وقال: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، فنكت فى الأرض ثم رفع رأسه إلى ثم قال: يا أوزاعى ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدى أولئك الظلمة عن العباد والبلاد، أتعد مقامنا هذا أو مسيرنا جهاداً ورباطاً هو؟

فقلت: أيها الأمير، سمعت يحيى بن سعيد الأنصارى يقول: سمعت محمد التيمى يقول: سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت [أمير المؤمنين] عمر بن الخطاب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه. فنكت بالخيزرانة نكتاً هو أشد من النكت الأول، وجعل من حوله يعضون على أيديهم ثم رفع رأسه فسألنى مسألة رجل يريد أن يقتل رجلاً فقال يا أوزاعى: ما تقول فى دماء بنى أمية؟ فقلت: قد كان بينك وبينهم عهد، فقال: ويحك اجعلنى وإياهم لا عهد بيننا.

فأجهشت نفسى وكرهت القتل، فذكرت مقامى بين يدى الله عز وجل فلفظتها فقلت: دماؤهم عليك حرام، فغضب وانتفخت عيناه وأوداجه فقال لى: ويحك ولم؟ قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان ونفس بنفس وتارك لدينه. فنكت بالخيزرانة نكتاً هو أشد من ذلك وأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال يا أوزاعى: ما تقول فى أموال بنى أمية؟ فقلت: إن كانت لهم حرام فهى عليك حرام، وإن كانت لهم حلالاً فما أحلها الله لك

إلا بحقها، قال: ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: وكيف ذاك؟! قال: أليس كان رسول الله ﷺ كان أوصى إلى علي؟ قلت: لو أوصى إليه ما حَكَّم الحكمين؟! فسكت وقد اجتمع غضبا، فجعلت أتوقع رأسي تقع بين يدي، فنكت بالخيزرانة نكتا هو أشد من ذلك وأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال: يا أوزاعي: قد هممت أن أوليك القضاء، فقلت: أصلح الله الأمير، قد كان انقطاعي إلى سلفك ومن مضى من أهل بيتك وكانوا بحقي عارفين، فإن رأى الأمير أن يستتم ما ابتدأه أبائهم فليفعل، قال: كأنك تريد الإذن، فقلت: إن ورائي لحрма بهم حاجة إلى قيامي بهم وسترى لهم، قال: فذاك لك وقال بيده هكذا أن أخرجه، فخرجت فركبت دابتي فلما سرت غير بعيد، إذا فارس يتلوني فنزلت إلى الأرض فقلت: قد بعث ليأخذ رأسي، أصلى ركعتين فكبرت، فجاء وأنا قائم أصلى فسلم وقال: إن الأمير قد بعث إليك بهذه الدنانير فخذها فأخذتها ففرقتها في الأيتام والأرامل والفقراء قبل أن أدخل منزلي..

565- حديث الأوزاعي مع المنصور وموعظته له ذكر فيها عشرة أحاديث مرفوعة، وقد رأيت سرد الأحاديث. قال الأوزاعي رحمه الله: بعث إلى أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته فلما وصلت إليه سلمت عليه بالخلافة، فرد على واستجلسني ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قلت: وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتراس منكم، فقلت: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك، قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ قلت: أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به، فصاح بي [وزيره] الربيع وأهوى بيده إلى السيف! فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام.

فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال رسول الله ﷺ: أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه، ليزداد بها إثما ويزداد الله بها سخطا عليه⁽¹⁾.

يا أمير المؤمنين: حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال رسول الله ﷺ: أيما وال مات غاشيا لرعيته حرم الله عليه الجنة⁽²⁾.

(1) جامع الأحاديث ج 3 ص 403 رقم 9406.

(2) شعب الإيمان ج 6 ص 30 رقم 7411.

يا أمير المؤمنين: من كره الحق فقد كره الله، إن الله هو الحق المبين، إنه الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم، لقرابتكم من رسول الله وقد كان بهم رؤوفا رحيما، مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده، محمودا عند الله وعند الناس، فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق وبالقسط، لا تغلق دونهم الأبواب، ولا تقيم دونهم الحجاب، تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين: قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس، الذين أصبح أحرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه؟

يا أمير المؤمنين: حدثنى مكحول عن عروة بن رويم قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التى كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعبا⁽¹⁾. فكيف بمن شقق أستارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغييهم الخوف منه؟!

يا أمير المؤمنين: حدثنى مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة، أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابى لم يتعمده، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا. فدعا النبى ﷺ الأعرابى فقال: اقتص منى؟ فقال الأعرابى: قد أحللتك بأبى أنت وأمى، وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى، فدعا له بخير⁽²⁾..

يا أمير المؤمنين: رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك، وارغب فى جنة عرضها السموات والأرض يقول فيها رسول الله ﷺ: لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها⁽³⁾.

(1) الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فيه وهو مرسل وعروة، ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين.

(2) الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فيه وروى أبو داود والنسائى من حديث عمر وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبى لیلی عن أبيه.

(3) حديث أخرجه ابن أبى الدنيا من رواية الأوزاعى معضلاً لم يذكر إسناده ورواه البخارى من حديث أنس.

يا أمير المؤمنين: إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين: أتدرى ما جاء في تأويل هذه الآية: { مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا }⁽¹⁾. الصغيرة التسم والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟!

يا أمير المؤمنين: بلغنى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخله على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك؟

يا أمير المؤمنين: أتدرى ما جاء في تأويل هذه الآية: { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }⁽²⁾. قال الله تعالى في الزبور: يا داود، إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى، فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلس على صاحبه فأحوك عن نبوتى ثم لا تكون خليفتى ولا كرامته.

يا داود، إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كراء الإبل، لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والماء.

يا أمير المؤمنين: إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين: حدثت [أن] عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة، فرآه بعد أيام مقبياً! فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك، أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟! قال: لا، قال: وكيف ذلك؟ قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: ما من والٍ يلى شيئاً من أمور الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله.

فيوقف على جسر من النار، ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب، فإن كان محسناً نجا بإحسانه، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر

(1) سورة الكهف آية 49.

(2) سورة ص آية 26.

فيهوى به فى النار سبعين خريفا⁽¹⁾. فقال له عمر ؓ: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبى ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما، فقالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ.

فقال عمر: واعمراه من يتولاها بها فيها؟ فقال أبو ذر ؓ: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض. قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني.

يا أمير المؤمنين: قد سأل جدك العباس النبى ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن، فقال له النبى ﷺ: يا عباس يا عم النبى، نفس تحييها خير من إمارة لا تحييها⁽²⁾.

وقد قال عمر بن الخطاب ؓ: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد، لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة، ولا تأخذه فى الله لومة لائم.

وقال ﷺ الأمرأ أربعة: فأمر قوى ظلف⁽³⁾. نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله، يد الله باسطة عليه بالرحمة.

وأمر فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه، فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله.

وأمر ظلف عماله وأرتع نفسه، فذلك الخطمة الذى قال فيه رسول الله ﷺ: شر الرعاة الخطمة فهو الهالك وحده⁽⁴⁾. وأمر أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا.

وقد بلغنى يا أمير المؤمنين أن جبرائيل ؑ أتى النبى ﷺ فقال: أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له ﷺ: يا جبريل صف لى النار؟ فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهى سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها، والذى بعثك

(1) الحديث أخرجه ابن أبى الدنيا فيه من هذا الوجه ورواه الطبرانى من رواية سويد بن عبد العزيز عن يسار بن أبى الحكم عن أبى وائل أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكر أخصر منه وأن بشرا سمعه من النبى ﷺ.

(2) حديث أخرجه ابن أبى الدنيا هكذا معضلا بغير إسناد ورواه البيهقى من حديث جابر متصلا ومن رواية ابن المنكدر مرسلا وقال: نصيحة منه لعمه وشفقة عليه.

(3) قال أبو منصور: جعل الفراء الظلف ما لان وجعله ابن الأعرابى ما غلظ.

(4) حديث شر الرعاة الخطمة رواه مسلم من حديث عائذ بن عمرو المزنى متصلا، وهو عند ابن أبى الدنيا عن الأوزاعى ﷺ معضلا كما ذكره المصنف.

بالحق، لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً من شرابها صب في مياه الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت، ولو أن رجلاً أدخل النار ثم أخرج منها مات أهل الأرض من تنن ريحه وتشويه خلقه وعظمه. فبكى النبي ﷺ، وبكى جبريل عليه السلام لبكائه، فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً. ولم يكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين، أمين الله على وحيه؟ قال: أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت، فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره، فلم يزالا يبيكان حتى نوديا من السماء، يا جبريل ويا محمد، إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما، وفضل محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة⁽¹⁾.

وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفه عين.

يا أمير المؤمنين: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وأنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه، ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضع، فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك ثم نهضت. فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله، فقال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها، والله الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل، فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة، قلت: أفعل إن شاء الله. فأمر له بهال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا..

نصيحة الخضر للمنصور عندما زاد الظلم:

عن ابن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجاً، فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فيصل بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع!!

(1) الحديث بطوله أخرجه ابن أبي الدنيا فيه هكذا معضلاً بغير إسناد.

فأسرع المنصور في مشيه حتى ملاً مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه، فأتاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين، فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم، فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضى وأقلقنى؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن أمتنى على نفسى أنبأتك بالأمر من أصولها، وإلا اقتصرت على نفسى ففيها لى شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على نفسك.

فقال: الذى دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغى والفساد فى الأرض أنت! فقال: ويحك وكيف يدخلنى الطمع، والصفراء والبيضاء فى يدى والحلو والحامض فى قبضتى! قال: وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر، وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاح، ثم سجنك نفسك فيها منهم، وبعثت عمالك فى جمع الأموال وجبايتها، واتخذت وزراء وأعوانا ظلمة، إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكرام والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم، ولا الملهوف، ولا الجائع، ولا العارى ولا الضعيف ولا الفقير، ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك، تجبى الأموال ولا تقسمها.

قالوا: هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا، فائتمروا على أن لا يصل إليك من أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية.

فامتألت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانتك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك، ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل

فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته، وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة، لم يمكنه مما يريد خوفا منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتدل عليه، فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك، فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير! فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟

لقد كانت بنو أمية وكانت العرب، لا ينتهى إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم، فينصف، ولقد كان الرجل يأتى من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم، فينادى يا أهل الإسلام، فيبتدرونه مالك مالك، فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف.

ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك، فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم، فجعل يبكى فقال له وزراؤه: مالك تبكى لا بكت عيناك؟ فقال: أما إنى لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى، ولكن أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته!!

ثم قال: أما إن كان قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب، نادوا فى الناس، ألا لا يلبس ثوبا أحمر إلا مظلوم. فكان يركب الفيل ويطوف طرفى النهار هل يرى مظلوما فينصفه!!

هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله، قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه فى ملكه، وأنت مؤمن بالله، وابن عم نبي الله، لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك.

فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة: إن قلت اجمعها لولدى، فقد أراك الله عبدا فى الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست الذى تعطى بل الله يعطى من يشاء. وإن قلت: أجمع المال لأشيد سلطانى، فقد أراك الله عبدا فيمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع، وما ضرك وولد أبليك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد. وإن قلت: أجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح.

يا أمير المؤمنين: هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذى خولك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا، وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود فى العذاب الأليم.

وهو الذى يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمّرتَه جوارحك، فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك، ودعاك إلى الحساب؟

هل يغنى عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا؟ فبكى المنصور بكاءً شديداً حتى نحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتنى لم أخلق ولم أك شيئاً. ثم قال: كيف احتيالى فيما خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائناً؟

قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين، قال: ومن هم؟ قال: العلماء، قال: قد فروا منى، قال: هرب [الصالحون] منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك [وبقى معك المنافقون شارون الدنيا بائعى الدين]. افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم، وخذ الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل، وأنا ضامن أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك، فقال المنصور: اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل، وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة..

566- قال هارون للفضيل بن عياض عليه السلام: ما أزهذك؟! قال: أنت والله أزهد منى يا أمير المؤمنين! قال: كيف؟! قال: لأننى أزهد فى الدنيا وهى فانية وأنت ترهّد فى الآخرة وهى باقية..

567- وعن الفضل بن الربيع قال: حجّ أمير المؤمنين الرشيد، فأتانى فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيّتك؟ فقال: ويحك قد حاك في نفسى شيء فانظر لى رجلاً أسأله؟ فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه فأتيناه فقرعت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيّتك؟ فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، فقال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئاً. انظر لى رجلاً أسأله؟

فقلت له: هاهنا عبد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعت الباب فقال من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيّتك، قال: خذ لما جئناك له، فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى صاحبك شيئاً. انظر لى رجلاً أسأله.

قلت: هاهنا الفضيل بن عياض عليه السلام قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها، فقال: اقرع الباب؟ فقرعت الباب فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين؟ فقال: ما لى ولا أمير المؤمنين؟!

فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة، أليس قد روى عن النبي ﷺ أنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه، فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كف هارون قبل إلهيه، فقال: يا لها من كف، ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله عز وجل!

فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقى، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فقال: إن عمر بن عبد العزيز ؓ لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على، فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله، فصم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت.

وقال له محمد بن كعب القرظي: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا، فوِّر أباك وأكرم أخاك وتحن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله عز وجل، فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واکره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت.

وإني أقول لك: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا؟

فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشى عليه، فقلت له: ارفق بأمر المؤمنين فقال: يا ابن أم الربيع، تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا!!

ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز ؓ شكاه إليه، فكتب إليه عمر يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ؓ فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية أبدا حتى ألقى الله عز وجل.

فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له: زدني رحمك الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة، فقال له النبي ﷺ: إن

الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل. فبكى هارون بكاء شديدا وقال له: زدنى رحمك الله؟ فقال: يا حسن الوجه، أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل، وإياك أن تصبح وتسمى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبى ﷺ قال: من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة.

فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم دين لربى يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سألنى، والويل لى إن ناقشنى، والويل لى إن لم ألهم حجتى.

قال: إنما أعنى دين العباد؟ قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، أمر ربى أن أوحده وأطيع أمره فقال عز وجل: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }⁽¹⁾. فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها على عيالك، وتقو بها على عبادتك، فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافتنى بمثل هذا سلمك الله ووفقك. ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس، إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به، فقال لها: مثلى ومثلكم كمثلى قوم كان لهم بغير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه! فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد أذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله فانصرفنا..

568- حدثنا يحيى بن يوسف الزمى عن الفضيل بن عياض ؓ قال: لما دخلت على هارون أمير المؤمنين: قلت أيكم هو؟ فأشاروا إلى أمير المؤمنين، فقلت: أنت هو يا حسن الوجه، لقد وليت أمرا عظيما، إنى ما رأيت أحدا هو أحسن وجهها منك، فإن قدرت أن لا تسود هذا الوجه بلفحة من النار فافعل. فقال لى: عطني؟ فقلت: بإذا أعظك؟ هذا كتاب الله تعالى بين الدفتين انظر ماذا عمل بمن أطاعه وماذا عمل بمن عصاه. إنى رأيت الناس يغوصون على النار غوصا شديدا ويطلبونها طلبا حثيثا، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنا لوها. فقال: عد إلى؟ فقلت: لو لم تبعث إلى لم آتك، وإن انتفعت بها سمعت منى عدت إليك..

(1) سورة الذاريات الآيات 56 / 58.

569- خرج هارون الرشيد والعباس ليلاً لزيارة الفضيل بن عياض رضي الله عنه ، فلما وصلا إلى بابه وجداه يتلو: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } ⁽¹⁾ . ومعناها: أيظن الذين اكتسبوا الخطايا ويعملون الأعمال المذمومة، أننا نسوى بينهم في الآخرة، وبين الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون، كلا (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ). فقال هارون: إن كنا جئنا للموعظة فكفى بهذه موعظة، ثم أمر العباس أن يطرق عليه الباب فطرق بابه، فقال: افتح الباب لأمر المؤمنين؟ فقال الفضيل: ما يصنع عندى أمير المؤمنين؟! فقال: أطع أمير المؤمنين وافتح الباب؟ وكان ليلاً والمصباح يتقد فأطفأه وفتح الباب، فدخل الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح بها الفضيل، فلما وقعت يده عليه قال: الويل لهذه اليد الناعمة إن لم تنج من العذاب فى القيامة. ثم قال له: يا أمير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى، فإنه يوقفك مع كل واحد مسلم على حدة يطلب منك إنصافك إياه. فبكى هارون بكاء شديدا وضمه إلى صدره!! فقال له العباس: مهلا فقد قتلته. ثم وضع الرشيد بين يديه ألف دينار وقال له: هذه من وجه حلال من صدق أُمى وميراثها. فقال له الفضيل: أنا أمرك أن ترفع يديك عما فيها وتعود إلى خالك، وأنت تلقيها إلي!! فلم يقبلها وخرج من عنده..

570- حدثنا محمد بن عبدالله الأنبارى قال: سمعت فضيلاً رضي الله عنه يقول: لما قدم هارون الرشيد إلى مكة قعد فى الحجر هو وولده وقوم من الهاشميين، وأحضروا المشايخ، وبعثوا إلى فأردت أن لا أذهب فاستشرت جارى فقال: اذهب لعله يريد أن تعظه، فدخلت المسجد فلما صرت إلى الحجر قلت لأدناهم: أيكم أمير المؤمنين؟ فأشار إليه، فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فرد على وقال: اقعد ثم قال: إنها دعوناك لتحديثنا بشيء وتعظنا، فأقبلت عليه فقلت: يا حسن الوجه حساب الخلق كلهم عليك، فجعل يبكى ويشهق، فرددت عليه وهو يبكى، حتى جاء الخادم فحملونى وأخرجونى وقال: اذهب بسلام..

571- حدثنا هارون بن سوار قال: سمعت شعيب بن حرب رضي الله عنه يقول: بينما أنا فى طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد، فقلت لنفسى قد وجب عليك الأمر والنهى، فقالت لى [نفسى]: لا تفعل، فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك، فقلت لنفسى: لا بد من ذلك. فلما دنا منى صحت: يا هارون قد أتعبت الأمة وأتعبت البهائم، فقال: خذوه، فأدخلت عليه وهو على

(1) سورة الجاثية آية 21.

كرسى ويده عمود يلعب به فقال: ممن الرجل؟ قلت من إفناء الناس. فقال: ممن ثكلتك أمك؟ قلت: من الأبناء، قال: فما حملك على أن تدعوني باسمي؟ قال شعيب: فورد على قلبي كلمة ما خطرت لي قط على بال، فقلت له: أنا أدعو الله باسمه فأقول: يا الله يا رحمن ألا أدعوك باسمك! وما تنكر من دعائي باسمك وقد رأيت الله تعالى سمي في كتابه أحب الخلق إليه محمدا وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب فقال: تبت يدا أبي لهب. فقال: أخرجوه فأخرجوني..

572- روى أن شقيق البلخي ؓ دخل على هارون الرشيد فقال له: أنت شقيق الزاهد؟ فقال له: أما شقيق فنعم، وأما الزاهد فيقال، فقال له: عظمي؟ فقال له: إن الله تعالى أنزلك منزلة الصديق وهو يطلب منك الصدق كما تطلبه منه، وأنزلك منزلة الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل كما تطلبه منه، وأنزلك منزلة ذى النورين وهو يطلب منك الحياء والكرامة والعلم كما تطلبه منه ثم سكت.

فقال له: زدني؟ قال: نعم، إن الله دارا سماها جهنم وجعلك بوابا لها، وأعطاك بيت مال المسلمين وسيفا قاطعا وسوطا موجعا، وأمرك أن ترد الخلق عن هذه الدار بهذه الثلاث.

فمن أتاك من أهل الحاجة فأعطه من هذا البيت، ومن تقدم على نهي الله فأوجعه بهذا السوط، ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله بهذا السيف بأمر ولي المقتول، فإنك إن لم تفعل ذلك فأنت السابق والخلق تابع لك إلى النار. قال: زدني؟ قال: نعم، أنت العين والعمال الأنهار، إن صفت العين لم يضر كدر الأنهار، وإن كدرت العين لم يرج صفاء الأنهار..

573- ذكر منذر بن سعيد البلوطي ؓ ونبذ من أخباره وأسباب معرفته بالخليفة الناصر. لما احتفل الناصر لدين الله في الجلوس [على عرشه] بقصر قرطبة، الاحتفال الذي شهد ذكره الناس [خطب] منذر بن سعيد فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه والتعداد لآلائه والشكر لنعمائه والصلاة على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقالا، وليس بعد الحق إلا الضلال. وإنى قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم فأصغوا إلى معشر الملائكة بأسماؤكم وأيقنوا عني بأفئدتكم، إن من الحق أن يقال للمحق: صدقت؟ وللمبطل كذبت، وإن الجليل تعالى في أسمائه، وتقدس بصفاته وأسمائه أمر كليمه موسى ؑ وعلى جميع أنبيائه أن يذكر قومه بأيام الله عندهم، وفيه وفي رسول الله محمد ﷺ أسوة حسنة، وإنى أذكركم بأيام الله عندهم وأختمه بالحمد لله رب العالمين، وأستغفر الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين.

فخرج الناس يتحدثون عن مقام منذر وبلاغة منطقته، وكان الخليفة الناصر لدين الله أشدهم تعجبا منه فأقبل على ولده الأمير الحكم يسأله عنه، ولم يكن يثبت معرفة عينه وقد سمع باسمه، فقال له الحكم: هو منذر بن سعيد البلوطي. فقال له: لقد أحسن ما شاء.

وكان الخليفة الناصر لدين الله كلف بعمارة الأرض وإقامة معالمها، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعز السلطان، فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابنتى مدينة الزهراء، البناء الذى شاع ذكره واستفرغ وسعه في تنميقها وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذى اتخذ ثلاث جمع متواليه!!

فأراد القاضى منذر البلوطى أن يغض منه، بما تناوله من الموعظة بفضل الخطاب والحكمة والتذكرة بالإنباء والرجعة، فأدخل في خطبته فصلاً مبتدئاً بقوله: أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين، وجنات وعيون، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، ولا تقولوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فمتاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى وهى دار القرار ومكان الجزاء. ووصل ذلك بكلام جزل وقول فصل ومضى في ذم تشييد البنيان والاستغراق في زخرفته والإسراف في الإنفاق عليه فجرى طلقاً، وانتزع فيه قوله تعالى: { أَفَمَنْ أَكْفَمُنَّ أَتَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَكْفَمُنَّ عَلَى شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }⁽¹⁾. وأتى بما يشاكل المعنى، من التخويف بالموت والتحذير من فجاءته والدعاء إلى الزهد في هذه الدار الفانية والحض على اعتزالها والرفض لها، والندب إلى الإعراض عنها، والإقصار عن طلب اللذات ونهى النفوس عن اتباع هواها. فأسهب في ذلك كله وأضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه، وجلب من الحديث والآثار ما يشاكله حتى اذكر من حضره من الناس وخشعوا ورقوا واعترفوا، وبكوا وضجوا ودعوا وأعلنوا في التضرع إلى الله في التوبة والابتهاال في المغفرة، وأخذ خليفته من ذلك بأوفر حظ وقد علم أنه المقصود به، فبكى وندم على ما سلف له واستعاذ بالله من سخطه، إلا أنه وجد على منذر البلوطى لغلظ ما تفرعه به، فشكا ذلك لولده الأمير الحكم بعد انصرافه وقال: والله لقد تعمدي منذر بخطبته وما عنى بها

(1) سورة التوبة الآيات 109/ 110 .

غيرى فأسرف على وأفراط فى تقريرى، ولم يحسن السياسة فى وعظى فزعزع قلبى، وكاد بعصاه يقرعنى واستشاط غيظا عليه فأقسم أن لا يصلى خلفه صلاة الجمعة خاصة!

فجعل يلتزم صلاتها وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة بقرطبة ويجانب الصلاة بالزهراء. فقال له الحكم: فما الذى يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال منه إذ كرهته؟ فزجره وانتهره، فقال له: أمثل منذر بن سعيد فى فضله وعلمه وخيره؟ لا يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الحق، هذا مما لا يكون، وإنى لأستحى من الله، أن لا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر فى ورعه وصدقه، ولكنه أخرجنى، فأقسمت. ولوددت أنى أجد سبيلا إلى كفارة يمينى، بل يصلى بالناس حياته وحياتنا، إن شاء الله.

وقحط الناس آخر مدة الناصر لدين الله فأمر القاضى منذر بن سعيد بالبروز للاستسقاء بالناس فتأهب لذلك وصام بين يديه أياما، تنفلا وإنابة ورهبة، واجتمع الناس فى مصلى الرض بقرطبة بارزين إلى الله تعالى فى جمع عظيم وصعد الخليفة الناصر فى أعلى مرتفع من القصر ليشارف الناس ويشاركهم فى الخروج إلى الله والضراعة له، فأبطأ القاضى حتى اجتمع الناس وغصت بهم ساحة المصلى. ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبتا متخشعا وقام ليخطب، فلما رأى بدار الناس إلى ارتقابه واستكانتهم من خشية الله وإخباتهم له وابتهاهم إليه، رقت نفسه وغلبته عيناه فاستغفر وبكى حيناً، ثم افتتح خطبته بأن قال: سلام عليكم ثم سكت ووقف شبه الحصر ولم يكن من عادته! فنظر الناس بعضهم ببعض لا يدرون ما عراه ولا ما أراد بقوله! ثم اندفع تاليا بقوله: سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم. استغفروا ربكم وتوبوا إليه وتزلفوا بالأعمال الصالحات لديه؟ فهاج الناس بالبكاء وجأروا بالدعاء، ومضى على تمام خطبته، ففرغ النفوس بوعظه وانبعث الإخلاص بتذكيره، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السماء بماء منهمر، روى الثرى وطررد المحل وسكن الأزل والله لطيف بعباده.

وكان ﷺ له فى خطب الاستسقاء استفتاح عجيب، ومنه أن قال يوماً: وقد سرح طرفه فى ملأ الناس عند ما شخصوا إليه بأبصارهم فهتف بهم كالمنادى: يا أيها الناس، وكررها عليهم مشيراً بيده فى نواحيهم، أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. فاشتد وجل الناس وانطلقت أعينهم بالبكاء ومضى فى خطبته.

ومن أخباره المحفوظة مع الخليفة عبد الرحمن في إنكاره عليه الإسراف في البناء، أن الناصر كان قد اتخذ لسقف القبية المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت مماثلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء، قراميد مغشاة ذهباً وفضة أنفق عليها مالا جسيماً، وقرمد سقفها بها تشتت الأبصار بأشعة أنوارها!

جلس فيها يوماً إثر تمامها لأهل مملكته فقال لقرايته منهم من الوزراء وأهل الخدمة مفتخراً بما صنعه من ذلك: هل رأيتم أو سمعتم ملكاً كان قبلي فعل مثل فعلى هذا أو قدر عليه؟ فقالوا: لا يا أمير المؤمنين، وإنك لو احدث في شأنك كله وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه ولا انتهى إلينا خبره، فأبهجه قولهم وسره. وبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر البلوطي واجماً ناكس الرأس، فلما أخذ مجلسه قال له كالذى قال لوزرائه من ذكر السقف المذهب واقتداره على إبداعه، فأقبلت دموع القاضي تنحدر على لحيته وقال له:

والله يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن الشيطان لعنه الله يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تتمكن من قبلك هذا التمكن، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين حتى ينزلك منازل الكافرين. فانفعل عبد الرحمن لقوله وقال له: انظر ما تقول وكيف أنزلتني منزلتهم؟ فقال له: نعم، أليس الله تعالى يقول: ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون؟

فوجم الخليفة وأطرق ملياً ودموعه تتساقط خشوعاً لله سبحانه، ثم أقبل على منذر وقال له: جزاك الله يا قاضى عنا وعن نفسك خيراً وعن الدين والمسلمين أجل جزائه، وكثر في الناس أمثالك، فالذى قلت هو الحق، وقام عن مجلسه ذلك، وأمر بنقض سقف القبة وأعاد قرمودها تراباً على صفة غيرها، وكان هذا القاضي على متانته وشدة جزالته حسن الخلق خفيف الوطأة سهل الجانب..

574- دخل محمد بن شهاب الزهري رحمته الله على الوليد بن عبد الملك فقال: يا ابن شهاب ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: حدثونا أن الله تبارك وتعالى إذا استرعى عبداً رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات؟ قال: كذبوا يا أمير المؤمنين، أنبى خليفة أقرب إلى الله أم خليفة ليس بنبي؟

قال: بل نبى خليفة.

قال: أنا أحدثك يا أمير المؤمنين بما لا شك فيه، قال الله تعالى لنبىه داود: { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }⁽¹⁾. يا أمير المؤمنين، هذا وعيد الله لنبى خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبى؟! فقال الوليد: إن الناس ليغروننا عن ديننا..

575- هم [أمير المؤمنين] المنصور أن [يخلق] نهر ابن عمر، فوفد إليه وفد من أهل البصرة، فيهم سوار وداود بن أبى هند وسعيد بن أبى عمرويه فكلموه فقال سوار: يا أمير المؤمنين، إن أردت أن تقتل مائة ألف من الناس عطشا فسكروه، ويا أمير المؤمنين إنى أحذرك أهل البصرة. فقال: يا سوار: أتخوفنى بأهل البصرة؟! همت أن أوجه إليهم بقائد يجثم على أكبادهم حتى يأتى على آخرهم، قال: يا أمير المؤمنين لم أذهب حيث ذهبت، ولكن خوفتك دعوة اليتيم والأرملة ومن لا حيلة له. فأحسن [المنصور] الرجوع وأضرب عما كان عزم عليه..

576- ذكروا أن أبا جعفر المنصور، لما حجَّ ودخل في الطواف بالبيت الحرام، أمر بالناس فنحوا عن البيت [وهى سنة سوء استنها يعمل بها إلى الآن] ثم طاف أسبوعه، فوثب إليه عبد الله ابن مرزوق رضي الله عنه وقال: من جرأك على هذا ولبيه بردائه وهزه ثم قال له: من جعلك أحق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه؟! فنظر أبو جعفر في وجهه فعرفه فقال: عبد الله ابن مرزوق؟ قال: نعم، فقال: من جرأك على هذا ومن أقدمك عليه؟! فقال عبد الله بن مرزوق: وما تصنع بى أبيدك ضر أو نفع؟ والله ما أخاف ضرك ولا أرجو نفعك، حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك إلى فعله. فقال له أبو جعفر: إنك أحللت بنفسك وأهلكتها، فقال عبد الله ابن مرزوق: اللهم إن كان بيد أبى جعفر ضرى فلا تدع من الضر شيئا إلا أنزلته على، وإن كان بيده منفعتى فاقطع عنى كل منفعة منه!! أنت يا رب بيدك كل شيء ومليك كل شيء. فأمر به أبو جعفر فحمل [من مكة] إلى بغداد فسجنه بها، وكان يسجنه بالنهار ويبعث إليه بالليل يبيت عنده ويسامره [سراً]، يلبث نهاره أجمع بالسجن ثم يسامره بالليل! ليظهر للناس أنه سجن من اعترض عليه لئلا يجترئ الجاهل فيقول: قد وسع عفو أمير المؤمنين فلانا أفلا يسعنى، فكان دأبه هذا معه زمانا طويلا، حتى نسى أمره وانقطع خبره ثم خلى سبيله، فلحق بمكة فلم يزل بها حتى

(1) سورة ص آية 26.

مات أبو جعفر وولى ابنه المهدي. فلما حج المهدي فعل به عبد الله بن مرزوق رضي الله عنه مثل ذلك أيضاً، وأراد المهدي قتله، فقبل له: يا أمير المؤمنين، إنه قد فعل هذا بأبيك، فكان من صنيعه أن حمله إلى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل، وأنت أحق من أخذ بهديه واحتذى على مثاله وورث أكروماته، فحمله المهدي معه فمات ببغداد رحمه الله..

577- دخل عمر بن عبيد رضي الله عنه على المنصور فأكرمه وعظمه وقربه وسأله عن أهله وعياله ثم قال له: عظمي؟ فقرأ عليه من سورة الفجر: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } ⁽¹⁾. فبكى المنصور بكاء شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات من قبل!

ثم قال له: زدني؟ فقال: إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك هو صائر لمن بعدك، واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة. فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجفانه.

فقال له سليمان بن مجالد: رفقا بأمير المؤمنين؟ فقال عمرو: وماذا على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله عز وجل؟! ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم فقال: لا حاجة لي فيها، فقال المنصور: والله لتأخذنها، فقال: والله لا آخذنها!

فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه: أيلف أمير المؤمنين وتحلف أنت؟! فالتفت إلى المنصور فقال: من هذا؟ فقال: هذا ابني محمد ولى العهد من بعدى، فقال عمرو: إنك سميت اسماً لم يستحقه لعمله، وألبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار، ولقد مهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنك.

ثم التفت إلى المهدي فقال: يا ابن أخي، إذا حلف أبوك وحلف عمك، فلأن أبوك أيسر من أن يحنث عمك، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك، فقال المنصور: يا أبا عثمان هل من حاجة؟ قال: نعم، قال: وماهي؟

قال: لا تبعث إلي حتى آتيك ولا تعطني حتى أسألك، فقال: إذاً والله لا نلتقي، فقال عمرو: عن حاجتي سألتني، فودعه وانصرف، فلما ولى أمده بصره وهو يقول:

كلكم يمشى رويد ... كلكم يطلب صيد ... غير عمر بن عبيد

(1) سورة الفجر آية 14.

578- كان الفرّج بن كنانة رضي الله عنه من الفقهاء المعدودين بالأندلس في صدور القضاة، رحل إلى المشرق وسمع من عبد الرحمن بن القاسم وغيره، ولما قدم من رحلته استخلصه الأمير الحكم ابن هشام وولاه قضاء الجماعة بقرطبة، أيام المهرج المعروف بوقعة الربض. ومما جرى له حينئذ، أن بعض أصحاب الأمير الحكم الذين أرسلهم على الناس، تعلقوا بجار الفرّج بن كنانة واتهموه بالحركة في الصبح فتسوروا عليه وصاح نساؤه، فسمع القاضي الصراخ فقال: ما هذا؟ فقيل: جارك فلان تعلق به الحرس فأخرجوه ليقتل، فبادر الخروج وكف القوم عن جاره وقال لهم: إن جرى هذا بريء الساحة سليم الناحية وليس فيه شيء مما تظنون. فقال له رئيس الحرس المرسى معهم: ليس هذا من شأنك، عليك بالنظر في أحباسك وحكومتك، ودع ما لا يعينك. فغضب الفرّج عند ذلك، ومشى إلى الأمير الحكم فاستأذن عليه فلما دخل قال له بعد السلام: أيها الأمير، إن قريشا حاربت رسول الله صلى الله عليه وآله وناصبته العداوة في الله تعالى، ثم إنه صفح عنهم لما أظفره الله تعالى بهم وأحسن إليهم، وأنت أحق الناس بالاعتداء به لقربتك منه ومكانك من خلافته في عباد الله، ثم حكى له قصة جاره وما عرض له في الدفاع عنه، فأمر بتخيلية سبيله وبعقاب الناظر الذي عارض القاضي وعفا عند ذلك عن بقية أهل قرطبة وبسط الأمان بجماعتهم وردهم إلى أوطانهم..

579- نصر بن ظريف اليحصبي رضي الله عنه: ولي القضاء زمانا على ما حكاه أبو عمر بن عبد البر فسار بأجل سيرة، منها عمله في قضية حبيب القرشي، وذلك أنه دخل على الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فشكى إليه القاضي، وذكر أنه يريد أن يسجل عليه في ضيعة قيم فيها، وادعى عليه الاغتصاب لها ولاذ بالأمير من إسراع القاضي إلى الحكم عليه من غير تثبيت. فأرسل الأمير إليه وكلمه في حبيب ونهاه عن العجلة عليه، فخرج ابن ظريف من يومه وعمل بضد ما أراد الأمير وأنفذ الحكم!! وبلغ الخبر حبيبا فدخل إلى الأمير متغيظا فذكر له ما عمله القاضي ووصفه بالاستخفاف بأمره والنقض له وأغراه. فغضب الأمير على القاضي واستحضره فقال له: من أمرك على أن تنفذ حكما وقد أمرتك بتأخيرته والإناء به؟ فقال له: قدمني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما بعثه الله بالحق ليقضى به على القريب والبعيد والشريف والديني.

وأنت أيها الأمير، ما الذي هلك على أن تتحمل لبعض رعيّتك على بعض، وأنت تجد مندوحة بأن ترضى من مالك من تعنى به وتمد الحق لأجله؟ فقال له: جزاك الله يا ابن ظريف خيرا، وخرج القاضي فدعا بالقوم الذين صارت الضيعة إليهم بالاستحقاق وكلمهم فوجدهم

راضين ببيعها، إن أجزل لهم الثمن، فعقد فيها البيع معهم وصارت إلى حبيب. فكان [حبيب] بعد ذلك يقول: جزى الله ابن ظريف عنا خيراً، كان يبدى ضيعة حرام فجعلها حلالاً وكان هذا القاضي، من زهده وورعه إذا شُغل عن القضاء يوماً واحداً لم يأخذ لذلك اليوم أجراً!!

580- قال محمد بن واسع رحمه الله سيد العباد في زمانه: لما دخل على الأفضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر قال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد السلام رداً جميلاً وأكرمنى إكراماً جزيلاً وأمرنى بدخول مجلسه بالجلوس فيه. فقلت: أيها الملك، إن الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلاً عالياً شامخاً وأنزلك منزلاً شريفاً باذخاً، وملأك طائفة من ملكه وأشركك في حكمه، ولم يرض أن يكون أمر أحد فوق أمرك، فلا ترض أن يكون أحد أولى بالشكر منك. وإن الله سبحانه قد ألزم الورى طاعتك فلا يكون أحد أطوع له منك، وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعال والإحسان.

قال الله تعالى: { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا } ⁽¹⁾. واعلم أن هذا الذى أصبحت فيه من الملك إنما صار إليك بموت من كان قبلك، وهو خارج عن يديك بمثل ما صار إليك، فاتق الله فيما خولك من هذه الأمة فإن الله سائلك عن النقيير والقطمير والفيتيل. قال الله تعالى: { فَوَرَبَّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ⁽²⁾. وقال الله تعالى: { وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } ⁽³⁾. واعلم أيها الملك، أن الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بحذافيرها، لسليمان بن داود عليهما السلام، فسخر له الإنس والجن والطير والشیاطين والوحوش والبهائم، وسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له: { هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } ⁽⁴⁾. فوالله ما عدها نعمة كما عدتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله تعالى ومكراً به، فقال: { هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ } ⁽⁵⁾. فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم، أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفاً للملهوف وأماناً للخائف، ثم أنشدت:

وَالنَّاسُ أَكْيَسُ مِنْ أَنْ يَحْمَدُوا رَجُلًا حَتَّى يَرَوْا عِنْدَهُ آثَارَ إِحْسَانٍ

(1) سورة سبأ آية 13.

(2) سورة الحجر الآيات 92/93.

(3) سورة الأنبياء آية 47.

(4) سورة ص آية 39.

(5) سورة النمل آية 40.

581- سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام رحمه الله: ومولده تقريبا في سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسة، وولى من المناصب الدينية بدمشق: تدريس زاوية الغزالي، وخطابة الجامع الأموى، وولى بالديار المصرية: القضاء بمصر والوجه القبلى، وخطابة جامع عمرو بن العاص وتدريس المدرسة الصالحية بالقاهرة، والنظر في عمارة المساجد بالقاهرة ومصر.

وكان أحد أئمة المسلمين إليه انتهت الفتيا في زمانه، وصنف التصانيف المشهورة منها: الإمام في أدلة الأحكام وقواعد الفقه الكبرى، والوسطى، والصغرى، والغاية في اختصار النهاية، وجمع بين الحاوى والنهاية، واختصر الشامل لابن الصباغ واختصر الكشف، واختصر تفسير ابن عباس والماوردى وفسر سورة البقرة في مجلد، وفسر من سورة يس إلى سورة الناس، واختصر صحيح مسلم في مجلدين، وعمل عليها حواشى مفيدة، واختصر الرعاية وصنف في الزهد شجرة المعارف، وغير ذلك من التصانيف المفيدة، وكان كثير الزهد والإيثار، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يخشى سطوة ملك، لم يزل يصدع الملوك بمر الحق، ويفتى بحكم الله وسنة رسوله ﷺ، وإن خالف ذلك آراء الملوك واعتقادهم وكرهوه منه ونهوه عنه فلا يرجع عما علمه، ويطلب المناظرة عليه. واتفقت له وقائع مع ملوك راموا فيها قتله! فحماه الله تعالى منهم، وهى وقائع تدل على صلابه دينه وحسن يقينه وتمسكه من السبب الأقنوم بمتيته. منها: واقعة مع الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك العادل صاحب دمشق في مسألة الكلام [يقول سلطان العلماء عز بن عبد السلام]: إن سلاح العالم علمه ولسانه، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماذ أسلحتهم عن الملحددين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماذ أسلحتهم عن الزائعين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله، كان جديرا أن يجرسه الله بعينه التى لا تنام ويعزه بعزه الذى لا يضام، ويحوطه بركنه الذى لا يرام ويحفظه من جميع الأنام { وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } (1).

ذكر واقعة التتار وما كان من سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام فيها: وحاصلها أن التتار لما دهمت البلاد عقيب واقعة بغداد، جبن أهل مصر عنهم وضائق بالسلطان وعساكره الأرض فاستشاروا الشيخ عز الدين رحمه الله فقال: اخرجوا وأنا أضمن لكم على الله النصر، فقال السلطان له: إن المال فى خزائنى قليل وأنا أريد أن أقترض من أموال التجار، فقال له الشيخ

(1) سورة محمد آية 4.

عز الدين: إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك، وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلى الحرم، وضربته سكة ونقدا وفرقته في الجيش ولم يقم بكفائتهم، ذلك الوقت اطلب القرض، وأما قبل ذلك فلا. فأحضر السلطان والعسكر كلهم ما عندهم من ذلك بين يدي الشيخ، وكان الشيخ له عظمة عندهم وهيبة بحيث لا يستطيعون مخالفته فامثلوا أمره فانتصروا.

ومما يدل على منزلته الرفيعة، أن الملك الظاهر بيبرس لم يبايع واحدا من الخليفة المستنصر والخليفة الحاكم إلا بعد أن تقدمه الشيخ عز الدين للمبايعة ثم بعده السلطان ثم القضاة! ولما مرت جنازة الشيخ عز الدين تحت القلعة وشاهد الملك الظاهر كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصه: اليوم استقر أمرى في الملك، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لانتزع الملك منى.

ذكر الشيخ مع أمراء الدولة من الأتراك: ذكر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم فيه وأضرم الأمر والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا، وتعطلت مصالحهم بذلك وكان من جملتهم نائب السلطنة!! فاستشاط غضبا فاجتمعوا وأرسلوا إليه فقال: نعقد لكم مجلسا وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريق شرعى، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة حاصِلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمار آخر ومشى خارجا من القاهرة قاصدا نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد، إلا وقد لحقه غالب المسلمين! لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحأوهم.

فبلغ السلطان الخبر وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب قلبه فرجع، واتفقوا معهم على أنه ينادى على الأمراء، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض والله لأضربنه بسيفى هذا، فركب بنفسه في جماعته وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ عبد اللطيف فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه وشرح له الحال فما اكرث لذلك ولا تغير وقال يا ولدى: أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج كأن قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست

يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له؟ وقال: يا سيدى إيش تعمل؟ قال: أنادى عليكم وأبيعكم، قال: فقيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم له ما أراد ونادى على الأمراء واحدا واحدا وغالى فى ثمنهم وقبضه وصرفه فى وجوه الخير، وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد. ثم كانت واقعة ابن عبد السلام رحمه الله مع الملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب دمشق، عندما أذن للفرنج فى دخول دمشق وشراء السلاح، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج، وكان الصالح غائبا عن دمشق، فورد كتابه بعزل ابن عبد السلام وولى خطابة دمشق، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار عندما حالف الملك إسماعيل الصليبيين [وكان التاريخ يعيد نفسه]، وسلم لهم صيدا وغيرها من الحصون الإسلامية، وذلك لينجدوه على نجم الدين بن أيوب ملك مصر، أنكر الشيخ آنذاك هذه الفعلة، وحاسب الملك عليها من على المنبر يوم الجمعة، وذم الملك وقطع الدعاء له من الخطبة، فأخبر الملك بذلك، فورد كتابه بعزل ابن عبد السلام عن الخطابة واعتقاله ومنعه من الإفتاء فى الناس. ثم بعث إليه الملك يعده ويمنيه، فقال له الرسول: تُعاد إليك مناصبك وزيادة، وما عليك إلا أن تنكسر للسلطان! فما كان جواب الشيخ إلا أن قال: والله ما أرضاه أن يقبل يدي!! يا قوم أنتم فى واد وأنا فى واد.

وهكذا استحوالت المعرفة لدى علماء السلف الصالح، طاعة فاعلة مؤثرة تحقق مدلولها فى عالم الواقع، وتسعى إلى بناء مجتمع تتمثل فيه العقيدة، طاقة تنشئ وتعمر وتغير وتطور، فكان أولئك العلماء قادة خير ومنازل هدى، وسياجاً منيعاً يصد كل من جمح به هواه.

وقد أبدى العلماء المسلمون، حساسية فائقة تجاه الحكام باعتبارهم يتحكمون بمصير الأمة، فلم يتهاونوا معهم إذا ما بدر منهم أدنى تقصير أو تفريط أو انحراف، بل كانوا يتصدون للفساد من بدايته بالحكمة والموعظة الحسنة حيناً، والتعنيف والترهيب حيناً آخر، وكان لهذا النهج دور كبير فى الحد من طغيان الحكام وإيقاظ ضمائرهم والحفاظ على جماعة المسلمين من الانحراف المهلك الذى لم تقع فيه، إلا حين رفع العلماء أيديهم وتراجعوا عن واجباتهم ومسئولياتهم الشاملة وحصروها فى إطار العبادات والفرائض والتفكير المجرد [أو خنعوا] واستسلموا وأسلموا أنفسهم لسلطين جائرين تكبروا فى الأرض بغير الحق، واتخذوا سبيل الغى سبيلاً. فليس أمام علماء المسلمين خاصة والأمة عامة إلا أن تسعى جاهدة لنصح أولئك الحكام

{ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }⁽¹⁾. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ⁽²⁾. كانت وفاة شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، بالمدرسة الصالحية النجمية بالقاهرة، في يوم السبت قبيل العصر من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة، ودفن يوم الأحد قبل الظهر بسفح المقطم..

582- تعفف عالم: ذكر المسبحى في تاريخه عن أبى الحسن البغدادي قال: وردت إلى مصر مع والدى وأنا صبي دون البلوغ في أيام كافور، وكان أبو بكر المحلى يتولى نفقات مصالحه وخواص خدمه، وقد نتجت بينه وبين أبى مودة وكان يزوره ويصله، فجاءه ذات يوم فتذاكرا أخبار كافور وطريقته وما هو عليه من الخشوع، فقال أبو بكر لأبى، وأنا أسمع هذا: الأستاذ كافور له في كل عيد أضحى عادة، وهى أن يسلم إلى بغلا محملا ذهباً وورقاً، وجريدة تتضمن أسماء قوم من حد القرافة إلى المنامة وما بينهما، ويمضى معى صاحب الشرطة ونقيب يعرف المنازل، وأطوف من بعد العشاء الآخرة إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك إلى من جعل له، وتتضمن اسمه الجريدة، ما بين رجل وامرأة. [فأقول له]: الأستاذ أبو المسك كافور، يهنتك بعيدك ويقول لك: اصرف هذا في منفعتك فادفع إليه ما جعل له.

فلما كان في هذا العيد جريت على العادة ورأيت زادنى في الجريدة الشيخ أبو عبد الله بن جابر مائة دينار، فأنفقت المال في أربابه ولم يبقَ إلا الصرة فجعلتها في كمى وسرت مع النقيب حتى أتينا منزله بالظاهر، فطرقت الباب فنزل إلينا شيخ عليه أثر السهر، فسلمت عليه فلم يرد على وقال: ما حاجتك؟ قلت: الأستاذ أبو المسك كافور يخص الشيخ بالسلام، فقال: والى بلدنا؟ قلت: نعم، قال: حفظه الله، الله يعلم أننى أدعو له في الخلوات وأدبار الصلوات وللمسلمين بما الله سامعه ومجيبه، قلت: وقد أنفذ معى هذه الصرة، وهو يسألك قبولها لتصرفها في مؤونة هذا العيد المبارك. فقال: نحن رعيته ونحن نحبه في الله تعالى وما نفسد هذا بعلة! فراجعته القول فتبين لى الضجر فى وجهه، واستحييت من الله تعالى أن أقطعه عما هو عليه فتركته وانصرفت. فجئت فوجدت الأمير قد تهيأ للركوب وهو ينتظرنى، فلما رآنى قال: هيه يا أبا بكر؟ فقلت له:

(1) سورة الأنفال آية 39.

(2) سورة الحج آية 41.

أرجو أن يستجيب الله تعالى فيك كل دعوة صالحة دعيت لك في هذه الليلة وفي هذا اليوم الشريف فقال: الحمد لله الذي جعلني سببا لإيصال الراحة إلى عبده!!

ثم أخبرته بامتناع ابن جابر فقال: نعم هو بذلك جدير، لم يجر بيننا وبينه معاملة قبل هذا اليوم، ثم قال لى: عد إليه واركب دابة من دواب النوبة فليست أشك فيما لقيت دابتك في هذه الليلة من التعب، ثم امض إليه واطرق بابه، فإذا نزل إليك فإنه سيقول ألم تكن عندنا؟ فلا ترد عليه جوابا ثم استفتح وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم { طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذِكْرًا لِمَنْ يُحْشَى * تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى } (1).

يا ابن جابر، يقول لك كافور العبد الأسود، ومن ولاه الله تعالى ملكه أو أشركه: أتدري من معطيك وعلى من رددت؟ أنت ما سألت هو [من] أرسل إليك. يا ابن جابر، ما تفرق بين السبب والمسبب! قال: فركبت وسرت فطرقت منزله فنزل إلى وقال لى مثل لفظ كافور، فأضربت عن الجواب وقرأت طه ثم قلت له ما قال كافور، فبكى ابن جابر وقال: أين ما حملت؟ فأخرجت له الصرة فأخذها وقال: علمنا الأستاذ، أحسن الله جزاءه. فعدت إليه فأخبرته، فسر بذلك ثم سجد لله تعالى شكرا وقال: الحمد لله الذي جعلني سببا لإيصال الراحة إلى عباده.

[هذا عبد الله، أشركه الله في ملكه، انظر كيف تواضعه لله، ورأفته بمن جعلهم الله تحت حكمه وسلطانه، فهل يرينا الزمان مثله]؟

583- سعيد بن المسيب رضي الله عنه، وهشام بن إسماعيل. قال يحيى بن سعيد: كتب هشام بن إسماعيل والى المدينة، إلى عبد الملك بن مروان، أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب.

فكتب أن أعرضه على السيف، فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطف به في أسواق المدينة، فلما قدم الكتاب على الوالى، دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد ابن المسيب رضي الله عنه وقالوا: جئناك فى أمر، قد قدم كتاب عبد الملك إن لم تباع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثا فأعطنا إحداهن:

(1) سورة طه الآيات 1/6.

فإن الوالى قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب، فلا تقل: لا ولا نعم. قال: يقول الناس بايع سعيد بن المسيّب ما أنا بفاعل! وكان إذا قال: (لا) لم يستطيعوا أن يقولوا: نعم.

قالوا: تجلس فى بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياما، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلا يجدك قال: أنا أسمع الأذان فوق أذنى حتى على الصلاة حتى على الصلاة، ما أنا بفاعل.

قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره، فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك. قال: أفرقا من مخلوق!! ما أنا متقدم شبرا ولا متأخر.

فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر فجلس فى مجلسه الذى كان فيه، فلما صلى الوالى بعث إليه فأتى به. فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تباع ضربنا عنقك.

قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين: بيعة للوليد ومثلها لسليمان فى وقت واحد، فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلّت السيوف، فلما رآه قد مضى أمر به فجرد فإذا عليه ثياب من شعر.

فقال: لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن، فضربه خمسين سوطا ثم طاف به أسواق المدينة. فلما ردّوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال: إن هذه الوجوه ما نظرت إليها مذ أربعين سنة! لأنه كان لا ينظر إلى قفا رجل فى الصلاة! إذ كان يصلى فى الصف الأول ولم تفتته تكبيرة الإحرام ﷻ. ومنعوا الناس أن يجالسوه، فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له: قم من عندى، كراهية أن يشبهه.

[وفى قول آخر]: ابتلى سعيد بن المسيّب ﷺ بالضرب، وذلك أن عبد الله بن الزبير ولى جابر ابن الأسود الزهرى المدينة فدعا الناس إلى بيعة ابن الزبير، فقال سعيد بن المسيّب: لا حتى يجتمع الناس، فضربه ستين سوطا!

فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه يلومه ويقول: ما لنا ولسعيد دعه.

قال ضمام عن بعض أهل المدينة: لما كانت بيعة سليمان بن عبد الملك مع بيعة الوليد كره سعيد بن المسيّب أن يبايع بيعتين، فكتب صاحب المدينة إلى عبد الملك بن مروان يخبره أن سعيد ابن المسيّب كره أن يبايع لهما جميعا، فكتب عبد الملك إلى صاحب المدينة وما كان حاجتك إلى رفع هذا عن سعيد بن المسيّب ما كنا نخاف منه، فأما إذا ظهر ذلك وانتشر فى الناس فادعه إلى ما

دخل فيه من دخل في هذه البيعة، فإن أبى فاجلده مائة سوط واحلق رأسه ولحيته وألبسه ثيابا من شعر وقفه على الناس في سوق المسلمين لئلا يجترئ علينا غيره.

فلما علم بعض من حضر من قريش، سألوا الوالى أن لا يعجل عليه حتى يخوفه بالقتل فعسى أن يجيب، فأرسلوا مولى له كان في الحرس قالوا: اذهب فأخفه بالقتل وأخبره أنه مقتول لعل ذلك يخيفه حتى يدخل فيما دخل فيه الناس، فجاءه مولاه وهو يصلى فبكى المولى فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال يبكينى ما يراد بك، قد جاء كتاب فيك إن لم تبائع قتلت، فجئت لتتظهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك، قال: ويحك قد وجدتنى أصلى فترانى كنت أصلى ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة، وأما ما ذكرت من العهد فإنى أضل ممن أرسلك إن كنت بت ليلة ولم أفرغ من عهدى، فانطلق، فلما أتى الوالى دعوه فأبى أن يجيب، فأمره بالتجريد ولبس ثيابا من شعر ثم جلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ووقف فقال: لو كنت أعلم أنه ليس شيء إلا هذا ما نزعت ثيابى طائعا ولا أجبت إلى ذلك.

قال ضمام: فبلغنى أن هشام بن إسماعيل كان إذا خطب الناس يوم الجمعة تحول إليه سعيد ابن المسيب بوجهه ما دام يذكر الله عز وجل حتى إذا رفع بذكر عبد الملك ويمدحه ويقول فيه ما يقول [كعادة العلماء والوعاظ وأئمة المساجد المنافقين في كل عصر]. أعرض عنه سعيد بوجهه، فلما فطن له هشام أمر حرسيا أن يخصب وجهه إذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد لهشام وأشار بيده إليه: هى ثلاث نحل! فما مر به إلا ثلاثة أشهر حتى عزل هشام!!

قال مصعب بن عبد الله: كان سعيد بن المسيب رضي الله عنه لا يقبل بوجهه على هشام بن إسماعيل إذا خطب يوم الجمعة، فأمر هشام بعض أعوانه يعطفه عليه إذا خطب، فأهوى العون يعطفه فأبى عليه فأخذه حتى عطفه، فصاح سعيد: يا هشام، إنما هى أربع بعد أربع. فلما انصرف هشام قال: ويحكم جُنّ سعيد، فسئل سعيد أى شيء أربع بعد أربع سمعت في ذلك شيئا؟ قال: لا. فقليل: ما أردت بقولك؟ قال: إن جارىتى لما أردت المسجد قالت لى: إنى رأيت هذه الليلة رؤيا فلا تخرج حتى أقصها عليك وتعبها لى، رأيت كأن موسى غطس عبد الملك في البحر ثلاث غطسات فمات في الثالثة. فأولت أن عبد الملك مات، وذلك أن موسى بعث على الجبارين بقتلهم وعبد الملك جبار هذه الأمة، قيل: فلم قلت أربع بعد أربع؟ قال: مسافة مسير الرسول من دمشق إلى المدينة بالخبر، فمكثوا ثمانى ليالٍ ثم جاء رسول بموت عبد الملك!!

وعن ابن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب رضي الله عنه ففقدني أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها. قال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا، فقلت: أو تفعل؟! قال: نعم، ثم حمد الله وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو ثلاثة، فقممت وما أدرى ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين، فصليت المغرب وكنت وحدي وقدمت عشائي أفطر خبزاً وزيتاً، فإذا الباب يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد، فافكرت في كل إنسان اسمه سعيد، إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد!

فقممت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلى فأتيك، قال: لا أنت أحق أن تؤتي، قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً تزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم آخذ بيدها فدفعها ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعنها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاءوني فقالوا ما شأنك؟ قلت: زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة، فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟! قلت: نعم، وهي ذا في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، ثم دخلت بها.

فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله عز وجل، وأعلمهم بسنة رسوله وأعرفهم بحق زوج! فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيداً وهو في حلقتة فسلمت عليه، فرد على السلام ولم يكلمني حتى تفرق أهل المجلس، فلم يبقَ غيري فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خيراً يا أبا محمد، على ما يحب الصديق ويكره العدو، فقال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي فوجه إلى عشرين ألف درهم. قال عبدالله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب، خطبها عبدالملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف.

قال ميمون بن مهران: قدم عبد الملك بن مروان المدينة، فامتنعت منه القائلة واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر هل في المسجد أحد من حدثنا من أهل المدينة؟ فخرج فإذا سعيد بن المسيب رضي الله عنه في حلقة له، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزّه وأشار إليه بإصبعه ثم ولى، فلم يتحرك سعيد ولم يتبعه، فقال: ما أراه فطِن، فجاء فدنا منه ثم غمزّه وأشار إليه وقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: استيقظَ أمير المؤمنين فقال: انظر في المسجد أحداً من حدثني، فأجب أمير المؤمنين، قال: فأرسلك إليّ؟ قال: لا، ولكن قال: اذهب فانظر بعضَ حدثنا من أهل المدينة، فلم أرَ أحداً أهيأ منك. فقال سعيد: اذهب فأعلمه أنى لست من حدثه، فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنوناً، فأتى عبد الملك فقال له: ما وجدت في المسجد إلا شيخاً أشرت إليه فلم يقم، فقلت له: إن أمير المؤمنين قال: انظر هل ترى في المسجد أحداً من حدثني، فقال: إنى لست من حدث أمير المؤمنين، وقال لى: أعلمه. فقال عبد الملك: ذاك سعيد بن المسيب فدعه..

584- ذكر محمد بن هارون عن أبيه قال: حضرت الرشيد وقال له الفضل بن الربيع: يا أمير المؤمنين قد أحضرت ابن السماك كما أمرتني، قال: أدخله، فدخل فقال له: يا أمير المؤمنين اتق الله وحده لا شريك له، واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله ربك، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين لا ثالث لهما جنة أو نار. فبكى هارون حتى اخضلت لحيته.

فأقبل الفضل [وزير هارون] على ابن السماك رضي الله عنه فقال: سبحان الله، وهل يتخالج أحدا شك في أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله، لقيامه بحق الله وعدله في عباده وفضله. فلم يحفل ابن السماك بقوله ولم يلتفت إليه وقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا، يعنى الفضل بن الربيع، ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم، فاتقِ الله وانظر لنفسك. فبكى هارون حتى أشفقنا عليه، وأفحم الفضل بن الربيع فلم ينطق بحرف حتى خرجنا.

قال: ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً، فبينما هو عنده إذ استسقى ماء، فأتى بقلعة من ماء فلما أهوى بها إلى فيه ليشربها، قال له ابن السماك: على رسولك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة فبكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: اشرب، فلما شربها قال له: أسألك لو منعت خروجها من بدنك فبماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي. فقال ابن السماك رضي الله عنه: إن ملكا قيمته شربة ماء، لجدير ألا ينافس فيه!! فبكى هارون فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف، فانصرف..

585- وصدق القائل:

فعدّك قد ملأت الأرض طرّاً ودان لك العباد فكان ماذا
ألست تموت فى قبر ويحوى تراثك بعد هذا ثم هذا
ومن يقول:

لا تأمن الموت فى طرفٍ ولا نفس وإن تمنّعت بالحجاب والحرس
فما تزال سهام الموت نافذةً فى جنب مدّرعٍ منها ومُتّـرس
أراك ليس بوقافٍ ولا حـنـزٍ كالحاطب الخابط العشاء فى الغلس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقها إن السفينة لا تجرى على يـسـ

586- وحكى أن صالح بن بشير رضي الله عنه، دخل على المهدي وجلس معه على الفراش فقال له:

أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك؟ قال: نعم.

قال: فكانت لهم أعمال ترجو لهم بها النجاة من الله تعالى؟ قال: نعم.

قال: وأعمال تخاف عليهم بها الهلكة؟ قال: نعم.

قال: فانظر ما رجوت لهم فأته، وما خفت عليهم فاجتنبه! قال: قد أبلغت وأوجزت..

587- عن عمر بن الهيام بن سعيد قال: أتت امرأة يوماً شريكاً وهو فى مجلس الحكم

فقال: أنا بالله ثم بالقاضى، امرأة من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبى ﷺ، ورددت الكلام، فقال: أيها عنك الآن من ظلمك؟ قالت: الأمير عيسى بن موسى، كان لى بستان على شاطئ الفرات، لى فيه نخل ورثته عن آبائى وقاسمت إخوتى، وبنيت بينى وبينهم حائطاً، وجعلت فيه رجلاً فى بيت يحفظ لى النخل ويقوم ببستانى، فاشتري الأمير عيسى من إخوتى جميعاً وسامنى فأرغبني فلم أبعه، فلما كان فى هذه الليلة بعث خمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئاً واختلط بنخل إخوتى.

قال: يا غلام طينة، فختم لها خاتماً، ثم قال لها: امضى به إلى بابه حتى يحضر معك. فجاءت

المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على عيسى، فقال: أعديت شريك عليك، قال له: ادع لى صاحب الشرطة؟ فدعا به، فقال: امض إلى شريك فقل له: يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك، امرأة ادعت دعوى لم تصح أعديتها على! فقال: إن رأى الأمير أن يعفينى فليفعل، فقال:

امض ويلك. فخرج فأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش وغير ذلك من آلة الحبس! فلما جاء وقف بين يدي شريك فأدى الرسالة، فقال لصاحبه: خذ بيده فضعه في الحبس، قال: قد والله يا أبا عبد الله عرفت أنك تفعل بى هذا، فقدمت ما يصلحنى إلى الحبس. وبلغ عيسى بن موسى ذلك فوجه بحاجبه إليه، فقال: هذا من ذاك، رسول أى شيء أنت؟ فأدى الرسالة، فألحقه بصاحبه فحبس! فلما صلى الأمير العصر، بعث إلى إسحاق بن صباح الأشعثى وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك، فقال: امضوا إليه وأبلغوه السلام وأعلموه أنه قد استخف بى، فإننى لست كالعامّة فمضوا وهو جالس فى مسجده بعد العصر، فدخلوا إليه فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم، قال لهم: ما لى لا أراكم جئتم فى غيره من الناس؟ من هاهنا من فتيان الحى؟ فابتدروه، فقال: يأخذ كل واحد منكم بيد رجل من هؤلاء فيذهب به إلى الحبس، لا ينم والله إلا فيه.

قالوا: أجاد أنت؟ قال: حقاً، حتى لا تعودوا تحملوا رسالة ظالم، فحبسهم!

فركب عيسى بن موسى فى الليل إلى باب الحبس ففتح الباب وأخذهم جميعاً، فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء، جاء السجان وأخبره، فدعا بالقمطر فختمها ووجه بها إلى منزله، وقال لغلامه: الحقنى بثقلى إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه. ومضى نحو قنطرة الكوفة يريد بغداد. وبلغ عيسى بن موسى الخبر، فركب فى موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله تثبت، انظر إخوانك تحبسهم؟ دع أعوانى، قال: لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجب عليهم المشى فيه ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس وإلا مضيت من فورى إلى أمير المؤمنين فاستعفيته فيما قلدنى.

فأمر بردهم جميعاً إلى الحبس، وهو والله واقف مكانه حتى جاء السجان، فقال: قد رجعوا إلى الحبس.

فقال لأعوانه: خذوا بلجامه قودوه بين يدي إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى دخل المسجد، وجلس مجلس القضاء، ثم قال: أين الجويرية المتظلمة من هذا؟ فجاءت، فقال: هذا خصمك قد حضر، فلما جلس معها بين يديه قال: يخرج أولئك من الحبس قبل كل شيء. ثم قال: ما تقول فيما تدعيه هذه؟ قال: صدقت.

فقال: ترد جميع ما أخذ منها إليها وتبنى حائطها فى أسرع وقت كما هدم؟ قال: أفعل. [فقال شريك للمرأة] أبقى لك شيء؟ قالت المرأة: نعم، بيت الحارس ومتاعه، قال: وبيت الحارس

ومتاعه، فقال شريك: أبقي شيء تدعيه عليه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيراً، قال: قومي، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد عيسى بن موسى فأجلسه في مجلسه، ثم قال: السلام عليك أيها الأمير، تأمر بشيء؟ قال: بأى شيء أمر؟ وضحك..

588- عن عبد الله بن عمرو الرقي قال: كلم ابن هبيرة أبا حنيفة عليه السلام أن يلى له قضاء الكوفة، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط!! في كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله، وكان ابن هبيرة عاملاً على العراق في زمن بنى أمية. وعن الربيع بن عاصم قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة، فقدمت بأبى حنيفة فأرادته على بيت المال فأبى فضربه أسواط!!

وعن معتب قال خارجه بن يزيد: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة إلى القضاء، فأبى عليه فحبسه، ثم دعا به فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال أبو حنيفة: أصلح الله أمير المؤمنين لا أصلح للقضاء. فقال له: كذبت.

ثم عرض عليه الثانية، فقال أبو حنيفة: قد حكم على أمير المؤمنين أنى لا أصلح للقضاء لأنه نسبني إلى الكذب. فإن كنت كذاباً فلا أصلح للقضاء، وإن كنت صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أنى لا أصلح، فردده في الحبس.

وعن الربيع بن يونس قال: رأيت المنصور ينزل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله ولا تشرك في أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب ولا أصلح لذلك، فقال له: كذبت أنت تصلح، فقال: قد حكمت على نفسك فكيف يحل لك أنت تولى قاضياً على أمانتك وهو كذاب. وعن بشر بن الوليد الكندي قال: أشخص المنصور أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد فأرادته على أن يوليه القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا، فحلف المنصور ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل! فقال الربيع الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف؟! قال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيأنه أقدر منى على كفارة أيأني، فأمر به إلى السجن في الوقت، والصحيح أنه توفي وهو في السجن!

589- وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدة عمره، فرأى في منامه كأن خيلاً أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمسة، فاستفتى العلماء [علماء السلطان] في ذلك، فتأولوها بخمس سنين، وبخمس أشهر. حتى قال أبو حنيفة رحمه الله: تأويلها أن مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها

إلا الله، وأن ما طلب معرفته لا سبيل إليه {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} (1). أيان مرساها {وَيُنَزَّلُ
الْغَيْثَ} (2). في إبانه من غير تقديم ولا تأخير وفي بلد لا يتجاوزه به {وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ} (3).
أذكر أم أنثى أتام أم ناقص، وما سوى ذلك من الأحوال {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ} (4). برة أو فاجرة
{مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} (5). من خير أو شر، وربما كانت عازمة على خير فعملت شراً. وعازمة على
شر فعملت خيراً {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} (6). أين تموت، وربما أقامت بأرض
وضربت أوتادها وقالت: لا أبرحها وأقبر فيها. فترمى بها مرامي القدر، حتى تموت في مكان لم
يخطر ببالها، ولا حدثتها به ظنونها..

590- قال الحسن بن عرفة: دخلت على أحمد بن حنبل رحمته الله بعد المحنة فقلت له: يا أبا
عبدالله قمت مقام الأنبياء، فقال لي: اسكت فإنني رأيت الناس يبيعون أديانهم ورأيت العلماء ممن
كان معي يقولون ويميلون!! فقلت: من أنا وما أنا وما أقول لربي غدا إذا وقفت بين يديه جل
جلاله فقال لي: بعت دينك كما باعه غيرك، ففكرت في أمري ونظرت إلى السيف والسوط
فاخترتهما وقلت: إن أنا مت صرت إلى ربي عز وجل فأقول دعيت إلى أن أقول في صفة من
صفاتك مخلوقة فلم أقل، فالأمر إليه إن شاء عذب وإن شاء رحم، فقلت: وهل وجدت
لأسواطهم ألماً؟ قال لي: نعم، وتجلدت إلى أن تجاوزت العشرين ثم لم أدر بعد ذلك، فلما حل
العقaban كأني لم أجد له ألماً وصليت الظهر قائماً. قال الحسن: فبكيت، فقال لي: ما يبكيك؟ قلت:
بكيت مما نزل بك، قال: أليس لم أكفر ما أبالي لو تلفت..

591- حدثنا محمد الحنفى قال: كنت في الدار وقت أدخل أحمد بن حنبل رحمته الله وغيره من
العلماء فلما مد أحمد ليضرب بالسوط، دنا منه رجل، فقال: يا أبا عبد الله أنا رسول خالد الحداد
من الحبس، يقول لك: اثبت على ما أنت عليه، وإياك أن تجزع من الضرب، فإنني قد ضربت ألف
حد في الشيطان، وأنت تضرب في سبيل الله تبارك وتعالى!

(1) سورة لقمان آية 34.

(2) سورة لقمان آية 34.

(3) سورة لقمان آية 34.

(4) سورة لقمان آية 34.

(5) سورة لقمان آية 34.

(6) سورة لقمان آية 34.

592- يقول الشعراني في كتابه: الشيخ الإمام الصالح الورع الزاهد شمس الدين الديروطي الواعظ رحمه الله: كان في الجامع الأزهر أيام السلطان قانصوه الغوري، وكان رحمه الله مهابا عند الملوك والأمراء ومن دونهم، زاهدا ورعا مجاهدا صائما قائما آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وقد حضرت مجلس وعظه في الجامع الأزهر مرات فرأيتة مجلسا تفيض فيه العيون، وكان إذا تكلم أنصتوا بأجمعهم، وكان يحضرها أكابر الدولة وأمراء الألوف فكان كل واحد يقوم من مجلسه متخشعا صغيرا ذليلا رحمه الله.

وكان إذا مرَّ في شوارع مصر يتزاحم الناس على رؤيته، وكان رحمه الله يختفى إذا شاء في بيته أو غيره، وكان شجاعا مقداما في كل أمر مهم. حط مرة على السلطان الغوري في ترك الجهاد، فأرسل السلطان خلفه فلما وصل إلى مجلسه قال للسلطان: السلام عليكم ورحمة الله فلم يرد عليه، فقال: إن لم ترد السلام فسقت وعزلت!

فقال: وعليكم السلام ورحمة الله ثم قال: علام تحط علينا بين الناس في ترك الجهاد وليس لنا مراكب نجاهد فيها؟ فقال: عندك المال الذي تعمّر به.. وطال بينهما الكلام، فقال الشيخ للسلطان: قد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان، أما تذكر حين كنت نصرايا ثم أسروك وباعوك من يد إلى يد ثم من الله عليك بالحرية والإسلام، ورقاك إلى أن صرت سلطانا على الخلق، وعن قريب يأتيك المرض الذي لا ينجع فيه طب ثم تموت وتكفن ويحفرون لك قبرا مظلمًا ثم يدس أنفك هذا في التراب! ثم تبعث عريانا عطشانا جيعانًا، ثم توقف بين يدي الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة، ثم ينادى المنادى من كان له حق أو مظلمة على الغوري فليحضر؟ فيحضر خلائق لا يعلم عدتها إلا الله تعالى.

فتغير وجه السلطان من كلامه، فقال: كاتب السر وجماعة السلطان، الفاتحة يا سيدي الشيخ، خوفا على السلطان أن يختل عقله. فلما ولى الشيخ وأفاق السلطان قال: ائتوني بالشيخ؟ فعرض عليه عشرة آلاف دينار يستعين بها على بناء البرج الذي في دمياط فردها عليه، وقال: أنا رجل ذو مال لا أحتاج إلى مساعدة أحد، وإن كنت أنت محتاجا أقرضتك وصبرت عليك، فما روى أعز من الشيخ في ذلك المجلس ولا أذل من السلطان!!

هكذا كان العلماء العاملون، لم يأخذ قط معلوم وظيفة من وظائف الفقهاء، وكان ينفر طلبته من أكل أوقاف الناس وقبول صدقاتهم ويخبرهم أنها تسود وجه قلوبهم، رحمه الله.

وله من المصنفات شرح منهاج النووى فى الفقه، وشرح الستين مسألة، وكتاب القاموس فى الفقه، وشرح قطعة من الإرشاد لابن المقرئ، وكان متواضعا مع من قرأ عليهم القرآن وهو صغير ولم يصده ما وصل إليه من العلوم والمعارف والشهرة عن ذلك، ولقد رأيته مرة راكبا فنزل وقبل يد أعمى تقوده ابنته!

فقلت له: من هذا؟ فقال: هذا أقرأنى وأنا صغير حزبين من القرآن، فما أقدر قط أن أمر عليه وأنا راكب، وأخبر زوجته أن ولدها حمزة يقتل شهيدا وأنه يأتيه مدفع فيطير رأسه معه فكان كما قال! وأخبر أن ولده سرى يعيش صالحا ويموت على ذلك. ولما حضرته الوفاة أخبر والدته أنه يموت فى تلك الرقدة فقالت له: من أين لك علم هذا؟ فقال: أخبرنى بذلك الخضر عليه السلام فكان كما قال!! فكانت والدته تحب أنها لما حملت به رأت النبى ﷺ وأعطاهما كتابا فكان الكتاب هو الشيخ، وأخبرنى ولده سرى فسح الله فى أجله أن والدته رأت الشيخ بعد مماته فقالت له: ما وقع لك مع منكر ونكير؟ فقال: كلمونا بكلام مليح وأجبناهم بجواب فصيح، توفى ﷺ فى ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وله من العمر نيف وخمسون سنة ودفن بزاويته بدمياط..

593- حدثنا العباس بن مشكويه الهمدانى ﷺ قال: أدخلت على الخليفة الواثق أنا وجماعة من أهل العلم، فأقبل بالمسألة على من بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين إني رجل مروع ولا عهد لي بكلام الخلفاء من قبلك، فقال: لا ترع ولا بأس عليك، ما تقول فى القرآن؟ فقلت: كلام الله غير مخلوق، فقال: أشهد لتقولن مخلوقا أو لأضربن عنقك، فقلت: إنك إن تضرب عنقى، فإنك فى موضع ذلك إن جرت به المقادير من عند الله، فتثبت على يا أمير المؤمنين، فإما أن أكون عالما فتثبت حجتي، وإما أن أكون جاهلا فيجب عليك أن تعلمنى لأنك أمير المؤمنين وخليفة الله فى أرضه. فقال: أما تقرأ { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } ⁽¹⁾. { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرُهُ تَقْدِيرًا } ⁽²⁾. قلت: يا أمير المؤمنين الكلية فى كتاب الله خاص أم عام؟ قال: عام. قلت: لا، بل خاص، قال الله عز وجل: { وَأَوْثَقْتُ مِنَ كُلِّ شَيْءٍ } ⁽³⁾. فهل أوتيت ملك سليمان ﷺ؟ فحذفتنى بعمود كان بين يديه، ثم قال: أخرجوه فاضربوا عنقه، فأخرجت إلى قبة قريبة منه، فشد عليها كتافى، فنادت:

(1) سورة القمر آية 49.

(2) سورة الفرقان آية 2.

(3) سورة النمل آية 23.

يا أمير المؤمنين إنك ضارب عنقي وأنا متقدمك فأعد للمسألة جوابا، فقال: أخرجوا الزنديق وضعوه في أضيق المحابس، فأخرجت إلى دار العامة، فإذا أنا بابن أبي دؤاد [لعنه الله يجبر] وينظر الناس على خلق القرآن، فلما نظر إلى قال: يا خرمي، قلت: أنت والذين معك شيعة الدجال! فحبسني في سجن ببغداد يقال له: المطبق، فأرسل إلى جماعة من العلماء رقعة يشجعونني ويثبتونني على ما أنا عليه، فقرأت ما بها، فإذا فيها:

عليك بالعلم واهجر كل مبتدع	وكل غاو إلى الأهواء ميال
ولا تميلن يا هذا إلى بدع	يضل أصحابها بالقييل والقال
إن القرآن كلام الله أنزلـه	ليس القرآن بمخلوق ولا بال
لو أنه كان مخلوقا لصيره	ريب الزمان إلى موت وإبطال
وكيف يبطل ما لا شيء يبطله	أم كيف يبلى كلام الخالق العالـي
وهل يضيف كلام الله من أحد	إلى البلى غير ضلال وجهال
فلا تقل بالذي قالوا وإن سفهوا	وأوثقوك بأقياد وأغلال
ألم ترالعالم الصبار حيث بلى	بالسوط هل زال عن حال إلى حال
فاصبر على كل ما يأتى الزمان به	فالصبر سرياله من خير سربال
يا صاحب السجن فكرفيم تحبسه	أقاتل هو أم عون لقتال
أم هل أتيت به رأسا لرافضة	يرى الخروج لهم جهلا على الوالي
أم هل أصيب على خمرومعرفة	يصرف الكأس فيها كل ضلال
ما هكذا هو بل لكنه	ورع عـفـيف عـن الأعراض والمال

ثم ذكرني [الواثق] بعد أيام وأخرجني من السجن وأوقفني بين يديه، وقال: عساك مقبلا على الكلام الذى كنت سمعته منك؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين إنى لأدعوربى تبارك وتعالى فى ليل ونهارى ألا يميئنى إلا على ما كنت سمعته منى، قال: أراك متمسكا؟ قلت: ليس هو شيء قلته من تلقاء نفسى، ولكنه شيء لقيت فيه العلماء بمكة والمدينة والبصرة والشام والثغور، فرأيتهم على السنة والجماعة. فقال لى: وما السنة والجماعة؟ قلت: سألت عنها العلماء فكل يخبر

ويقول: إن صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة أن يكون العبد مخلصاً بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاءت الأنبياء والرسول [وبما أنزل الله من كتب]، ويشهد العبد على ما ظهر من لسانه وعقد عليه قلبه، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله، ويعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن الله عز وجل قد علم من خلقه ما هم فاعلون، وما هم إليه صائرون، فريق في الجنة وفريق في السعير، وصلاة الجمعة والعيدين خلف كل إمام بر وفاجر، وصلاة المكتوبة من غير أن تقدم وقتاً أو تؤخر وقتاً، والحب والبغض لله وفي الله، وأن تقول بلسانك وتعلم يقيناً بقلبك، أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضوان الله عليهم والإيمان بالبعث والنشور، وعذاب القبر، ومنكر ونكير، والصراف والميزان، وأن الله عز وجل يخرج أهل الكبائر من هذه الأمة من النار، وأنه لا يخلد فيها إلا مشرك، وأن أهل الجنة يرون الله عز وجل بأبصارهم، وأن القرآن كلام الله [كامل تام غير منقوص و] غير مخلوق وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون. فلما سمع هذا منى أمر بى فقلع لى أربعة أضراس!! وقال: أخرجوه عنى حتى لا يفسد على ما أنا فيه، فأخرجت فلقيت أحمد بن حنبل رحمه الله فسألنى عما جرى بينى وبين الخليفة؟ فأخبرته، فقال: لا ينسى الله لك هذا المقام حين تقف بين يديه. ثم قال: ينبغى أن نكتب هذا على أبواب مساجدنا ونعلمه أهلنا وأولادنا، ثم التفت إلى ابنه صالح، فقال: اكتب هذا الحديث واجعله فى رق أبيض واحتفظ به واعلم أنه من خير حديث كتبه، إذا لقيت الله يوم القيامة تلقاه على السنة والجماعة.

قال أبو بكر الأعين: كنت عند عفان بن مسلم رحمه الله وقد دعاه إسحاق لهذا الأمر، فقال: أعطونى ثيابى، فجاءوه بقميص جديد، فقال لهم: هذا يكون لكم هاتوا قميصاً خلقاً؟ فألبسته إياه، يعنى: لضرب العنق.

أخبرنا على بن سهل بن المغيرة البزاز قال: لما امتحن [الوالي] إسحاق بن إبراهيم، عفان رحمه الله بكتاب المأمون، وكان المأمون يجرى على عفان كل شهر خمسمائة درهم، وكان إسحاق يجرى عليه ثلاثمائة درهم، فكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم: امتحن عفان، فإن أجاب إلى خلق القرآن، فأجر عليه ما كنا نجرى، وإن لم يجب فأسقط عنه ما كان يجرى عليه، فبعث إسحاق فأحضره، وقرأ عليه كتاب المأمون فأبى أن يجيب، فقال له إسحاق: يا شيخ إنه يقطع عنك ما كان يجرى

عليك إن لم تحب، فلا أدري ما رد عليه. قال علي بن سهل: فأحسن إسحاق في أمره، وكتب إلى المأمون أنه شيخ كبير مريض، وقد امتحنه فلم يجيب، ولا أحسب يصل كتابي إلى أمير المؤمنين إلا وقد توفي..

594- قال الحسين بن ديزيل: لما دعى عفان عليه السلام للمحنة كنت آخذ بلجام حماره، فلما عرض عليه القول امتنع أن يجيب، فقليل له: يجبس عطاؤك؟ فقال: وفي السماء رزقكم وما توعدون، فلما رجع إلى داره عذلوه ونساؤه ومن في داره! وكان في داره نحو أربعين إنسانا، فدق عليه داق الباب فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات ومعه كيس في ألف درهم فقال: يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين وهذا في كل شهر..

595- هذا الشيخ عبد القادر الكيلاني: يقف على منبره محاسبا المقتفى لأمر الله ومنكرا عليه توليه يحيى بن سعيد المشهور بابن المزاحم الظالم القضاء فقال له مخاطبا: ولّيت على المسلمين أظلم الظالمين ما جوابك غدا عند أرحم الراحمين؟ فارتعد الخليفة وعزل المذكور لوقته.

596- لما قفل أبو جعفر من حجه سنة ثمان وأربعين ومئة، سأل عن عبيد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عليه السلام وهو الفقيه المعروف بعبيد الله العمرى فقليل له: إنه لم يحج العام يا أمير المؤمنين، ولو حج لكان أول داخل عليك، فلا يقدر فيه عندك إلا باطلاً أو كذاب فإنه من علمت. فقال أبو جعفر: والله ما تخلف عن الحج في عامه هذا إلا علما منه بأني حاج فلذلك تخلف، ولا والله ما زاده ذلك عندى إلا شرفا ورفعة، وإنى من التوقير له والإجلال بحال لا إخال أحدا من الناس بذلك لشرفه في قریش وعظيم منزلته من هذا الأمر والموضع الذى جعله الله فيه والمكان الذى أنزله به.

فلما قدم أبو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمرى، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبى جعفر أمير المؤمنين من عبيد الله بن عمر، سلام الله عليك ورحمة الله التى اتسعت فوسعت من شاء، أما بعد، فإنى عهدتك وأمر نفسك لك مهم، وقد أصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها وأبيضها وشريفها ووضيعها، يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق، فانظر كيف أنت عند الله يا أبا جعفر، وإنى أحذرك يوما تفنى فيه الوجوه والقلوب، وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته وأذلهم بسلطانه، والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه وإنا كنا

نتحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنى أعوذ بالله أن تنزل كتابي سوء المنزل، فإنى إنما كتبت به نصيحة والسلام.

فأجابه أبو جعفر المنصور من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين إلى عبيد الله بن عمر بن حفص سلام عليك، أما بعد، فإنك كتبت إلى تذكر أنك عهدتني وأمر نفسي لى مهم فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة بأسرها، وكتبت تذكر أنه بلغك أن أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، ولست إن شاء الله من أولئك، وليس هذا زمان ذلك، إنما ذلك زمان تظهر فيه رغبة بعض الناس إلى بعض صلاح دنياهم أحب إليهم من صلاح دينهم! وكتبت تحذرنى ما حذرت به الأمم من قبلى، وقديماً كان يقال: اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتیان بكل موعود، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار. وكتبت تتعوذ بالله أن تنزل كتابك سوء المنزل، وأنت إنما كتبت به نصيحة فصدقت وبررت، فلا تدع الكتب إلى فإنه لا غنى بى عن ذلك والسلام.

قال سعيد بن سليمان: كنت فى مكة فى زقاق، وإذا جنبنى عبد الله بن عبد العزيز العمري رضي الله عنه، وقد حج هارون الرشيد، فقال له إنسان: يا أبا عبد الرحمن، هو ذا أمير المؤمنين يسعى وقد أدخل له المسعى! فقال العمري للرجل: لا جزاك الله عنى خيراً كلفتني أمراً كنت عنه غنياً، يعنى ما دام أخبرتنى أن أمير المؤمنين فى المسعى، فقد كلفتني بأمر عظيم كنت فى سعة منه غنياً عنه، وهو أن أقوم إلى أمير المؤمنين فأمره بالمعروف وأنهاه عن المنكر. ثم أخذ نعليه معه وقام، قال: فتبعته، وأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا، فصاح فيه العمري رحمه الله: يا هارون، فلما نظر إليه هارون قال: لبيك يا عم، قال: ارق الصفا، فرقى هارون الرشيد، فلما رقيه، قال له العمري: ارم بطرفك وانظر إلى الكعبة؟

قال: قد فعلت، قال: كم هم الذين يطوفون حول الكعبة؟

قال هارون: ومن يحصيهـم؟

قال: فكم من الناس مثلهم غيرهم؟ قال: خلق لا يحصيهـم إلا الله.

قال العمري: اعلم يا هارون الرشيد أن كل واحد من هؤلاء يُسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم يوم القيامة، فانظر كيف تكون؟ فبكى هارون الرشيد وجلس، وجعلوا يعطونه منديلاً للدموع. قال العمري: وأخرى أقولها لك يا هارون، قال: قل يا عم. قال:

والله إن الرجل ليسرف في ماله، فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن يسرف في بيت مال المسلمين؟! ثم مضى وهارون يبكي..

597- كان أحمد بن طولون يحب العلماء ويحضرهم مجلسه، وأراد أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني الفقيه صاحب الشافعي أن يحضر، فامتنع عليه زهداً وتورعاً، فتهدده بهدم داره، فلم يجبه عليه، فأمر [ابن طولون] حاجبه سوار بهدمها! [فلما وصل إلى الدار ليهدمها] قام المزني مع سوار يريه حدودها حين تقدم، وقال له: لا تهدم هذا الجدار فليس هو لي!! فعاد سوار فأخبره، فعظم في قلب أحمد بن طولون، وقلق إلى رؤيته. وكان أحمد بن طولون يحضر جنازة وجوه البلد وصالحهم وأشرفهم، ويتولى الصلاة بنفسه، فحضر يوماً جنازة فقيل له: هذا أبو إبراهيم المزني في الجنازة، فقال: أرونيه من غير أن يعلم لئلا يتأذى، فأروه إياه!!

598- عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه عليه يقول: أتى برجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك من الملوك كان يجبر الناس على أكل لحوم الخنازير، فلما أتى به أعظم الناس مكانه وهالهم أمره، فقال له صاحب شرطة الملك سرا بينه وبينه: أيها العالم اذبح جدياً مما يحل لك أكله، ثم ادفعه إلى حتى أصنعه لك على حدته، فإذا دعى الملك بلحم الخنزير، أمرت به فوضع ين يدك فتأكل منه حالاً، ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير.

فذبح ذلك العالم جدياً ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير، أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدي، واجتمع الناس لينظروا أمر هذا العالم أياً أكل أم لا. وقالوا: إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا.

فجاء الملك فدعا لهم بلحوم الخنازير فوضعت بين أيديهم، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدي الحلال المذكي، فألهم الله ذلك العالم فألقى في روعه وفكره فقال [لنفسه]: هب أنى أكلت لحم الجدي الذي أعلم أنا حله فماذا أصنع بمن لا يعلم؟ والناس إنما ينتظرون أكل ليقتدوا بي، وهم لا يعلمون إلا أنى إنما أكلت لحم الخنزير، فيأكلون اقتداء بي، فأكون ممن يحمل أوزارهم يوم القيامة، لا أفعل والله وإن قتلت وحرقت بالنار، وأبى أن يأكل! فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه ويومئ إليه ويأمره بأكله، فأبى أن يأكل، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى، فألحوا عليه فأبى، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله. فلما ذهبوا به ليقتلوه قال له صاحب الشرطة: ما منعك أن تأكل من اللحم الذي ذكيتك أنت ودفعته إلي؟ أظننت أنى أتيتك بغيره وخنتك فيما

اتتمنتنى عليه ما كنت لأفعل والله، فقال له العالم: قد علمت أنه هو ولكن خفت أن يتأسى الناس بى وهم إنما ينتظرون أكلى منه، ولا يعلمون إلا أنى إنما أكلت لحم الخنزير، وكذلك كل من أريد على أكله فيها يأتى من الزمان يقول: قد أكله فلان، فأكون فتنة لهم فقتل رحمه الله..

599- لما ولى الحكم المستنصر بن الناصر، اتسع نطاق قرطبة وكثر أهلها، وتبين الضيق فى جامعها لم يقدم شيئا على النظر فى الزيادة، فبلغ الجهد وزاد الزيادة العظمى وبها كملت محاسن هذا الجامع وصار فى حد يقصر الوصف عنه، وذكر مشاورته العلماء فى تحريف القبلة إلى نحو المشرق، حسبما فعل والده الناصر فى قبلة جامع الزهراء! لأن أهل التعديل يقولون بانحراف قبلة الجامع القديمة إلى نحو الغرب. فقال له الفقيه أبو إبراهيم رحمه الله: يا أمير المؤمنين، إنه قد صلى إلى هذه القبلة خيار هذه الأمة من صلحاء المسلمين وعلمائهم، منذ افتتحت الأندلس إلى هذا الوقت، متأسين بأول من نصبها من التابعين، كموسى بن نصير وحنش الصنعانى وأمثالهم، رحمهم الله تعالى، وإنما فضل من فضل بالاتباع، وهلك من هلك بالابتداع، فأخذ الخليفة برأيه وقال: نعم ما قلت، وإنما مذهبنا الاتباع..

600- خلف بن أيوب العامرى البلخى الفقيه مفتى بلخ وزاهدها رحمه الله، سمع مالكا والثورى وغيرهما، صدوق مشهور بخراسان، روى عنه جماعة من الرازيين، كان يوصف بالستر والصلاح والزهد، وكان فقيها على رأى الكوفيين، توفي بعد الثمانين. قال الحاكم: زاره صاحب بلخ فأعرض عنه!!

601- قال أبو الحسن شجاع المدلجى رحمه الله وكان من خيار عباد الله: كان شيخنا ابن الحطيفة رحمه الله شديدا فى دين الله، فظا غليظا على أعداء الله، ولقد كان يحضر مجلسه داعى الدعاة مع عظم سلطنته ونفوذ أمره فلا يحتشمه ولا يكرمه ويقول: أحق الناس فى مسألة، كذا الروافض خالفوا الكتاب والسنة وكفروا بالله، وكنت عنده يوما فى مسجده بمصر وقد حضر بعض وزراء المصريين، أظن ابن عباس، فاستسقى فى مجلسه، فأتاه بعض غلمان به إناء فضة، فلما رآه ابن الحطيفة وضع يده على فؤاده وصرخ صرخة ملأت المسجد وقال: وأحراها على كبدى، أتشرب فى مجلس يقرأ فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آنية الفضة؟! لا والله لا تفعل وطرد الغلام، فخرج، ثم طلب كوزا، فجاء بكوز قد تتلم فشرب واستحيا من الشيخ، فرأيته والله كما قال الله تعالى: يتجرعه ولا يكاد يسيغه! وكان ينسخ بالأجرة ولا يقبل لأحد قط هدية، وكان له على الجزية فى الشهر ثلاثة

دنابير، ولقد عرض عليه غير واحد من الأمراء أن يزيد جامكيته فما قبل، وكان له من الموقع في قلوبهم مع كثرة ما يبينهم ما لم يكن لأحد سواه! وعرضوا عليه القضاء بمصر فقال لا والله لا أفضى لهم! قال شيخنا شجاع المدلجى: كتب صحيح مسلم كله بقلم واحد..

602- قال على بن الحسين بن الجنيد: سمعت أبا مصعب يعظم ابن وهب رحمه الله قال: ومسائل ابن وهب عن مالك صحيحة. وقال هارون بن عبد الله الزهرى: كان الناس بالمدينة يختلفون في الشيء عن مالك فينتظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه. وقال بن عدى: ابن وهب من أجلة الناس وثقاتهم، وحديث الحجاز ومصر يدور على رواية: ابن وهب، جمع لهم مسندهم ومقطوعهم، ولا أعلم له حديثا منكرا إذا حدث عنه ثقة من الثقات. وقال يونس بن عبد الأعلى: عرض على ابن وهب القضاء فجتن نفسه ولزم بيته.

وقال أحمد بن عبد الرحمن بحشل: طلب عباد بن محمد الأمير عمى ليوليه القضاء، فتغيب عمى، فهدم عباد بعض دارنا!! فقال الصباحى لعباد: متى طمع هذا الكذا والكذا أن يلى القضاء، فبلغ ذلك عمى فدعا عليه بالعمى، قال: فعمى الصباحى بعد جمعة. [يا سبحان الله يرفض أن يلى القضاء فتهدم دار له عقابا له على رفضه، فما بالكم بمن يسعون سعيا حثيثا مدعين متدربين بمظاهر التقوى والعلم والصلاح طمعا في الدنيا، ليتولوا المناصب ولتغدق عليهم الألقاب والأموال، ولتظهر صورهم وأحاديثهم على الملأ!] وقال الحارث بن مسكين رحمه الله: جمع ابن وهب الفقه والرواية والعبادة، ورزق من العلماء محبة وحظوة من مالك وغيره. وقال: ما أتيت قط إلا وأنا أفيد منه خيرا، وكان يسمى ديوان العلم.

قال ابن القاسم: لو مات ابن عيينة رحمه الله لضربت إلى ابن وهب أكباد الإبل، ما دون العلم أحد تدوينه، وكانت المشيخة إذا رآته خضعت له. وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: كان ابن وهب يمنع الروع من الفتيا. وعن ابن وضاح قال: كان مالك رحمه الله يكتب إلى عبد الله بن وهب فقيه مصر وما كتبها مالك إلى غيره.

وقال سحنون رحمه الله: كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثا: ثلث في الرباط وثلث يعلم الناس وثلث يحج. وقال النسائي رحمه الله: ثقة ما أعلمه روى عن الثقات حديثا منكرا. وقال الربيع بن سليمان: سمعت ابن وهب وقيل له: فلان حدث عنك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين، قال: أعماه الله إن كان كاذبا، فأخبرني أحمد بن عبد الرحمن أن الرجل عمى.

وعن خالد بن خدّاش قال: قرئ على ابن وهب كتاب أهوال يوم القيامة [وهو من تصنيف ابن وهب نفسه ﷺ] فخر مغشياً عليه، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام، قال: فترى والله أعلم أنه انصدع قلبه فمات بمصر سنة سبع وتسعين ومائة..

603- وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: حدثنا أبو حازم أن سليمان بن هشام بن عبد الملك قدم المدينة فأرسل إلى أبي حازم ﷺ فدخل عليه فقال: فسلمت وأنا متكئ على عصاى، فقيل: ألا تتكلم؟! قلت: وما أتكلم به! ليست لى حاجة فأتكلم فيها، وإنما جئت لحاجتكم التى أرسلتم إلى فيها، وما كل من يرسل إلى آتية، ولولا الخوف من شرّك ما جئتك! إني أدركت أهل الدنيا تبعاً لأهل العلم حيث كانوا، يقضى أهل العلم لأهل الدنيا حوائج دنياهم وأخراهم، ولا يستغنى أهل الدنيا عن أهل العلم لنصيبتهم من العلم، ثم حال الزمان، فصار أهل العلم تبعاً لأهل الدنيا حيث كانوا، فدخل البلاء على الفريقين جميعاً، ترك أهل الدنيا النصيب الذى كانوا يتمسكون به من العلم، حيث رأوا أهل العلم قد جاؤوهم، وضيع أهل العلم جسيم ما قسم لهم باتباعهم أهل الدنيا..

604- حدثنا يوسف بن أسباط أن [سليمان بن هشام] أرسل إلى أبي حازم سلمة بن دينار ﷺ فأتاه وعنده الإفريقى والزهرى وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم؟ فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شر العلماء من أحب الأمراء، وأنه فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم! وكان الأمراء يأتون العلماء فى بيوتهم فيسألونهم وكان فى ذلك صلاح للأمراء وصلاح للعلماء. فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء؟ فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم ورخصوا لهم وأعطوهم فقبلوا منهم. فتجرات [أشباه] العلماء على الأمراء وتجرات الأمراء على [أشباه] العلماء. لقد أتى اليوم العلماء الأمراء وركنوا إليهم، واشتهوا ما فى أيديهم. فقالت الأمراء: ما طلب هؤلاء ما فى أيدينا، حتى كان ما فى أيدينا خيراً مما فى أيديهم، فكان فى ذلك فساد للفريقين كليهما، فقال سليمان بن هشام: صدقت والذى لا إله إلا هو ولأزهدن فى الزهرى من بعد اليوم..

605- العالم الفاضل سيد أحمد بن عبد الله الفريمى ﷺ: لقي السلطان محمد خان يوماً وقد خرج من قسطنطينية متوجهاً إلى أدرنه، فسأله السلطان عن أحوال مدينة فريم؟ فقال: كنا نسمع

أن بها ستمائة مفتى وثلاثمائة مصنف وأنها بلدة عظيمة معمورة بالعلم والصلاح وقد اندركت! قال السلطان: وما كان سبب خرابها؟ قال: وزيرك، أهان العلماء فتفرقوا، والعلماء بمنزلة القلب من البدن، فإذا عرضت للقلب آفة، سرى الفساد إلى سائر البدن، فقال السلطان لبعض خدامه: ادع لي الوزير محمود باشا؟ فأتى وحكى له السلطان ما قال الفريمي فقال الوزير: لا بل من السلطان! قال: لم؟! قال: لأي شيء استوزر مثلي؟ فقال: صدقت..

606- لما قتل جنود قهاج، محمد بن يحيى الفقيه ؑ الذي لم يكن في زمانه مثله، وكانت رحلة الناس من أقصى الغرب والشرق إليه، رثاه أبو الحسن علي بن أبي القاسم البيهقي فقال:

يا سافكا دم عالم متبحر —————
قد طارفى أقصى الممالك صيته

بإله قل لى يا ظلوم ولا تخف —————
من كان محيى الدين كيف تميته

607- قال المدائنى: دخل على عمر بن عبد العزيز ؑ سالم السندي ؑ وكان من خاصته، فقال له: أسرك ما أوليت أم ساءك؟ قال: سرني للناس وساءني لك، قال: إني أتخوف أن أكون قد أوبقت نفسي، قال: ما أحسن حالك إن كنت تخاف، إنما أخاف عليك ألا تخاف، قال: عظني؟ قال: إن آدم أخرج من الجنة بخطيئة، فتدبر أمرك واحفظ نفسك..

608- دخل يزيد الرقاشي ؑ على عمر بن عبد العزيز ؑ فقال له: يا أمير المؤمنين ليس بين آدم وبينك ممن ولدك أب حى، قال: زدني؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما أنت بأول خليفة يموت، قال: زدني؟ قال: ليس بين الجنة والنار منزلة. فبكى عمر ؑ. ودخل عليه رجل وبين يديه كانون فيه نار فقال: يا أمير المؤمنين، ما ينفعك من دخل الجنة إذا دخلت أنت النار، وما يضررك من دخل النار إذا دخلت أنت الجنة. فبكى عمر ؑ حتى طفق الكانون الذى كان بين يديه من دموعه. وكتب الحسن البصرى ؑ إلى عمر بن عبد العزيز ؑ أما بعد، فإن الأهوال العظام والمفطعات من الأمور كلها أمامك، لم تقطع منها شيئاً بعد، ولا بد والله من معاينة ذلك ومشاهدته، فإما بالسلامة وإما بالعطب، وكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل، وكأن ما هو كائن قد كان، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته..

609- ولما حج سليمان بن عبد الملك قال: انظروا لي فقيهاً أسأله عن بعض المناسك؟ فخرج الحاجب يلتمس له فمرّ طاووس ؑ فقالوا: هذا طاووس اليماني، فأخذه الحاجب فقال: أجب أمير المؤمنين؟ فقال: اعفني؟ فأبى وأدخله عليه، قال طاووس: فلما وقفت بين يديه قلت:

إن هذا المقام يسألني الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن صخرة كانت على شفير جهنم، هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها أتدري لمن أعدها الله؟

قال: لا ويليك لمن أعدها الله؟

قلن: لمن أشركه الله في حكمه فجار.

وفي رواية ذكرها الزهري: أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت له جمال وكمال، فقال: من هذا يا زهري؟ فقلت: هذا طاووس، وقد أدرك عدة من الصحابة، فأرسل إليه سليمان فأتاه فقال: لو حدثتنا؟ فقال: حدثني أبو موسى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: إن أهون الخلق على الله عز وجل، من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم⁽¹⁾. فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال: لو حدثتنا؟ فقال: حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ثم قال: إن لكم على قريش حقاً ولهم على الناس حق، ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا اتتمنوا أدوا، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً⁽²⁾. فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال: لو حدثتنا؟ فقال: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله: { وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ }⁽³⁾. فقال عمر ابن عبد العزيز لطاووس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين سليمان؟ فقال طاووس: ما لي إليه من حاجة فكأنه عجب من ذلك، قال سفيان الثوري رضي الله عنه: حلف لنا إبراهيم وهو مستقبل الكعبة، ورب هذا البيت، ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاووس..

610- ذكر الإمام ابن بليان والغزالي وغيرهما، أن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثوري رضي الله عنه فإنه لم يأته وكان بينه وبينه صحبة، فشق عليه ذلك، فكتب إليه الرشيد كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون أمير المؤمنين، إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري، أما بعد يا أخى، فقد علمت أن الله أخى بين المؤمنين، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك، ولم أقطع منها ودك، وإنى منطو لك على أفضل المحبة وأتم

(1) البداية والنهاية ج 9 ص 238.

(2) مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 183 رقم 12923.

(3) سورة البقرة آية 281.

الإرادة، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى، لأتيتك ولو حبوا، لما أجد لك فى قلبى من المحبة، وأنه لم يبق أحد من إخوانى وإخوانك إلا زارنى وهنأنى بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيهم المواهب السنية ما فرحت به نفسى، وقرت به عينى، وقد استبطأتك، وقد كتبت كتابا منى إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك، وقد علمت يا أبا عبد الله، ما جاء فى فضل زيارة المؤمن ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابى هذا فالعجل العجل. ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى، وأمره بإيصاله إليه وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به. قال عباد: فانطلقت إلى الكوفة، فوجدت سفيان رضي الله عنه فى مسجده، فلما رآنى على بعد، قام وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير، قال: فنزلت عن فرسى بباب المسجد، فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة! فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلى!! فبقيت واقفا، وما منهم أحد يعرض على الجلوس، وقد علتنى من هيبتهم الرعدة، فرميت بالكتاب إليه.

فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه!! فركع وسجد وسلم، وأدخل يده فى كمه وأخذه، وقلبه بيده ورماه إلى من كان خلفه، وقال: ليقرأ بعضكم، فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده!!!

قال عباد: فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه! ثم قرأه فجعل سفيان يتسم تبسم المتعجب، فلما فرغ من قراءته، قال: اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره! فقيل له: يا أبا عبد الله إنه الخليفة؟! فلو كتبت إليه فى بياض نقى لكان أحسن، فقال: اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه، فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا!!

فقيل له: ما نكتب إليه؟ قال اكتبوا له: بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون، الذى سلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن، أما بعد، فإنى كتبت إليك أعلمك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك، وإنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك، بما هجمت على بيت مال المسلمين، فأنفقته فى غير حقه، وأنفدته بغير حكمه، ولم ترص بما فعلته وأنت ناء عنى، حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك، فأما أنا فقد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدى الشهادة غدا بين يدي الله

الحكم العدل! يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضى بفعلك المؤلفه قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله، والمجاهدون في سبيل الله، وابن السبيل؟ أم رضى بذلك حملة القرآن، وأهل العلم العاملون، أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل، أم رضى بذلك خلق من رعيته. فشد يا هارون مئزرك وأعدّ للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فاتق الله في نفسك، إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما.

يا هارون، قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستورا دون بابك، وتشبهت بالحجة برب العالمين، ثم أقعدت أجنالك الظلمة دون بابك وسترته. يظلمون الناس ولا ينصفون، ويشربون الخمر ويحدون الشارب، ويزنون ويحدون الزاني، ويسرقون ويقطعون السارق، ويقتلون القتاتل، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم، قبل أن يحكموا بها على الناس؟

فكيف بك يا هارون غدا، إذا نادى المنادى من قبل الله: احشروا الظلمة وأعوانهم؟ فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائقهم إلى النار، وكأني بك يا هارون، وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة، فاتق الله يا هارون في رعيته، واحفظ محمدا ﷺ في أمته، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد، فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإياك ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا، فإنني لا أجيئك، والسلام. وألقى الكتاب منشورا من غير طي ولا ختم!!

فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفة، وقد وقعت الموعظة بقلبي، فناديت يا أهل الكوفة، من يشتري رجلا هرب إلى الله؟ فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير، فقلت: لا حاجة لي بالمال، ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية، فأتيت بذلك فنزعت ما كان على من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين، وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي. إلى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا، فهزأ بي من كان على الباب، ثم استؤذن لي، فلما رآني على تلك الحالة قام وقعد يقول: انتفع الرسول وخاب المرسل، ما لي وللدنيا؟ والملك يزول عني سريعا. فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلى،

فأقبل يقرؤه ودموعه تتحدر على وجهه وهو يشهق. فقال بعض جلسائه [من أصحاب السوء، الذين لا تخلوا منهم بطانة السلاطين]: يا أمير المؤمنين، قد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقته عليه السجن فجعلته عبرة لغيره!

فقال: اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا. المغرور من غررتموه والشقى والله حقا من جالستموه، إن سفيان أمة وحده. ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد حتى توفى. [فهل ممن يدعوا أنهم أهل العلم الآن وتثقل الألقاب كاهلهم، من أطالوا لحاهم وصبغوها بالسواد وقصروا ثيابهم، وادعوا أنهم حماة الدين والمدافعون عنه، وقالوا: قال الله وقال الرسول، بأفواههم، نفاقا ورياءً ممن عاصرنا، سمع عنه أنه قد وقف مثل هذا الموقف، أمام سلطان جائر أو حاكم ظالم؟!]

خاتمة الفصل:

كما لا يخفى على أحد، أن الأمة الإسلامية ابتليت على مدار الأزمان والعصور، بزعماء كانوا ظاهريا مسلمين، وواقعا دلت أفعالهم على غير ذلك، بما ظلموا وتجبروا، بما عطلوا من حدود الله واستحدثوا من أنظمة وتشريعات وقوانين وضعية، تعارض شريعة الإسلام التي ارتضى الله سبحانه وتعالى بأن يحكم بها عباده على الأرض. فقط لسببين الأول: ليتمكنوا بواسطتها من رقاب كل معترض متجرب خارج عليهم. والثاني: ليحاكوا بها الغرب المسيحي، ليقال عنهم إنهم منفتحون على المدنية والتطور. ولكن في واقع الأمر وصحيحه، أنهم كانوا منفتحين على نار جهنم بما ضلوا وأضلوا، وعطلوا من شرائع الله، ولن أذكر هنا إلا واحدا منهم فقط، وتركت لكم القياس. فلا تغرنكم أقوالهم وما يكتب عنهم، وكأنهم ألهموا من الحكمة ما لم يلهم به لقمان وسليمان، بل فانظروا إلى أفعالهم ثم ما آل إليه مصيرهم.

في مدينة تونس ولد شيخنا محمد الطاهر بن عاشور رحمته الله عالم وفقه تونس والذي ترجع أصول أسرته إلى الأدارسة أشرف المغرب، وكان رحمه الله قد تعلم بجامعة الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته، ولم يكن هناك رجل دين في تونس خلال النصف الأول من القرن العشرين، قد جمع خصالا دينية وأخلاقية وسياسية وإنسانية مثله، مما جعل منه الشيخ الوقور المسموع الكلمة والرأي والنصيحة في شؤون الدين والدنيا.

سمى حاكما بالمجلس المختلط سنة 1909م ثم قاضيا مالكيًا في سنة 1911م وارتقى إلى رتبة الإفتاء، وفي سنة 1932م اختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي، وأصبح أول شيخ لجامع

الزيتونة، ثم أبعد عنها لأسباب سياسية، ليعود إلى منصبه سنة 1945م وظل به إلى ما بعد استقلال البلاد التونسية 1956م.

كان من أشهر أقرانه الذين رافقهم في جامعة الزيتونة: شيخ الأزهر الراحل محمد الخضر حسين، وابنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور، وكان بدوره من علماء الدين البارزين في تونس. ألف عشرات الكتب في التفسير والحديث والأصول واللغة، وغيرها من العلوم، منها تفسيره المسمى:

التحرير والتنوير ومقاصد الشريعة، وكشف المغطى من المعانى والألفاظ الواقعة في الموطأ، وكذلك أصول الإنشاء والخطابة، والنظر الفسيح عند مضايق الأنظار فى الجامع الصحيح وغيرها من الكتب النافعة.

صدق الله وكذب بورقيبة

حرب بورقيبة ضد الإسلام

ما شهدته تونس من حرب ضد الإسلام، في عهد بورقيبة ومن تبعه، لم تبلغه فترة الاحتلال الفرنسي المباشر لتونس، (1881/1956) فالحرب ضد الزيتونة، وضد صيام رمضان، وضد الحجاب وضد العلماء والتهكم على كل ذلك، حقائق معروفة في عهد بورقيبة. فمنذ وصوله للسلطة وهو لم يتوقف عن حرب الإسلام المتمثلة في شعائره وعقائده ورجالاته. فإن كان بعض السلاطين يفعل ذلك سراً فإن بورقيبة فعله جهراً!!

فبعد أن أعلن نفسه رئيساً مدى الحياة، بدأ بورقيبة المعروف بنرجسيته المفرطة إلى حد المرض ينظر لنفسه أكثر من أى وقت مضى، على أنه إله، وكان قد شطب جميع الصحف ليجعلها صحيفتين فقط تسبح بألوهيته، أما التلفزيون التونسي، فقد تعرض بدوره لقمع على مدى 50 سنة لأنه يقول بالهوية العربية الإسلامية لتونس .

وفي السبعينيات بلغت جرأة بورقيبة على الإسلام وتعاليمه حداً لا يطاق، في ظروف زعم فيها البعض، أن تونس لم تعد دولة مسلمة، وأن مشروع التغريب حقق أهدافه!

فقد أعلن بورقيبة الحرب على الإسلام، من خلال إغلاق جامع الزيتونة، الذى كان منارة إسلامية منذ تأسيسه عام 79 هجرية على يد حسان بن النعمان، ليس في تونس فحسب، بل في المغرب الإسلامي، والأندلس، بل إن أحد شيوخه تولى مشيخة الأزهر وهو الشيخ محمد الخضر

حسين وفيه درس ابن خلدون، وإبراهيم الريحاني، وشاعر المسلمين أبو القاسم الشابي، وغيرهم، رحمهم الله، ولم يكن الإمام سحنون، وابن عرفة، وأبو زيد القيرواني بعيدين عنه، فضلاً عن المعاصرين علماء آل النيفر، والثعالبي، وابن عاشور، وغيرهم رحمهم الله جميعاً. لقد بدأ بورقية حربه ضد الإسلام مبكراً وتحديداً في سنة 1957 والتي شملت أيضاً إغلاق الكتاتيب، وسمح بتعدد الخليلات ومنع تعدد الزوجات، وقد كان هو رائداً في ذلك.

وفي سنة 1960 م أصدر بورقية قانوناً بإلغاء ومنع استخدام التاريخ الهجري!

وفي سنة 1961 م أصدر بورقية أمراً بتأميم أكثر من مئتي مسجد، ومن ثم بيعها، لتتحول إلى مساكن! وحول مسجداً في مدينة بنزرت إلى مرقص!! وحول مسجداً آخر إلى خمارة!! وحول مسجداً إلى متحف روماني!!

وتجاوز بورقية كل الحدود، فألغى الأوقاف، التي كانت مستقلة عن الدولة وتمول النشاط الديني والمحاكم الشرعية.

وفي خطاب ألقاه في صفاقس يوم 29 أبريل 1964 م حاول ثني الحجيج التونسيين من زيارة الأماكن المقدسة وأداء مناسك الحج والعمرة، لما فيه بحد زعمه، من إهدار لمقادير مالية من العملات الصعبة! ودعى إلى الاكتفاء بالتبرك بمقامات الأولياء والصالحين بتونس كأبي زمعة البلوي وأبي لبابة الأنصاري بدلاً من الحج!!

ثم أعلن مرة الثانية أن: (في القرآن الكريم تناقضات)! وأن الرسول ﷺ كان يقول الخرافات!! وقال في ندوة أقيمت في القصر الرئاسي سنة 1974 م إنه لا يؤمن بالمعجزات، وقال: إن القرآن الذي تعلمونه للشباب مليء بالخرافات، أسمعتم أن شخصاً ينام 300 سنة ثم يصحو؟! وكيف تقبلون بقول محمد، (إن عصا تحولت إلى ثعبان) يعني قصة موسى عليه السلام الموجودة في جميع الكتب المقدسة؟!

وبعد عشرين سنة من حكمه، وفي مقابلة مع صحيفة لومند الفرنسية، الصادرة بتاريخ 21 مارس 1976، قال بورقية مفتخراً في رده على سؤال حول إنجازاته: أعتز بثلاث قضايا: أغلقت جامع الزيتونة- وحررت المرأة- وأصدرت قانون الأحوال الشخصية، الذي يقطع علاقة الأسرة بالإسلام!!

ثم في عام 1981م دعا بورقيبة إلى ترك الحجاب التقليدي، الذي تتحجب به النساء، والمعروف في تونس بالفسفاري، وهو غطاء تتلحف به المرأة عند الخروج، ويغطي رأسها حتى كعبيها ولم تكن النساء التونسيات يخرجن بدونهن. وتعرض السفساري لحملة إعلامية مكثفة تتحدث عن سلبياته، وتزين السفور، وأصدر قانوناً اسمه المنشور 108، وفيه حرم الحجاب، وأمر بمنع ارتداء النساء لغطاء الرأس "الحجاب" تحت دعوى، أنه يمثل مظهراً من مظاهر الطائفية! وأنه يناقض روح العصر وسنة التطوير السليم.

ثم ظهر بورقيبة على شاشة التلفزيون في احتفال شعبي، وهو ينزع بنفسه في مسرحية معدة سلفاً السفساري من على رأس أكثر من امرأة في أحد الميادين، وسط تصفيق بعض زبانيته قائلاً لهن: انظري إلى الدنيا من غير حجاب!!

ثم تمادى فأظهر الإلحاد، وأصدر القوانين التي تساوى في الميراث بين الرجل والمرأة، مخالفاً بذلك نص ثابت في القرآن الكريم، ثم ضيق على المسلمين، فحرم وجرم تعدد الزوجات، وأحل الطلاق بمبررات. وجعل من الطلاق إجراءً قانونياً لا يتم الاعتراف به إلا عن طريق القضاء. وأقر قانوناً يسمح للمرأة بالإجهاض. ومنع صلاة الفجر للشباب، وبدأت المخابرات تلاحق من يصلي باستمرار.

ثم إنه في عام 1961م تناول على شرع الله أكثر وأراد إلغاء صوم رمضان!! فاستدعى المفتي الشيخ بن عاشور رحمه الله تعالى فقال له: أريدك أن تذهب إلى مبنى الإذاعة وأن تلقى بياناً تقول فيه: إن الصيام في رمضان يعطل حركة الإنتاج، ولذلك تدعو المواطنين إلى الإفطار في رمضان، وإلى عدم الصوم!! بدعوى العمل على زيادة الإنتاج؟! وتم بث بيان في وسائل الإعلام، بأن المفتي بن عاشور سيلقى بياناً مهماً مباشراً، وهو شيء غير مألوف للتونسيين، فاجتمع الناس لسماع ما سيقول. فخرج بن عاشور رحمه الله، فصرح في الإذاعة بأعلى صوته. بعد أن قرأ آية الصيام، وتحدث عن ما جاء عن الصيام من الله تعالى، وعظم أجر من صامه وعمل به، ثم عكف على الأحاديث وما جاء عن رسول الله ﷺ عن الصيام وعقوبة تاركه بدون عذر شرعي والمجاهر بذلك. وقال بعدها: صدق الله وكذب بورقيبة!!

أيها الناس، إن الحبيب بورقيبة، وهو ولي الأمر، أمرني أن أقول لكم:

إن الصيام يعطل الإنتاج فاتركوه؟!

وأنا أقول لكم:

لقد كفر الحبيب بورقيبة بدين الله تبارك وتعالى، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فخدمت دعوة بورقيبة الباطلة وتطاوله على الدين، بفضل مقولة عالم واحد، هو الشيخ بن عاشور، فكان من السابقين الصادعين بالحق في سبيل الله تبارك وتعالى، لم يسع للى أعنة النصوص والأحكام كما يفعل المنافقون الآن، لم ينافق ولم يحاب، لم يبحث عن مسانيد لإرضاء السلطان، لم يسع للحفاظ على وظيفته، بل حافظ على مبدئه، لم يخش السلطان الظالم، لم يخش السجن أو البطش والتنكيل به وبأسرته، بل حافظ على منهجه، حافظ على دينه، تقربا لله وخشية منه، فهذه أمانة سيسأل عنها هؤلاء العلماء العاملون، ومن يدعون العلم يوم القيامة، ومن اتخذوا العلم مطية وسلمًا وارتياح المحطات الفضائية للشهرة والمجد في الدنيا وتقرباً للسلطين.

فغزله بورقيبة عن منصبه، ولمكانة الشيخ الدينية، لم يجزؤ أن يؤذيه وقد عصمه الله تعالى منه وقام بورقيبة بنفسه كرد فعل لما قام به بن عاشور، باحتساء كوب من الماء في شهر رمضان أمام شاشات التليفزيون!

ونظم الحملات الممنهجة والمشايخ والمفتين المأجورين، لإجبار وإقناع الموظفين والعمال وقوات الجيش وجميع أطراف الشعب التونسي على الإفطار في رمضان ومنع الصوم، واقترح أن يقضى العامل الأيام التي أفطرها عندما يحال إلى التقاعد أو في أوقات أخرى! وفقد الكثيرون من الناس وظائفهم جراء تمسكهم بدينهم وشعائهم وصومهم لرمضان.

ثم بدأت نهاية الطاغية منذ خريف العام 1976م حيث أصيب بنوبة انفيار عصبى، مثل تلك النوبات التي كان يتعرض لها دوريا منذ خمس سنوات، فانعزل في قصر قرطاج وكان لا يستقبل أحدا. فبعد أن حكم تونس ثلاثين عاما، كان من بينها عشرون عاما مريضا بأمراض عضال. وكانت الأمراض تنهش في جسده، لاسيما الاكتئاب والنوبات العصبية، قد قضى معظم العشرين عاما الأخيرة من حكم تونس في مصحات أوروبا، وكان يعاني من أمراض خطيرة من أثر الجلطة القلبية والانهيار العصبى، وسافر إلى فرنسا وسويسرا والولايات المتحدة للعلاج، وجلب عددا من الأطباء التونسيين والفرنسيين والأميركيين، وعندما أتموا الفحص وتشاوروا فيما بينهم بحضور زوجته وسيلة، قالوا إن لهم ثلاثة افتراضات: إما أن تتحسن حالة المريض وهذا أمر غير وارد، والافتراض الثانى أن تستقر وهو الافتراض الأكثر تفاؤلا، أما الافتراض الثالث فهو أن تتدهور الحالة. فكانت الثالثة بحمد الله.

وتوفى بعد أن نزع الله ملكه منه وأصبح عبرة لمن يعتبر، وحددت إقامته ببيته، غير مأسوف عليه، أو على أمثاله من الظالمين وما أكثرهم وفي عام 2000 م قام عدد من علماء الإسلام الأجلاء الذين لا يرقى الشك إلى علمهم ومكانتهم، ومنهم الشيخ بن عاشور، وحسين مخلوف مفتي مصر، والعلامة أبو الحسن الندوي، وأبو بكر جومي، ومحمد أمين المصري، وغيرهم بتكفير الحبيب بورقيبة وخروجه عن الملة الإسلامية.

ومما أثلج الصدر قد رأيت صورة المكان الذي قبر به، أنه قد خلا من ذكر لأي آية قرآنية بعكس ما يفعل المسلمون وإن كانوا عاصين!! وكان هذا دليلاً دامغاً على تكفيره والله أعلم.

ونعود إلى شيخنا بن عاشور، فبعد حياة علمية عملية حافلة بالآثار الطيبة، توفي شيخنا العلامة الفاضل بن عاشور يوم 19/4/1970م في مدينة تونس عن عمر يناهز الثامنة والتسعين عاماً، وبفقده انطوت صفحة من صفحات الفخار المعاصر للعلماء العاملين، والدعاة الصالحين المصلحين الصادقين في زماننا. إن لم تكن الصفحة الأخيرة.

فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. قال تعالى: { لَا يَغْرُنْكَ تَلَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ }⁽¹⁾. صدق الله العظيم.

ولله در القائل:

وقل للحاسدين ألا أفيةوا	وان أعطى الإله فلا تضيقوا
فذلك زينكم بين البرايا	ومن يحسد سيلقاه المضيق
فإن الله عدل ذواقـتـدار	ومكر الله ليس له مطيق
فموعـدنا من الرحمن نصـر	وقاصـد ضرنا عرق سـحـيق
خدمنا شرعه نرجو رضاه	وأحمد ذخـرنا نعم الشـفـيق
عواقب من أطاع الله فوز	وعقبى من بغى هول عميق
وعار ثم خـزى ثم	ذل وفى الأخرى له فيها حريق
وخدام الرسول لهم فتوح	ونصر الله ركنهم الوثيق
مخالفهم يذل وهم يعزوا	وحاسدهم يهون وهم يضيـقوا

(1) سورة آل عمران الآيات 196 / 198.

وخدام المملوك لهم فناء
فيا من رام يهضم حزب ربي
فجرب سوف تذكر لي كلامي
فحاشا الله أن يخشوا سواه
إذا أنس الفخور بحسن زى
فإننا أنسون بمن خدمنا
خدمناها ونخدم من رواها
إذا افتخر الظالم بعز حصن
فمفخرنا بأشياخ كرام
ونفخر بالنبى رسول ربي
رويناها عن الأخيار قوم
وفى صاحب النبى لنا افتخار
ومفخرنا ابن أشعث والبخارى
ومالك وابن حنبل المزكى
ونفخر فى مشايخنا إليهم
وفى أصحابه أنس وفخر
أثمتنا وسادتنا جميعا
أبو إسحاق شيخ الفقه حقا
ولا تنسى الجوينى والغزالي
ويحيى نسل عمران اليماني
فأهل العلم أحياء وموتى
بحب العلم والعلماء نعلو
فقل للحاسدين ألا أفيقوا
وبال فعالكم من كل بد

وذم ثم نار ثم ضيق
تهيأ للبلاء ولا تطيق
وتذكر حين تأخذك الحقوق
وما قدمت أنت له تذوق
وأبدى سيفه وله بريق
بسنة أحمد نعم الطريق
وخادمها له عز وثيق
وجند كل فعلهم عقوق
من العلماء ليس بهم فسوق
وسنته التى سن الصدوق
فريق الحق يا نعم الفريق
هداة الخلق إن ظهرت فتوق
ومسلم وابن سورة يا شقيق
ونعمان وسفيان الرفيق
فيالك سادة فيهم وثوق
وإن بجاههم ينجو الغريق
وكل بالثنا قم من حقيق
ومحيى الدين عدة من يضيق
لهم فى كل مكرمة طريق
بما أنشا بهذا المعنى الدقيق
لنا نسب وكلهم صديق
على رغم الحسود ونستفيق
وطولوا واقصروا فغدا تذوقوا
ومكركم بأنفسكم يحيق

* * *

الفصل الخامس عشر

غرائب الفتاوى وعجيبها

مقدمة:

يفاجئنا ما بين حين وآخر، عالم من عماء المسلمين، بفتاوى غريبة في منطقتها، عجيبة في استنتاجاتها، مثيرة لجدل اجتماعي وفقهي، ممن أطلق عليهم جزافا مفتين أو علماء أو مشايخ أو دعاة أو مفكرين، إلى آخر الأسماء والصفات التي ليس لها حصر، وما أكثرهم في كل زمان! وخاصة هذا الزمان، الذي ابتليت بهم وبفتياهم وبآرائهم ونفاقهم الأمة الإسلامية، جزاهم الله بما يستحقونه وأرانا بهم عجائب قدرته في الدنيا قبل الآخرة إنه سميع مجيب.

ففى زمن عشوائية الفتوى، شهد العالم العربى والإسلامى وغيره فى السنوات الأخيرة، موجات متتالية من الفتاوى الصادمة والغريبة فى أفكارها، والتي تعبر فى مضامينها عن ترهل فكرى لبعض من تم تسميتهم جزافاً، بعلماء أو مفتين أو مفكرين إسلاميين، فقد انحط الفكر الإسلامى أسوة بمفتييه.

فتاوى الغباء والغرابة وقلة الحياء كما سهاها البعض، لما احتوته من مضامين سخيفة تحقر الدين الإسلامى وتستهين بعقل المسلم، فتاوى اجتاحت العالم الإسلامى، وأحدثت ضجة كبيرة تركت انطبعا سيئا، وأكدت باللموس أن المجتمعات الإسلامية بصفة خاصة، تعيش فوضى امتدت إلى مجال الإفتاء، لدرجة أن الكثيرين نعتوا بعض هذه الفتاوى، التى يروجها عدد من العلماء والمفكرين بالمقززة، والغريبة، والموغلة فى التشدد والجهل بل والدجل، والمضحكة فى كثير من الأحيان.

ولا أدرى لماذا يتطلع هؤلاء إلى استصدار مثل تلك الفتاوى؟ وما هى غايتهم؟ وهل هم بالفعل مسلمون؟ أم أنهم فقط يطمحون إلى الشهرة، والتقرب على حساب المقدس والثابت فى الدين الإسلامى؟

فتاوى تستقذرها الفطر السليمة، قبل أن تستنكرها العقول، أكاد لا أصدق أن قائلها من العقلاء المحسوبين على أهل الدين أو العلم، وأنه لم يقم على أحد منهم الحد؟!

كانت الفتوى حتى أمس القريب، جمة لا يحتمل التفوه بها، خوفا من الوقوع فى الإثم، إلا المخلصون للدين، من العلماء الذين يخشون الله، فى منطوق الفتوى إلا بعد التيقن، الورعين

الذين يمسكون بناصية العلم الشرعى، فباتت الآن وبكل أسف ومع قلة الوازع الدينى والأمن من العقاب، وبعد انطلاق الفضائيات وتنافسها المدفوع الثمن، لعبة ينطق من خلالها كل متشدد أدار حول فكيف لحية، أو طوق رأسه بعمامة أو قصر ثوبه!

إن الفتوى الخطرة هى قذيفة خطيرة وقاتلة، عندما تصدر من رجل محسوب على الدين، يفترض أنه على علم بالشريعة والدين الإسلامى، لأن مثل هذه الفتاوى لا تحقق غاية شرعية، بل زاغت عن جادة الطريق الإسلامى.

إن على المسئولين فى العالم الإسلامى، أن يضعوا حدودا وضوابط معينة لضبط غير القائمين على الفتوى، ومعاقبتهم أشد العقوبات حتى يعتبر الجميع، أن مثل هذه الفتاوى تتسبب فى قتل أناس. ففى عهد رسول الله ﷺ، أن رجلا أصابه جرح فى رأسه ثم أصابه احتلام فأمر بالاغتسال فاغتسل فكرر فمات فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: قتلوه قتلهم الله، أولم يكن شفاء العى السؤال؟ قال عطاء: وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لو غسل جسده وترك رأسه حيث أصابه الجراح. (سنن ابن ماجه ج 1 ص 189). لاشك أن هناك عدة أسباب تقود لانتشار مثل هذه الفتاوى المثيرة، ومن هذه الأسباب أنها تصدر من أشخاص غير مؤهلين، دينيا، أو عقليا، أو نفسيا، وليس لديهم قدرة على فهم النصوص واستنباط الأحكام من الشريعة الإسلامية.

باسم الإسلام يسيئون للإسلام والإسلام بريء منهم ومن أمثالهم. إن حب الشهرة والظهور على الفضائيات، أرانا العلماء، الذين يبالغون فى أناعتهم وفخامة ثيابهم وحركاتهم التمثيلية، وكيف يتصنعون الخشوع، بل ويتباكى البعض منهم ويتسمم البعض الآخر، إنهم تجار الدين أصحاب الملايين، أصحاب القصور الفارهة، الذين غرّفوا الأموال من وراء هذه التجارة الخاسرة.

لقد أصبحت الفتاوى تجارة رابحة فى الدنيا، لكل من هب ودب دون رابط أو وازع، لن أقول من دين، لأنه لو كان عالما بدين الله، لتورع عن الإفتاء وهو يعلم بعدم أهليته لذلك، بل سأقول من ضمير. فلو كان لديه أدنى ضمير، لعلم أنه سيقف بين يدى الله، وسوف يحاسب ويسأل عن النقيير والفتيل والقطمير⁽¹⁾. وإننى هنا فى كتابى هذا، لن أتطرق إلى فتاوى الرافضة الشيعة وغيرهم من أصحاب الفرق، فهذه تحتاج إلى مجلدات ومجلدات، لكنى سأتطرق إلى من

(1) النقيير: الذى فى وسط النواة الذى به ينبت النوى منه، والفتيل: شق النواة، والقطمير: لفافة النواة القشر الذى يكون عليها.

حسبوا على أنهم من أهل السنة، وبعض ما جاء في الفتاوى التى وصفت بالغريبة أو العجيبة، وإن كانت فى نظرى أعتبرها أعظم من ذلك، فأقول إنها جرأة على الدين والسنة، شجعهم عليها عدم إقامة الحدود عليهم، فقد أصبح يكفى أن تطلق لحيتك وتقصّر ثوبك ثم تفتى، ومن أمن العقاب أساء الأدب.

* * *

هذه بعض ما أتذكر من الفتاوى، التى تندربها المسلمون قبل الغربيين الذين اتخذوها ذريعة ضد الدين الإسلامى، وجعلوها مادة للتندر عليه والإنقاص منه، والتى شغلت الناس طويلا، حتى تشككوا فى صحة عقيدتهم، وكان لها ضجة حال صدورها، وهى ليست مختصة ببلد دون آخر، بل كانت من جميع أنحاء بلادنا العربية وغير العربية.

إن من الناس من يعتقد أن هؤلاء لا يمكن أن يُرد عليهم، وأن الرد عليهم خروج عن الأدب وغير ذلك، والصحيح أن الرد عليهم وعلى كل من ينتسب للعلم، أمر مشروع ومندوب إليه، فليس منا إلا رادٌّ ومردود عليه، والعصمة لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام وليس ثمة نبي، وناقل الكفر ليس بكافر. لقول ابن القيم: أى دين وأى خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يُترك، وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها وهو بارد القلب، ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بليّة الدين إلا من هؤلاء، الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورتاساتهم، فلا مبالاة بما جرى على الدين! وخيارهم المتحزن المتلمظ لو نوزع فى بعض ما فيه غضاضة عليه فى جاهه، أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاث:

بحسب وسعه. وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم، قد بلوا فى الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب. فإن القلب كلما كانت حياته أتم، كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل كما يقول: الزرعى الدمشقى.

وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره أثرا: أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة، أن أخسف بقريّة كذا وكذا، فقال: يارب كيف وفيهم فلان العابد؟! فقال سبحانه: به فابدأ. فإنه لم يتمعر وجهه فى يوم قط⁽¹⁾!

(1) أعلام الموقعين ج 2 ص 157 .

إن الخطأ من العالم وطالب العلم والمفكر والداعية وارد لا محالة، لأن صفة البشر الخطأ، إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى، ولهذا، فبعضنا يكمل بعضا، وينير بعضا، ويصوب بعضا، وكلُّ يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب القبر المعصوم من الله ﷺ .

إن العلماء الذين أداروا ظهورهم لقضايا الأمة المصرية، واكتفوا بفتاوى الحيف والنفاس، وبأى رجل تدخل دورة المياه، هم انعكاس طبيعي لتخلف الأمة، وانهارها على كافة الأصعدة. فاعلموا أن الأمة لم تؤت أبدأ من قبل علمائها الأخيار، وإنما أُتيت من المبتدعة الفجار، علماء السوء، بعد أن كاد يفقد كثير من المسلمين الثقة في طوائف أهل العلم، بسبب تلبسهم بالدنيا، قد غرهم حلم الله عليهم وطول أملهم وكثرة ثناء الناس عليهم، فزلت بهم الأقدام. إن العلماء المخلصين تقودهم نصوص الكتاب المحكم وصحيح السنة النبوية المشرفة واجتهادات الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين وتدقيقات علماء الأمة المحققين، إلى جوار الرغبة العميقة في معرفة مراد الله عز وجل، والسعى الجاد لإيضاحه وإظهاره وإعلامه للناس. فلهذا يديمون النظر في كتابه، ويجهدون النفس في اتباع سنة رسوله ﷺ، فيأتمرون بأمره، وينزجرون بنهيه، ويتبعون كتابه، ويقتدون برسوله ﷺ، لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، رأيا ولا مصلحة ولا يدفعهم إلى الفتوى رغبة ولا رهبة إنما { يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزِيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ } . هذه بعض الفتاوى المستهجنة، منها ما نشر في كتاب فائته، ومنها ما تناقلته الصحف، ومنها من تم بثه من خلال شبكات التواصل أو اليوتيوب أو أحد البرامج، فقامت بتفريغه كتابة، فأثبت هنا الغريب والشاذ من أقوالهم وفتاويهم، وردود العلماء الصالحين إن وجدت عليهم، وقامت بإضافة أكثر من رد عند الضرورة توضيحا للقارئ، وأضفت رأبي الخاص في كثير منها من خلال آراء الآخرين، مستعينا بأمهات الكتب المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة.

وأنا هنا لا أخاصم أفرادا بل أخاصم فكراً، ولن أذكر أسماء قائلها، ومن أفتوا بها، أو من وفقه الله في الرد عليهم، فعلى المهتم بمعرفتهم، الرجوع لشبكات التواصل، فلن يعجزه إيجادهم بسهولة، لذا لزم التنويه.. أسأل الله التوفيق إن ربي كَسَمِيعُ الدُّعَاءِ..

غدا توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

- 611- عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل ⁽¹⁾..
- 612- عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم ⁽²⁾..
- 613- عن علي قال رسول الله ﷺ: يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من هدى، فقهاؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم خرجت الفتنة وفيهم تعود ⁽³⁾..



(1) مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 458 رقم 4379 رواه مسلم.

(2) مسند أبي يعلى ج 11 ص 270 رقم 6384.

(3) الكامل في ضعفاء الرجال ج 4 ص 227 رقم 1045.

غرائب الفتاوى وعجيبها

■ فتوى: الحجاب ليس من الإسلام!

■ فتوى: القرآن حرّم المسكر وليس الخمر!

■ فتوى: لا يوجد ما يسمى بكتاب صحيح البخارى والتراث الإسلامى مليء بالكاذيب!!

—: قال الدكتور خريج الأزهر خطيب أحد مساجد سيدنى فى أستراليا: إن الحجاب ليس من الإسلام، مشيرا إلى أن الحجاب معناه فى اللغة العربية الحاجز، والغرض أصلا من الحجاب هو غطاء الرأس، وأن هذه العبارة لم ترد مطلقا فى القرآن الكريم أو فى الأحاديث، وأن كلمة الحجاب وردت فى القرآن الكريم أربع مرات على سبيل الحصر فى أربع آيات، وجاءت بمعنى حاجز أى سور وليست غطاء للرأس، وقال: إن الحديث الذى روته السيدة عائشة عن الرسول ﷺ: أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها شيء إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفيه حديث ضعيف وغير صحيح ولا يجوز أن نأخذ حديثا ضعيفا لنجعله سنداً إلى فرض.

- وقال: إن القرآن حرم المسكر وليس الخمر، مشيرا إلى أن الآيات التى وردت بالقرآن الكريم بالكامل لم تحرم الخمر! وأوضح أن كل ما ذكر بالقرآن الكريم فى هذا الشأن، حرم المسكر فقط وليس الخمر، كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ }⁽¹⁾. وأكد أنه لا يوجد آية تحرم الخمر وإنما التحريم فى السكر. وتابع: لا نستطيع القول كذبا على الله! وهذه فتوى أنا مسئول عنها. مشيرا إلى أن جزءا بسيطا من الخمر لا يؤدى للسكر، والجنة بها أنهار من الخمر!

—: وقال: إنه لا يوجد ما يسمى بكتاب صحيح البخارى، وأن التراث الإسلامى مليء بالكاذيب. وأضاف أن الإمام البخارى كان كفيفا ولا يجيد العربية، وجاء بعد الرسول بمئتين عام، مشيرا إلى أن الكتابة المطبوعة بدأت فى عام 1800م والبخارى تواجد قبل ذلك الوقت بألف عام ولا يوجد قبل ذلك الوقت مخطوطة بخط يد البخارى، وأوضح أنه يوجد 660 ألف حديث، الصحيح منهم 2420 فقط! متفرقين فى عدة كتب، بعضهم من البخارى وبعضهم من صحيح مسلم وابن ماجة. وأضاف أن الصحابى أبا هريرة قال بنفسه: أنا وضعت 3000 حديث من عندى، ولم تكن عن الرسول!

(1) سورة النساء آية 43.

فرد عليه دكتور آخر خريج الأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية، على عدم وجود ما يسمى بكتاب صحيح البخارى، أنه وحده من يقول هذا الكلام، وأن ما أجمع عليه العلماء من صحيح البخارى فهو صحيح، وأضاف أنه يشكك في صحيح البخارى بلا دليل، ولا توجد له معرفة بعلم إسناد الأحاديث..

* * *

- وأفتى آخر أطلق على نفسه اسم المفكر الإسلامى: بأنه لا حاجة للحجاب لأنه يعوق المرأة عن حياتها العملية، ولا يوجد فى الإسلام ما يؤكد فرضيته!
 - وأفتى: بأن شعر المرأة ليس عورة، بل يمكنها أن تؤدى صلاتها بمفردها وهى كاشفة الشعر!
 - وأفتى: بأن ارتداء المرأة للبنطلون أكثر حشمة وسترة!
 - وأفتى: بأن الاختلاط ضرورى ومن الطبيعة والفطرة، وفصل الجنسين عن بعضهما عملية وحشية!
 - وأفتى: بأن الزواج جائز بلا شهود ولا مهر ولا ولي!
 - وأفتى: بأنه لا يقع طلاق الرجل منفردا بدون موافقة زوجته!
 - وأفتى: بأن المرأة الأكثر علما تؤم الرجال فى الصلاة!
 - وأفتى: بإباحة تبادل القبلات بين الشباب والشابات فى الأماكن العامة، وفى الجامعة أو بين زميل وزميلته فى العمل!
 - وأفتى: بجواز التدخين وشرب السجائر فى نهار شهر رمضان لأنها هواء!
 - وأفتى: بأن المرتد عن دينه لا توقع عليه عقوبة!
 - وأفتى: زاعماً بأن زواج المتعة لدى الروافض حلال شرعاً .!
 - وأفتى: بأن ما يسمى بصحيح البخارى ومسلم، أحد أسباب التدهور الإسلامى!!
- : وأثارت فتاوى من اطلق على نفسه اسم مفكر إسلامى، ردود أفعال شديدة بين رجال الدين، ما بين مؤيد ومعارض، بل ومهاجم لها بشدة، ولقد اعتبرت فتاويه - وهنا أنقل البعض منها - هى مجرد فتاوى تروج للفكر العلمانى، ولا علاقة لها بالإسلام، فمجملة فتاويه كثيرا ما ينظر إليها بعين الريبة. فقد قال فى حوار له: أنه لا حاجة الآن للحجاب لأنه يعوق المرأة عن حياتها العملية ويعطل نصف المجتمع. وأنه لا يوجد فى الإسلام ما يؤكد فرضيته. وأضاف: الحجاب فرض على الإسلام ولم يفرض الإسلام الحجاب! وأكد أن الحجاب أبدا لم يكن عقيدة أو شريعة بل مجرد عادات، وأنه موجود من قبل الإسلام بألفى عام، نراه فى كتاب حمورابى، وفى أثينا فى عهد أفلاطون وأرسطو حيث كان ينظر إلى المرأة على أنها من الحريم، كذلك ركزت اليهودية على الحجاب بشكل مكثف وأيدته المسيحية أيضا.

وقال: كان الحجاب موجودا في العالم كله على أساس أنها مجتمعات ذكورية، خصصت المرأة للبيت والرجل للعمل وكسب الرزق ولم يكن ذلك مزعجا للمرأة لأنها وجدت في الأمومة ما يعوضها لكن مع تطور الحياة في العصر الحديث، ونمو فكرة الإنسان وإن المرأة إنسان أيضا، تغيرت مشاعرها وبدأت تطالب بحقها كإنسان، واقتضى ذلك دخول المرأة مجال العمل ومشاركتها في العمل السياسي مثل الرجل تماما، ومن ثم أصبح لا ضرورة للحجاب الذي يحمل معنيين، أن تحتجب في البيت، أو أن تغطي شعرها فقط أو شعرها ووجهها، وهو ما يسمى في هذه الحالة بالنقاب. وليس في القرآن والسنة أمر بالحجاب، السنة ليست كما يتصورون أبدا. ليس في القرآن الكريم أو السنة الشريفة ما يأمر بالحجاب مطلقا. القرآن عندما قال "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" كان ذلك في إطار الحديث عن لباس اجتماعي سائد في ذلك الوقت، فالرجال يلبسون العمام والنساء تحتمر لتقى نفسها من التراب أو من الشمس، وبالتالي فالمسألة لا علاقة لها بالدين، ومن هنا أمر القرآن أن تسد المرأة فتحة الصدر بالخمار الذي كانت ترتديه كعادة اجتماعية، لكنه لم يأمرها بأن ترتدى الخمار ولم يقل إنه من الضروري أن يغطي الرأس.

فالقرآن ليس فيه آية واحدة تحث على الحجاب إلا بالنسبة لزوجات الرسول، وهو ليس زيا وإنما باب أو ستار. وأضاف: الإسلام لا يطلب من المرأة أن تغطي شعرها أو تنزع ذلك الغطاء، هذا ليس شأنه، وإنما يدخل في إطار حقوقها الشخصية.

فشعر المرأة ليس عورة، بل يمكنها أن تؤدي صلاتها بمفردها وهي كاشفة الشعر! واعتبر شعر المرأة ليس عورة قائلا "مطلقا لا أرى ذلك!" وأوضح أن شعر المرأة ليس عورة ولا يوجد أبدا في الكتاب والسنة ما يقول ذلك، وقال: لا أجد حرجا مطلقا في أن تصلى المرأة بشعرها، ومع ذلك لا بد أن نفرق بين كونها في الشارع، فلا نرى ضرورة لأن تلبس غطاء على رأسها، وبين أن تكون في الصلاة فترتديه، وإن كنت لا أرى حرجا في أن تصلى بدونه. وهناك حديث في صحيح البخاري بأن الرجال والنساء كانوا يتوضؤون في عهد الرسول ﷺ من حوض واحد في وقت واحد، فكيف إذن تتوضأ المرأة وهي مقنعة مرتدية ذلك اللباس الذي يجعلها شبعا أسود! كيف تغسل وجهها وقدميها ويديها إلى المرفقين، وكيف تمسح على شعرها؟

لقد استمر هذا الوضع طيلة حياة الرسول وفي جزء من خلافة أبى بكر الصديق وجزء من خلافة عمر، الذى فصل بين الرجال والنساء فى الموضوع من مكان واحد.

مشيرا إلى أن المجتمعات الذكورية التى تخصص المرأة للبيت فقط، هى التى تلح على هذه النقطة. واستطرد بأن الاختلاط ضرورة، حتى لو حدثت بعض الأخطاء، فالإنسان عندما تصدمه سيارة فى الشارع، لا يكون ذلك مدعاة لإلغاء السير فيه!

وأوضح أنه لا يستسيغ عزل النساء عن الرجال، بينما التطورات الحالية تفرض لهن حقوقاً سياسية واجتماعية واقتصادية مساوية للرجال، متسائلاً: كيف نعزل وزيرة عن بقية الوزراء لأنها أنثى؟

—: ارتداء المرأة للبنطلون أكثر حشمة وسترة! ويرى أن البنطلون الذى ترتديه بعض النساء أكثر سترة وحشمة من الفستان، خصوصاً أنها تتركب مواصلات عامة وقد تجرى وتؤدي أعمالاً تناسب البنطلون الذى يستر فى هذه الحالة أكثر من أى ملابس أخرى. وقال: لا أجد داعياً لإثارة موضوع الحجاب مع الغرب بين الحين والآخر، أنها منتهى الحماقة، فضلاً عن أن ذلك يتنافى مع أهمية أن يتعايش المسلمون مع المجتمعات التى يقيمون فيها وإلا فما الداعى لمعيشتهم بها عليهم أن يعودوا لبلادهم الأصلية! وشرح ذلك مستطرداً: إن أول أبجديات هذا التعايش ألا يوجدوا فروقا بينهم وبين باقى المجتمع. لقد قلت فى كتاب حاول الأزهر مصادرتة، إذا وجدت المرأة المسلمة فى المجتمع الأوروبى حرجاً من كشف شعرها، وهذا طبعاً ليس له أساس إسلامى كما قلت، ولكن إذا كان عندها هذا الحرج فلتلبس "برنيطة" (قبعة) ولا تلبس ما يسمى بالحجاب الإسلامى الذى سيعزل بينها وبين المجتمع. وأضاف أن الحكمة من الحجاب هى "ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين" أى يعرف الناس أنهن محتشبات فلا يتعرضن للأذى، الآن المحجبات يتعرضن للأذى.

—: الاختلاط ضرورى ومن الطبيعة والفطرة وفصل الجنسين عن بعضهما عملية وحشية!! ووصف الاختلاط بالضرورى ومن الطبيعة والفطرة، لأن الفصل بين الجنسين عملية وحشية، فقد عشنا فى الثلاثينيات من القرن الماضى مرحلة، كان يتمنى فيها أى شاب أن يجلس ولو على البعد مع امرأة، لا يريد أن يفعل شيئاً سيئاً، ولكن لمجرد أن يتعرف على هذا الكائن الذى كان مجرد الجلوس إليه مستحيلاً. وقال: ليس حدوث أشياء خاطئة مبرراً لأن نمنع بسببها

الاختلاط، هناك نوع من التوجيهات يراد بها اتقاء ثغرات معينة في أعماق النفس البشرية، فعندما نجد حضا على عدم الخلوة فلا يعنى ذلك منع الاختلاط، فالخلوة المقصودة هنا هي المكان الذى يغلق بابه على رجل وامرأة .

—: الزواج بلا شهود ولا مهر ولا ولي: وفجّر مفاجأة جديدة خاصة بالزواج قائلا، إن توافق الرجل والمرأة على الزواج وحصول توافق بينهما لتصبح علاقتهما صحيحة، بشرط وجود النية باستمرار هذا الزواج وقبول نتائجه المتمثلة في الإنجاب والإقامة في بيت واحد. إن رضا الطرفين وتوافقهما كافٍ لصحة الزواج. وقال: لا يتم الزواج إلا برضاء المرأة، وهى نفسها التى توقع العقد، ولا يوجد شيء اسمه ولي عليها!!

فهى ليست قاصرا، المرأة حرة في اختيار زوجها مهما كان عمرها. ما دامت تتصرف في أمورها وأشياءها، فكيف لا تتصرف في عقد الزوجية الذى يقرر مصير حياتها كله.

وأضاف أن مسألة الشهود في الزواج ليست مطلوبة تماما، فالغرض منها التوثيق والتأكيد على أن العملية جادة، حرصا على الحقوق والواجبات في حالة الطلاق أو الموت كالميراث مثلا أو نسب الأولاد. ولم يكن في العصور الإسلامية الأولى لا توثيق ولا شهود، فقد ذهبت امرأة ورجل إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: زوجنا يا رسول الله؟ فقال للمرأة: هل تقبلين هذا الرجل زوجا لك؟ فرددت: قبلت يا رسول الله، وسأل السؤال نفسه للرجل فأجابه بالإيجاب، فتم الزواج. لا شهود ولا مهر ولا ولي! واستطرد: إذن هو عقد رضائي من الدرجة الأولى، فلا شهود ولا مهر ولا ولي، وما حصل في الزواج من هذه الأمور، عملية تنظيمية لجأ إليها الفقهاء لاحقا. علينا أن نرى أن هناك فرقا بين الإسلام الحر المفتوح وبين لزوم التطورات الاجتماعية التى تجعل أهل الفقه يقومون بتفسير لخطوط عريضة وضعها القرآن الكريم والسنة النبوية، يناسب مقتضى الحال والوقت، لكن لا علاقة لهذا بالحلال والحرام، هى إجراءات رأوا وجاهاتها لسلامة العقل.

—: لا يقع طلاق الرجل منفردا بدون موافقة الزوجة! وبخصوص الطلاق قال: بعدم صحة الطلاق بعد تلفظ الزوج به وعدم جواز الطلاق من الرجل منفرداً إلا بموافقة الزوجة واستئذانها! فلا يجوز مطلقا للرجل أن يطلق منفردا، لأنه تزوج بصفة رضائية، ولذلك تقتضى صحة الطلاق رضا الاثنين واتفاقهما على الانفصال، ولكن أن يقوم بتخريب بيتها وتدمير حياتها

ويحرمها من أولادها، فهذا منتهى الإجرام والظلم. وبالتالي مهما حلف بالطلاق من الصباح حتى المساء، فإن هذا لا يعد طلاقاً لأنها لم تقبله! الطلاق يتم باتفاق تتقبله المرأة!

—: المرأة الأكثر علماً تؤم الرجال في الصلاة! وأفتى بإمامة المرأة للرجال في الصلاة، لتخالف كل فتاوى الفقهاء المعاصرين من الذين رفضوا تلك الفكرة، على أساس أن الرجال قوامون على النساء، وأن الفقهاء رفضوا إمامة المرأة إلا للمرأة، ويرى أن تلك الفكرة لم ترد من الأساس في ذهن المسلمين في بدايات الإسلام ليحرموها أو يحللوها!! وقد تأصلت تلك الفكرة لدى المسلمين عبر عصور طويلة نتيجة آراء الفقهاء، ويضيف: تقبل الفقهاء منذ سنوات بعيدة مبدأ المفضول على الفاضل، وهو أمر مخالف للأصول. وأضاف: يجوز للمرأة أن تؤم الرجال في الصلاة إذا كانت أكثر علماً بالقرآن. ولقد ألفت كتاباً يتضمن ذلك! فالإمامة عملية تحتاج إلى مؤهل وليست حقاً فطرياً، وقد وضع الرسول ﷺ هذا المؤهل وهو العلم بالقرآن، فجعل صبيها يؤم قومه بمن فيهم الشيوخ لأنه كان أعلمهم بالقرآن، وجعل مولى (أى عبداً) يؤم الصحابة كلهم وكان من بينهم أبو بكر وعمر. فإذا كانت المرأة أعلم ممن تؤمهم فهي أحق بالإمامة، ولكنها تغطي شعرها، فهي هنا في صلاة جماعة، وبالتالي فإن الأمر بالنسبة لغطاء الشعر، يختلف فيها لو كانت تصلى بمفردها، فصلاة الجماعة تحتاج إلى الضوابط، وبالطبع لا توجد من تستصلي إماماً بالناس وشعرها مكشوف. وأضاف: قابلت في قطر الدكتورة أمينة ودود التي فجرت موضوع قيام المرأة بإمامة المصلين، وهي سيدة محتشمة جداً وتغطي رأسها وعلى علم!!

—: إباحة تبادل القبلات بين الشباب والشابات: وأفتى خلال حديث مع قناة فضائية، بإباحة تبادل القبلات بين الشباب والشابات في الأماكن العامة، وفي الجامعة أو بين زميل وزميلته في العمل، لأن الشباب بهم طاقة وعندهم كبت ويحتاجون إلى تنفيس، وأنها لا يعتد بها لأنها من اللمم!

وأنارت فتاويه جدلاً دينياً واجتماعياً واسعاً، وتعرض بسببها لهجوم شديد من علماء، اتهموه بالتشجيع على نشر الفاحشة في المجتمع، وطالبوه بالتراجع عنها.

وفسر فتواه أنه لم يقل إن القبلات بين غير المتزوجين حلال، لكنه اعتبرها ليست أمراً إداً، وأن الإسلام لم يعتبرها من كبائر الذنوب، بل من الصغائر التي تعالج بالحسنات.

وأرجعها لتعنت الآباء والأمهات في شروط الزواج، ورفضهم إعمال الحديث النبوي: إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير، لكنهم لم يفعلوا، فحدث رد فعل متمثل في صورة من الانحرافات أبسطها القبلات. فقال له مقدم البرنامج وقد انفعَل: أترضى لبنتك أو أختك أن تفعل ذلك؟ فقال: لا مانع عندي! فقال له: إن من يرضى لأهله أن يفعلوا ذلك، يسمى ديوث. فقال: هذا رأيك أنت!!

—: جواز التدخين وشرب السجائر في نهار شهر رمضان!! وأفتى: في مقابلة بأحد البرامج أيضا بجواز التدخين وشرب السجائر في نهار شهر رمضان أثناء الصيام لأنها هواء!! وقال: إن التدخين لا يفسد الصيام في نهار رمضان، لأن القرآن لم ينص إلا على تحريم الطعام والشراب والجِماع، وما عدا ذلك فليس من محرمات الصوم!

ويضحك اعتزازاً برأيه ويقول: لست من المدخنين، حتى لا يظن أحد أنني أعلنت هذا الرأي، لعدم قدرتي على مقاومة فكرة الامتناع عن السجائر ولكنني أعرف أناساً مدمنين للتدخين وفي رمضان لا يكون أمامهم إلا أمران. إما الإفطار للتدخين في سرية، أو النوم طيلة النهار والسهر طوال الليل للتغلب على غياب السجارة إن دخان السجائر يُستنشَق ولا يُشرب، ولا توجد آية في القرآن تحرم استنشاق الأبخرة خلال فترة الصيام!!

نسي.... أو تناسى، أن حكم منع التدخين في نهار رمضان، وصل لحد الإجماع غير القابل للجدل والاستفسار، وأن هناك فرقاً بين دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، فالله نهى عن الطعام والشراب والمعاشرَة في نهار رمضان، وهى من الأمور المباحة في غير نهار رمضان، ولذا يكون من الأولى الامتناع عن الحرام .

—: إنكار عذاب القبر: وأفتى منكراً لعذاب القبر فقال: لا يكون هناك عذاب إلا بعد حساب، يروجون لبضاعة من صنع سلامى! وإذا لم يصدقوني فعليهم أن يرجعوا للشيخ.... الذى أكد هذا الكلام، وقال: لا عذاب إلا بعد حساب!!

أنا على علم أكثر من الفقهاء الأوائل، لأننى أمتلك وسائل بحثية متقدمة لم تكن موجودة في عصرهم، تتمثل في التكنولوجيا والتقنية الحديثة وتحديد الحاسب الآلى، ووسائل البحث الحديثة الأكثر تطوراً، ولهذا أنا على علم وخبرة أكثر منهم، خصوصاً أننى أمتلك فكرهم وفكر الهنود والأمريكان ومختلف الحضارات .!

وأفتى: بأن المرتد عن دينه لا توقع عليه عقوبة.

وأفتى: زاعماً بأن زواج المتعة حلال شرعاً .

وأفتى: بأن ما يسمى بصحيح البخارى ومسلم أحد أسباب التدهور الإسلامى.

وقد أراح الله بحمده المسلمين منه ومن أقواله واجتهاداته فتوفى من قريب. فهل يتعظ من

مد الله له فى العمر؟!!

* * *

—: وآخر يفتى بهدم الحرم وإعادة بنائه لضمان عدم الاختلاط بين الرجال والنساء!!

تناقلت وكالات الأنباء وجرائد الخليج وغيرها من وسائل الإعلام المختلفة فتوى المطالبة بهدم الحرم وإعادة بنائه لضمان عدم الاختلاط بين الرجال والنساء! وكانت جميعها ما بين مستنكر ومستهجن وغير مصدق حتى وصف البعض منها قائلها بأنه أبرهة العصر.

وتحت عنوان عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بجامعة.... يقترح هدم المسجد الحرام حل مشكلة الاختلاط في الطواف والسعي! كتبت صحيفة.... اللندنية: اقترح داعية.... بهدم المسجد الحرام في مكة غرب المملكة بشكل كامل، وإعادة بنائه لحل مشكلة الاختلاط بين الجنسين في الطواف والسعي! وفاجأ في مداخلته هاتفية أجراءها مع قناة فضائية المشاهدين، بوصفه للاختلاط بين الجنسين في المسجد الحرام بـ الاختلاط المحرم، موضحاً أنه يستند في ذلك إلى فتوى لمفتى راحل....

وجاء في أحد المواقع - وقد قمت بتهديب بعض ما جاء بالمقال تحت عنوان: هوس الاختلاط وفتوى هدم المسجد الحرم. في عام الفيل فشل أبرهة الأشرم في هدم الحرم المكي رغم قوة جيشه والاستعانة بالأفيال، ودعم شياطين الإنس والجن، حيث أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، إن سوء الظن بالعباد والتكفير والدعوة لقتل المختلف في الرأي يسيطر على عقلية بعض الدعاة، الذين لا يردعهم رادع بإصدار الفتاوى الغربية التي لم يفكر فيها رسول الأمة، ولا بقية العلماء والفقهاء طوال التاريخ الإسلامي، أى أكثر من ألف وأربعمائة عام، بإصدار دعوى أو فتوى كالفتوى التي تدعو لهدم الحرم المكي، الصادرة من بعض من يدعون أنهم حماة الدين والعقيدة والحرم المكي.

لقد دعا... أستاذ الفقه في كلية الشريعة بجامعة... بهدم المسجد الحرام وبنائه من جديد لمنع الاختلاط بين الجنسين داخل الحرم، بما في ذلك عند الطواف والسعي، تلك الفتوى شكلت مفاجأة وصدمة لكل من سمع بها في العالم، وليس فقط لأهل الديانة الإسلامية أو أبناء الوطن، بل إن البعض وصفها، بأنها قنبلة أقوى من القنابل الانتحارية، التي يستخدمها الإرهابيون لأن هذه الفتوى تدعو لهدم أقدس المواقع الدينية في العالم الإسلامي. إنها فتوى غريبة أثارت الاستغراب والدهشة وعدم التصديق، لدى كل من لديه كرامة وشرف وعزة وغيره على الدين، لاسيما أن حجة المطالب بهدم الحرم المكي، أنه وبدافع الغيرة على الدين، ومن فتنة الجنس

الناعم النساء. اكتشف أن بناء المسجد الذى يحتضن أقدس بناء على وجه الأرض، الكعبة المشرفة قبلة المسلمين، ويطوف حولها المؤمنون والمؤمنات، طوال آلاف السنين قبل الدين الإسلامى وبعده بهذه الطريقة، مدعاة للاختلاط المحرم بين الرجال والنساء!!

عجيب أمر هؤلاء الذين يغلب عليهم الهوس الجنسى، والاختلاط بين الرجال والنساء، والشك فى العباد، وأن مجرد رؤية امرأة بجانب رجل ولو فى تأدية فريضة دينية، يصنف بأنه اختلاط محرم ومدعاة لإثارة الغرائز الجنسية وارتكاب الحرمة!!

هل هناك مؤمن أو مؤمنة فى بيت الله الحرام وفى لحظة الذوبان الروحى بين العبد المؤمن والله تعالى، يفكر فى ارتكاب معصية فى أقدس بقعة وعند الكعبة المشرفة؟ ما أسهل هدم المسجد الحرام وتدمير الدين ونشر الفوضى بين البشر، إذا سيطر على عقول بعض من يرون أنفسهم حراساً للفضيلة، ودعاة للشرعية، الهوس الجنسى والاختلاط والشك وسوء الظن بأفعال العباد، وإصدار الفتاوى التكفيرية، بعد ما جفت قلوبهم وعقولهم من الروحانية والذوبان مع الله، وغاب عنهم التعامل مع الناس بثقة واحترام، والدعوة للدين بالموعظة الحسنة. نحن بحاجة إلى علماء قلوبهم وعقولهم وأعمالهم خالصة لله، يدعون للمحبة والتسامح، وتحترم حرية وعقول الآخرين.

ونشرت جريدة.... وأنا هنا أنقل بالنص مقالاً تحت عنوان: الفتوى الخطرة بجواز هدم الحرم المكى الشريف!! يقول الكاتب: خطورة الكلمة أياً كان مصدرها قد تؤدى إلى المحاكم لو صارت قذفاً أو للطلاق أو لأى شأن ضار، عكس الكلمة الصادقة والمبتهلة والحكيمة، وتكون قذيفة خطيرة وقاتلة عندما تصدر من رجل عالم بالشرعية والدين الإسلامى لتتحول إلى فتوى، وما قاله.... بهدم المسجد الحرام لمنع الاختلاط، وبناء عدة طوابق لمنع ما اعتبره سبباً فى الهدم، هو أمر يدعو للتساؤل، لأن مثل هذه الفتوى لا تقف على شخص ولا جماعة محدودة لو كانت تحقق غاية شرعية، بل إجماع إسلامى عام، وهو لن يحدث لأن الحرم بهيئته الحاضرة وجد من زمن الرسول ﷺ، وإحداث أى تغيير يعنى طرح السؤال أين سيكون موقع الكعبة والمقام والطواف والسعى؟! وحتى لو أخذنا الأمر كوجهة نظر أو اجتهاد خاص، فهل يسوغ الهدم من أجل منع الاختلاط فقط ونترك باقى المنافع الكبيرة عندما أصبحت تكاليف التوسعة توازى ميزانيات دول عديدة؟ ثم ألا تحدث مثل هذه الفتوى فتنة واختلافاً بين كل المسلمين بمذاهبهم

وتنوعاتهم، لأن مثل هذه الخطوة تعنى أننا أمام إفراط بفتوى، لا تأخذ المسؤولية من جوانبها المختلفة وردود فعلها الصعبة والخطيرة؟ لقد أقامت العالم الإسلامى مسألة إحراق اليهود للمسجد الأقصى ومذبحة الحرم الإبراهيمى، وتفجّر غضب مسلمى الهند، عندما أقدم الهندوس على هدم المسجد البابرى، وماذا لو نادى أصحاب الديانات الأخرى بهدم كنائسهم ومعابدهم وكل ما يتصل بتراثهم الدينى، قد تشعل هذه الأمور حروباً خطيرة لأن المسّ بالمقدس، مسألة لا تخضع للرأى فقط طالما المبدأ العام يحسد القناعة الواحدة .

دعونا نأخذ بالنوايا الحسنة ونقول إن... اجتهد وربما أخطأ، فالقضية لا تقاس برأيه فقط عندما تحول رأيه إلى خبر تناقلته وكالات الأنباء ومحطات الفضاء ومواقع الإنترنت، والانعكاس السلبى لا يأتى فقط على قول... بل يُنظر للأمر، وكأنه مسؤولية للمملكة، التى ترعى الحرمين الشريفين، ليأتى مثل هذا الإطلاق بالرأى عائداً سلبياً وخطيراً على المملكة كلها، التى قدمت الكثير فى التوسعة والتشييد والبناء وتحمل أعباء الحج والعمرة والزيارة، وكل ما يتصل بتخفيف الأحمال عن المسلمين بكافة طوائفهم.

إن ما يصدر من المملكة سواء جاء على مسؤولية شخص أو جماعة ولو لم يكن رسمياً، لا يماثل ما يأتى من بلد آخر، وهنا لابد من الالتزام بالقواعد العامة التى لا تؤدى إلى أضرار علينا، وبالأخص فى المسائل الدينية التى يصعب فهم نتائجها ومخاطرها..



- فتوى: بإباحة شرب وتناول الخمر للمرأة الحامل إذا توحمت عليها!
- فتوى: بأنه من حق الفتاة المخطوبة أن ترمم بكارتها دون أن تخبر خطيبها وأن ذلك مثل ترميم الأسنان!
- فتوى: أباح بها للنساء استخدام الأدوات التي تغنى النساء عن الرجال والرجال عن النساء! فتوى: بإباحة استخدام الدمى الجنسية للمرأة أو الرجل!
- فتوى: للمرأة التي تأخرت عن الزواج، أو غاب عنها زوجها لمدة طويلة، بممارسة العادة السرية!
- فتوى: بأن الدين الإسلامى يبيح ممارسة الجنس على الجثث، وهو ما سماه بنكاح الوداع! بشرط إذا كان الطرفان يربطهما عقد القران قبل الموت!!
- فتوى: بأنه يحق للمسافر مضاجعة زوجته الحائض في نهار رمضان!
- فتوى: لرجل بقتل ابنه عبر دس السم له في الطعام لأنه مؤذٍ؟
- فتوى: بأن ممارسة العادة السرية هى الحل المؤقت للشباب.
- فتوى: بأن السحاق بين النساء لا يعتبر من الكبائر ولا في حكم الزنا في الإسلام.
- فتوى: بأن تناول الأدوية من دون ماء وأخذ الإبر في رمضان لا يبطل الصيام.
- فتوى: بأن الاحتكاك بين المرأة والرجل في الحفلات في رمضان، لا يفسد الصيام حتى ولو نتج عنه القذف!!

—: وهذا المفتى الذى يلقب نفسه برئيس الجمعية.... للدراسات والبحوث في فقه النوازل. بالمغرب، وقد احترت والله من غريب فتاويه، ماذا أطلق عليه أو أدعوه به، وسأترك لكم أن تختاروا له الاسم أو اللقب الذى ترونه المناسب له. ومن باب العلم لقد اخترت هنا بعض فتاويه وليس كلها، ولن أعلق كثيرا على أقواله بل سأكتفى بذكرها فقط.

—: أفتى: بجواز شرب وتناول الخمر للمرأة الحامل إذا توحمت عليها! وفي الشرع الحنيف، إن التداوى بالمحرمات غير جائز شرعاً والأدلة على ذلك كثيرة، فقد روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى عن طارق بن سويد الجعفى، أنه سأل رسول الله ﷺ عن الخمر، فنهاه عنها فقال إنها أصنعها للدواء، فقال: إنه ليس بدواء ولكنه داء⁽¹⁾.

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 317 رقم 18882.

وروى أبو داود عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: إن الله أنزل الداء والدواء فجعل لكل داء دواء فتداوا ولا تتداواوا بحرام⁽¹⁾.

وروى أبو داود أن ديلم الحميري سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً، وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا، قال رسول الله ﷺ: هل يسكر؟ قال: نعم، قال: فاجتنبوه، قال: إن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم⁽²⁾.

—: وأفتى: بأن من حق الفتاة المخطوبة أن ترمم بكارتها إذا كانت فقدتها، وذلك دون أن تخبر خطيبها! وأضاف الفقيه المثير للجدل بسبب فتاويه، أن ترميم البكارة مثل ترميم الأسنان!! ومن حق الفتاة المخطوبة أن تقوم بذلك في سرية دون إخبار خطيبها! ومضى في تحليل ذلك قائلاً: إن الإسلام أمرنا بالستر، وأن الفتاة بفعلها ذلك تكون قد سترت نفسها، لأنها إن أخبرت الخطيب بذلك فسيقوم بفضحها، وهذا يشوهها ويشوه عائلتها.

وهذا الفقيه، كان قد أفتى بجواز ترقيع غشاء البكارة، واستعمال آخر صناعي في ثلاث حالات: ادعى بأن الإسلام يسمح فيها باستعمال البكارة الصناعية، وهي: في حالة الاغتصاب، فمن تعرضت للاغتصاب إكراها، لها كل الحق في استغلال تطور العلم في ترميم غشاء البكارة قبل زواجها، والثانية: إذا تعرضت الفتاة لحادث تسبب في فقدان عذريتها، والحالة الأخيرة: هي فقدانها عذريتها في مرحلة الخطوبة، إذا غرر بها.

وعلل الفقيه ذلك بقوله: إن ترميم غشاء البكارة قبل الزواج يحمي الأسر من المشاكل، إذ لا بد أن يكون لترميم غشاء البكارة إيجابيات كثيرة تتعلق بجمع شمل العائلات، وتفادي الخلافات. واختتم رأيه بالقول: إن الفتاة من حقها أن تبدأ حياة جديدة، والدين الإسلامي يقبل توبة العبد، فلا يعقل أن نسد طريق التوبة، وهو ما يميز ضمناً إخفاء الفتاة التي فقدت عذريتها في هذه الحالات الثلاث جلباً للمنفعة ودفعاً للضرر. وتختلف فتواه هذه مع فتوى كانت قد صدرت عن مؤسسة دينية في الخليج، حرمت بموجبها عملية الترقيع مطلقاً، واعتبرتها غشاً وتدليساً ومساساً بالمبادئ والأخلاق والقيم الإسلامية!

(1) المعجم الكبير ج 24 ص 254 رقم 649.

(2) سنن أبي داود ج 3 ص 328 رقم 3683.

—: وأفتى: فى أغرب فتوى تنسب لرجال الشريعة على الإطلاق! دون ذكر أى دليل شرعى على ذلك، مثيرة للجدل، أباح بها للنساء استخدام الأدوات التى تغنى النساء عن الرجال، حيث أبرز أنه يجوز شرعا للنساء غير المتزوجات استعمال، الخضر كالجزر والخيار أو القضيب الصناعى لتحقيق اللذة الجنسية لتفادى الوقوع فى الزنا، لأنه ليس بزنا، وإنما يدخل فى باب الاستمناء الدافع إليه هو التعفف عن الزنا! وأضاف متحدثا، بأن الفتاة تلجأ إلى هذه الوسائل لتصون عرضها وكرامتها حتى لا تقع فى الحرام، لكون حكم الرغبة الجنسية مثل حكم الجوع، فهى تنفس عن نفسها بلجوئها إلى هذه الوسائل.

وزاد الفقيه، الذى أثارت تصريحاته ضجة، بأن الدمى الجنسية أيضا جائزة للمرأة أو الرجل، لأن حكم إتيانها مثل حكم الاستمناء أو العادة السرية، مشيرا إلى أن الدمى الجنسية ليست بزنا، والذى هو اتصال جنسى بين رجل وامرأة خارج نطاق الزواج!

ولفت إلى أنه فى القديم، كان العلماء يفتون المرأة التى تأخرت عن الزواج أو غاب عنها زوجها لمدة طويلة، بممارسة العادة السرية عبر استعمال الجزر أو القنينات لتخفف عن نفسها، وتصرف كبنتها حتى لا تقع فى المحذور، وهو الزنا.

وجاء حوار الفقيه حول رأيه بفتح أول متجر يبيع الأدوات الجنسية عبر الهاتف بالدار البيضاء، وتم اعتقال صاحبه قبل أيام قليلة.

وأثارت فتاوى سماحته الجديدة، نقاشا وضجة كبيرة نظرا لطبيعة المجتمع المحافظ فى أغلبه، والذى ما يزال ينظر إلى موضوع الأدوات الجنسية، مثل القضيب الذكورى المطاطى، والدمى الجنسية، بكثير من الحذر والخجل.

—: ثم كانت الطامة الكبرى، عندما أفتى بأن الدين الإسلامى يبيح ممارسة الجنس على الجثث، وهو ما سماه بنكاح الوداع! بشرط إذا كان الطرفان يربطهما عقد القران قبل الموت!! وتابع قائلا إنه: لا حرج إذا أراد الزوج ممارسة الجنس مع جثة زوجته بعد ساعات من موتها، معتبرا أن الدين الإسلامى لم يحرمه على الأزواج!!

وأضاف الشيخ قائلا: حتى إذا كان الرجل نادرا ما يفكر فى ممارسة الجنس مع زوجته وقت وفاتها، إلا أن الدين الإسلامى سمح له بذلك على أساس أن الزوجة حلال لزوجها حتى بعد

مما تمها، وأن الموت لا يفسخ العلاقة الزوجية!! باعتبار أنه جاء فى القرآن أن الزوج والزوجة يمكن أن يكونا فى الجنة معا، أى بعد الموت وفقاً لقوله!!

ونفى الخبير فى فقه النوازل، كون الموت يعادل الطلاق، حسب ما يؤكده بعض علماء الدين الإسلاميين، وأن لا دليل سواء فى القرآن أو فى الأحاديث النبوية يؤكد ذلك، معتبراً أن الزواج يبقى قائماً حتى بعد الممات. وأن الدين الإسلامى أباح للزوج أن يفعل بزوجه ما يشاء وكيفما شاء وقت ممارسة الجنس، شرط أن لا يأتيتها من الدبر، مؤكداً أن الزوجة أيضاً لها حرية اختيار أو رفض تلك الممارسات الانحرافية، باعتبار أن رضا الطرفين شرط أساسى فى العملية. وقال: مشدداً على أن كل الانحرافات مستحبة فى إطار العلاقة الزوجية !!

—: وأفتى: بأنه يحق للمسافر مضاجعة زوجته الحائض فى نهار رمضان! قائلاً إنه يجوز للمسافر الذى دخل للتو من سفره، مباشرة زوجته التى تطهرت من دم الحيض بعد الفجر لنفس اليوم خلال شهر رمضان نهاراً، وبرر ذلك بكون الزوج يملك رخصة الإفطار بحكم سفره، وكذلك الزوجة لها رخصة الإفطار لأنها حائض، حيث لا يصح لها الصوم حتى يغيب عنها الحيض وتطهر.

كما أجاز مباشرة الزوج لزوجته سطحياً، ومداعبتها، شريطة عدم إنزال المنى خلال شهر رمضان وكذا دون أن تبلغ هى شهوتها!! مبرراً ذلك بأن العامل الأساسى كما يرى الفقهاء هو عدم الجماع، أى ألا تغيب الحشفة فى الفرج، فهذا موجب للغسل أثناء أيام الإفطار، وهو موجب للكفارة وقت الصيام. أما إذا باشر الرجل زوجته وداعبها جنسياً أيام الإفطار دون إنزال لا منه ولا منها، فلا جنابة توجب عليهما الغسل، لكن إذا التقى الختانان وجب الغسل، بينما إذا خرج المنى من الرجل وبلغت المرأة شهوتها على إثر المداعبة. يضيف سماحته: فيجب عليهما القضاء فحسب، ولا كفارة عليهما حيث إن الكفارة تكون على المتعمد الذى وطأ المرأة فى نهار ورمضان. أما الأول فلم يقصد إنما غلبته الشهوة فأفسدت عليه القضاء. لأنه ليس فى العلاقة الزوجية ما لا يحل، وأن كل الممارسات حلال إلا شيئاً واحداً هو الدبر.

وأضاف أن الإباحة مطلقة لقوله تعالى: {نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} (1). مضيفاً أن الغاية من الزواج عموماً هي إشباع الرغبة الجنسية. وأوضح صاحب الفتاوى المثيرة للجدل أن المرأة أظهر من الرجل بفرجها، أما الدبر فهو واحد عند المرأة والرجل، والحكمة في تحريم الدبر هي أنه مكان خبث وليس مكان رغبة جنسية، لكنه كشف أن مداعبة دبر الزوجة بقضيب الزوج أمر لا حرج فيه، لأن التحريم يشمل الإيلاج فقط. وتابع حديثه المثير للجدل بالقول: إنه لا حرج في تقليد الأزواج لبعض الأوضاع الجنسية في الأفلام الإباحية، مضيفاً أن للزوجة أن تستمتع بذكر زوجها كيفما تشاء، وله أيضاً أن يستمتع بفرجها كيفما يشاء.

—: وأفتى: حول تحريم الإسلام لإتيان المرأة أثناء الحيض قائلاً: إذا كان الزوج لا يستطيع أن يصبر على مجامعة زوجته أثناء فترة حيضها، فيجوز له مجامعتها باستعمال الواقي الذكري الذي سيذهب عنه الأذى، والزوج الذي يقوم بذلك لا حرج عليه ولا يقع في النهي! وختم حديثه بالقول: إن رضاعة ثدى الزوجة، لا يحرم العلاقة الزوجية ولا يؤثر فيها، لأن الرضاع المحرم كما في الحديث محدد في سنتي الرضاعة، مشيراً أنه يجوز للزوج أن يستمتع بزوجته دون حدود في المعاشرة الزوجية مصداقاً لقوله تعالى: {نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} (2).

—: وفجّر الفقيه مفاجأة من العيار الثقيل، تنضم لسيرته الغنية بالفتاوى الصادمة، أثناء استضافته من طرف أحد البرامج التي تبث، وفي معرض حديثه عن الفتاوى التي أصدرها والتي جلبت له الكثير من المتاعب، عرج على حادث كاد أن يزج بالشيخ في غياهب السجون بعدما قصده شيخ طاعن في السن نحيل البدن يشتكى له من أحد أبنائه، الذي حول حياته إلى جحيم بفعل المخدرات وجلب العاهرات ورفاق السوء إلى البيت، وعدم توقير الوالد، طالباً منه أن يفتي له بقتل ابنه عبر دس السم له في الطعام! فما كان من الشيخ إلا أن أباح له ذلك، على اعتبار أن الشرع يبيح قتل المفسد، رغم أن القانون الوضعي يعاقب على ذلك، لكن الشيخ ندم، ولولا الألفاظ الإلهية لكان شريكاً للأب في جريمته.

(1) سورة البقرة آية 223.

(2) سورة البقرة آية 223.

—: وأفتى: وهو المثير للجدل بفتاويه الجنسية، لجريدة معروفة بولائها المؤيد للحرية الجنسية، بإباحة الشرع للرجال والنساء بالاستمناء لإشباع رغباتها الجنسية، واعتبرها أقل ضررا من ممارسة الفساد في غياب المرأة، فتوى ليست جديدة على أحد، لكن الجديد هذه المرة، هو طريقة هذه الممارسة.

—: وأباح الفقيه المثير للجدل، للرجل الاستعانة بالبطيخ وحتى قنينات الماء، من أجل إشباع نزواته الجنسية، مُعللاً فتواه، ببعض المجاهدين في عهد الغزوات الإسلامية، الذين كانوا يفعلون هذا! واستدل بإباحته للاستمناء للرجل بقوله: بما أن الرجال الذين كانوا يشاركون في الحروب والغزوات كانوا بعيدين عن زوجاتهم! وقال: إن ممارسة العادة السرية هي الحل المؤقت للشباب الذين يقيمون علاقات جنسية خارج إطار الزواج، ورغم ما لهذه العملية من آثار سلبية على ممارستها، كإصابتهم بالعجز الجنسي، والشتات الذهني وضعف الذاكرة، فضلا عن استمرارهم لممارستها حتى بعد الزواج - وهذه هي المصيبة العظمى، إلا أن العالم الفقيه حلل العادة السرية في أكثر من مناسبة. وقال: أنا أصر على أن فتاوى، لا تخرج عن نطاق الشريعة، مؤكدا أنه لن يتخلى عن الإفتاء لأنها عمل تعبدي كالصلاة والصيام. وقال في تصريح صحفي: الصحابة والتابعون أباحوا العادة السرية ومارسوها!!

—: وأفتى سماحته: بأن السحاق بين النساء، لا يعتبر من الكبائر، ولا في حكم الزنا في الإسلام!! بفتوى جديدة خرج بها العالم المفتى، خلقت ضجة إعلامية وردود أفعال متباينة بخصوص السحاق، واعتبر المفتى أن السحاق لا يرقى إلى مرتبة الكبائر، ولا يمكن اعتباره زنا، وحجته في ذلك أن السحاق يقصد به تحقيق لذة الجماع بين أنثيين ويشترط تواجد امرأتين، وحسب المعروف بيولوجيا بأن الأنثى لا تملك قضيبا حتى يتحقق الإيلاج الذي يعتبر مقياس العملية الجنسية، ويعتبر شرطا لا بد منه للوقوع في الزنا.

واعتبر سماحته ما تقوم به السحاقيات من أمور جانبية، من قبيل الكشف عن الجسد والعري وعرض أجزاء معينة من جسدهن من قبيل العورة، وهو ما يعد منهيًا من قبيل الشرع، ولكن ذلك لا يصل إلى مرتبة التحريم أو اعتباره من الكبائر. ونسى - فض فوه-، ما جاء في قوم لوط، واستحقاقهم العذاب لاستغناء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

—: وأفتى سماحته: في زمن عشوائية الفتوى، بأن تناول الأدوية من دون ماء أثناء الصوم لا يبطل الصيام! وقال: إنه يحق للمريض تناول الدواء دون ماء، كما يمكنه حقن الإبرة، وإكمال صيامه، فذلك جميعه جائز ولا يبطل الصيام نهائيا! وأوضح أن شهر رمضان اختبار للناس، فيما يخص الإمساك عن الطعام والشراب والشهوة الجنسية، وغير ذلك لا يبطل الصيام نهائيا!! وهذا بالطبع هو قول شاذ، وأنه من المقرر شرعاً أن كل ما يتجاوز الحلق، ويدخل الجوف أثناء الصيام من سوائل ومجمدات، سواء كانت مغذية أو غير مغذية، فإنها تفطر الصائم، وذلك بإجماع الفقهاء، وأن من يحتاج إلى تلك الأدوية فعليه أن يفطر ويقضى، فالإسلام دين يسر، أما بالنسبة لتعاطي الإبر في نهار رمضان فإنها مساءلة خلافية، فيرى أن الأرجح أن يفطر ثم يقضى لأنها مفطرة.

—: وأفتى سماحته: فتوى أثارت الكثير من الجدل، وكان قد تحدث عن الاحتكاك بين المرأة والرجل في الحافلات وقال: إن هذا لا يفسد الصيام حتى ولو نتج عنه القذف!! وأضاف أنا أفتى بشرع الله، من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. فهل تصدقوه؟!

—: وبعد فتاوى الجزر والمهراز (يد الهون) وبعد أن اختفى فجأة عن الأنظار، عاد الشيخ المثير للجدل.... ليطل علينا بفتوى جديدة أكثر غرابة من سابقتها، أباح من خلالها الرقص والغناء ولو في جنازة. وعلق.... على ما وقع بجنازة إحدى المغنيات، ليؤكد بأن الأمر مباح ولا حرج في ذلك ما دامت هي من أوصت بالغناء والرقص في جنازتها كونها مسيحية المعتقد. وصرح.... مستحضرا واقعة طنجة التي وصى فيها عالم دين مغربي بأن يخرج موكب جنازته على إيقاع الموسيقى الأندلسية! لكن عائلته لم تنفذ الوصية. وأضاف.... بأن الرقص في الأصل ليس حراما! لأن الحبشة رقصوا داخل المسجد النبوي، لكن يحرم الاختلاط بين النساء والرجال!!

* * *

فتوى إرضاع الكبير!!

—: وأفتى الدكتور.... رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، بفتوى اعتبرت من أغبى الفتاوى في العالم الإسلامى حسب مجلة فورين بوليسى الأمريكية وعدة قنوات عربية. وكانت إحدى القنوات قد نشرت فتوى للدكتور، أثارت جدلا شديدا ونقاشا كبيرا، سواء في مسقط رأسها مصر، أو في باقى دول العالم الإسلامى، استمرت عدة أسابيع في جميع أنحاء العالم، حيث أفتى بفتوى من العيار الثقيل، عندما أباح للمرأة العاملة، أن تقوم بإرضاع زميلها في العمل حتى تصير أخته من الرضاعة، منعاً للخلوة المحرمة، إذا كانت وظيفتهما تحتم عليهما وجودهما في غرفة مغلقة، لا يفتح بابها إلا بواسطة أحدهما وبالتالي يحل له الاختلاء بها في العمل!

وشرح ذلك في تصريحات له قائلا: بأن إرضاع الكبير المبيح للخلوة، خمس رضعات، وهو لا يحرم الزواج، وأن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته، مطالبا بتوثيق هذا الإرضاع كتابة، ويكتب في العقد أن فلانة أرضعت فلانا في يوم كذا والساعة كذا عدد خمس رضعات مشبعات!!

وتسببت تلك الفتوى في موجة غضب عارمة اجتاحت العالم العربى، مما أدى لقيام جامعة الأزهر بوقف الدكتور عن العمل، وأحالته إلى مجلس تأديب، ثم قررت عزله من منصبه كرئيس لقسم الحديث بكلية أصول الدين! ووضعت على المعاش، معتبرة أن تلك الفتوى توجب العزل من الوظيفة، لأنها سببت بلبلة في العالم العربى والإسلامى، وعلى المستوى العالمى، إلى جانب كونها إهانة للإسلام بعد أن أصبحت مصدرا للنكات والتشنيع على الدين. كما صارت وسيلة لبعض الشباب لمعاكسة البنات وجرح حيائهن، وفق ما نقلته صحيفة.... المصرية.

وأعلن الدكتور... رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر! تراجع عن فتواه بعد أيام من نشرها، معتذرا للمسلمين في بيان وقعه ووزعته جامعة الأزهر، قائلا سماحته: إن ما أفتى به كان اجتهدا مبنيا على واقعة خاصة، وأن الرضاعة بالصغير هي التى ثبت بها التحريم. وأنه بناء على ما تدارسه على إخوانه العلماء يعتذر عما بدر منه..



- فتوى: بعدم وجود الحور العين في الجنة، وأن المقصود بهن نساء الأرض!
 - فتوى: بأن الخمر حلال ما دام شاربها مسلماً، لا يؤدي أحداً ولا يتخطى القانون!
 - فتوى: بأنه لا عذاب في القبر؟!
 - فتوى سماحته: بأن الحجاب والخمار، خاص بنساء النبي ﷺ!
 - فتوى سماحته مؤيداً: حق المرأة في إمامة الرجال في الصلاة المختلطة!
 - فتوى: بإجازة زواج المرأة المسلمة من الرجل الكتابي مسيحياً كان أو يهودياً، ووصف القول بحرمة ذلك بأنه مجرد أقاويل وتخربات وأوهام وتضليل!!
 - وأفتى سماحته: إن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماماً، وتوازيه، ونفى ما يقال من أن شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد!!
 - فتوى: بأن سدره المنتهى لا وجود لها!!
 - فتوى: أن خلق حواء لم يكن من جزء من سيدنا آدم، بل هما مخلوقان من نفس واحدة قسمت إلى نفسيين!
 - فتوى: أن للمسلمين أن يعتنقوا المسيحية، وقال: الله لم يرسل الأنبياء ليفرضوا علينا أي شيء، نحن أحرار في أن نكون مسلمين أو نصبح غير مسلمين، ونعود مسلمين.!
- : وأفتى الدكتور.... مخاطباً شعبة الطالبات بجامعة الخرطوم قائلاً: تحدث المفسرون في كتبهم عن الحور العين، فهل تصدق ما زعموه؟ والذي أعتقده بأنكن الحور العين! وقال: الحور العين في الجنة هن النساء الصالحات في الدنيا، اللاتي يدخلن الجنة. وهذه الفتوى البدعة لا تبطل حديث المفسرين كما زعم الدكتور، بل تناقض كلام الله جل وعلا تناقضاً واضحاً ويكون قد كذب، إن كان سبق له أن اطلع على قوله تعالى في سورة الرحمن: { فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ }⁽¹⁾. وذلك لأن بعض الطالبات اللاتي خاطبهن أو النساء الصالحات، ربما تم طمئنهن في الحياة الدنيا. وسبحان العلي القدير، الذي كرر نفس الآية وبفس الحروف والتشكيل مرة ثانية، في نفس السورة (لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ). وهي آية بيّنة لا توجد فيها كلمة واحدة لها معنيان أو تفسيران أو تأويلان، بحيث يؤدي أحدهما لأن تصبح

(1) سورة الرحمن آية 74.

طالبات الجامعة حوراً عيناً. ورغم أن سورة الرحمن تتكرر فيها الآية فبأى آلاء ربكم أن تكذبوا، إلا أن الآية الوحيدة الأخرى المكررة فيها، هي هذه الآية التي تؤكد عدم طمط الحور العين. كأنها يخبرنا ربك سبحانه وتعالى، بأنه سيأتي آخر الزمان من أهل الهوى، من يفتي بغير ذلك، فشاء سبحانه وتعالى أن يؤكد بها بال تكرار. فقال تعالى: { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (1).

—: وأفتى: بأن الخمر حلال ما دام شاربها مسلماً، لا يؤدي أحداً ولا يتخطى القانون! فالمنقول عنه في ذلك أنه قال: الخمر لا تصبح أمر قانون إلا إذا تحولت لعدوان، أى حد الخمر! وسواء قال هذا أو هذا فهو مخالف لإجماع الأمة على أن الخمر محرم.

قال ابن قدامة في المغنى: الخمر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، وذكر أدلة التحريم ثم قال: فمن استحلها الآن فقد كذب النبي ﷺ، لأنه علم ضرورة من جهة النقل تحريمه، فيكفر بذلك ويستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وتراجع الفتوى برقم: 12750، ورقم: 7740، وأما تقييد الدكتور إقامة حد الخمر بشرط العدوان، فقول: ليس له فيه سلف. فنصوص السنة وكلام علماء الأمة ترتب حد الخمر على مجرد شربها. روى مسلم عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلبده بجريدتين نحو أربعين (2). وفعله أبو بكر ﷺ، فلما كان عمر ﷺ استشار الناس، فقال عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانين، فأمر به عمر ﷺ. وروى مالك في الموطأ عن السائب بن يزيد، أنه أخبره أن عمر ﷺ خرج عليهم فقال: إني وجدت من فلان ربح شراب، فزعم أنه شرب الطلاء وأنا سائل عما شرب، فإن كان يسكر جلدته، فجلبده عمر الحد قال الباجي في المنتقى في شرحه لهذا الأثر: وقوله: فإن كان يسكر جلدته - ظاهر في أن ما يسكر يجب به الحد، وإن لم يبلغ الشارب حد السكر، فكيف يقال: لا يحذر إلا إذا سكر واعتدى؟! والعدوان نفسه جريمة يستحق صاحبها العقاب ولو لم يكن شارباً للخمر. وإن لم تكن الخمر جريمة لما وصفها تعالى ونهى عنها قائلاً جل وعلا: { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (3).

(1) سورة الأنعام آية 144.

(2) صحيح مسلم ج 3 ص 1330 رقم 1706.

(3) سورة المائدة آية 90.

—: وأفتى: بأنه لا عذاب في القبر؟! وقال: هناك من يقول بمنكر ونكير وعذاب داخل القبر، وهذا غير صحيح، فالإنسان حينما يموت تصعد روحه لله، أما الجسد فيتآكل وينتهى ولا يُبعث مرة أخرى، إنما يقوم الله بخلق جسد جديد من الطين!!

أنسى الدكتور أو تناسى: أن هناك أحاديث عديدة عن عذاب القبر منها: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إنَّ للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ⁽¹⁾. وعن أبي أيوب قال: إن صبياً دفن، فقال النبي ﷺ: لو أفلت أحد من ضمة القبر، لأفلت هذا الصبي⁽²⁾. وجاء في سنن الترمذى، بإسناد صحيح، وعن المقدام بن معدى كرب قال الرسول ﷺ: للشهيد عند الله ست خصال: يجار من عذاب القبر،.... إلخ⁽³⁾. قال الترمذى: سبب هذا الضغط أنه ما من أحد إلا وقد ألم بذنب ما، فتدركه هذه الضغطة جزاء لها، ثم تدركه الرحمة.. وترك أحاديث الرسول لا يجوز، لأن الله تعالى قد قرن طاعته بطاعة النبي ﷺ في آيات عديدة منها: {مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} (4) ..

—: وأفتى سماحته زعماء: بأن الحجاب والخمار، خاص بنساء النبي ﷺ، وأنه تغطية للصدر فقط، لأن حكمهن ليس كحكم أحد من النساء، ولا يجوز زواجهن بعد رسول الله ﷺ، ومن ثم فإن آية الحجاب نزلت في السنة الخامسة للهجرة، ولم يتأثر بها وضع سائر المسلمات. واعتبر سماحة الدكتور: الحجاب للنساء، يعنى الستار وهو الخمار لتغطية الصدر وجزء من محاسن المرأة، ولا يعنى تكميم النساء، بناء على الفهم الخاطئ لمقاصد الدين، والآيات التي نزلت بخصوص الحجاب والخمار.

وقال: الذى وجه انتقادات إلى لبس الحجاب، بأنه فرض على نساء النبي وهو يعنى الستار فى الحجرة، لأن الصحابة والأعراب كانوا يأتونه لقضاء حوائجهم، فلضيق الحجرات، أمر الله بالستار لحجب نساء النبي فى الحجرات من أعين زواره. وأردف قائلاً، وهو ليس بالمصطلح

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 98 رقم 24707 رواه أحمد.

(2) المعجم الكبير ج 4 ص 121 رقم 3858 رواه الطبري.

(3) كتاب التذكرة ج 1 ص 419، حاشية السيوطى على سنن النسائى ج 33 ص 292.

(4) سورة الحشر آية 7.

الذى أدخل حديثاً، وإنما هذا أسماه الله بالخمار ليستر صدر المرأة وبعض محاسنها، مشيراً إلى أن المجتمع الإسلامى انحط ورجع إلى جاهليته، وكذلك ورث كثيراً من المتخلفات!

الحجاب لا مشروعية له! ولا دليل عليه من القرآن! إلا ستر الصدر بدليل آية { وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ }⁽¹⁾. أما آية { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً }⁽²⁾. فهى تتكلم عن نساء النبى فقط ولا دخل لها بباقي النساء!

ثم ضرب مثلاً للتدليل على التزوير الذى تعرضت له معانى المفردات فى اللغة العربية بكلمة حجاب، وقال: إنها كانت تعنى ستارا، وتم تزوير معناها إلى كلمة لباس أو ثياب، نافيا بشدة أن يكون المقصود بكلمة حجاب فى القرآن هو الملابس.

وفى ظل هذه الفتاوى العجيبة، منح الأزهر شهادة الدكتوراه فى الشريعة والقانون، بتقدير ممتاز للشيخ.... عن أطروحته، التى تناول فيها ما تشيع تسميته بـ الحجاب (غطاء الرأس الإسلامى) من الناحية الفقهية، مؤكداً أنه ليس فريضة إسلامية وأشار الشيخ فى رسالته، إلى أن تفسير الآيات بمعزل عن ظروفها التاريخية وأسباب نزولها، أدى إلى الالتباس وشيوع مفهوم خاطئ، حول حجاب المرأة فى الإسلام، والمقصود به غطاء الرأس، الذى لم يُذكر لفظه فى القرآن الكريم على الإطلاق واعتبر الشيخ أن بعض المفسرين رفضوا إعمال العقل واقتبسوا النصوص الدينية فى غير موقعها، وأن كل واحد من هؤلاء فسرّها إما على هواه بعيداً من مغزاها الحقيقى، وإما لنقص فى القدرات التحليلية لديهم، ناتج عن آفة نفسية! والسبب فى ذلك يعود إلى تعطيل الاجتهاد، رغم أن المجتهد ينال حسنة من الله حتى وإن أخطأ .

ويرى أصحاب هذا رأى أن السبب فى ذلك يكمن فى قاعدة النقل قبل العقل، المعتمدة فى البحث الإسلامى! آيات خصت بنساء الرسول، وأخرى اقتصرّت على ستر النحور، وينطلق معارضو فرضية الحجاب فى الإسلام من تفسير غير صحيح من وجهة نظرهم للآية التى جاء فيها قوله: { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ

(1) سورة النور آية 31 .

(2) سورة الأحزاب آية 59 .

عَظِيمًا} ⁽¹⁾. إذ يرى هؤلاء أنها تخص أمهات المؤمنين فقط، وضرورة وضع حاجز بينهما وبين صحابة الرسول. وجاء أيضا في السورة ذاتها: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } ⁽²⁾. والتي نزلت بحسب قولهم لتحض الحرائر على وضع ما يستر وجوههن، كي لا يكن عرضة لرجال يسترقون النظر إليهن كما يفعلون مع الجوارى. كما يؤكد من يتبنى هذا الفكر، أن آية سورة النور: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ⁽³⁾. نزلت للإشارة بستر النحر، أى أعلى الصدر والعنق، بسبب انتشار حالة سادت عند نساء العرب لا يسمح بها الإسلام. ويرى مهتمون أن الأزهر قطع الشك باليقين، وأنهى النقاش الدائر حول الحجاب وما إذا كان عادة أم عبادة، ليصرح وبشكل قاطع أن الدين الإسلامى لم يفرضه !! ولكم التعليق..

—: وأفتى سماحته مؤيدا: حق المرأة في إمامة الرجال في الصلاة المختلطة، وأن تؤم الرجال وتتقدم الصفوف للصلاة! وتؤذن، إذا كانت أكثر علما وفقها في الدين من الرجال! واستشهد بالرسول ﷺ بأنه كان قد سمح لإحدى الصحابيات العالمات والمتبحرات في الدين، أن تؤم أهل بيتها في الصلاة، بمن في ذلك الرجال، وليس هناك ما يمنع، بشرط عدم التصاق الرجال بالنساء، التصاقا قويا في الصفوف. حتى لا تحدث الشهوة والانصراف عن الصلاة!!

بالطبع كلام سماحته ليس له أى سند في الدين الإسلامى، فإمامة المرأة للرجال ووقوفها معهم في صف واحد بلا التصاق فلا تجوز، ووقوفها بجانب الرجل فلا يجوز، التصقت به أم لا. فقد دلت النصوص على تأخير صفوف النساء في المسجد.

(1) سورة الأحزاب آية 53.

(2) سورة الأحزاب آية 59.

(3) سورة النور آية 31.

وجاء في بيان الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامى بجدة المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى: تعبر باسم علماء الأمة الإسلامية وفقهائها، عن استنكارها وأسفها لظهور بدعة مضلة وفتنة قائمة، تمثلت في تقدم امرأة لأول مرة، لإمامة جماعة من المصلين في صلاة جمعة بكاتدرائية مسيحية في مدينة مانهاتن! وفي هذا مخالفة لأحكام الشريعة من وجوه، تولى المرأة خطبة الجمعة، وإمامتها للرجال في صلاتها، ووقوف الرجال والنساء متجاورين مختلطين في ذلك (كاتدرائية مسيحية). وهى أمور تخالف ما عليه اتفاق جمهور علماء الإسلام وفقهائه المعتمدين ويكون المقيمون لهذه الصلاة على هذا الوجه معتمدين على أقوال ضعيفة غير معتمدة، وردت في بعض الكتب الفقهية. والمعتبر عند فقهاء الإسلام، أن الجمعة فرض على الرجال من دون النساء، فهم الذين يقيمونها خطبة وصلاة، والمرأة يجوز لها الحضور استحباباً لا فرضاً، فكيف يسوغ لها أن تتقدم على من هو أحق منها بأدائها؟!

كما أن من المعلوم أن تقدم المرأة على الرجل في الصف ما يبطل صلاة الرجل، فكيف تؤمّه، ويّين رسول الله ﷺ أماكن وقوف النساء في الصفوف، في حديث رواه أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها⁽¹⁾. وأن من شروط إقامة الجمعة عند الفقهاء، أن تكون في مسجد جامع فضلاً عن إقامتها في غيره، فكيف تصح في كنيسة أو كاتدرائية مع وجود المساجد، وبناء على ما سبق فإن هذه الصلاة غير مستوفية للشروط، وعلى من أداها أن يعيدها ظهراً قضاء.

والمجمع إذ يستنكر هذا الحدث، يحث المسلمين جميعاً على التمسك بأحكام الدين الإسلامى، المستمدة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، يدعو الباحثين إلى الرجوع إلى أهل الدين المعتمدين فيما يعرض لهم من مشكلات وقضايا، محذراً إياهم من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، المبطله لأحكام الشرع وأدلته، إما بالطعن في ألفاظها أو أسانيداً أو بالعمل على تأويل معانيها الأصلية، الثابتة بين الناس وإجماع الأمة من عهده عليه الصلاة والسلام ومن بعده بين الصحابة والتابعين إلى أن انتهى الأمر للأئمة المجتهدين.

(1) رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي.

—: وأفتى سماحته بعد أن لم يجد من يردعه: في ندوة حضرها حشد من السياسيين وعلماء الدين، بإجازة زواج المرأة المسلمة من الرجل الكتابي (مسيحيا كان أو يهوديا)، ووصف القول بحرمة ذلك (بمجرد أقاويل وتخربات وأوهام وتضليل) الهدف منها جر المرأة إلى الوراثة. وقال: منع زواج المرأة المسلمة من غير المسلم ليس من الشرع في شيء، والإسلام لم يجرمه ولا توجد آية أو حديث يحرم زواج المسلمة من الكتابي مطلقا، مسيحيا كان أو يهوديا، الجدير بالذكر أن هذه الفتوى تلتها توابع عجيبة، حيث عقدت مراسم زواج امرأة مسلمة من مسيحي في العلن، وكانت أول رد فعل لفتوى سماحته، وجرت مراسم زواج الفتاة السودانية من الرجل الإثيوبي الجنسية، على مدى ساعات في إحدى كنائس مدينة القضايف، حيث منزل أهل الفتاة، ونقل شهود عيان عن الفتاة قولها: إنها سعيدة بزواجها من عريسها المسيحي، ومقتنعة بالفكرة، وأنها تستند إلى فتوى في هذا الخصوص.

وجاء الرد على تلك الفتوى: أن هذه الفتوى تخالف ما جاء في القرآن والسنة مخالفة صريحة، كما أنها تخالف إجماع علماء المسلمين في مختلف المذاهب، حيث وصف من أفتى بجواز زواج المسلمة من مسيحي أو يهودي، بأنه ناقض لإجماع المسلمين، وما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل المسلمين جميعا، صحيح أن الإسلام يميز زواج المسلم من غير المسلمة مسيحية أو يهودية حبا في دخولها في الإسلام، ولكن لا يميز زواج المسلمة من غير المسلم، وللوهلة الأولى يعد ذلك من قبيل عدم المساواة، ولكن إذا عرف السبب الحقيقي لذلك انتفى العجب، وزال وهم انعدام المساواة، فهناك وجهة نظر إسلامية في هذا الصدد توضح الحكمة في ذلك، وكل تشريعات الإسلام مبنية على حكمة معينة ومصلحة حقيقية لكل الأطراف.

—: وأفتى سماحته: إن شهادة المرأة تساوي شهادة الرجل تماما، وتوازيه بناء على هذا الأمر، بل أحيانا تكون أفضل منه، وأعلم وأقوى منه! ونفى ما يقال من أن شهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد!! وقال: ليس ذلك من الدين أو الإسلام، بل هو مجرد أوهام وأباطيل وتدليس، أريد بها تغييب وسجن العقول في الأفكار الظلامية، التي لا تمت للإسلام في شيء!! شهادة المرأة كشهادة الرجل في كل شيء، وأن على المرأة أن تنطلق للحياة. وهذا قول مصادم لما جاء به القرآن الكريم ومضاد للقرآن صحت به سنة النبي الأمين ﷺ في بيان حكمة الشرع في التفريق بين الرجل والمرأة في بعض أمور التشريع، ومنها شهادة المرأة على بعض الأمور.

—: وأفتى سماحته: بفتوى دينية مثيرة للجدل، حيث قال: إن سدرة المنتهى لا وجود لها، وهى آية جاء ذكرها فى القرآن الكريم فى سورة النجم: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} (1). واصفاً الحديث عنها بالغريب! وأضاف ولماذا لم تذكر شجرة النخيل بدلاً عن شجرة النبق التى يوجد تحتها عرش الرحمن؟ وتناسى قوله تبارك وتعالى: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} (2).

—: وأفتى سماحته: أنه من الممكن للمسلمين أن يعتنقوا المسيحية! وقال: إن الله عز جلاله منحنا حرية الفكر. الماء يخضع لقانون التحول، فهو يتبخر عند درجة مائة، ويتجمد عند درجة الصفر. لقد منحنا بعض المساحة، ويتابع: الله لم يرسل الأنبياء ليفرضوا علينا أى شيء، نحن أحرار فى أن نكون مسلمين أو نصبح غير مسلمين ونعود مسلمين .

وفى محاضرة لسماحته فى الخرطوم قال: إن تزوير معانى كلمات اللغة العربية، أدى لعدم فهم المعانى الحقيقية والصحيحة للقرآن الكريم، وأن من ضمن القصص الخاطئة زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة بنت خويلد وهى بنت أربعين سنة وهذا أمر غير مقبول، لأن المرأة فى الأربعين لا تنجب ست مرات، ولكن الصحيح أن الرسول تزوجها وهى فى سن الثلاثين. وذكر منكراً قتال الملائكة مع المجاهدين والمؤمنين فقال: إن الناس كانوا يظنون أن الملائكة تنزل بأجنحتها حاملة لأسلحتهم لتضرب وتقاتل مع الناس، وفى الواقع فإن الملائكة يأتون للمؤمنين. لتثبيتهم على الجهاد، موضحاً: هم ليسوا جنوداً ماديين ليقاتلوا مع المجاهدين، لكن أوهام البشر صورت لهم أن الملائكة تنزل بأشكال معينة لتقاتل.

ولم يكتف سماحته بذلك، ولكنه أنكر نزول نبي الله عيسى ﷺ آخر الزمان. وتكذبه للإمام للبخارى رحمه الله أشهر من روى الحديث، وصحة حديث صحيح البخارى عن نزول عيسى المسيح ﷺ: والذى نفسى بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها. وقال: إن عيسى ابن مريم توفاه الله ولن ينزل آخر الزمان كما هو متداول، وإن كلمة يوشك فى اللغة العربية تعنى اقترب، وقد مضت سنون كثيرة ولم ينزل عيسى؟ وأن ما يسمى بصحيح البخارى ومسلم أحد أسباب التدهور الإسلامى! وزعمه بأن زواج المتعة حلال شرعاً..

(1) سورة النجم آية 14 .

(2) سورة الأنبياء آية 23 .

وذكر أن مجموعات دينية ودعاة، قاموا بتكفير سماحة الدكتور السوداني.... وطالبوا بالحجر عليه، بسبب سلسلة فتاويه المثيرة حول حقيقة وعلامات الساعة المعروفة، كظهور الدجال ودابة الأرض، وأن الساعة لن تأتي بغتة، وشكك في الناسخ والمنسوخ في القرآن..

* * *

فتوى خلوة الرجل مع الشاب الوسيم حرام شرعا!

—: وآخر يفتى: من خلال برنامج تليفزيوني، إن خلوة الرجل مع الشاب الوسيم حرام شرعا، مشيرا إلى أنه قرأ ذلك في كتب ابن كثير، كما أن هناك العديد من الفتاوى التي تحرم ذلك على حد قوله. وأضاف بالنسبة للمراهق الوسيم، لا بد أن نعرف أن للعلماء فتاوى في تحريم الخلوة بالشاب الوسيم، والطفل الأمرد الذي فيه لمسة فتنة، وقاية للمجتمع!! فقال له مقدم البرنامج مستغربا مبهورا بما يسمع وبفطرة سليمة: أنا أعتقد أننا وصلنا إلى مرحلة متدهورة جدا، وهى أن الشخص الذى لا يستطيع أن يضبط نفسه مع شاب وسيم، هذا إنسان مريض يحتاج إلى علاج.

وعلق مقدم برامج فى دولة أخرى بعد نشره للمقابلة فى برنامجه، على تلك الفتوى، مستهجننا تلك الفتوى بقوله: فى الوقت الذى شغل العالم به، فى البحث عن علاج للسرطان والأمراض المنتشرة فى المجتمع، وكيف نتقدم تكنولوجيا، للأسف بعض الدعاة يعود بنا للخلف، ببعض الفتاوى المتخلفة.

إن البعض ما يزال يفكر بالنصف السفلى، لتعامل مع الرجل على أساس وسيم أو غير وسيم، فتاوى تدلنا وتؤكد لنا، لماذا نتأخر ونعود للخلف ولماذا يتقدم العالم ونتأخر نحن؟! *

مقدمة لا بد منها:

مما لاشك به، أن سماحة الدكتور.... قد ترك قائمة طويلة من الأعمال والفتاوى المثيرة للجدل بحق الأمة الإسلامية، نذكر بعضاً منها لكن ليس على سبيل الحصر:

بعد وفاة الشيخ جاد الحق عام 1996م تم تعيين الدكتور.... شيخاً للأزهر، رغم أنه كان في ذيل قائمة، تضم أكثر من أربعين عالماً أزهرياً! إذ تم تصعيده إلى رأس القائمة بقدرة قادر.؟! وبقدرة تقارير أمن الدولة، التي أثبتت أن سماحته، لا يرد يد لامس وخاصة يد رئاسة الدولة!! ومن عجائب المقارنات الأزهرية: أن هناك تشابهاً بين شيخ الأزهر.... (1954 - 1958) وسماحته.. فالشيخ السابق يضرب به مثل العالم، الذي يكون أداة في أيدي النظام، والذي باع آخرته بدينه!! فهو الذي أصدر فتواه الشهيرة بأحقية الدولة في التجريد من المواطنة (سحب الجنسية)، وكان يقصد اللواء محمد نجيب أول رئيس جمهورية لمصر بعد النظام الملكي.. لكن شهادة حق: فإن الشيخ السابق يعتبر قطرة في محيط الشيخ.... حيث فاق أقرانه، وأتى بفتاوى وأفاديل وأحكام لم يأت بها الأوائل! فسماحته يفصل الفتاوى كشأن من ابتليت بهم الأمة حسب المقياس الرسمي للدولة!!

أبرز أعمال سماحته:

- 1- منع طبع فتاوى مفتي مصر السابق الشيخ جاد الحق، لأن بعضها يتعارض مع فتاويه.
- 2- تسبب في قطع أرزاق ومنع رواتب نحو ألفى داعية أزهرى من جبهة علماء الأزهر، من إدارة الوعظ والإرشاد، بمنعهم من ارتقاء المنابر، وقصر ذلك على موظفي وزارة الأوقاف.
- 3- كان دائم التردد على أندية (اللوينز) بمصر الجديدة وغيرها، وهي أندية مشبوهة تديرها شبكات يهودية بهدف السيطرة على العالم، والقضاء على الأديان وإشاعة الفوضى الجنسية وتدمير القيم الأخلاقية وتسخير الشباب للتجسس على بلادهم. رغم أن هناك فتوى صادرة من الأزهر في مايو 1985 تحرم على المسلمين الانتساب لأندية (اللوينز) و (الروتاري) فما بالكم إن كان المنتسب هو شيخ الأزهر!؟
- 4- شارك وأيد ووافق على قرار وزير التعليم، بمنع دخول المسلمات المحجبات المدارس!!
- 5- أصدر سماحته قراراً بإيقاف الشيخ.... رئيس لجنة الفتوى عن الإفتاء وإحالاته للتحقيق، لأنه أفتى بعدم شرعية مجلس الحكم الانتقالي العراقي وحرّم التعامل معه، لأنه مجلس غير شرعي، وأسس الاحتلال، وأن من يتعامل معه يخالف شرع الله.

فلما زار السفير الأمريكى بالقاهرة شيخ الأزهر معترضاً على الفتوى. أصدر سماحته قراراً بإيقاف الشيخ عن العمل، ونقله إلى منطقة نائية في أطراف الدلتا بمصر! وأكد أن الفتوى التى صدرت لا تعبر عن الأزهر !!.

6- وقبل احتلال القوات الأمريكية للعراق، أصدر قراراً بإقالة الشيخ:.... رئيس لجنة الفتوى بالأزهر من منصبه، بسبب ما قيل إنه صرح بفتوى يؤكد فيها بأنه لا يجوز مد يد العون للعدوان الأمريكى على العراق، ودعا إلى الجهاد ضد هذا العدوان ووجوب قتال القوات الأمريكية إذا دخلت العراق، وأن دماء الجنود الأمريكيين والبريطانيين تعد في هذه الحالة حلالاً، كما أن قتلى المسلمين يعدون شهداء .

7- أحال عالمن كفىفى البصر، هما الدكتور... رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، والدكتور... أستاذ العقيدة بنفس الكلية، إلى التحقيق، بتهمة توزيع منشورات تسيء إلى مقامه الكريم!!

8- استصدر قراراً من محافظ القاهرة بحل جبهة علماء الأزهر المعروفة بمواقفها الإسلامية المشرفة البطولية تجاه قضايا الإسلام، وتعيين إدارة جديدة موالية له!

9- كان يلتقى بحاخام إسرائيل الأكبر (مثير)، وسفير الصهاينة فى مصر.

10- أحال الدكتور.... والدكتور.... إلى التحقيق، وكذلك الدكتور.... الذى غادر مصر إلى إحدى الدول العربية والذى لاحقه سماحته قضائياً.. كل ذلك، بسبب معارضتهم لفتاواه الضالة المضلة!

11- وبدواعى أمنية. رفع إشراف الأزهر عن مكاتب تحفيظ القرآن التى تقوم بتحفيظ القرآن للصغار على مستوى الدولة، كما أنه لم يذكر مصير هذه الكتاتيب بعد إلغاء الإشراف الأزهرى عليها!!

12- ورداً على الرسوم الكاريكاتورية التى نشرتها أحد الجرائد الدنماركية، علّق شيخ الأزهر: قائلاً: أرفض الإساءة إلى الأموات بصفة عامة، سواء كانوا من الأنبياء أو المصلحين أو غيرهم، من الذين فارقوا الحياة الدنيا!!

13- بارك سماحته توصيات مؤتمر المرأة فى بكين وقال: إن مطالب مؤتمر بكين الخاصة بالمساواة بين الرجل والمرأة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية!!

- 14- أيد سماحته الدولة في إغلاق بيوت الله، ودور العبادة في وجه أى شخص، وخاصة الزوايا والمساجد الصغيرة في الوقت الذى تركت أبواب الكنائس والمعابد مفتوحة..
- 15- عندما كان مفتياً، قام بزيارة إلى أمريكا بمصاحبة القس (صموئيل حبيب) رئيس الطائفة الإنجيلية.. وتم منح سماحته وحصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة (وستمنستر) بولاية بنسلفانيا. فلماذا منح تلك الدكتوراه وما هى أسباب ذلك؟!
- 16- وفي حرب الخليج 1990م كان بوق النظام الرسمي.. حسب الدور المرسوم له !! وأيد الاستعانة بقوات أجنبية لقتال المسلمين، وقال: بجواز ذلك شرعاً!!
- 17- نقل سماحته الشيخ.... من خطابة مسجد الجامع الأزهر، إلى مسجد النور بالعباسية، ليتولى الخطابة مكانه، نظراً لشعبية الشيخ.... المتزايدة..
- 18- تحت مسمى تطوير الأزهر: أيد سماحته القانون الذى يقلص سنوات الثانوى الأزهرى من أربع إلى ثلاث سنوات.
- 19- استقبل سماحته وزير الداخلية الفرنسى فى الأزهر وأصدر فتوى لوزير الداخلية الفرنسى (نيكولاس سر كوزي) ورئيسه شيراك حينما سعت لإصدار قانون يمنع المسلمات من ارتداء الحجاب فى المدارس الفرنسية، فقال سماحته مبرراً لهم اتخاذ قرار المنع: إن ذلك شأن داخلى فهو حقهم.. حقهم.. من حق فرنسا منع الحجاب فى أراضيها باعتباره شأنًا داخلياً. من حقهم سن قانون يحظر الحجاب. أما مسلمات فرنسا فإما أن يخلعن الحجاب ويدخلن فى دين الملك، وإما أن يرحلن عن فرنسا، أو يشربن من نهر السين أو البحر المتوسط!! وقوبل هذا التصريح بانتقادات شديدة من قبل الجماعات الإسلامية وعلماء الدين ومن المجلس الأوروبي للإفتاء، ومن جماعة الإخوان المسلمين. وانتقد علماء ومفكرون مسلمون التصريحات التى أدلى بها سماحته، وإعطاء الفرنسيين الحق، بموجب هذه التصريحات، فى خلع حجاب النساء المسلمات. وأبدى العديد من العلماء خشيتهم أن يستغل الفرنسيون هذه الفتوى من جانب أهم منصب دينى إسلامى، فى تمرير قرار رسمى بحظر الحجاب فى المدارس والمصالح الحكومية الفرنسية، (وقد صدق ظنهم فعلاً وصدر قرار بذلك) مما قد يعنى طرد الكثير من المسلمات أو إجبارهن على خلع الحجاب، وأعربوا عن الأسف من إعطاء شيخ الأزهر للوزير الفرنسى ما أراد فى وقت يتم اضطهاد للمسلمين فى فرنسا، خاصة فى هذه الأيام، التى تُشن فيها حرب ضد كل ما هو إسلامى. وذهب أحد الأعضاء إلى اعتبار أن هذه الرؤية شخصية ولا تمثل مؤسسة الأزهر..

20- سماحته يجبر طالبة على خلع النقاب: روى صحفى فى جريدة.... المصرية كان يُرافق شيخ الأزهر فى جولة تفقدية لأحد المعاهد الأزهرية، أن شيخ الأزهر أمر إحدى طالبات الصف الثانى الإعدادى فى أحد المعاهد الأزهرية، بخلع نقابها؟! فرفضت الفتاة وقالت: إن النقاب يسترها، وإنما لا تريد أن يرى أحد وجهها، فأجابها الشيخ. النقاب عادة وليس عبادة، فأجابته الفتاة بأن النقاب ضرورى، وأن أباهما قال لها ذلك: فردّ سماحته عليها قائلاً: أنا فى الدين أعرف منك ومن اللى خلفوكي!! ثم خلعت الفتاة النقاب خوفاً منه، ولما رأى وجهها قال جاداً: أمال لو كنتى حلوة كنتى عملتى إيه؟ فانهارت الفتاة من البكاء، ولم تذهب إلى المعهد فى اليوم التالى.

وفى قول آخر لأحد الصحفيين قال: أعتقد أن شيخ الأزهر أصابه الملل من عدم احترام الناس له، ومن الواضح أن أفعاله ومواقفه الأخيرة تثبت ذلك، ولن أسردها لكثرتها، فأى شيخ مُحْتَرَم يُلقَّب بـ فضيلة الشيخ، يقوم بإهانة فتاة تبلغ من العمر 11 عاماً فى معهد أزهرى أمام زميلاتها بهذا الشكل لأنها متسترة وليست مستهترة؟ قال سيدنا محمد ﷺ الدين المعاملة، فأين دينك يا.... إن ما حصل فعلاً كارثة من شيخ الأزهر الذى يخرس بنات المسلمين على خلع النقاب، علينا العوض يا رب فى أمثاله من الدعاة والشيوخ وكبار علماء الدين.

وكتب آخر: يا شيخ.... أنت لا تصلح لإدارة هذه المؤسسة العظيمة (الأزهر الشريف) وفيه شيوخ كثر أتقى منك وأقوى إيماناً، أحس بأنى غريب عن هذا الزمان، الذى انقلبت فيه الموازين فأصبح الاختلاط من ضروريات التقدم والرقى والنقاب من عادات التخلف والرجعية، والحرام حلال والحلال حرام؟! حرام تشويه صورة المسلمين بأمثال هذا الرجل. مش ناقصين تشويه.

وكتب آخر معترضاً على فعل سماحته وإجباره الفتاة الأزهرية على خلع نقابها فقال: أجبر شيخ الأزهر... إحدى الطالبات المنتقبات فى الصف الإعدادى الثانى، على خلع نقابها، لاعتباره مجرد عادة لا عبادة، مؤكداً نيته إصدار قرار رسمى، بمنع دخول المنتقبات إلى المعاهد الأزهرية وقعت الحادثة خلال جولة تفقدية لسماحته، للاطلاع على استعدادات المعاهد الأزهرية لمواجهة انتشار فيروس أنفلونزا الخنازير.

ففى معهد فتيات أحمد الليلى بمدينة نصر، فوجئ سباحته بطالبة فى الصف الثانى الإعدادى ترتدى النقاب داخل الفصل، مما أدى إلى انفعاله بشدة، وطالبها بضرورة خلعها قائلاً: النقاب مجرد عادة لا علاقة له بالدين الإسلامى من قريب أو بعيد، وبعدين إنت قاعدة مع زميلاتك البنات فى الفصل لابسة النقاب ليه؟

ولم تجد الطالبة أمامها وسيلة أخرى فى مواجهة إصرار شيخ الأزهر على خلع النقاب سوى تنفيذ الأمر بخلعه وكشف وجهها، فعلق سباحته قائلاً: لما إنت كده، آمال لو كنت جميلة شوية كنت عملتى إيه؟!

وردت إحدى المدرسات بالمعهد قائلة: إن الطالبة تخلع نقابها داخل المعهد، لأن كل المتواجرات فيه فتيات، ولم تقم بارتدائه إلا حينما وجدت فضيلتك والوفد المرافق تدخلون الفصل. لكن شيخ الأزهر طلب من الفتاة عدم ارتداء النقاب مرة أخرى طوال حياتها!! فقالت: إنها تقوم بارتدائه حتى لا يراها أحد، فرد سباحته منفعلاً: قلت لك إن النقاب لا علاقة له بالإسلام وهو مجرد عادة، وأنا أفهم فى الدين أكثر منك ومن اللى خلفوكى.!!

وعلى الفور، أعلن سباحته عزمه إصدار قرار رسمى بمنع ارتداء النقاب داخل المعاهد الأزهرية، ومنع دخول أى طالبة أو مدرسة المعهد مرتدية النقاب!!

فأصدر سباحته بعدها بيومين فقط، قراراً بمنع النقاب داخل معاهد الأزهر على مستوى الجمهورية البالغ عددها أكثر من مئة ألف معهد! وطرد الطالبات المنتقبات!! ونفذت فتوى سباحته فوراً وقام المسئولون عن المعاهد الأزهرية بطرد عدد من الفتيات المنتقبات بعدما رفضن خلع نقابهن، تنفيذاً لأوامر شيخ الأزهر.

وتزامن هذا القرار مع خمسة قرارات أخرى من رؤساء خمس جامعات كبرى، هى: القاهرة وعين شمس وطنطا وبنها والإسكندرية، تحظر التحاق الطالبات المنتقبات بالمدن الجامعية، كخطوة تسبق عدم قبولهن للدراسة بالجامعة إلا بعد خلع النقاب داخل الحرم الجامعى، واتباع التعليمات الخاصة بهذا الشأن والالتزام بها منذ الدخول عبر البوابات والسير داخل أروقة الجامعة!

وكتب أحدهم مقالة فقال فيها: لا أحد يلوم الغرب بعد اليوم على ما يفعلونه فى بنات المسلمين بعد اليوم، وسيكون تصرف سباحته حجة لهم والى بيزعل من هالكلام يزعل بس مش

أوى، كفانا مجاملات كل ما أستطيع فعله هو مجرد قول لا أكثر، ولكن كلمة واحدة قد تعنى الكثير، وتغير الكثير، بل وتقلب موازين الأرض، وقد لا يعرف قيمة هذه الكلمة أحد مثل ما يعرفها من يقال له سماحته. (فوالذى خلق السموات والأرض بالحق، إنى لأستحى أن قول عنه شيخ، كما يقول عنه البعض). وليعلم ذلك العالم، أنما تسعر النار أول ما تسعر على ثلاث: فكان منهم، عالم لم يعمل بعلمه. فما بال من عمل ضد ما علم؟! حسبنا الله ونعم الوكيل، لا إله إلا الله، يأسفى على الأمة الإسلامية فقد أصبح غطاء الوجه ظاهرة يجب الوقوف في وجهها والتصدى لها، يأسفى على الأمة الإسلامية فقد أصبحت من ترتدى الغطاء تدعو إلى مثل ما جاء في المقال (نهج إسلامى متشدد) أو بالأصح تدعو إلى الإرهاب! شوف الدول الأوروبية أول الناقلين لهذا الخبر، لأنهم يحبون أن يثيروا الفتن بين المسلمين، اتق الله يا شيخ... فالיום عمل ولا حساب.. ويوم القيامة حساب ولا عمل.

وبين أحد الشيوخ..... فى مقالة له مخاطبا سماحته، وقد رجع إلى العبارة التى تنسب إلى سماحة المفتى والتى قد جاءت عنوانا لكتاب وزارة الأوقاف: إن النقاب لا علاقة له بالإسلام من قريب أو بعيد وهو عادة وليس عبادة. وقال الشيخ: إننى لا أتصور أن تنطق بها مهما تكن منزلتك، إذ هى عبارة ساقطة بالرغم من كونها عنوانا لكتاب صادر عن الأوقاف، وبالرغم من تداولها فى الزوايا والقهاوى وأعمدة الصحف والشوارع.. هى قبل ذلك تنطوى على تدليس متعمد، بقدر ما تنضح بالجهل، وتخدم العلمانية بقدر ما تشى بالتزوير، لقد سقطت هذه العبارة القصيرة فى وادى الترهات مرتين: فى القول بأن النقاب عادة، وفى القول بأن النقاب ليس عبادة أ- أما الجملة الأولى فذلك لأن كل عادة لها أصل نبعث منه، ولها حقيقة، ولها وظيفة تبين هدفها، وهى من ثم تفتقر شرعا إلى بيان الحكم الشرعى، ولا يعفى المفتى من هذا الحكم.

ب- أن كثيرا من شعائر الإسلام ومطلوبات الشريعة، قد كانت عادة من قبل، كما قال فض فوه: النقاب وإن كان من عادات الحياة فى الجاهلية، فليس كل عادات الجاهلية ما قبل الإسلام محرما أو مكروها، فالمحظور منها ما حظره الرسول النبى ﷺ، أما ما أقره فهو مشروع أو مندوب أو واجب، وليس النقاب فريدا فى ذلك، فقد أقر النبى ﷺ صوم عاشوراء وصامه وندب إليه، وكان من عادات اليهود، وأقر القسامة فى الدماء، وأقر غسل الجنابة وفرضه، وأقر عقود البيوع والشركات والصرف والمقايضة والمزارعة والقراض والإجارة والسلم والقرض والوكالة،

وغيرها من عادات العرب الجاهليين، فهل هذه العقود محرمة لأنها كانت منتشرة بين العرب قديماً وتعامل بها أهل الجاهلية قبل الإسلام؟! هذا ما لا يقول به عاقل. وفي المقابل حرم الإسلام الربا والتبرج ووأد البنات ونكاح الشغار ونكاح الخدن والزنا والدعارة والاحتكار وأكل أموال اليتامى وعضل النساء وأكل إرثهن وإرغامهن على النكاح وغيرها من عادات الجاهلية. وهذا يعنى أن الفیصل ليس النسبة الزمنية، ولكن الحكم الشرعى، فكم من عادات مدنية حديثة هي أسوأ من أزدل عادات الجاهلية، وهل السحاق والشذوذ وشواطئ العرة ومسلسلات الفضيحة وأفلام الجسد وكتابات العورة وحجرات النوم إلا وجوهاً قبيحة لعادات العالم المتحضر؟ إن عبارة: (النقاب عادة وليس عبادة) هي بالرغم من كونها راجت قبل ظهور كتاب وزارة الأوقاف بهذا العنوان، يوحى إلى العامة وأنصاف العلماء أن الحكم بها يستند إلى بحث فقهي يرتقى إلى مستوى الوزارة التي أصدرت الكتاب، وبالرغم من ذلك، فإن الكتاب بريء منها إذ فحوى الكتاب كما بين الباحث الشيخ.... يتعارض مع عنوانه بل هو بعكس عنوانه !! مما يعنى أن أصحاب القضية وقد عجزوا عن الاستدلال عليها، استعملوا العبارة في عنوان الكتاب (النقاب عادة وليس عبادة) للإيحاء بصحتها بطريق التزوير، يقول الباحث: إن ما ورد بكتاب النقاب لوزارة الأوقاف لا يؤيد عنوان الكتاب بل يناقضه.

ثم يذكر الباحث مقاطع من الكتاب تبين ذلك ويمكن للقارئ مراجعة النص الأصلي للتأكد من ذلك وهنا نطرح السؤال: ماقيمة معلومات من قال: إن النقاب لاعلاقة له بالإسلام وهو مجرد عادة؟ نقول له: ألا يكفيك للإقلاع عن ذلك الرجوع إلى ما ذكره الإمام ابن رشد في بداية المجتهد؟ وهو يفيد أن النقاب وإن كان عادة فقد صار فضيلة باستمساك كبار الصحابييات وفضليات نساء المسلمين به في الصدر الأول، إلى حد أنه تم استثناءه من شروط الإحرام، ومنها كشف الوجه للنساء في بعض الظروف:

ففى بداية المجتهد لابن رشد أنه مما اتفق عليه العلماء أنه لا بأس للمرأة بلبس القميص والدرع والسراويل والخفاف والخمر، وأنهم أجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها أى كشفه، لكن لها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدلاً خفيفاً تستتر به عن نظر الرجال إليها كنحو ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: كنا مع رسول الله ﷺ ونحن محرمون فإذا مر بنا ركب سدلنا على وجوهنا الثوب من قبل رؤوسنا، وإذا جاوز الركب رفعناه.

ولم يأت تغطية وجوههن إلا ما رواه مالك عن فاطمة بنت المنذر أنها قالت: كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر الصديق. الدرجة: إسناده صحيح وإنصافاً للشيخ نستشهد به عليه !!

أما القول بأن النقاب (ليس عبادة) فتلك عبارة تأتي في إطلاقها هكذا، من مسرح الدعايات العلمانية، التي تستهدف ضرب النقاب أولاً والحجاب ثانياً، وهى خطأ أبلج لا يقع فيه مثل الشيخ، ذلك أنه من المقرر أن كل عمل يأتيه المسلم - ما لم يكن معصية - يصير عبادة بنية التوجه به إلى الله والمقياس الكاشف لهذا كله واضح في حديث الرسول ﷺ: فيما إنما الأعمال بالنيات.

* * *

- وكانت حصيلة حملة سباحته على النقاب:

- أ) تسببت في ضياع عام كامل على فتيات متفوقات في كليتهن وكنَّ على أعتاب التخرج ولكنهن آثرن عدم دخول الامتحانات على خلع نقابهن.
- ب) تسببت في أزمة نفسية عاشتها الطالبات المنتقبات حين وجدن تعنت الجامعة معهن في دخول الجامعة.
- ج) تسببت في انهيار كثير من الفتيات في لجان الامتحان عندما طردن.
- د) تسببت في طرد شباب ملتزم حاول نصره أخواته وزميلاته.
- هـ) يكفي أنك إن كنت داخل اللجنة تسمع صرخات المنتقبات فكيف تجيب في هذا الجو.

* * *

لقد عرض هذا الشيخ. فتيات مسلمات لجملة (يا تقلعى يا تخرجى) هل تشعر مدى الإهانة التى تعرضنا لها؟! وللأسف أن يظهر مثل هذا الرجل في بلد معروف به الأزهر فحسبى الله ونعم الوكيل عليه من الله ما يستحق..

* * *

- المهجوم على سباحته وقيام المظاهرات والاحتجاجات ضده ورفع القضايا عليه والمطالبه بعزله ومساءلته أمام مجلس الشعب. سماحة الشيخ مطلوب للعدالة:
أقام عدد من المحامين ونواب من المسلمين وطالبات، دعويين قضائيتين أمام مجلس الدولة ضد شيخ الأزهر، ووزير التعليم العالى ورئيس جامعة القاهرة، للمطالبة بإلغاء القرار الصادر

بحظر ارتداء النقاب بالمعاهد الأزهرية، ومنع المنتقبات من السكن بالمدينة الجامعية بجامعة القاهرة، وبعض الجامعات المصرية، وقيدت الدعوتان برقمى (64 / 748)، (64 / 749) قضائية، وأسس المدعون دعواهم على مخالفة القرار الصادر للدستور، وللقانون، فضلا عن عدم مشروعية سبب إصداره. وذكر المدعون أن قرار حظر النقاب قد خالف الدستور، لمخالفته نص المادة الثانية من الدستور التى نصت على أن الإسلام دين الدولة الرسمى واللغة العربية لغتها الرسمية، والشرعية الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع.

ومن جانبه أكد سماحته أنه من طبعه عدم الإساءة إلى أحد أو ظلم أحد أو الاعتداء على أحد، وأنه ليس ضد النقاب، ولم تبدر منه أى إساءة لامرأة منتقبة.

وتعرض سماحته لمساءلة برلمانية، وطالبه نواب البرلمان آنذاك بالاعتذار، وأشاروا إلى أن المصافحة أتت فى الوقت الذى كانت إسرائيل تفرض حصارها على غزة. وبرر الإمام الأكبر ذلك بأنه لا يعرف شكل الرئيس الإسرائيلى شيمون بيريز جيدا، فيما قالت صحف إسرائيلية: إن سماحته هو من بادر بمصافحة بيريز. فكذب حينما ادعى أنه لم يكن يعرفه؟!!

وظهرت مطالب برلمانية جديدة تدعو لعزله، على خلفية جلوسه مرة أخرى مع الرئيس الإسرائيلى شيمون بيريز على منصة واحدة فى مؤتمر حوار الأديان، فى كازاخستان. وادعى كاذبا أيضا، أنه لم يكن يعلم عن حصار غزة! وازدادت الضغوط على سماحته، من سياسيين ووسائل إعلام مصرية للاستقالة من منصبه، وينظر إلى ردود الفعل السلبية من تصرف سماحته، على أنها تعبير عن عمق الغيظ والاستياء الذى يشعر به المصريون تجاه جيرانهم الإسرائيليين. وكان سماحته قد اتهم صحيفة معاريف الإسرائيلية بالكذب بشأن مصافحته بيريز فى مؤتمر حوار الأديان، الذى عقد فى مقر الأمم المتحدة.

وكان نشر صورة سماحته وهو يصفح بيريز، قد أثار الغضب فى مصر وطالب أحد نواب المعارضة بإقالة سماحته من منصبه. ونشرت معاريف تفاصيل عن المصافحة، موضحة أن سماحته اقترب من بيريز وتحدث إليه. إلا أن سماحته رد بحدة على تقرير الصحيفة الإسرائيلية وقال فى تصريح تليفزيونى: إنهم كذابون. وأضاف قائلا: سلمت على عدد من الشخصيات، لكن هذا الوجه، بيريز، ليس غريبا على. ثم تساءل شيخ الأزهر، افرض أننى أنا سلمت عليه هل هدمت فلسطين؟ إنه من دولة نحن نعتز بها!! وتابع قائلا: قابلنى فسلمت عليه، هذه هى كل

المسألة، هو موجود في مكان وأنا في نفس المكان، فقابلني ومد يده فسلمت عليه. وردا على سؤال عن مصافحته بيريز بينما تضرب إسرائيل حصارا على غزة؟ قال سباحته: اسألوا الخارجية. وظهرت آلاف الاحتجاجات والمظاهرات قامت للضغط على سباحته، لتقديم استقالته ونعته بأنه كبر وخرف والأفضل له جلوسه بالبيت.

- وأكد تقرير نشرته صحيفة أمريكية، أن شيخ الأزهر الدكتور هو الشخصية الوحيدة التي يتفق المصريون من مختلف الأطياف السياسية، على وجوب عزلها فوراً!! وأعرب التقرير أن عدوان سباحته الأخير على النقاب ومصافحة بيريز، أعطى مبرراً إضافياً للمطالين بعزل هذا الرجل المثير للسخطة والجدل.

* * *

واذكروا لسباحته إذا أردتم أن تكتبوا عنه أو تشهدوا له، بأنه كان أول شيخ للأزهر:

أ - قال بإباحة ربا البنوك، الربا في المعاملات البنكية المتعلقة بشهادات الاستثمار وصناديق التوفير وهو شر أنواع الربا.

ب- وكان أول من سعى في مطاردة كل مخالف له وناصح.

ج - وأنه أول من دنس عرصات المسجد الأزهر بأقدام أحبائه من الصهاينة اليهود.

د - وأنه كان أول من زار نوادى اليهود المشبوهة بمصر، من الليونز والروتارى، من شيوخ الأزهر وعلمائه، وكان فاتحة ذلك لمن أتى بعده وقد كان.

هـ- وكان كذلك أول شيخ للأزهر يضع يمين زعيم المجرمين قائد مذبحه قانا، في كلتا يديه، بل إنه كرر الجلوس إليه بعد أن أنكر معرفته له، وقال فيه: إن وجه بيريز كان مألوفا لديه. وتعرض لنقد شديد بسبب مصافحته له بكلتا يديه، مبدئاً الترحيب والبشاشة له.

و- وأنه أول من سعى من شيوخ الأزهر، فألغى في المعاهد الأزهرية تدريس مادة الفقه المذهبي لحساب كتابه الفقه الميسر، ثم فرض بقية كتبه على حساب المراجع العلمية الأصلية.

ز- وكان أول من استقبل عمله في المشيخة بحذف اثني عشر جزءاً من القرآن الكريم من مراحل التعليم الأولى!! ثم قام بحذف آيات الجهاد من كتب التفسير!! ثم حذف السنة الرابعة من المرحلة الثانوية!!

ح- وكان أول من امتنع ومنع من الصلاة على الغائب بالأزهر الشريف، وقد صلوها عليه!!
ط- وهو أول من أدخل التعليم الفني على الأزهر الشريف، من تجارى وصناعى وزراعى
ليخنى ويشتت رسالة الأزهر التخصصية الدينية.

ي- وهو أول من حارب النقاب فى مصر وأعان على حرب الحجاب فى خارجها.
ك- وهو أول شيخ يجعل من المشيخة دارا للأفراح والليالى الملاح طلبا للدون من عرض
الدنيا.

ل- كان دائما مساندا مؤيدا لإحالة أعضاء الجماعات الإسلامية، والدعاة، إلى المحاكم
العسكرية؟!

ومن أبرز فتاوى سماحته التى أثارت جدلا واسعا بين العلماء، وقد ترك قائمة طويلة نذكر
البعض منها لا على سبيل الحصر:

1- أفتى سماحته بأن الفلسطينيين الذين يقومون بتفجير أنفسهم فى العمليات الاستشهادية
فى فلسطين، ضد أهداف مدنية إسرائيلية ليسوا شهداء!! وردت عليه جبهة علماء
الأزهر، تحت عنوان (تبرئة وبيان)، اعتبرت فيه منفذى العمليات الاستشهادية فى
فلسطين أنهم أفضل الشهداء، وجواز قيام الفلسطينيين بتفجير أنفسهم، لأن إسرائيل دار
حرب، وجميع أهلها أهل حرب ولا حرمة ولا عصمة لدمهم.

2- أفتى بوضع الجدار الفولاذى لحصار أهل غزة، وتجويعهم.

3- أفتى بإباحة ربا البنوك مخالفا النصوص والإجماع.

4- أفتى بالتحاق الفتيات بالكلية العسكرية، والجيش!!

5- أفتى أن المرأة تصلح أن تكون رئيسة للجمهورية وأنها تتمتع بالولاية العامة التى تؤهلها
لشغل المنصب!

6- أفتى بجواز تحويل الرجل إلى أنثى، بشرط الضرورة الطبية.

7- أفتى بجواز تكوين منتخب نسائى لكرة الطائرة يمثل مصر ولكن بالحجاب!!

8 - أفتى بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل، يتحقق فيه اقتناع الجميع بها
وبعدم مشروعية المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية حتى يصل الناس إلى القناعة بها!!

- 9 - أصدر فتوى يؤيد فيها توصيات مؤتمر المرأة الخبيث في بكين..
- 10 - أصدر فتوى بجلد صحفيين نشروا أخباراً تقول: إن رئيس مصر مريض، لذا فهو أول شيخ للأزهر، يطالب بجلد من يتحدث عن صحة رئيس الجمهورية.
- وقد أثارت هذه الفتوى غضباً شديداً لدى الصحفيين والرأى العام. وقيل: كان أكرم له أن يصمت، لأن هناك أمورا أكثر جسامة تستحق تعليق شيخ الأزهر وكلامه. مثل إدانة التعذيب وتزوير الانتخابات، واحتكار السلطة والأغذية الفاسدة والمبيدات المسرطنة؟ ولا حتى لما غرقت العبارة وراح ضحيتها 3500 إنسان، لم يتحدث شيخ الأزهر؟ ونحن لا نثق مطلقاً في شيخ الأزهر وكلامه يرتد عليه لأنه ليس أميناً.
- 11 - فتواه بجواز إجهاض المغتصبة والتي قال فيها: إنه يجوز للمغتصبة إسقاط الحمل (الإجهاض) بشرط أن تكون الفتاة المغتصبة حسنة السمعة ونقية وطاهرة، ورافضة لما وقع لها.
- 12 - أفتى بجواز توريث الحكم الجمهورى للأبناء.
- 13 - أفتى بأن لا خلاف بين الشيعة والسنة في أصول الدين أو الأركان.. والخلافات بين أهل السنة والجماعة والروافض الشيعة في الأصول والأركان والفروع!!
- 14 - وأفتى سماحته وأجاز عمليات نقل الأعضاء البشرية. شريطة أن يقرر الأطباء أن التبرع بهذا العضو لا يترتب عليه ضرر بالشخص المتبرع، وفيه إفادة للمتبرع له.
- كما أجاز نقل عضو من إنسان ميت إلى آخر حي، مع منع الاتجار بالأعضاء. بالإضافة إلى ذلك، أباح الشيخ في فتواه عمليات نقل الأعضاء ممن نفذ فيه حكم الإعدام على أن يكون ذلك النقل بهدف إنقاذ حياة مريض وبدون مقابل أو (موافقة من أهله)!!
- 15 - وأفتى سماحته وأعلن، أن الختان ليس من الشريعة الإسلامية، وأنه عادة أفريقية وفرعونية.
- 16 - وأفتى بأن التدخين حلال على الأغنياء حرام للفقراء! مؤكداً مشروعيته على رجال الأعمال والقادرين مادياً فقط. مؤكداً حرمة على محدودى الدخل والموظفين الفقراء؟! وجاءت فتواه رداً على سؤال أحد الطلاب عن موقف الشريعة الإسلامية من التدخين، ومدى حرمة؟

17- الفتوى بجواز تبرع المسلم لبناء الكنائس أو وصيته بذلك والشك في تنصر سماحته.
توالت فضائح شيخ الأزهر فأفتى بفتوى من العيار الثقيل، أباح بها وأجاز تبرع المسلم أو أن يوصى ببناء كنيسة!!؟

وبأن تبرع المسلم لبناء كنيسة جائز شرعاً. وأنه يجوز للمسلم التبرع من ماله الخاص لبناء كنيسة، مشيراً إلى أن الكنيسة دار للعبادة والتسامح، وأنه ليس من الصحيح تشبيه بناء الكنائس بأنها نوع من المعصية!!

وذلك خلال اجتماعه مع وفد من منظمة الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان، برئاسة المسيحي نجيب جبرائيل، بمشيخة الأزهر، وتركز اللقاء على الفتوى التى صدرت من دار الإفتاء المصرية بتحريم توصية المسلم ببناء الكنائس.

وقالت الفتوى المشار إليها: الوصية ببناء كنائس نوع من المعصية، وتشبيه ذلك بمن يتبرع لبناء نوادى القمار أو الملاهى أو أماكن تربية القطط والكلاب والخنازير، وإن المسيحيين يتعبدون فى كنائسهم من غير توحيد لله، ومن ثم لا يجوز للمسلمين التبرع لعبادات لا تؤمن بالتوحيد.

وخلال اللقاء تجرأ شيخ الأزهر على القول لنجيب جبرائيل، بأن هذه الفتوى لا يمكن الأخذ بها، إذ إنها غير موقعة من مفتى الجمهورية!! وهى فتوى غير مقبولة، تجب محاسبة من وقعوا عليها من الشيوخ!! وأنه ليس من اللائق أو من الشرع وصف المساهمة فى بناء كنيسة، بأنه معصية!! بل إنه كان يجب أن يترك الأمر فى بناء الكنائس لأهل الاختصاص وهم المسيحيون وأنه ليس من الشرع، بل من الخطأ الخوض فى عقائد الآخرين!! لأن الديانة والعقيدة وما يؤمن به الشخص هو علاقة بينه وبين ربه!! وقال سماحته: ما ورد فى القرآن يتغير من زمان لزمان!! وقيل له هل يجوز لمسلم شرعاً التبرع أو الوصية ببناء كنيسة أم لا؟ أجاب سماحة شيخ الأزهر: إن الشرع لا يمنع المسلم من أن يوصى ببناء كنيسة! إذ إنه حر فى أمواله، لأنه قد يجد تعاوناً ومنفعة من شقيقه المسيحي، بل قد يجد أن هناك من المسيحيين من يتبرعون لبناء المساجد!

كما أكد سماحته خلال اللقاء على العلاقة القوية التى تربطه بكل طوائف المسيحيين، وعلى رأسهم البابا شنودة الثالث، والتى تشوبها المودة والحب والاحترام، وأضاف أنه يحرص كل الحرص على زيارة الأساقفة والمطارنة فى سوهاج وطما عندما يزور بلده.

وقال الشيخ.... ردا بقوة على تصريح شيخ الأزهر قائلا: لا يجوز إطلاقا المساعدة في بناء الكنائس فكيف يمكن للمسلم أن يساعد في نشر شريعة غير شريعته، فالأمر هنا مثل الذي يشارك في بناء فندق به دعارة، وتساءل.... بأنه إذا كان لا يجوز أن يشارك العامل المسلم في بناء الكنائس، وهو يأخذ أجرا، فكيف يجوز التبرع في بنائها أساسا؟! ويرى أنه إذا كان هناك مسيحيون يتبرعون من أجل بناء المساجد فهم أحرار، ولم يجبرهم أحد على ذلك.

وقال الدكتور.... رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا، إن تصريح شيخ الأزهر لأغراض سياسية وليست دينية. مؤكدا أنه من الأفضل والأصح أن يتبرع المسلمون للفقراء، وأن يساعدوا في بناء المستشفيات التي تخلو من الأدوية والأجهزة الطبية، أو أن يتبرعوا لترميم المدارس التي تقع على رؤوس الأطفال، فكلها تبرعات في الأمور المشروعة، التي يستفيد منها جميع المواطنين سواء أكانوا مسلمين أم لا، وهو ما يمكن أن يندرج تحت شعار المواطنة الذي يرغب الكثيرون في ترديده. وأشار أن الذين قاموا بإصدار الفتوى الأولى التي لم تحجز تبرع المسلم لبناء الكنيسة، هم أشخاص مؤهلون بالفتوى والشريعة.

وجاء لسماعته رد آخر مفحم من الشيخ.... لما أفتى به فقال: بعد الصلاة والسلام على رسول الله. في هذه المسألة أربعة مذاهب: المذهب الأول: كفر من بينى الكنيسة:

فقد ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري رحمته الله إلى أن بناء الكنائس كفر، إذا بناها المسلم. وقال: ولا يكون ردة في حقه لاستلزامه إرادة الكفر. قال زين الدين الكتاني موجهاً مذهب الأشعري: لأنّ عنده إرادة الكفر كفر، لا لذاتها، لكن لكونها استهانة بالدين. وفي كلام الأشعري إذا بناها مسلم يحتمل أمرين، الأول: أنه يريد بذلك إذا بناها ابتداءً رغبة إعانة للكفار وتعظيماً لدينهم.

الأمر الثاني: أنه يقصد بناءها مطلقا سواء أكان ذلك رغبة في إعانتهم على كفرهم وإظهاراً لشعائهم الباطلة، أم كان ذلك إجارة ومقاولة.

المذهب الثاني: مذهب التحريم: وقد ذهب إلى تحريم بناء الكنائس والعمل على تشييدها وإقامتها جماهير الفقهاء، وهو قول المالكية والحنابلة وجمهور الشافعية وهو قول الصحابين - أبى يوسف ومحمد من الحنفية.

جاء في المدونة الكبرى: أرأيت الرجل أيجل له أن يؤاجر نفسه في عمل كنيسة في قول مالك؟ قال: لا يجوز له، لأن مالكا قال: لا يؤاجر الرجل نفسه في شيء مما حرم الله عز وجل، ولا يكرى داره ولا يبيعها ممن يتخذها كنيسة، ولا يكرى دابته ممن يركبها إلى الكنائس.

وجاء في مواهب الجليل: أن يؤاجر المسلم نفسه لكنس كنيسة أو نحو ذلك، أو ليرعى الخنازير أو ليعصر له خمرا، فإنه لا يجوز، ويؤدب المسلم إلا أن يتعذر بجهالة.

واختلف هل يأخذ الأجرة من الكافر ويتصدق بها أم لا.

وفي منح الجليل: ولا تجوز الإجارة على دخول حائض لمسجد لتكنسه حرمة دخولها فيه، ومثلها إجارة مسلم لكنس كنيسة أو رعى خنزير أو لعمل خمر، فيفسخ ويؤدب إن لم يعذر بجهل وإن نزل وفات فاستحب ابن القاسم التصديق بالأجرة. قلت: ومن باب أولى الإجارة على تشييد كنيسة وبنائها.

وأما مذهب الإمام أحمد فينقله ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم قائلًا: وأما مذهب أحمد في الإجارة لعمل ناووس ونحوه فقال الأمدى: لا يجوز رواية واحدة لأن المنفعة المعقود عليها محرمة، وكذلك الإجارة لبناء كنيسة أو بيعة أو صومعة، كالإجارة لكتب كتبهم المحرفة.

وأما عن الشافعية: فقد جاء في حاشية قليوبي: ولا يجوز بذل مال فيه غير ضرورة ومثله أيضا استئجار كافر مسلما لبناء نحو كنيسة وإن أقرّوا عليها حرمة.

وجاء في حاشية الشبراملسي: لا يصح استئجار ذمي مسلماً لبناء كنيسة، حرمة بنائها وإن أقرّ عليه. ونلاحظ أن الشافعية ينصون على بطلان الإجارة على بناء الكنيسة، ولو أقرّ النصراني على بنائها، لحرمة بنائها.

وقال الإمام السبكي رحمه الله في فتاويه: بناء الكنيسة حرام بالإجماع وكذا ترميمها. وكذلك قال الفقهاء: لو أوصى ببناء كنيسة فالوصية باطلة، لأن بناء الكنيسة معصية، وكذا ترميمها، ولا فرق بين أن يكون الموصى مسلماً أو كافراً، وكذا لو وقف على كنيسة كان الوقف باطلاً مسلماً كان الواقف أو كافراً، فبناؤها وإعادتها وترميمها معصية مسلماً كان الفاعل لذلك أو كافراً، هذا شرع النبي.

ومن هنا نفهم قول الشافعي: وأكره للمسلم أن يعمل بناء أو نجارة أو غيره في كنائسهم التي لصلواتهم. أن مقصوده بقوله: أكره التحريم لا الكراهة، ومعروف عند أهل الأصول أن الشافعي وأحمد رحمهما الله تعالى يعبران عن التحريم بالكراهة أحياناً. كما نفهم قول الحلبي منهم: ولا ينبغي لفعله المسلمين وصياغهم أن يعملوا للمشركين كنيسة أو صليباً، أنه يعبر عن التحريم بما لا ينبغي.

وأما عن صاحبي أبي حنيفة رحمهما الله تعالى، فقد نقلت كتب الحنفية عنهما تحريم بناء الكنائس، والوصية ببنائها، أو عمارتها، أو الإنفاق عليها، وأن الإجارة على ذلك باطلة. واستدل الجمهور بجملة أدلة منها:

1- قوله تعالى { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } المائدة 2.

وفي تصميم الكنائس وبنائها وتشييدها إعانة لهم على معصيتهم، وتعظيم لشعائهم الباطلة. إنه عقد إجارة على منفعة محرمة، والمنفعة المحرمة مطلوب إزالتها والإجارة عليها تنافيها سواء شرط ذلك في العقد أم لا، فلا تجوز الإجارة على المنافع المحرمة.

إن الإجماع منعقد، على حرمة بناء الكنائس وتشييدها وكذلك ترميمها، نقل الإجماع السبكي في فتاويه فقال: بناء الكنيسة حرام بالإجماع وكذا ترميمها. إن الشرائع كلها متفقة على تحريم الكفر، ويلزم من تحريم الكفر تحريم إنشاء المكان المتخذ له، فكان محرماً معدوداً من المحرمات في كل ملة، والكنيسة اليوم لا تتخذ إلا للكفر بالله، فإ إنشاء الكنيسة الجديدة محرّم، وإعادة الكنيسة القديمة كذلك، لأنها إنشاء بناء لها، وترميمها أيضاً كذلك، لأنه جزء من الحرام. قال تعالى: { أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } الشورى 21. فمن أحلّ بناءه فقد أحلّ حراماً، ومن أذن في بنائه فقد أذن في حرام، وشرع ما لم يأذن به الله، إذ لم يأذن الله في حرام أبداً.

المذهب الثالث: مذهب التفصيل: وهو المذهب الذي عليه الشافعي، وتفصيله في الكنائس، حيث فرّق في الكنيسة بين تلك التي تُتخذ لصلوات الكفار من اليهود والنصارى، وبين تلك التي تُتخذ للضيافة ومأوى المارة. فقال: ليس في بنیان الكنيسة معصية إلا أن تتخذ لمصلحة النصارى الذين اجتماعهم فيها على الشرك، وأكره للمسلم أن يعمل بناء أو نجارة أو غيره في

كنائسهم التي لصلواتهم. ومن هذا الباب، أجاز الشافعي وصية النصراني ببناء كنيسة ينزلها مارة الطريق، أو لتوقف على قوم يسكنونها حيث جاء في الأم: إذا أوصى النصراني بأكثر من ثلثه فجاءنا ورثته أبطلنا ما جاوز الثلث إن شاء الورثة، كما نبطله إن شاء ورثة المسلم، ولو أوصى بثلث ماله أو بشيء منه يبنى به كنيسة لصلاة النصراني، أو يستأجر به خدماً للكنيسة، أو عمّر به الكنيسة، أو يستصبح به فيها، أو يشتري به أرضاً فتكون صدقة على الكنيسة وتعمّر بها، أو ما في هذا المعنى كانت الوصية باطلة، ولو أوصى أن تبنى كنيسة ينزلها مارة الطريق، أو وقفها على قوم يسكنونها، أو جعل كراءها للنصارى أو للمساكين جازت الوصية.

المذهب الرابع: مذهب الجواز: وقد ذهب إلى جواز تعاقد المسلم على بناء الكنيسة أو إجارة الدار لتتخذ كنيسة. الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، خلافاً لصاحبيه أبي يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى، جاء في البحر الرائق: ولو استأجر الذمي المسلم لبنى له بيعة أو كنيسة، جاز ويطيب له الأجر. وفي حاشية ابن عابدين: قال في الخانية ولو آجر نفسه ليعمل في الكنيسة ويعمرها لا بأس به لأنه لا معصية في عين العمل.

وفي الفتاوى الهندية: ولو استأجر الذمي مسلماً لبنى له بيعة أو كنيسة جاز ويطيب له الأجر كذا في المحيط. وقد شرط الإمام أبو حنيفة لجواز ذلك أن يكون في سواد أهل الذمة. وهذا ينطبق على مسألتنا، كما حُكي هذا القول عن الإمام الزركشى رحمه الله من الشافعية، غير أن الشافعية وجهوا قوله بالجواز: بأنه يريد بناء الكنيسة التي تتخذ لنزول المارة كالفندق، لا الكنيسة التي تتخذ لصلوات اليهود والنصارى، تحريماً لقوله على قول الشافعي الذي فرق بين الكنيسة التي تتخذ للصلوات والتي تتخذ للمارة.

ولعل دليل أبي حنيفة في الجواز:

- 1- أنه لو بناها للسكنى لجاز ولا بد فيها من عبادته.
- 2- أن المعصية لا تقوم بعين العمل (البناء) وإنما تحصل بفعل فاعل مختار.
- 3- القياس على من آجر نفسه على حمل خمر لذمي، وعنده: أن الإجارة على الحمل ليس بمعصية ولا سبباً لها، والشرب ليس من ضرورات الحمل، لأن حملها قد يكون للإراقة

أو للتخليل والراجع من الأقوال الأربعة: قول الجمهور، لقوة أدلتهم وظهورها بما لا يدع مجالاً للتردد.

قرار مجمع الفقه الإسلامى الدولى: أخذ مجمع الفقه الإسلامى الدولى، بمذهب الجمهور فى تحريم بناء المسلم الكنائس والإعانة على ذلك، فى دورة مؤتمره الثالث، ضمن الإجابة على استفسارات المعهد العالمى للفكر الإسلامى بواشنطن، فجاء فى قراره رقم 23 (3/11):

السؤال الخامس والعشرون والسؤال السادس والعشرون:

ما حكم تصميم المهندس المسلم لمباني النصارى كالكنائس وغيرها، علماً بأن هذا هو جزء من عمله فى الشركة الموظفة له، وفى حالة امتناعه قد يتعرض للفصل من العمل؟

ما حكم تبرع المسلم فرداً كان أو هيئة لمؤسسات تعليمية أو تنصيرية أو كنسية؟

الجواب: لا يجوز للمسلم تصميم أو بناء معابد الكفار أو الإسهام فى ذلك مالياً أو فعلياً.

- إذاً الحكم الشرعى لجمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، يميزون ترميم الكنائس التى أقر أهلها عليها وإصلاحها، إذا قام بالترميم أهلها. أما أن يقوم المسلم بالتبرع لترميم أو بناء أو دعم كنيسة فهذا لم يقل به أحد من المتقدمين أو المتأخرين من العلماء. لأنه لا يوجد من يجزئ ويفتى على غير شرع الله، ولا من يعين على معصية، ولا من يعظم ديناً غير دين الله الذى ارتضاه.

يقول الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق رحمه الله فى رده على سؤال مماثل: إن المساجد لها شأن كبير، قال تعالى: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ } التوبة 18. { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } الشورى 21. وعمارة المساجد كما تكون بالذهاب إليها والصلاة فيها والجلوس بها، تكون ببنائها وتكون بإصلاحها.

ويقول صاحب الكشف: العمارة تتناول رَمَّ ما سقط منها وقَمَّها، أى كنسها وتنظيفها وتنويرها بالمصاييح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر. وروى الإمامان: البخارى ومسلم عن عثمان بن عفان ؓ أن رسول الله ﷺ قال: من بنى لله مسجداً يبتغى به وجه الله تعالى، بنى الله له

بيتا في الجنة، والمساهم بماله في بناء مسجد إنما يسهم في عمل شريف، حث عليه القرآن وجعل صاحبه في عداد المهتدين، وحثت عليه السنة وجعلت صاحبه من أهل الجنة.

أما المساهمة في بناء كنيسة فإن ذلك مُحَرَّم على المسلم، لأنه يُعْتَبَر نشرًا لدين غير دين الله، والله سبحانه وتعالى يقول: { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } آل عمران 19. ويقول: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } آل عمران 85. فليس لمن يسهم في بناء كنيسة من المسلمين أجر، وإنما عليه وزر وإثم لا حد له.

وجاء رد آخر مفحم لساحته من قول شيخ الإسلام ابن تيمية: من اعتقد أن الكنائس بيوت الله أو أن الله يعبد فيها، أو أن ما يفعل اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة له ولرسوله. أو أنه يجب ذلك، أو يرضاه، فهو كافر. لأنه تضمن اعتقاده صحة دينهم، وذلك كفر، أو أعانهم على فتحها: أى: الكنائس، وإقامة دينهم، واعتقد أن ذلك قرينة أو طاعة لله فهو كافر، لتضمنه اعتقاد صحة دينهم⁽¹⁾.

وقال رحمه الله: روى في أرض مصر أنها فتحت صلحا وروى أنها فتحت عنوة، وكلا الأمرين صحيح، فإنها فتحت أولا صلحا ثم نقض أهلها العهد، فبعث عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهم يستمده، فأمدته بجيش كثير فيهم الزبير بن العوام ففتحها المسلمون الفتح الثانى عنوة. ومتى انتقض عهدهم، جاز أخذ كنائس الصلح منهم فضلا عن كنائس العنوة ولا يمكنون من إحداث البيع والكنائس كما شرط عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروى الإمام أحمد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب إلى نائبه على اليمن: أن يهدم الكنائس التي في أمصار المسلمين، فهدمها بصنعاء وغيرها. وروى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة. وهذا مذهب الأئمة الأربعة في الأمصار ومذهب جمهورهم في القرى.

وقال: فالواجب على ولى الأمر - الطائع لله تعالى - المحافظ على شريعته - فعل ما أمر الله به وما هو أصلح للمسلمين، من إعزاز دين الله وقمع أعدائه وإتمام ما فعله الصحابة، من إلزامهم بالشروط عليهم ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام، ولا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول: إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم، فإن الله تعالى يقول:

(1) ينصح الاطلاع على كتاب حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين للأنصارى.

{ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } الحج 40 / 41.

* * *

- القول بتنصر سماحته وموته على غير ملة الإسلام ؟

ووصل الأمر ذروته عندما انتشرت الإشاعات والأقوال عقب وفاته بأن سماحته قد تنصر، وبرر ذلك بأفعاله الغربية والمريبة، وبما يقوله ويفعله ضد الدين باسم الدين، مما أجمعت الأمة عليه، وانفرد هو وحده فقط وابتعد عنه ؟

وجاء الرد على ذلك، من خلال قول أحد القسس في تصريح له تم نشره في القنوات المسيحية: تحت اسم الأب يوتا 26 برمودة 1727 للشهداء - 4 مايو 2011 ميلادية فقال مع تحفظنا واستنكارنا لبعض أقواله: إن سماحته كانت تربطه بقداسة البابا شنودة الثالث صداقة حميمة لم تحدث من قبل، بين بابا للأقباط وشيخ للأزهر! وللحقيقة نقول: إن سماحته كانت له سلوكيات وتصريحات وتصرفات (تثير الشكوك في إسلامه) لدرجة أن المدعو.... رئيس تحرير صحيفة.... أهانه بشدة، وكان دائم الهجوم عليه، وكان يسبه ويشتمه في جريدته بصورة دائمة، وأيضا هناك صحف كثيرة كانت تهاجم سماحته، حتى إن إحدى هذه الصحف نشرت له صورة وهو يرتدى زى بابا الفاتيكان! وهو ما دعاه إلى اللجوء للقضاء.

وللحقيقة نقول: إن المسلمين تعودوا أن يكون شيخ الأزهر رجلاً متعصباً كارهاً للأقباط وللكنيسة وللمسيحية، ينفث سموم حقهده عليهم، وينشر الفتن ويؤلب المسلمين على الأقباط، ويستخدم أساليب الخبث ضد الأقباط لذلك كان المسلمون غير راضين على الشيخ.... بسبب أنه كانت لديه سلوكيات بعيدة كل البعد عن الإسلام!!

فقد كانت له محبة حقيقية لبابا الأقباط وللأقباط، وكان يظهر تسامحا في أحيان كثيرة، وهذا التسامح بعيد كل البعد عن تعاليم الإسلام!! لم يقل أو يفعل شيئا والتزم الصمت وعدم التدخل عندما كانت الكنيسة تقبض على من أسلمن من المسيحيات، رغم مطالبة المسلمين له بالتحرك وفعل أى شيء.

وكان يظهر رقيقاً وتحضراً في التعامل مع غير المسلمين، وهذا كله غريب عن طبع الإسلام ومبادئه؟! (لذلك دخل الشك ليس في قلوب المسلمين فقط، إنما في قلوب الأقباط أيضاً بسبب السلوك الغريب لشيخ الأزهر)! فأى طفل قبطى يستطيع أن يصف سلوكيات وأخلاق شيوخ الأزهر وشيوخ المسلمين عموماً، فلسانهم لا يكف عن السباب واللعن والإساءة للآخرين.

إذاً لم يعرف الأقباط طوال تاريخهم شيخاً للأزهر (لديه الحد الأدنى من الأخلاق سوى سماحته) كما أن الوفاة الغامضة والمفاجئة لسماحته على حد زعمه. أثارت الشكوك حول هذه الوفاة، وثار تساؤل هل هى وفاة طبيعية أم هى وفاة جنائية؟ دبرت للشيخ (بسبب وجود إشاعة أنه اعتنق المسيحية سراً)؟

هنا لابد من قول الحقيقة والصدق، والشئ الذى لا يقبل النقاش أبداً هو الحقيقة، التى تقول: (إن المسيحية لا تقبل الكذب أبداً ولا تبيحه تحت أى ظرف من الظروف)! ومن هنا أؤكد للجميع أننا كأقباط لا يجب علينا أبداً أن نقول شيئاً يخالف الحقيقة، وأى إنسان مسيحي عليه دائماً قول الصدق والحق، وأن يكون كلامه - نعم نعم ولا لا - ولا يجب أن تنتقل عدوى الكذب من المسلمين إلينا، لذلك نحن نؤكد أنه لم يحدث أن الشيخ.... اعتنق المسيحية. نحن نقول الحقيقة دائماً، ولو كان الشيخ سماحته اعتنق المسيحية، لما تأخرنا أبداً في إعلان الحقيقة بعد وفاته، لذلك نرجو من أبنائنا الأقباط، التأكد من أى معلومة قبل تداولها على مواقع الإنترنت، ونحن نؤكد أننا لا نتأخر في إعلان أو تأكيد أى حقيقة نثق في مصداقيتها، ولقد سبق أن كتبنا مقالاً موجوداً على الإنترنت يؤكد حقيقة اعتناق أحد شيوخ الأزهر السابقين وهو.... للمسيحية تحت عنوان (القصة الحقيقية لاعتناق شيخ الأزهر.... للمسيحية) ومع كل هذا، نحن نجد عذراً سواء للمسلمين أو للأقباط، الذين ساورتهم الشكوك، حول.... بسبب غرابة تصرفاته التى ذكرناها سابقاً بالنسبة للطرفين.

لذلك نؤكد مرة أخرى أن سماحته لم يعتنق المسيحية سراً، وأيضاً نؤكد 100% أن أحد شيوخ الأزهر السابقين.... قد اعتنق المسيحية وسمى عبد المسيح ال.... ومات على اسم المسيح، وأحب أن أقول إننى حزنت جداً بسبب موت شيخ الأزهر.... وهو مسلم!

كنت أتمنى ألا يكون نصيبه مع الهالكين والضالين، لكن هو كان صاحب القرار وهو راشد وكامل السن واختار أن يموت (كافراً!!) أقصد مسلماً! فهو وحده يتحمل نتيجة خطأ اختياره، ونتمنى من كل شيوخ المسلمين وكل مسلم عادي، أن يفكر في حياته بعد الموت، وعلى كل إنسان أن يتحمل مسئولية قراره لأنه حر في حياته.

وأكرر طلبى لأبنائنا الأقباط، ألا يكتبوا شيئاً غير صحيح على أى موقع أو منتدى قبطى، حتى لا يفقد الناس الثقة فيما يكتب على النت في هذه المواقع، ولا بد أن يظهر الفرق بين القبطى والمسلم في المصادقية، ويكفى أننا نكشف للمسلمين دائماً كذب شيوخهم الدائم عليهم وبالدليل والبرهان، مما أفقد هؤلاء الشيوخ احترامهم لدى كل مسلم متحضر.

كما أن المسيحية لا تحتاج لأى إنسان لتعزز بدخوله إليها، مثلما يعتز الإسلام بعمر أو حتى بأى راقصة أو مجرم، إن المسيحية ليست دين روباكيا يقبل أى شخص وأى عدد وبأى سبب المسيحية ديانة عظيمة من قبلها لا بد أن يكون يستحق هذه الجوهرة!!

ولا بد أن يكون إنساناً يبحث عن الأفضل، وعن الأثمن والنفيس والغالى، ولا بد أن يكون إنساناً مستعداً لأن يضحي بكل نفيس من الأمور الدنيوية الفانية، ويبحث عن الحياة الأبدية وعن الإله الحقيقى!! وليس كما يبحث المسلم المخدوع من المشايخ، عن الشهوات الجسدية وبنات الحوار والولدان المخلدين وكل هذه الأمور، والتي ليست فى السماء أو الفردوس، أو فى محضر الله القدوس، ليت كل مسلم يفهم الحقيقة، والحقيقة هى أن حياة أى إنسان بعيداً عن المسيحية، هى حياة بعيدة عن الله وقريبة من الشيطان؟! هذا المقال موجه إلى جميع المواقع القبطية لمن يريد نشره. هذا المقال يعبر عن رأى الشخصى فقط: الأب يوتا..

* * *

- وفاته وما جاء بها من الأقوال:

توفى سماحته صباح يوم الأربعاء 10 مارس 2010م فى مدينة الرياض عن عمر يناهز 81 عاماً، إثر نوبة قلبية تعرض لها لم تمهله فى مطار الملك خالد الدولي.

وكانت قد انتشرت إشاعات وروجت مواقع تنصيرية عدة، إشاعة تنصر سماحته أشرنا إليها سابقا. مدعية موته على الملة النصرانية، مرتداً عن الإسلام، بحسب كتابات لمنصرين وقساوسة عرب من المشرفين على تلك المنتديات الكنسية والمواقع النصرانية. ومما بثوه فيها، أن سماحته لم يمت مorte طبيعية وأن دفنه في المدينة المنورة لإخفاء جثته حتى لا يكشف التشريح، سبب الوفاة الحقيقي بحسب مزاعم تلك المواقع. وأضاف المنصرون له، أن ما حمل السلطات على فعل تلك الجريمة، إنما هو اعتناق سماحته للمسيحية في السر، وأن فتاواه ومواقفه المثيرة للجدل، وسخط الشعوب المسلمة عليه، دليل على تحوله عن الإسلام، بحسب ما أشاعته أبواق التنصير.

* * *

- خاتمة سماحته وما جاء في ذلك من أقوال:

استغرب المسلمون وتساءلوا وتشككوا، في سبب دفن سماحته وهم قد علموا من أفعاله ما علموا، ومن أقواله ما سمعوا، بأنه قد سمح بدفنه في مقابر البقيع بالمدينة المنورة؟! خاصة وقد قال رسول الله ﷺ: من استطاع أن يكون بالمدينة فليمت بها، فإنني أشفع لمن يموت بها⁽¹⁾. فاصدرت جبهة علماء الأزهر في 28 من ربيع الأول 1431 هـ بيانا موضحا لذلك، قالت فيه: اعلموا أن الأرض لا تقدر أحدا، وأن موطن الدفن لا يعنى كرامة. الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

حدثت فتنة دهماء في نفوس كثير من عامة المسلمين، بخصوص ما حدث من دفن شيخ الأزهر الذي مات مؤخرا في البقيع. وحدث تنازع في النفوس من جهة وبين المسلمين بعضهم بعض من جهة أخرى. وكثر اللغظ والتلبس في هذا الأمر. وطلب كثير من المسلمين البيان. ولم نجد بيانا في ذلك أفضل من هذا البيان الذي صدر عن جبهة علماء الأزهر، فوجدنا من الخير نقله كما هو عن موقع جبهة علماء الأزهر، وهذا هو نص البيان:

قبل أن تستغفروا له رُدُّوا الحقوق إلى أصحابها؟ إلى الذين لا يزالون في الغي سادرين، يكيلون لهذا الشيخ المديح الكاذب، ويزجون إليه بشهادة الزور: اعلموا أن الأرض لا تقدر

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 104.

أحدا، فإن البقيع الذى ضم أشرف الأجساد بعد رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين، قد ابتلع أيضا فى جوفه أخبث النفوس وأرداها.

ضم البقيع عبد الله بن أبى بن سلول الذى كفن فوق ذلك برداء رسول الله ﷺ بعد أن صلى عليه رسول الله ﷺ، بشفاعته ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى، ومع هذا، فقد نزل فيه قول الله رب العالمين: { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } التوبة 80. ثم قوله تعالى: { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ } التوبة 84. وضم البقيع أيضا، أوس بن قيطى، الذى قال - كاذبا للفرار من الزحف: { إِنَّ بَيْوتَنَا عَوْرَةٌ } الأحزاب 13. فأكذبه الله تعالى وقال: { وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا } الأحزاب 13. وفى البقيع من المرجومين باللعن، حاطب بن أمية بن رافع، الذى أثختته الجراح يوم أحد فقال:

غررتم والله هذا المسكين من نفسه. وفى البقيع أيضا، فِر أبيرق أبو طعمة سارق الدرعين الذى نزل فيه قوله تعالى: { وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا } النساء 107. وقبر كذلك قرمان بن حليف، الذى آلمته جراحه بعد أن قتل من المشركين يوم أحد سبعة، ثم قتل نفسه بعد أن آلمته جراحه فمات منتحرا، وهو الذى قال والله ما قاتلت إلا حمية عن قومي، ثم مات لعنه الله، كما قال ابن إسحاق. ومن موتى البقيع الذين هم الآن فى الدرك الأسفل من النار، الضحاك بن ثابت الذى كان يُتهم بالنفاق وحب اليهود، وكان من بنى عبد الأشهل من الأوس، وكذلك وداعة بن ثابت، الذى كان ممن بنى مسجد الضرار، وهو الذى قال: { إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ } التوبة 65.

هؤلاء وغيرهم كثير ممن دفنوا بالبقيع، لم يشفع لهم البقيع، أو يرفع لهم خسيصة. فلا يغرنكم من الشيخ أن كان فى البقيع مرقده عن طلبه، ودعوا قول الزور على الله وعلى المؤمنين فيه، فإن الذى حرم قول الزور فى الأحياء قد حرمه أيضا فى الأموات.

من سنَّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها.

ومن سنَّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها.

من يحلل الربا يحلل الزنا.

ومن حلل حراما فعليه وزره وإثمه ووزر وإثم من عمل به من بعده.

ومن حرّم حلالا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

ومن عادى المؤمنين المسلمين الموحدين من أبناء وبنات الأمة فقد آذنه الله بالحرب.

ومن ساعد على حصار الأنفس البريئة (غزة) بالفتوى، تبريرا لولى أمره وطاعة عمياء له وبدون تردد وقال: (حلال حلال حلال) ثلاثا دون تلثم أو تلكأ أو استحياء أو خجل!! فعليه من الله ما يستحق.

وفي الجملة: كان سماحته حربا على الإسلام، وصادا عن سبيل الله، ومحرفا للدين، ومسخر الفتنى لطغيان السلطة، وعبثها بالأمة. فالحمد لله الذى أراحنا وأراح الأمة الإسلامية من شره. ولا والله، لا يذكر إلا بشر أعماله، ولا كرامة له، ولا نعمة عين والله أعلم..

- وفي نقد آخر وجه لسماحته بعد رحيله:

قال تعالى: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ } سورة الأعراف 177/175.

أما عن حديث: اذكروا محاسن موتاكم، فضعيف ولا يحتاج به⁽¹⁾. ولكن فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها، قالت: قال النبى ﷺ: لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا⁽²⁾. قال الإمام ابن حجر رحمه الله: أى وصلوا إلى ما عملوا من خير، أو شر، واستدل به على منع سب الأموات مطلقا، وقد تقدم أن عمومهم مخصوص، وأصح ما قيل فى ذلك أن أموات الكفار والفساق يجوز ذكر مساوئهم والتحذير منهم والتنفير عنهم، وقد أجمع العلماء على جواز جرح المجروحين من الرواة أحياء وأمواتا.

(1) سنن الترمذى ج 3 ص 339.

(2) صحيح البخارى ج 1 ص 470.

ولهذا بَوَّب البخارى رحمه الله بعد هذا الباب، (باب ذكر شرار الموتى). ومن ذلك ما ورد عن عمر رضي الله عنه: فمرت جنازة، فَأُتِنِي خيراً، فقال عمر: وجبت، ثم مر بأخرى، فَأُتِنِي خيراً، فقال: وجبت، ثم مر بالثالثة، فَأُتِنِي شراً، فقال: وجبت، فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين: قال: قلت كما قال النبي ﷺ: أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة؟ قلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قلت: واثنان؟ قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد⁽¹⁾. وبهذا يعلم أنه يستثنى ذكر أهل الضلالة، والبدع، لاسيما الذين تركوا في المسلمين شرهم وضلالاتهم من رؤوس الشر، وأعوان الطغيان، فهؤلاء يذكرون بسوء أعمالهم بعد موتهم، لتحقيق مصلحة التحذير والتنفير من أفعالهم المخزية ولهذا لم يزل علماء المسلمين في مؤلفاتهم في هذا الباب، يذكرون رؤوس أهل البدع بالسوء.

وكتب العلماء طافحة بذلك. وهذا الهالك يُذكر كما يذكر أهل الضلالة، بما فعلوه من شر ومخازى ليحذر منهم، ويكون ذلك عبرة لغيرهم، فليس في ديننا منح الامتيازات بغير حق، لاسيما في مقامات الدين، لما في ذلك من إضلال المسلمين.

وفي الحديث: يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيئ، أنتم شهداء الله في الأرض⁽²⁾. وفي الحديث: من أثبتتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثبتتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض⁽³⁾. وعملاً بقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } الحجرات 6.

* * *

(1) رواه البخارى وغيره، شرح السنة ج 5 ص 383.

(2) رواه ابن ماجه 4221 عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون ورواه أحمد في المسند الجامع 12448 عن يزيد بن هارون ج 3 ص 416 وعبد الملك بن عمر وسريج عن نافع بن عمر، به تفسير ابن كثير ج 1 ص 192.

(3) رواه البخارى ومسلم واللفظ له والترمذى والنسائى وابن ماجه الترغيب والترهيب ج 4 ص 181.

تأبين سماحته من إسرائيل:

— وقد قامت جريدة ידיعوت أحرنوت الإسرائيلية بتأبين سماحته، ذاكراً له مواقفه وما قدمه لإسرائيل، وقامت بكيّل المدائح له واصفة إياه: بالمعتدل والشجاع، الذى حرم الذهاب لـ (إسرائيل) للجهاد، وحرّم العمليات الانتحارية (الاستشهادية)، ودعم حظر الحجاب فى فرنسا، والنقاب فى مصر، ودعم إقامة الجدار الفولاذى (بين مصر وغزة)، وصافح الرئيس بيريز!!

ووصفته بأنه كان مثلاً للاعتدال، وكثيراً ما جلب على نفسه انتقادات من وصفته المتطرفين الإسلاميين، خاصة فى موقفه من اليهود ودولة إسرائيل ولفت المقال إلى أن.... التقى بالرئيس شيمون بيريز وحاخامات يهود، وأشارت الصحيفة الإسرائيلية بمقال كتبه روى نحيماس، إلى أنه منذ عام 1996م شغل سماحته منصبه الدينى المهم جداً بالعالم السنى، وخلال الـ 14 عاماً الأخيرة، اتخذ خطأً معتدلاً ضد التطرف المتعاضم والمتزايد.

وأضافت ידיعوت أحرنوت أن عدداً من الألقاب صاحبت اسم.... فى الأبناء عن وفاته منذ أيام، من بينها الإصلاحى، والشجاع فى المعارك، وهى أبناء امتلأت بها الصحف العبرية، مشيرة إلى أن سماحته ترأس مؤسسة الأزهر، أكبر هيئة تشريعية إسلامية فى مصر، توفى عن 82 عاماً أثناء زيارة للسعودية، وأشارت إلى أن الأزهر المؤسسة الدينية التى أنشئت نهاية القرن العاشر، وتشمل جامعة الأزهر التى تعد أهم جامعة فى العالم السنى، تعد مركز التشريعات فى العالم الإسلامى ومركزاً للقوة الدينية. وأضافت الصحيفة، لكن سماحته لم يكن يعلم منذ 14 عاماً أى فترة زمنية هو مقبل عليها، موضحة أن العمليات الإرهابية التى بدأت منتصف التسعينيات، تزايدت مع الانتفاضة الثانية عام 2000م وأثيرت تساؤلات تشريعية صعبة، ووقتها لم يتردد سماحته فى اتخاذ مواقف شجاعة إزاء تلك التساؤلات، معارضاً بهذا التيار المتطرف الذى تنامى ولفتت ידיعوت أحرنوت، إلى أن إحدى الفتاوى المهمة له، كانت تلك التى حدد فيها مفهوم الجهاد ضد الاحتلال الإسرائيلى، (على أنه ليس فريضة على كل مسلم)!! مضيضة، تلك الفتوى كانت ضد فتاوى أخرى لأقطاب إسلاميين، رأوا فى الحرب ضد تل أبيب فريضة على كل مسلم. وأوضحت الفروق بين الاتجاهين، اتجاه سماحته واتجاه المتطرفين كانت فروقا شاسعة، خاصة أن شيخ الأزهر أكد، أنه من الممنوع على أى إنسان وبقرار شخصى، عبور

الحدود مع إسرائيل لمحاربة الأخيرة! كما أعلن معارضته العمليات الاستشهادية، موضحاً أن من المحرم قتل الأبرياء.

وأضافت الصحيفة، أن سماحته كان أحد أصحاب الفتاوى الراضين لتيار تصاعد في العقد الأخير، ضد كل من واشنطن وتل أبيب، حيث دعا إلى عدم لعن اليهود والأمريكيين بل الاكتفاء بالدعاء لهم كي يستقيموا ويتراجعوا عن أخطائهم وذنوبهم!!! وتابعت، ولم يكتف بالكلام فقط، بل إنه رافق كلامه بالفعل، عندما التقى مع حاخامات يهود بمكتبه بالأزهر بمصر، الأمر الذي تعرض بسببه لانتقادات شديدة، وشارك في مؤتمرات دينية بجانب حاخامات، وكانت قمة ما فعل، هو مصافحته وبحرارة شديدة، للرئيس شيمون بيريز، خلال مؤتمر حوار الأديان.

ورأت ידיعوت أحرونوت، أن مواقف سماحته لا تتفق مع النعمة السائدة في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة، لكن شيخ الأزهر قام بتدعيم خط الاعتدال داخل مصر، عندما أقام علاقات طيبة مع البابا شنودة الثالث بطريرك الأقباط المصريين، رغم تزايد التوتر بين المسلمين والأقباط في مصر، وتنامى أحداث العنف بينهما بين الحين والآخر.

وذكرت أن هناك لقاء جمع بين الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، حينما كان وزيراً للداخلية وسماحته، أبدى فيه الأخير دعمه لقرار حكومة باريس بحظر ارتداء النقاب في فرنسا، وهو ما قوبل باعتراضات وانتقادات ضد شيخ الأزهر، من قبل المعسكر الإسلامى المحافظ، وعلى رأسهم كبار العلماء وحركة الإخوان المسلمين.

وأشارت الصحيفة إلى أن سماحته أعرب في إحدى فتاواه التي أصدرها في أيامه الأخيرة، عن دعمه لإقامة جدار فولاذي على طول الحدود المصرية مع قطاع غزة، وقال - متزرعاً: إن الأمر يأتي للحفاظ على أمن مصر !!.

وختمت بالقول إن تسميته (الرجل الشجاع) التي أطلقت على سماحته خلال حياته، لم تأت من فراغ أو أطلقت مجاناً، ومن الصعب الاعتقاد أن خليفته أياً كان، يمكنه أن يحمل صفة الاعتدال والإصرار التي كان يحملها شيخ الأزهر..

* * *

- فتوى التبرك ببول النبي ﷺ .
- فتوى بجواز تقبيل أسوار ضريح الحسين وأسوار الأضرحة والتبرك بها!
- فتوى بجواز التوسل بالنبي ﷺ بل واستحباب ذلك!
- فتوى ضرورة الاتصال بالزوجة قبل العودة أو القدوم للمنزل!!
- فتوى بأن الزنا لم يحرم في القرآن!
- فتوى «الواقى الذكري» العازل!
- فتاوى إباحة الغناء!
- فتوى رؤية سماحته للنبي باليقظة!!
- فتوى تحليل الربا!
- فتوى إباحة رسم النساء لوشم «التاتو» على أجسادهن!
- فتوى بإحلال الزواج بين الرجل والمرأة بصيغة الإيجاب والقبول بدون أوراق رسمية أو مأذون!
- فتوى الهزء بحديث الشجاع الأقرع!
- فتوى أباح بها للمسلم بيع الخمر، ولحم الخنزير، والاعتسال باللبن!!
- فتوى إباحة مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية!
- فتوى إباحة الإفطار في المصايف والرحلات!
- فتوى إباحة الإفطار في شهر رمضان للاعبات واللاعبين المشاركين في دورة الألعاب.
- فتوى بأن النقاب مجرد عادة اجتماعية، وأن نقاب المرأة المسلمة في الغرب لا يصح!
- فتوى بجواز ترقيع غشاء البكارة!
- فتوى بأن ملكة بريطانيا من ما يسموا آل البيت أى من نسل الرسول!!
- فتوى بعدم جواز شرب الماء بعد ذكر الله!
- فتوى حول علامات يوم القيامة.
- فتوى بأن طلاق المصريين لزوجاتهم لا يقع حتى لو تلفظوا به!!
- فتوى بجواز الحج بالمال الحرام!!

- رأى سماحته السيئ فى الإمام ابن تيمية، والإمام ابن حجر العسقلانى، والإمام الألبانى رحمهم الله.
- فتوى بجواز زنا أولياء الله الصالحين.
- فتوى جواز قتل المتظاهرين باعتبارهم من الخوارج!!

* * *

—: سماحة المفتى السابق الدكتور.... احتفظ لنفسه بموقع المفتى الأكثر إثارة للجدل، بين المفتين وحقق رقماً قياسياً فى ذلك، هو ومن سبقه لنفس المنصب!! فحينما عُين مفتياً أصابه ما أصابه سابقه، فأفتى بفتاوى شاذة، لا تصدر عن تحقيق، ولا علم دقيق، ولا دين وثيق! وبث من الضلال، ما نفثته الأبواق عنه من آثام .

فقد اعتاد تبنى آراء وفتاوى فقهية صادمة، بعضها يمر مرور الكرام، وبعضها يثير الجدل، إنه الذى أصبحت فتاويه الشاذة هدفاً. فقد تعددت فى السنوات الأخيرة أطروحاته وأفكاره الصوفية، وتتابع ظهورها واحدة تلو أخرى، خاصة فى السنوات العشر الأخيرة بعد شغله منصب الإفتاء، وشغلت هذه الأطروحات كثيراً من المهتمين والباحثين، ودار حولها النقاش فى المجالس الخاصة والعامة، بين مؤيد ومادح وقادح، وأصبحت كثير من القضايا التى يطرحها قضايا رأى عام، تضطرب فى خضمها حياة المجتمع الثقافية والفكرية بل والسياسية!

وقد عمل سماحته على الترويج والحشد لأطروحاته والدعاية لها عبر عدد كبير من أجهزة الدولة ممثلة فى دار الإفتاء، ووزارة الأوقاف، ووسائل الإعلام الرسمية، ومن يروجون له وينافحون عنه. إن المتأمل فى المضمون العلمى لآراء وأطروحاته سماحته، ووسائل الإقناع التى يتبعها والتى قد تقنع طائفة من عوام الناس وتأخذ بلبهم، ولكن عند التحقيق والتمحيص لا تثبت كثير من هذه الوسائل وتفتقد التأصيل العلمى، وتجنب المنهج الاستدلالى القويم!

ومع الاستغراق فى نقاش الجزئيات المتعددة التى يطرحها سماحته، غاب فى كثير من الأحيان التصور الشامل والعميق للروابط التى تربط بين القضايا التى يطرحها. هذا التصور الشامل الذى يضع لنا ملخصاً للأسس التى اتكأت عليها هذه الأطروحات والقضايا، والهدف الذى يجمع بين شتاتها.

فمن أغرب الفتاوى الصادمة الصادرة عن سماحته، والتي لا نعلم ماذا يريد منها؟ نورد هنا البعض والقليل فقط منها:

—: فتوى التبرك ببول النبي ﷺ: خرج سماحته عبر أحد البرامج، الذى كان يذاع على التليفزيون بفتوى التبرك ببول النبي ﷺ، واستشهد فيه بموقف حدث مع إحدى السيدات في عهد الرسول الكريم.

وكان رد سماحته على منتقديه باستماتة وهو الصوفي العارف:
إن الأساس في فتوى تبرك الصحابة ببول الرسول، هو أن كل جسد النبي، في ظاهره وباطنه، طاهر وليس فيه أى شيء يستقذر أو يتأفف أحد منه!
فكان عرقه عليه السلام أطيب من ريح المسك، وكانت أم حرام تجمع هذا العرق وتوزعه على أهل المدينة! والله لا أدري كيف كانت تجمعه ولم يصرح سماحته بذلك.
وبالتالى فإن كل شيء في النبي ﷺ طاهر بها في ذلك فضلاته. ولم يقل لنا سماحته لم كان رسول الله ﷺ يتوضأ ويغتسل؟

وهل كان يقبل بها يدعيه سماحته؟

واستطرد سماحته أن سبب طهارة كل جسد الرسول، أنه تهبأ للوحى وللإسراء والمعراج ليس كجسد أحد آخر، فقد غسل الملكان جوفه الشريف عدة مرات مرة في بنى ساعدة، وأخرى في الكعبة، وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه، وكان ﷺ يقول: أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني.
وقال: نعم أم أيمن شربت بول الرسول، وقال لها: هذه بطن لا تخرج في النار.
ومن عدة ردود مفحمة على سماحته اخترت الرد القائل: لا يعقل أبدا أن الرسول الكريم ﷺ الذى كان يدعو إلى التطيب والتطهر أن يسمح بالتبرك ببوله.

كذلك لم يأت نص يقول: بأن الرسول مختلف بشريا عن باقى الخلق وإلا لما احتاج أن يتوضأ ويتطهر ﷺ. وأزيد إن كان سماحته يستسيغ أن يفعل ذلك، فليس كل البشر، لديهم مقدرة سماحته.
—: تقبيل أسوار الأضرحة والتبرك والاستشفاع بها: وأفتى سماحة الدكتور.... بجواز تقبيل سور ضريح الحسين والتبرك به، الأمر الذى أثار جدلاً واسعاً بين الشيوخ، وأفردت له بعض القنوات الفضائية من برامجها الحوارية اليومية، علماً بأن هناك قبورا للحسين، قبرا بسوريا، مصر وآخر بالعراق، وهناك بإسرائيل قبر يوجد بالقرب من مركز برزىلاى الطبى في مدينة

عسقلان الساحلية، ويتوافد إليه الشيعة من الهند أو باكستان أو من دول إسلامية أخرى! إنهم يعتقدون أن هذا المكان دفن به الحسين بعد معركة كربلاء. يحجون إليه الشيعة!

ولا أدري ربا كان هناك أيضا آخر بدولة الرافضة الفرس، والكل يزعم أن الحسين مدفون به، والطريف أنهم يشدون رحالهم إلى تلك القبور جميعاً، لطلب البركة والشفاعة من الحسين، من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون.. أفلا يعقلون!!

أما عن جواز تقبيل ضريح الحسين فقد قال سماحته:

إنني كنت أرد بهذه الفتوى على سؤال لأحد المواطنين، في مسجد السلطان حسن، حول ما إذا كان تقبيل سور ضريح الحسين يعد شركاً بالله؟ فأجبت بأن هذا ليس شركاً بالله، وإنما هو نوع من أنواع إظهار الحب!

ولا أقول للناس اذهبوا وافعلوا ذلك، لأن العرب كانت تقبل دار الحبيب!! وأن عبارة «مدد يا حسين»، ليست شركاً بالله، مضيفاً، أن قائلها موحد بالله، ويريد طلب الدعاء من الإمام الحسين عليه السلام، وليست شركاً به تعالى..!

وأكد سماحته: أن التمسح بـ «الأضحية» دليل حب، وليس شركاً بالله تعالى!! مضيفاً أن الله منع الشرك في أمة الإسلام، ويأس الشيطان أن يعبد في أرض المسلمين.

وأوضح سماحته: أن التوسل والاستعانة بالأنبياء والصالحين جائز وورد في السنة؟! مضيفاً أن التوسل بمعناه التقرب إلى الله، والتوصل بهذه الصفة جائز بإجماع المسلمين!!

وأشار إلى أنه عندما نسال عن الحكم الشرعي، نرجع إلى الكتاب والسنة، فالله يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ } المائدة 35. فالله بذلك يأمرنا بالتوسل!!

—: وأفتى سماحته: بجواز التوسل بالنبي ﷺ بل واستحباب ذلك! قائلاً إن ذلك جائز بالإجماع ولم يشذ إلا ابن تيمية!!

وعرف سماحته التوسل خلال أحد البرامج بأن معناه: هو التقرب إلى الله، مدلاً بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ). مشدداً على أن التوسل صيغة من صيغ الدعاء لله تعالى، وليس فيها شرك، ومن يقول ذلك فهو مدلس.

فإننا عندما ندعو ماذا نقول؟ نقول: اللهم، إذن فنحن ندعو الله. وقال: إن التوسل ورد في السنة، مستنداً إلى حديث رواه عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني؟ قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في، وقد صحح الحديث الحاكم، والترمذي.

وقال سماحته: إن المدد من الله سبحانه وتعالى، فمن يدعو ويقول مدد يا سيدنا الحسين هو طلب الدعاء من سيدنا الحسين لله تعالى، وعلى الله تعالى أن يستجيب أو لا يستجيب، ورفض سماحته شرك أصحاب البدع عند الأضرحة.

وحول حديث رسول الله ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قال سماحته إن علماء الأمة لم يفهموا من هذا الحديث، أن المقصود النهي عن اتصال المسجد بضريح نبي أو رجل صالح، وإنما فسروا اتخاذ القبر مسجداً التفسير الصحيح، وهو أن يُجعل القبر نفسه مكاناً للِسجود، ويسجد الساجد لمن في القبر عبادة له، كما فعل اليهود والنصارى.

وأكد سماحته: أن النبي ﷺ انتقل من هذه الحياة الدنيا، ولكن بانتقاله هذا لم ينقطع عنا ﷺ وله حياة أخرى هي حياة الأنبياء، وهي التي تسمى الحياة بعد الموت، أو الممات كما سماها ﷺ حيث قال: حياتي خير لكم تُحدثون ويحدث لكم. ومماتي خير لكم، تُعرض على أعمالكم فما رأيُّ من خير حمدت الله، وما رأيُّ من شر استغفرت الله لكم.

وقد أكد سماحته: أن التوسل بالرسول وطلب الغوث منه ليس بمعصية، وأن الأولياء يسمعون طلب من يتوسلون بهم! في الدعاء، مستشهداً بأحاديث وردت في صحيح البخاري!! وزعم سماحة الدكتور: أن مسجد ابن طولون وقبر الحسين، أماكن يستجاب فيها الدعاء، وأنه جرب ذلك شخصياً، واستجاب الله لدعاء حفيده أن تمطر السماء ثلجاً في مصر!!

وأشار خلال برنامج تليفزيوني بقوله: وأنا واخذ حفيدتي علشان تزور مسجد ابن طولون، وتعرف مكان الصخرة إلى يستجاب فيها الدعوة!! فدعت إن ربنا ينزل تلج في مصر، لأنها حاجة مبتحش، وحصلت بعد دعائها اليومين إلى فاتوا!!

وجاء الرد المفحم لسماحته: بأن من دعا رسول الله ﷺ بعد وفاته أو غيره من الأموات لدفع ضرر أو جلب منفعة فهو مشرك شركاً أكبر مخرجاً عن الملة، وعليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يوجه الدعاء إلى العلى الكبير الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. وإن العجب من قوم يذهبون إلى قبر فلان وفلان، يدعونه أن يفرج عنهم الكربات ويجلب لهم الخيرات، وهم يعلمون أن هذا الرجل كان فى حال حياته، لا يملك ذلك لنفسه فكيف بعد موته؟! بعد أن أصبح رميمًا قد أكلته الأرض فيذهبون يدعونه، ويتركون دعاء الله عز وجل الذى هو كاشف الضر، وجالب النفع والخير مع أن الله تعالى أمرهم بذلك وحثهم عليه فقال تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60. وقال الله تعالى: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة 186. وقال تعالى منكرًا على من دعا غيره: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَثَلَّةَ مَعَ اللَّهِ } النمل 62. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } الحج 73. فالحديث لا يدل على جواز التوسل بجاه النبی ﷺ كما ذهب إليه البعض، بل الحديث يدل على أن هذا الرجل توسل بدعاء النبی ﷺ فقوله: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إلخ، أى: بدعاء نبينا محمد لى، وقوله: يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي. أى: بدعائك. ويدل على هذا:

أ- أن هذا الرجل، جاء إلى النبی ﷺ وطلب منه أن يدعو له وهو حى، ولو كان مراده التوسل بجاهه ﷺ لقعد فى بيته، وقال: اللهم إني أتوسل إليك بجاه محمد.

ب- من جملة الدعاء الذى علمه الرسول ﷺ: اللهم فشفعه فى، وشفعنى فيه. أى: اقبل شفاعته النبی ﷺ فى، والشفاعة هى الدعاء، فيكون الرسول ﷺ قد دعا له. وقوله: وشفعنى فيه، أى: اقبل دعائى أن تقبل دعاءه.

قال الشيخ الألبانى رحمه الله: إن مما علم النبی ﷺ الأعمى أن يقول: وشفعنى فيه، أى: اقبل شفاعتى، أى دعائى فى أن تقبل شفاعته ﷺ أى دعاءه فى أن ترد على بصرى. هذا الذى لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواء. ولهذا ترى المخالفين يتجاهلون ولا يتعرضون لها من

قريب أو من بعيد، لأنها تنسف بنيانهم من القواعد، وتجثته من الجذور، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشى عليه. ذلك أن شفاعته الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعته الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون؟ لا جواب لذلك عندهم البتة، ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم، أنك لا ترى واحدا منهم يستعملها، فيقول في دعائه مثلا: اللهم شفّع في نبيك وشفّعني فيه.

إذاً التوسل بالموتى: لا يجوز، وطلب الدعاء أو الشفاعته من الميت، وخاصة عند قبره لا يجوز، لأنه يكون عنده أشد تعلقاً به، وهذا من البدع المنكرة والوسائل المفضية إلى الشرك وسؤال صريح لغير الله، وقد يصل به الحال إلى الشرك الأكبر المخرج عن الملة، وهو يحصل كثيرا في هؤلاء، لشدة تعلقهم بالميت واعتقادهم به وبوجود من يفتون لهم بإباحته.

والشفاعة إنما تطلب من الله، لا من المخلوقين، ويأذن الله في الشفاعته لمن يشاء من عباده الصالحين ويرضى، وذلك لا يكون إلا يوم القيامة. قال الله تعالى: { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } يونس 18. وقال تعالى: { أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ } الزمر 43/44.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: لا يجوز أن تطلب منه الشفاعته ولا غيرها كسائر الأموات، لأن الميت لا يطلب منه شيء تذكركم الآخرة. فمن زار قبر المسلمين للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم كما يفعل مع بقية قبور المسلمين فهذا سنة، أما زيارة القبور لدعاء أهلها أو الاستعانة بهم أو طلبهم الشفاعته فهذا من المنكرات، بل من الشرك الأكبر. وقال رحمه الله: لا يجوز لأحد أن يطلب من الرسول ﷺ الشفاعته، لأنها ملك الله سبحانه، فلا تطلب إلا منه، كما قال تعالى: { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا } الزمر 44. فتقول: اللهم شفّع في نبيك، اللهم شفّع في ملائكتك، وعبادك المؤمنين، اللهم شفّع في أفراطي، ونحو ذلك. وأما الأموات فلا يطلب منهم شيء، لا الشفاعته ولا غيرها، سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، وإنما يدعى له ويترحم عليه إذا كان مسلماً، لقول النبي ﷺ: زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة⁽¹⁾.

(1) سنن ابن ماجه ج 1 ص 500.

—: فتوى ضرورة الاتصال بالزوجة قبل القدوم من المسجد للمنزل: تداول عدد من مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» تسجيلًا صوتيًا، يتضمن درسًا لساحته بعنوان الإتيكيت الإسلامي، قال فيه: إنه على الرجل أن يتساهل مع زوجته؟ وأضاف: قبل ما تروح بيتك اتصل بمراتك وقل لها إنك جاي، لعل معها رجل فأعطه فرصة ليمشي!! وقال متابعًا: إذا عاش رجل مع زوجته وهو لا يعلم أنها على علاقة برجل، وتشكك ففضي على الشك في نفسه، فلا بأس، والنبى ﷺ، كان يأمرنا بذلك وقال: من أتى منكم من السفر فلا يطرقن أهله بليل. وأردف: وأنت عائد من المسجد اتصل بالتليفون وقل لزوجتك: أنا جاي بعد نصف ساعة، وذلك احترامًا لنساء المسلمين! اتصل بيها يا أخويا، افرض معاها واحد، خليه يمشي!!

الرسول علمنا الجمال والحلاوة، بس فيه ناس عقليتهم ما تحبش الجمال والحلاوة، عزيز الحق بيبحث، طب خد المقلب، حتلاقى الراجل لازم حتطلقها، متجيش تبكى وتقول أولادى. لأنك لم تطاوع النبى، النبى يعلمنا إزاي نبتدى وإزاي ننتهى بدون شك!!

وأوضح سماحته: فووووت لمراتك وعديلها، وهذا التفويت من الدين!! وإن عرفت إنها زنت يجب عليك أن تطلقها فمن تاب تاب الله عليه، وإن لم تعرف أنها زنت لا تبحث ولا تفتش وراءها لدرجة إن الإتيكيت الإسلامى يقولك: تتصل بها قبل ما توصل البيت. ده الجمال والحلاوة، لكن فى ناس مش عايزة الجمال لكن عايزة الحمق، طيب خد بقى المقلب يا أخويا، ووقتها هتلاقى راجل معاها وهتضطر إنك تطلقها. وقال سماحته: واحد من الصحابة ركب دماغه وما طاوعش النبى لأنه شك، فطرق أهله ليلا فوت الأمور، فوتها تفويت من الدين، خلاص عرفت قدر الله عرفت خلاص انتهى الأمر.

ورد سماحته على الهجوم الحاد عليه، بعد انتشار المقطع، فى بيان إعلامى قال فيه: إن الفيديو المتداول هو جزء من درس، كان يلقيه فى مسجد السلطان حسن منذ أكثر من عشر سنوات، ليعلم الناس أمور دينهم ويفقههم فيه!!

وهناك من استغل رواية داخل هذا الدرس، ووضع لها عنوانًا يخدع المريض وروج لها بشكل يوحى بالدعاية، واتهم من أسأهم بالخوارج، بتحريف الدرس!!

الرد المفحم على سماحته: بالنسبة للحديث الذى بنى سماحته قصته حوله، فهو كذب صريح عن مغزى ما قصد رسول الله ﷺ، لاشك فى ذلك واضحا وضوح الشمس لذى بصر وبصيرة، وتغير تماما للمعنى المراد الذى كان سماحته يوحى إليه بل ويعنيه مائة وثمانين درجة.

واليك نص رواية الحديث فى صحيح البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قال: إذا دخلت ليلا، فلا تدخل على أهلك [وعلى سبب ذلك ﷺ] حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة. وقال ﷺ: فعليك بالكيس الكيس⁽¹⁾.

وفى قول آخر: عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبى ﷺ فى غزوة، فلما قفلنا فكنا قريبا من المدينة، تعجلت على بعير لى قطوف فلحقنى راكب من خلفى فنخس بعيرى بعنزة كانت معه، فسار بعيرى كأحسن ما كنت أراه من الإبل، فالتفت فإذا أنا برسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إني حديث عهد بعرس، قال: أتزوجت؟ قلت: نعم، قال: أبكرا أم ثيبا؟ قلت: بل ثيبا، قال: فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك. فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال ﷺ: أمهلوا حتى تدخلوا ليلا أى عشاء، لكى تمشط الشعثة وتستحد المغيبة⁽²⁾.

فأين عندها رجل وأين ما يهمز ويلمز به سماحته؟! إن السبب الذى قصده الرسول ﷺ بكل وضوح بل وقاله، هو تأخر دخول الأزواج لبيوتهم، ليصل للنساء خبر عودة الرجال من الغزوة، لماذا؟ لتهيأن لأزواجهن. والاستحداد: معناه الاحتلاق بالحديد وهو الموسى، والمغيبة: التى غاب عنها زوجها، وتمشط الشعثة: أى تسرح شعرها وتحمل نفسها، فلا يراها زوجها إلا بأحسن حال فهو أصفى لقلبه ولقلبها. أعتقد أنه قد وضع الأمر..

—: فتوى سماحته بأن الزنا لم يحرم فى القرآن: وواصل سماحته سلسلة فتاويه الغريبة التى أذهلت العلماء والعامة فقال: فى إحدى الندوات التى أقيمت بمعرض القاهرة الدولى للكتاب، لمناقشة أحد الكتب، أن القرآن الكريم لا توجد به آية صريحة تحرم الزنا! وواصل كلامه وسط ذهول الحضور قائلا إنما يقول الله: { وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } الإسراء 32. وقال: ولا تقربوا، وما قلش نصا حرام، على حد قوله وتعبيره خلال الندوة!! ويأتى ذلك استمرارًا مكملًا لسلسلة الجدل التى يخلقها سماحته بسبب فتاويه.

(1) صحيح البخارى ج 5 ص 2008 رقم 4948.

(2) صحيح البخارى ج 5 ص 2009 رقم 4949.

ولم يذكر سماحته أن ذلك النهى كما قال العلماء: عن مجرد الاقتراب من الزنا، هو أشد من التحريم ذاته، وتعجب الحضور من تركيز سماحته على أن لفظة الحرام، لم يذكرها القرآن الكريم عن الزنا، ولم يذكر تفسير العلماء للآية الكريمة !! مما دعا البعض إلى أن يتساءل قائلاً: (هو الشيخ عايز إيه بالضبط) ؟!

فلما جوبه سماحته بمن فندوا أقواله دينياً، وشعر بشدة الهجوم عليه، أثر التراجع عن تصريحاته المثيرة للجدل، وقال في بيان أرسل نسخة منه إلى بعض الصحف، إن بعض الصحف والمواقع اجتزأت كلامه فيما يشبه أنه يقول: بأن الزنا حلال، وهو ما لم يقل به السابقون ولا اللاحقون، ولم يحلل الزنا أحد ممن له عقل. وأوضح أن ما ذكره هو أن القرآن الكريم لم يحرم الزنا بلفظ حرّم! فلا نجد آية تقول حرّم عليكم الزنا، وإنما حرّم الله كل مقدمات الزنا. (وهذا هو مجمل قول من هاجموا سماحته) وما يؤدي إليه، فقال تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى). أى مجرد الاقتراب منه، وإذا حرم ما يؤدي إلى الزنا فالزنا نفسه أشد حرمة!!

—: فتوى «الواقى الذكري» العازل: تداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي، فتوى زعموا أنها للشيخ.... جاء فيها أن الجماع ومعاشرة الرجل للمرأة باستخدام الواقى الذكري، بدون زواج حلال وليس زناً!! وهو الأمر الذى أثار ضده هجوماً واسعاً، واستنكاراً بسبب تحليل الزنا. ونفى سماحته ما تداولته بعض وسائل الإعلام على لسانه، معتبراً أن ذلك «كلام فارغ» ولا ينشره أو يتداوله إلا الشياطين، حيث إن استخدام ذلك يلزمه الزواج الشرعى على السنة الإسلامية.

—: فتوى إباحة الغناء: قال الدكتور عضو هيئة كبار العلماء، إن الغناء صوت وكلمات حسنها حسن وقبيحها قبيح، وإن الأغاني التى تحدث فى النفس معانى طيبة جائزة، أما الغناء الذى يشتمل على مخالفات مرفوض، وأن المقياس فى الغناء الكلام الطيب، وأنه لم يصدر عن أحد من العلماء المعتبرين فى زماننا هذا، فتوى تحرم سماع الغناء مطلقاً دون أن يفصل القول فيها، مؤكداً أن الموسيقى التى تدعو للفساد يحرم سماعها. وأضاف أن تكفير مستمعى الأغاني غلو مرفوض شرعاً، وأن تلحين القرآن حرام قطعاً لكونه مقدساً، مشيراً إلى أن ذكر النبى ﷺ فى الأغاني جائز! كما أشار سماحته وهو المعروف بصوفيته، إلى أن الأغنية الشهيرة (ساكن فى حى السيدة وحبيبى ساكن فى الحسين) للمغنى عبد المطلب، بأنه غناها للحسين، حيث إنه كان يصل كل يوم فى مسجد الحسين!! ثم يتوجه إلى مسجد السيدة زينب رضى الله عنهما.

وتابع سماحته: مسألة سماع الموسيقى مسألة فقهية خلافية، وليست من أصول العقيدة وليست من المعلوم من الدين بالضرورة، ولا ينبغي للمسلمين أن يفسق بعضهم بعضًا ولا أن ينكر بعضهم على بعض بسبب تلك المسائل الخلافية، فإنما ينكر المتفق عليه، ولا ينكر المختلف فيه. وطالما أن هناك من الفقهاء من أباح الموسيقى وهؤلاء ممن يُعتدُّ بقولهم ويجوز تقليدهم، فلا يجوز تفريق الأمة بسبب تلك المسائل الخلافية، خاصة وأنه لم يرد نص في الشرع صحيح صريح في تحريم الموسيقى، وإلا ما ساغ الخلاف بشأنها.

وأشار إلى أن العلماء اتفقوا على تحريم كل غناء يشتمل على فحش، أو فسق، أو تحريض على معصية، إذ الغناء ليس إلا كلامًا: فحسنة حسن وقبيحة قبيح، كل قول يشتمل على حرام فهو حرام، فما بالك إذا اجتمع له الوزن والنغم والتأثير؟ كما اتفقوا على إباحة ما خلا ذلك من الغناء الفطري الخالي من الآلات والإثارة، وذلك في مواطن السرور المشروعة كالعرس، وقدم الغائب، وأيام الأعياد، ونحوها، واختلفوا في الغناء المصحوب بالآلات.

واختتم بيانه بجواز استعمال المعازف وسماعها، بشرط اختيار الحسن وعدم الاشتغال بما يلهى عن ذكر الله تعالى أو يجر إلى الفساد أو يتنافى مع الشرع الشريف، إذ ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في معقولهما من القياس والاستدلال، ما يقتضى تحريم مجرد الأصوات الموزونة مع آلة من الآلات، بل الفطرة النقية تستملح الأصوات الجميلة وتستعذبها، حتى قيل إن قرار ذلك في الفطر مَرَدُّه إلى خطاب الله سبحانه لبنى آدم في الذرّ عندما أخذ العهد عليهم بقوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ!

وتداول عدد كبير من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، مقطع فيديو لسماحته في أحد البرامج الدينية يرد فيه على نفس السؤال هل الموسيقى والغناء حلال أم حرام؟ ورد سماحته محاولاً إفحامهم: أن المغنى الراحل عبد الحليم حافظ غنى أغنية أبو عيون جريئة غناها في الأصل حباً ومدحاً بالرسول محمد ﷺ على حد قوله. وأضاف: أن عبد الحليم حافظ كان مؤمناً، وكان يحب النبي قويا!! وسارع سماحته بالرد على السخرية التي أثارت حول كلامه، بإظهار مقطع صوتي للمغنى عبد الحليم حافظ يغنى فيه (أبو عيون جريئة) بكلمات مختلفة فقام بعرض مقطع فيديو وهو ما أثار مواقع التواصل مرة ثانية، فقام بعرض مقطع لنكتشف أن عبد الحليم في أحد البرامج الإذاعية، حكى عما فعله الناس بإحدى أغانيه، حين حولوها (هم وليس هو) إلى أغنية

دينية في مدح الرسول، لا كما ذكر المفتى. ومن المعلوم ان الكذب آفة سيئة، تعظم في من تظاهر بأنه يدعو إلى الله!!

—: فتوى رؤية سماحته للنبي باليقظة!! سئل سماحة الدكتور: هل يمكن أن نرى رسول الله ﷺ في اليقظة؟ فأجاب: نعم ممكن أن تراه في اليقظة!

ثم سئل ما حكم من ادعى رؤية النبي في اليقظة؟ فأجاب أنا رأيته في اليقظة!!

ثم سئل: هل المرسى أبو العباس رأى الرسول في اليقظة؟

فأجاب: كل يوم كان يراه في اليقظة، كل يوم كان يراه في اليقظة، إيه يعنى!!

فسأله أحد الحضور غير مصدق لما يقول ومحرجا له بقوله: كيف رأيت رسول الله في اليقظة؟!

فقال مهاجما له: غتاته، مش مصدق ولا إيه، كنت مشغل بقراءة السيرة العطرة، وقرأت كثيرا جدا أكثر من حوالى أربعين كتابا، قرأتها وراء بعض وراء بعض وراء بعض وراء بعض؟! [هل يعقل أن إنسانا يقرأ أربعين كتابا قراءة متواصلة] فكأنى عشت في جو سيدنا رسول الله ﷺ فرأيته في المنام، ثم رأيته في اليقظة!!

قاعد أنا متيقظ كده هه في أمان الله، وراح داخل عليه ﷺ ولا بس عباءة، والى حصل حصل، إنت مالك، أجيبك معى حتى تشوف، إيه الى شاف ولا مشفش، أنا قلت لك أنا شففته في اليقظة صدقت صدقت ما صدقتش عندك بحر النيل اشرب منه إنت حر!

فسأله إيه الى حصل بالتفصيل؟ قال ما أقدرش أقول بالتفصيل، دى حاجة خاصة. أنا قلت لك الى ينفعك وبس، إنت بتسأل هل ده ممكن؟ آه ممكن لأنه حصل لى. إنت قلت ده ممكن؟ قلت ممكن ليه لأنه حصل، ما أقدرش أقول إنه مش ممكن، أكذب يعنى!! ما أقدرش أقول مش ممكن، ما أقدرش أقول إن الى ادعوا رؤية رسول الله من الكذابين الى أنا شففته طب أعمل إيه عاجبكم عاجبكم ما عاجبكمش إنساها يا سيدى.

(ومن يرانى بالمنام سيرانى باليقظة). فرأيته بالمنام ورأيته باليقظة. أعمل أنا إيه أقول له ما تحيىش تانى. والمرسى أبو العباس كان بيقول: لو انقطع عنى يوم ما عدت نفسى من المسلمين كان يشوفه على طول، يعنى نعمل إيه؟ نقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بيقول: (من رآنى فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى).

فأرد على سماحته فأقول وبالله التوفيق: أنه لم يُروَ أو يرد عن أحد ممن بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، أو أحد ممن بايع بيعة الرضوان، أو من الصحابة الأجلاء كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة والتابعين من بعدهم، أنهم رأوا رسول الله ﷺ عيانا بيانا في يقظة وتخطبوا معه وتحدثوا، فهل أوتى سماحته ما لم يؤت الأولون وهم أصلح أهل الملة وقد خلت الأرض من أمثالهم؟!

ثم أتى بحديثين عن رسول الله الأول: (ومن يرانى بالمنام سيرانى باليقظة). وصحة الحديث كما جاء في مسند أحمد حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو فكأنما رآنى فى اليقظة، لا يتمثل الشيطان بى. فقال أبو سلمة قال أبو قتادة قال رسول الله ﷺ: من رآنى فقد رآنى الحق⁽¹⁾.

والحديث الثانى (من رآنى..... فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى). أمل أن تلاحظوا إبداله لبعض الكلمات ليؤيد بها وجهة نظره!! وصحة الحديث كما جاء فى مصنف ابن أبى شيبة عن عبد الله وسفيان عن أبى صالح عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: من رآنى (فى المنام) فقد رآنى إن الشيطان لا يتمثل فى صورتي⁽²⁾.

ثم جاء سماحته بتعقيب مفحم لطيف طريف من أحد صفوة علماء أهل السنة والجماعة قال به: لو كان سماحته حقا رأى النبى فى (المنام وليس فى اليقظة). لوبخه النبى ﷺ على الأقل، على اختلاطه بالمثلات والراقصات فى نادى الروتارى يوم احتفلوا بعيد (عفوا) بكارثة مولده.

—: فتوى تحليل الربا: أباح سماحته الربا على اعتبار أن النقود الورقية غير شرعية! ففى حديث لأحد البرامج التليفزيونية قال المذيع: ذكرتم أن المضاربات التى تتم من خلال عملية الإقراض والاقتراض فى البنوك بفائدة، هى أمر «حلال» ومباح، رغم اعتراض كثير من العلماء على القول بأنها حلال، حيث يعتبرونها «من المعاملات الربوية المحرمة»، كيف يمكنك التوفيق بين هذين الرأيين؟

(1) مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 306 رقم 22659.

(2) مصنف ابن أبى شيبة ج 6 ص 174 رقم 30467.

قال: نعم لقد حسم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الجدل حول هذه المسألة، وأصدر فتوى تحيز تحديد قيمة الأرباح مقدماً على الأموال المستثمرة في البنوك، لأنه منذ عام 1973 حدث في اقتصاديات المصارف ما يسمى بتقويم العملة وتغيير قيمة الجنيه، فالمسألة البنكية قد تغيرت كثيراً بعد هذا التاريخ، فضلاً عن تغير البيئات، ونظراً لحدوث هذه الظروف. فإنني أرى أنه يجوز تحديد قيمة الأرباح أو ما يسمونه بلغة البنوك (فائدة) مقدماً على الأموال المستثمرة في البنوك، وعموماً فهذه مسألة خلافية بين العلماء.

وأكد أنه يجوز أخذ الفائدة، فائدة الأرباح، على الأموال المودعة لدى البنوك، وأنه مع فتوى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التي تحيز تحديد قيمة الأرباح مقدماً على الأموال المستثمرة في البنوك، مع تأكيده على أن هذه المسألة خلافية بين العلماء وليست نهائية.

—: فتوى إباحة رسم الوشم «التاتو»: وأفتى سماحته بجواز (حلال) استخدام المرأة لما يسمى حديثاً التاتو أو الوشم، الذي يظل على الجسد فترة تصل إلى عدة شهور حتى يزول، وأنه من الجائز أن تضعه المرأة المتزوجة على جسمها بإذن زوجها. وهذه الفتوى أصدرها سماحته من خلال أحد البرامج، دون أن يوضح الضوابط الشرعية. في حين أن هناك حديثاً عن أسماء رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة فتمرق شعرها وإنني زوجتها أفأصل فيه؟ فقال: لعن الله الواصلة والموصولة⁽¹⁾.

وفي رواية قالت أسماء رضي الله عنها: لعن النبي ﷺ الواصلة والمستوصلة⁽²⁾. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة⁽³⁾.

وعن ابن مسعود ؓ أنه قال: لعن رسول الله ﷺ الواشحات والمستوشحات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله.

فقالت له امرأة في ذلك، فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وفي كتاب الله قال الله تعالى: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } الحشر 7. فالواصلة: التي يكون شعر الرأس قصيراً فتصله إما بشعر، أو بها يشبهه.

(1) الترغيب والترهيب ج 3 ص 86 رقم 3189.

(2) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه.

(3) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

والمستوصلة: التى تطلب من يصل شعرها بذلك.

والواشمة: التى تضع الوشم فى الجلد بحيث تغرز إبرة ونحوها فيه، ثم تحشى مكان الغرز بكحل أو نحوه مما يحول لون الجلد إلى لون آخر.

والمستوشمة: التى تطلب من يضع الوشم فيها.

والنامصة: التى تنتف شعر الوجه، كالحواجب وغيرها من نفسها حتى ترققه. كذا قال أبو داود وقال الخطابى هو من النمص، أو غيرها.

والتمنصة: التى تطلب من يفعل ذلك بها.

والتفلجة: التى تطلب من يفلج أسنانها، أى: تحكها بالمبرد حتى يتسع ما بينها ونحوه للتحسين لأن هذا كله من تغيير خلق الله.

وتحريم الوشم يشمل الرجال والنساء معاً، لعموم النهى الوارد فى أحاديث كثيرة. قال النووى رحمه الله: الواشمة فاعلة الوشم، وهى أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوها فى ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة، حتى يسيل الدم ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو النورة فيخضر، وقد يفعل ذلك بدارات ونقوش، وقد تكثره وقد تقلله وفاعلة هذا واشمة، والمفعول بها موشومة، فإن طلبت فعل ذلك بها فهى مستوشمة وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها والطالبة له. انتهى⁽¹⁾.

والوشم حرم فى الإسلام لما له من مضار على الجسم، وكان عوضاً عنه الرسم بالحناء، والأصل أن الكحل علاج للعين، لونه أسود، أو رمادى، يكتحل به على الأهداب ومشافر العينين عند الرمد، أو لحفظ العين عن المرض، وقد يكون جمالاً وزينة للنساء، كالزينة المباحة، فأما تحديد الشفافة بطريقة الوشم المؤقت: فإنه لا يجوز، فعلى المرأة أن تبتعد عن المشتبهات. والوشم المؤقت له حكم الخضاب بالحناء، وتكون الإباحة مقيّدة بشروط وضوابط:

أن يكون الرسم مؤقتاً ويُزال، وليس ثابتاً ودائماً.

أن لا تضع رسومات لذوات أرواح.

أن لا تظهر هذه الزينة لرجل أجنبى عنها.

(1) شرح النووى على مسلم ج 14 ص 106.

أن لا يكون في تلك الألوان والأصباغ ضرر على الجسد. فإن ثبت ضرر هذه الطريقة وأنها تؤدي إلى الأمراض الجلدية أو غيرها، فإنها تكون ممنوعة شرعاً.

أن لا يكون فيها تشبه بالفاسقات أو الكافرات.

أن لا تحمل الرسومات شعارات تعظم ديناً محرّفاً، أو عقيدة فاسدة، أو منهجاً ضالاً.

وإذا وضعه لها غيرها فيكون من النساء، ولا يكون في مواضع العورة.

ألا يستخدم في مواد الرسم أو التلوين على الجسم، مواد نجسة (غير طاهرة) حتى لا يدخل في التضمخ بالنجاسة وهو ممنوع. وألا تكون مواد الرسم عازلة بحيث تمنع وصول الماء للجلد عند الوضوء أو الغسل الواجب. وقد حذر بعض اختصاصي الأمراض الجلدية، من الأضرار الصحية لهذا الوشم المؤقت ومن الانجراف خلف هذه الملصقات التي تؤدي إلى الأمراض الجلدية، نسبةً لدرجات الصمغ الموجود خلفها والذي يتسرب عبر مسام الجلد، إلى داخل الجسم ويختلط بالدورة الدموية، كما أن المواد الكيميائية الملونة بالملصق لها آثار سلبية على الصحة العامة.

—: فتوى سماحته بإحلال الزواج بين الرجل والمرأة بصيغة الإيجاب والقبول بدون أوراق رسمية أو مأذون: أثارت الفتوى حالة من الجدل الواسع، حيث أفتى بأن الزواج إذا تم بين الرجل والمرأة بصيغة الإيجاب والقبول، بدون أوراق رسمية، أو مأذون... حلال! مشيراً إلى أن هذا العقد يعلق لمدة ثلاثة أيام حتى يشهد عليه الشهود!!

وزادت حالة الجدل، خاصة بعد أن أكد بعض العلماء، أن الفتوى تفتح الباب أمام زيادة انتشار بعض أنواع الزواج غير الشرعية والتي تقوم على إشباع الغرائز فقط، وعلى رأسها الزواج العرفي الذي كان في بدايته موضة لكن تحول إلى تقليد يتبع.

ويقوم الزواج العرفي على مجرد اتفاق الشاب والفتاة على الزواج سواء أمام أصدقائهم أو أي شاهدين أو حتى بدون شهود وتتم كتابة ورقة، يوقعها الطرفان تقول إنها اتفاقاً على الزواج. ولا يحتاج هذا النوع من الزواج إلى تسجيل رسمي أمام المأذون أو في المحكمة الشرعية أو حتى علم ولي الأمر. فهي عبارة عن ورقة تسمح للطرفين بممارسة كافة حقوق الزوجية.

والنوع الثانى: هو زواج الكاسيت، والذي تم استخدامه بعد أن أصبح الزواج العرفى موضة قديمة لذلك حل محله موضة الزواج بشرائط الكاسيت ومن خلاله لا يحتاج الطرفان إلى كتابة ورقة أو لشهود أو غيره من تلك الأعباء التى رأى الشباب أنها تعوقهم. وأصبح من المعترف به، أن يقوم الشاب والفتاة الراغبان فى الزواج بترديد عبارات بسيطة، كأن يقول الشاب لفتاته أريد أن أتزوجك، فترد عليه بالقبول بتزويج نفسها له، ويتم تسجيل هذا الحوار البسيط على شريط كاسيت! وبعدها يارس كل منهما حقوقه الزوجية كأى زواج عادي!!

والنوع الثالث: هو زواج الوشم الذى انتشر مع التطور الذى يشهده العالم. واشتهر هذا الزواج عن طريق قيام الشاب والفتاة، بالذهاب إلى أحد مراكز الوشم، ويقومان باختيار رسم معين يرسم على أى مكان يختارانه من جسميهما، ويكون هذا الوشم بمثابة عقد الزواج. وبموجب هذا الوشم يتحول الشاب والفتاة إلى زوج وزوجة لهما الحق فى ممارسة كافة الحقوق الزوجية!!

—: وأفتى سماحته: بعدم بطلان عقد الزواج، إذا تبين أن الزوجة ليست بكرًا، خلافًا لما هو مثبت فى عقد الزواج؟!!

—: فتوى بجواز الصلاة بدلة الرقص!! وأفتى سماحة مفتى الديار بأنه يجوز للمرأة الراقصة المسلمة أن تصلى بدلة الرقص!!

فتم الرد على قوله، بأنه يناقض النصوص الشرعية التى تأمر المرأة بالحشمة والقنوت والخشوع فى الصلاة، وهذا لا يمكن أن يكون مع ارتدائها بدلة الرقص. والوقوف بها بين يدي الله سبحانه وتعالى، الذى وعد بالمغفرة والقبول والأجر العظيم لكل الفئات ذات الموصفات التى حددها فى قوله تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } الأحزاب 35.

وقد مدح الرسول النساء اللواتى يلتزمن الحياء فقال: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين. فهل من ترتدى بدلة الرقص وتتجراً على الوقوف بها بين يدي الله،

وهى آتية لتوها من نشر الفتنة بكشف عورتها والتعري أمام الرجال، توصف بالمؤمنة المصلية التى تبتغى رضا الله الغنى عن مثل هذه الفئات التى تستهزئ بشرعه إلى هذه الدرجة يا سماحة المفتى؟ قال تعالى: { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } النساء 13/14.

وقد مثل سماحته أمام محكمة جنح الدقى، للرد على الدعوى القضائية التى تحمل رقم 9419 والتى رفعها عليه أحد المحامين الغيورين على الإسلام بتهمة التريب من جهات أجنبية بريطانية تحديداً! من أجل إصدار فتاوى دينية تسيء للمسلمين! وضرب المحامى مثلاً بفتوى أجاز فيها سماحته للراقصات الصلاة فى بدلة الرقص بدلاً من دعوتهن للهدى! وأنه أصبح ملقباً بمفتى المحطات الفضائية، التى يتربح منها كثيراً ويشترك فى معظم برامجها. من خلال إصدار فتاوى مثيرة للجدل، كهذه الفتوى، وكأنه لم يعد فى مصر ما يحتاج إلى فتوى غير أزمة الراقصات اللواتى تدهمهن الصلاة وهن يرقصن الوسط، فسارع المفتى إلى إصدار هذه الفتوى للتخفيف عليهن، إذ يمكن للراقصة بموجب هذه الفتوى أن تطح ركعتين ببدلة الرقص، ثم تكمل وصلتها الراقصة من باب: وإنما الرقصات بالنيات ولكل راقصة ما نوت.

المحامى الغيور لم يكتف بالمفتى، وإنما شمل فى دعواه جميع المفتين فى مجمع البحوث الإسلامية، الذين يتبارون فى الظهور على شاشة الفضائيات، لإصدار الفتاوى الدينية. ووفقاً لما ذكره المحامى فى دعواه، فإن هذا المفتى وأشكاله يتناولن على الإسلام إرضاء للغرب. ويقول المحامى: إن المفتى بدأ بإصدار هذه الفتاوى المخجلة بعد أن سافر إلى إنجلترا، بدعوى تحسين صورة الإسلام! وبعد عودته أخذ يطسنا فتاوى من هذا النوع لإرضاء الأعداء، وقد قوبل بترحيب كبير من أعداء ومهاجمي الإسلام.

ووفقاً لما ورد فى النص الحرفى للدعوى القضائية. فإن المفتى أجاز للمرأة الاستحمام باللبن والحليب – أل يعنى الناس فى مصر لاقية لبن وحليب تشربه علشان تستحم فيه!

وهاجم المحامى فتوى التبرك ببول الرسول.

وقال المحامى: إنه اضطر من أجل إيقاف المفتى من إصدار فتاوى جديدة من هذا النوع، إلى تحريك جنحة مباشرة أمام محكمة جنح الدقى.

المفتى بدوره رد بإقامة دعوى مضادة على المحامى، اتهمه فيها بالسب والقذف،
وطالبه بتعويض مالى مقداره 2001 جنيه.

ومن المعروف أن هذا المفتى، هو صاحب فتوى عدم جواز صلاة المسلم أمام سحلية!!
—: فتوى نفى وجود الشجاع الأقرع: قال الدكتور.... إنه لا يوجد شيء يسمى الثعبان
الأقرع وأضاف خلال لقائه بأحد البرامج فى إجابته عن سؤال طفل: يقولون هل فى القبر هيكون
فيه الثعبان الأقرع، ولو وحشين فى الدنيا هيوديننا لجهنم؟ فقال سماحته: إن الثعبان الأقرع
خرافة. مؤيداً بذلك قول أحد مقدمى البرامج المعروف بهجومه على الإسلام والصحابة، والذى
نفى فى برنامجه المذاع على أحد الفضائيات، وجود شيء فى الدين الإسلامى يسمى بالثعبان
الأقرع، مضيفاً أن الغرض من ذلك هو تهديد وتخويف الناس، ومفيش لا ثعبان أقرع ولا
بشعر!! ونحن نسأل الله تعالى إن لم يتب عليهم، أن يريهم إياه.

عن أبى هريرة قال رسول الله: يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع يفر منه صاحبه
فيطلبه ويقول أنا كنزك. قال: والله لن يزال يطلبه حتى ييسط يده فيلقمها فاه⁽¹⁾. المراد بالكنز
المال الذى يحبب من غير أن يؤدى زكاته، والأقرع: الذى لا شعر له على رأسه يريد حية قد تمعط
جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره، وقيل: سمى أقرع لأنه يقرى السم ويجمعه فى رأسه حتى
تمعط منه فروة رأسه⁽²⁾.

حدثنا عبد الرزاق بن همام حدثنا معمر بن همام بن منبه قال: حدثنا أبو هريرة عن رسول
الله ﷺ فذكر أحاديث هذا أحدها. قلت: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين⁽³⁾.
وله طريق ثانية: قال أحمد: عن أبى هريرة به نحوه وقال: أقرع ذا زبيبتين. وإسناده جيد⁽⁴⁾.
وله طريق ثالثة أخرجه: من طريق الحسن البصرى عن أبى هريرة نحوه وقال: له زبيبتان.
وزاد فى آخره ثم يتبعه بسائر جسده. وإسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين⁽⁵⁾.

(1) عمدة القارى ج 24 ص 111 رقم 6957.

(2) فتح البارى ج 12 ص 332 لسان العرب ج 8 ص 262.

(3) قال الألبانى فى السلسلة الصحيحة ج 2 ص 93 أخرجه أحمد فى المسند ج 2 ص 312، 316.

(4) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 379.

(5) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 489.

وله طريق رابعة: قال: حدثنا على بن حفص أنبأنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة نحوه⁽¹⁾. وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن على بن حفص لم يخرج له البخارى، فهو على شرط مسلم وقد أخرجه من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى مرفوعاً نحوه وقال: فإذا أتاه فر منه، فيناديه: خذ كنزك الذى خبأته، فأنا عنه غنى، فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل⁽²⁾.

—: فتوى إباحة بيع الخمر، ولحم الخنزير، والاغتسال باللبن: وأثارت فتوى سماحته التى أصدرها بإباحة بيع الخمر لعائلة تمتلك مشروعا سياحيا بإحدى الدول الأوروبية، ردود فعل رافضة وغاضبة بين شيوخ وعلماء الأزهر.

وكان سماحته قد قدم هذه الفتوى المثيرة، ردا على طلب تقدم به صاحب مشروع سياحى بدولة أوروبية، يضم مطعما يقدم الخمر التى تعد إحدى عادات هذه الدول، أوضح فيها أن العائلة المالكة للمشروع «ميسورة» ماليا، وتدير المشروع دون أى شريك أوروبى، و«غير مضطرين» للاستمرار فى المشروع إذا ما تعارض مع الشريعة الإسلامية.

وأضاف صاحب المشروع أنه يرغب وأفراد أسرته، فى الكسب الحلال الصافى، الخالى من شبهات الوقوع فى المنكر. كما أن أفراد العائلة مقتنعون بأن العمل عبادة يبتغون فيه الأجر والثواب من عند الله. وعلى الرغم من التوضيحات التى أوردها صاحب المشروع فى طلب الفتوى، فإن سماحته ذهب فى رده الكتابى على هذا الطلب الذى تلقت إحدى الصحف نصه: أن الحنفية أباحوا جميع العقود الفاسدة فى ديار غير المسلمين مع غير المسلمين، لكون هذه البلاد ليست محلا لقيام الإسلام فيها واستدلوا فى إباحتهم إلى مناصبة أبى بكر للمشركون فى مكة ومصارعة النبى ﷺ مع ركابة فى مكة، وبغيرها من الأدلة، واختتم فتواه المثيرة قائلا: أما باب الورع فمفتوح بلا نهاية. والسؤال عن الحلال والحرام إجابته ما تقدم.

وفى إطار ردود الفعل المستنكرة لفتوى سماحته قال بعض من اتصفوا بالصلاح: لا يجوز للمسلم سواء فى بلد إسلامى أو غيره أن يقدم الخمر، لأن فى ذلك حرمة مطلقة وأضاف: عندما نزلت الآية الكريمة الخاصة بالخمر بقوله تعالى: «فاجتنبوه» قال الصحابة للرسول: وألا نبيعهما لليهود والنصارى فى المدينة؟

(1) أخرجه أحمد ج 2 ص 530.

(2) أخرجه مسلم ج 3 ص 73.

فرد عليهم الرسول ﷺ قائلا: لا، فقالوا: ألا نهديها لهم؟ فرد الرسول: لا، فأغرقوها في الطرقات موضعا أن هذا الأمر لا يعنى حرمة الخمر على اليهود والنصارى وضرورة إجبارهم على عدم احتسائها، وإنما يعنى ألا نبيعها وألا نهديها لهم، وإذا شربوها في بلاد المسلمين فلا يطبق عليهم المنع والحد نظرا لعدم تحريمها في شريعتهم، ولكن ينبغى علينا عدم حملها أو بيعها أو صناعتها وهذا أمر واضح .

وقال آخر: إن حديث النبي ﷺ واضح في تحريم الخمر لقوله فيما معناه: لعن الله حاملها وشاربها وساقيتها وصانعها. ومن ثم فلا يجوز للمسلم الاقتراب من الخمر بأى شكل من الأشكال، سواء في بلد مسلم أو غير مسلم، مؤكدا أن المسلم لا يجب أن يقدم ما يحرمه الله تعالى ولا سيما وهو يعلم أن ما يقدمه قد يضر غير المسلم .

وقال غيره: إن فتوى سماحته بإباحة بيع المسلم للخمر في بلاد غير المسلمين غير صحيحة، لكون تحريم الخمر من الأمور المتفق عليها والتي لا خلاف فيها، وهذا المشروع «حرام» شرعا لأن ما بنى على باطل فهو باطل، وجميع المشروعات التجارية التي تقوم على مثل هذه الأمور المحرمة شرعا فاسدة، مضافا أنه لا يوجد ما يبرر أسباب القيام ببيع الخمر تحت أى ظروف، خاصة مع تأكيد صاحب المشروع الذى تقدم بالطلب للمفتى على عدم وجود ضرورة لاستمراره في مشروعه لكونه ميسور الحال .

وقال أحد مفكرى الإسلام المشهود لهم: إن الفتوى تفتح باب الشر على الإسلام في الخارج وتضر بالمسلمين هناك، ووصف تلك الفتوى بأنها: خلط لا أفهمه ولا أستطيع أن أدافع عنه أو أعمل به، وأكد أن استدلال المفتى، في إباحته لبيع الخمر على النحو الموضح بإباحة الحنفية جميع العقود الفاسدة في ديار غير المسلمين، يعد اعترافا صريحا بأنها عقود فاسدة. وتساءل: هل من شأن المسلم أن يتاجر في الفساد؟ وأشار إلى أن استناد المفتى إلى المذهب الحنفى مردود عليه، بأن هذا رأى لا ينهض كى يكون دليلا تصادر به النصوص الشرعية قطعية الثبوت والدلالة، حيث إن العقود الفاسدة، هى فاسدة في كل زمان ومكان وأن الخمر كما نعلم، لعن الله بها عشرة هم: لعن الخمرة وشاربها وساقيتها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وأكل ثمنها والدال عليها، وسماها الرسول ﷺ أم الخبائث.

—: فتوى إباحة مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية: قال سماحته: إن إباحة مصافحة المرأة الأجنبية من عدمه تخضع للبيئة والعرف، ولا تخضع لحكم شرعى بالتحريم! مضيفاً أن السعودية ودول الخليج تعتبر أن مصافحة المرأة عيب. وأضاف في لقائه بأحد البرامج، أن حديث تحريم مس الرجل لامرأة لا محل له، يتناول حرمة جماع المرأة الأجنبية ولا يتعرض لتحريم المصافحة!

وتابع: حرمة المصافحة ترتبط باختلاف الزمان والمكان، والبيئة والعرف، والصحابة أنفسهم صافحوا النساء. مضيفاً: والثابت أنه يجوز مصافحة المرأة إذا مدت يدها للمصافحة.

ولم يتأخر عليه الرد من المسلمين الغيورين على دينهم، وانبرى له عالم فقال: ممّا عمت به البلوى في زماننا هذا كثرة الاختلاط بين الرجال والنساء، وما تبعه من تهاون في الحجاب، وكثرة الحديث والكلام، وأحياناً المصافحة بين الرجال والنساء الأجنبيات، وذلك إما جهلاً أو تجاهلاً، وقد يوجد للشخص من النساء الأقارب، وخاصة الكبيرات في السن، والتي هن أجنبيات عنه، فقد يتحرج في مصافحتهن من عدمها، وأكثر ما يظهر هذا التحرج في المناسبات العامة، كالعيد مثلاً، ممّا جعل من الأهمية بمكان بحث هذه المسألة شرعاً، وبيان أقوال العلماء فيها وبيان القول الراجح مع تحرى الحق والصواب، إن شاء الله تعالى.

بعض ما جاء في السنة النبوية بخصوص مصافحة المرأة الأجنبية:

1- عن عائشة رضى الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ } الممتحنة 12. فمن أقرت بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك كلاماً، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: قد بايعتك على ذلك⁽¹⁾.

2- وعن أميمة بنت رقيقة قالت: أتيت النبي ﷺ في نسوة من الأنصار نبايعه، فقلنا يا رسول الله: نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نأتى بيهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. قال: فيها استطعتن وأطقتن قالت: قلنا: الله

(1) صحيح البخارى ج 4 ص 1856، برقم 4609.

ورسوله أرحم بنا، هلم نباعك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة، أو مثل قولي لامرأة واحدة⁽¹⁾. قال الشيخ الألباني: صحيح⁽²⁾.

3- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له⁽³⁾. قال الشيخ الألباني: صحيح⁽⁴⁾. قال العراقي: وإذا لم يفعل هو ذلك مع عصمته وانتفاء الرية في حقه، فغيره أولى بذلك. وقال الشنقيطي: وكونه ﷺ لا يصادح النساء وقت البيعة، دليل واضح على أن الرجل لا يصادح المرأة، ولا يمس شيء من بدنه شيئاً من بدنها، لأن أخف أنواع اللمس المصافحة، فإذا امتنع منها ﷺ في الوقت الذي يقتضيها وهو وقت المباينة دل ذلك على أنها لا تجوز، وليس لأحد مخالفته ﷺ لأنه هو المشرع لأمره بأقواله، وأفعاله، وتقريره.

—: فتوى إباحة الإفطار في المصايف والرحلات! وأفتى بجواز إفطار المسافر في المصايف والرحلات، وأن يتوب إلى الله بعدها! موضحاً أن المعصية المرتبطة بالسفر للمصايف لا تؤثر في الرخصة للإفطار، لأن الرخص لا تناط بالمعصية على حسب القاعدة الشرعية، وذلك على حد قوله. وجاءت تلك الفتوى رداً على سؤال وجه إليه ذلك خلال أحد البرامج من أحد المشاهدين هل أن رخصة الإفطار وقصر الصلاة ممنوحة للمسافر للفسح واللغو والمصايف؟

فرد بجواز الإفطار في رمضان للمسافر حتى للفسح والمصايف، لكنه يفضل عدم الإفطار في رمضان لأن به نعمة ولن يعوض.

وقال: إن هناك نوعين من السفر سفر: مباح، ويندرج تحته سفر الواجب مثل سفر طلب العلم والجهاد وطلب الرزق والبر بالوالدين، وهناك سفر مندوب وفيها يقصر الصلاة، وهناك نوع آخر من السفر وهو سفر المعصية، وبه نوعان وهما المعصية بالسفر بأن يكون السفر بنية

(1) سنن النسائي ج 7 ص 149 برقم 4181.

(2) السلسلة الصحيحة ج 2 ص 63 برقم 529.

(3) المعجم الكبير ج 20 ص 211 برقم 486.

(4) الجامع الصغير وزيادته ج 1 ص 918، برقم 9176.

ارتكاب معصية وفساد في الأرض مثل السفر لقتل إنسان، ولا يجوز التمتع بالرخص لأن الرخص لا تناط بالمعاصي، وبالتالي لا يجوز الجمع وقصر الصلاة ولا الإفطار، أما المعصية في السفر مثل السفر لإلقاء محاضرة علمية ووقع المسافر في معصية، وفي هذه الحالة لا تمنع الرخص، ولكن من الأفضل للمسافر الصيام لأن رمضان لن يعوض. وأضاف أنه يجوز للشخص الذي يتطلب عمله السفر يومياً أن يقصر ويجمع الصلاة ويفطر، ولكن من الأفضل للمسافر الصيام لأن رمضان به نفحة ولن يعوض. وأشار إلى أن السفر لزيارة السيد البدوي ومسجد آل البيت جائز وليس شركاً ويجوز فيه قصر الصلاة!! موضحاً أن شد الرحال باعتقاد الأفضلية لا يكون إلا للمسجد الحرام والمسجد النبوي والأقصى.

وكذلك أجاز سماحة المفتي، الإفطار في شهر رمضان للاعبات واللاعبين المشاركين في دورة الألعاب الأولمبية، التي تتزامن منافساتها مع حلول شهر رمضان، في خطوة يتوقع أن تثير الجدل بين رجال الدين وقال في لقائه مع أعضاء البعثة المصرية المسافرين إلى لندن، الله منح رخصة الإفطار في حالة السفر أو المرض طبقاً للنص القرآني { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } البقرة 184. وفند المفتي فتواه، لطول عدد ساعات الصيام في بريطانيا، موضحاً أنه لا يجوز أن يصوم الشخص أكثر من 18 ساعة، على حد تعبيره!

وأن الذي يرغب في الصوم من أعضاء البعثة فعليه الالتزام بصوم 16 ساعة من الساعة الثانية والنصف فجراً وحتى الساعة السادسة والنصف مساءً، وهو ما يوافق توقيت مكة، مضيفاً: العلماء عندما اختلفوا حول تحديد موعد ساعات الصيام اتفقوا على الرجوع إلى توقيت مكة. وقال: لا علاقة بالرياضة بهذه الرخصة، لأنه لو أقيمت البطولة في مصر ما جاز الإفطار، ولكن الرخصة ممنوحة لأن الجميع سيكون على سفر. ومن كان على سفر فإن الله أباح له أن يفطر. وأضاف: إذا كنت قد أجزت الإفطار، فإنني لا أستطيع أن أجبر اللاعب الذي يرغب في الصيام على الإفطار، وتلك مشكلة إدارية بينه وبين مدربه وطبيبه وليست مشكلة شرعية.

تعليق: ومعنى الفتوى أنه بالرغم من كون الصيام أفضل، إلا أنه أعطى الرخصة للمسافر ولو كان بهدف الترفيه أو التصنيف أو المشاركة في الألعاب أن يفطر في شهر رمضان! ومن المتوقع أن تثير الفتوى ردود فعل متباينة، فرغم أن حكم الإفطار في رمضان بداعي السفر متوافق

عليه بين الفقهاء، غير أن البعض يفرق بين السفر الاضطرارى، وبين السفر غير الاضطرارى أو التنقل للتجارة وما يشبه ذلك، فتتراوح الآراء في الحالة الثانية بين الإجازة والمنع. وقد استدعت هذه الفتاوى رداً من جبهة علماء الأزهر، التى تمثل تياراً متشدداً والتى رفضت إباحة إفطار اللاعبين بدعوى أن اللعب هو لعب على جميع أحواله، وهو ليس من ضرورات الحياة التى يرخص إباحة الإفطار لها.

وقد روى أصحاب السنن وأحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، الحديث. وهذا السفر الذى صرح الكتاب والسنة بأنه مبيح للفطر، قيده جمهور أهل العلم بأن يكون مباحاً، ثم اختلفوا فى سفر النزهة هل هو من السفر المباح أم لا ؟

قال ابن قدامة فى المغنى: وفى سفر التنزه والتفرج روايتان: إحداهما: تبيح الترخيص، وهذا ظاهر كلام الخرقي، لأنه سفر مباح، فدخل فى عموم النصوص المذكورة، وقياساً على سفر التجارة. والثانية: لا يترخص فيه. وقال أحمد: إذا خرج الرجل إلى بعض البلدان تنزهاً وتلذذاً، وليس فى طلب حديث ولا حج ولا عمرة ولا تجارة، فإنه لا يقصر الصلاة، لأنه إنما شرع إعانة على تحصيل المصلحة، ولا مصلحة فى هذا⁽¹⁾. وبناء على ما تقدم، فإن الأحوط للمسافر فى رمضان سفر نزهة أو لعب، أن لا يفطر إلا بموجب آخر للفطر، لأن الرخص لا تناط بالمعصية على حسب القاعدة الشرعية. والله أعلم.

—: فتوى بأن النقاب مجرد عادة اجتماعية، وأن نقاب المسلمة فى الغرب لا يصح! وبأن ارتداء المرأة المسلمة للنقاب فى بلد أجنبى لا يصح، لأنه من غير عادة أهل البلد، الأمر الذى قد يُسبب مشكلة سياسية. وقال خلال كلمته: عادة أهل البلد هى التى ينبغى أن نستند إليها! مستشهداً بقول للإمام مالك ولا تعتقدن المنتقبة فى بلد لا نقاب فيه أنها تفعل أدين من قريتها. وأضاف: حينما تسافر المرأة إلى بلد أجنبى، وتُصر على النقاب سبب مشكلة سياسية، وذلك لا يصح، خاصة أن هذه القضية تم إفرازها من قبل أصوات من شرق البحر الأحمر تقدم العادات على أنها عبادات مؤيدة بنصوص من التراث وليس من المذهب النبوي.

(1) مسند أحمد ج 2 ص 52.

—: فتوى ترقيع غشاء البكارة! في لقاء تليفزيونى أجاز سماحته إجراء عملية ترقيع غشاء البكارة، للنساء اللاتى فقدن عذريتهن لأى سبب كان، قبل الإقدام على الزواج، مؤكداً أنه أمر مباح!! وقال: الدين الإسلامى يدعو إلى الستر، وإذا كان إجراء الفتاة، التى فقدت عذريتها لأى سبب كان لعملية ترقيع غشاء البكارة سيؤدى إلى سترها، فإن الإسلام يبيح ذلك. وأضاف: وعلى تلك الفتاة، ألا تخبر خطيبها بأنها فقدت عذريتها!

والأمر ينطبق كذلك على المرأة الزانية!! حيث لا يجوز لها أن تخبر زوجها بأنها ارتكبت جريمة الزنا! موضعاً أن ذلك الأمر يأتى فى إطار السعى للحفاظ على وحدة الأسرة، وبهدف مساعدة المخطئات على التوبة والزواج، ولا يعد من قبيل الغش والخداع!! ثم كرر سماحته - ناصحاً فى حوارهِ. دعوته للنساء، بتجديد غشاء البكارة فى كل عام احتفالاً بما يسمى بأعياد الزواج!!

—: فتوى بأن ملكة بريطانيا من ما يُسموا آل البيت! انشغل العديد من متابعى مواقع التواصل الاجتماعى بالحديث عن مقابلة سماحته التى تحدث فيها عن نسب الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا قائلاً: إنها تنحدر من أسرة النبی محمد، ولكن جدها اضطر لاعتناق المسيحية! الأمر الذى أثار الكثير من الجدل بين المغردين.

وجاء فى حديثه الكثير من الآراء الفقهية لدى الجماعات الإسلامية، مشيراً إلى أنها آراء متشددة لأنها خرجت فى فترة كان فيها المسلمون تحت الاحتلال ويضطرون لترك دينهم قائلاً: لم يكن هناك مسلم واحد قادر على البقاء فى أوروبا فى ذلك الزمن. لأن إنجلترا قديماً كانت لا توافق على إقامة المسلمين فيها، قبضوا فى مرة من المرات على شخص من آل هاشم، فأرغموه على التنصر، وقيل: إنه هو جد الملكة! وتابع: جد الملكة كان من آل هاشم، من آل النبی يعنى، فكيف لم تصبح الملكة (إليزابيث) مسلمة؟ لأن الإنجليز أرغموا جدها عنوة على التنصر. لأن جدها ترك الإسلام بسبب الضغط والقهر، كما جرى مع المسلمين المورسكين فى أسبانيا، كنا نتعرض للضرب من الشرق والغرب، والفقه الذى قيل فى ذلك الوقت كان سببه هذا الضرب!!

—: فتوى بعدم شرب الماء بعد ذكر الله! قال سماحته: إن الذكر يُشعل القلب، ولذا فمن المحبب عدم شرب الماء فوراً بعد الذكر لمدة ثلث ساعة، حتى تنعقد حرارة الذكر فى القلب! وأضاف أنه استند فى فتواه، إلى أن مرددى الذكر كثيراً إذا شربوا الماء بعد جلسة الذكر، تطفأ

حرارة الذكر والإيمان في قلوبهم!! [يقصد هنا من يقوموا بالرقص تمايلا في جلسات الصوفية التي هو أحد رجالها] وأوضح، أنه يستحب على الذاكر ألا يشرب الماء أثناء الذكر أو بعده! مشيرًا إلى أنها عن تجربة بعض الصالحين كثري الذكر فكانوا لا يشربون الماء عقب الذكر حتى لا تنطفئ حرارة الإيمان في قلوبهم على حد زعمه!! وتابع: أنه أتى النبي رجلٌ، فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله، موضحاً تسمية النبي في هذا الحديث للذكر بأنه يرطب اللسان ويستغنى به عن شرب الماء فيه إشارة بطريقة بعيدة إلى عدم شرب الماء أثناء الذكر وبعده بـ 20 دقيقة؟! [انظر كيف غير معنى حديث الرسول وما يراد منه، فالمعنى المراد هو دوام ذكر الله وليس الامتناع عن تناول الماء].

—: فتوى حول علامات يوم القيامة! أثارت فتاوى أصدرها سماحته حول علامات يوم القيامة جدلاً واسعاً في الشارع المصري، وذلك لغرابتها واختلافها مع بعض الأمور المتعارف عليها، فقد قال: إن التهيئة لعلامات القيامة الكبرى انتهت، وهناك ثلاث علامات تعد مدخلا للعلامات الكبرى وقعت وتحققت! منها هلاك نخل بيسان بالأراضي الفلسطينية المحتلة بالشام، والهلاك هو عدم وجوده أو لا يطرح ثماراً، وقد هلك نخل بيسان منذ عام 1950 م عندما احتلها الصهاينة وأنشأوا مدينة بيسان الجديدة وأهملوا القديمة فهلك النخل. وأضاف أن العلامة الثانية، هي انخفاض بحيرة طبرية، وتحققت وانخفضت للحد الذي هدد إسرائيل بالعطش، مما دعا الكيان الصهيوني المغتصب لاحتلال الجنوب اللبناني في عام 1979 م حتى يستفيد من مياه نهر الليطاني، لصب تلك المياه في طبرية لحل أزمة الماء التي أصابتهم بانخفاض ماء بحيرة طبرية وأشار إلى أن العلامة الثالثة، هي انخفاض عين زغر، وهي قرية صغيرة بجوار البحر الميت، مضيفاً: أنه عند زيارة البحر الميت أحضرنا من لهم دراية بالمكان فقال لنا: إنه بالفعل انخفض، وقد حسبتها بنفسى فوجدت أن منسوبه انخفض عن أصله نحو خمسمائة متر!!

—: فتوى بأن طلاق المصريين لا يقع!! في فتوى ليست غريبة منه أثارت العلماء والشيوخ، أكد فيها سماحته أن معظم حالات الطلاق في مصر باطلة وغير صحيحة! مستنداً في فتواه هذه، إلى أن المصريين ينطقون كلمة (طالئ) وليست طالق. وطبعاً نظراً لل لهجة أهالي مصر الذين

يعيشون في مدن الوجه البحري، مستندا في فتواه هذه إلى فتوى قديمة لبعض الفقهاء في أزمنة قديمة، كانت تنطق الكلمة (تالق) بحرف التاء، فأفتى هؤلاء أيضا ببطلان بعض حالات الطلاق التي كانت تنطق فيها الكلمة بهذا الشكل! ومن المعروف أن الطلاق يحدث باللفظ مع النية، أى أنه بنطق اللفظ أو ما يعنيه يقع الطلاق، وكانت العرب تطلق بكلمة بينى أو حبلك على غاربك، فهل يعنى سماحته أن الأشخاص الذين لديهم صعوبات في النطق باللغة العربية مع تشكيل حروفها أثناء النطق لا يؤخذ بنطقهم لهذه الكلمة؟!

وتناسى سماحته ما قد صح أن النبي ﷺ قال: ثلاث هزلهن جد وجدهن جد، الطلاق والنكاح والرجعة⁽¹⁾. وعن الحسن ﷺ قال رسول الله ﷺ: من نكح لاعبا أو طلق لاعبا أو أعتق لاعبا جاز⁽²⁾. قال عمر ﷺ: أربع جائزات إذا تكلم بهن، الطلاق والنكاح والعتاق والنذر.

—: فتوى بجواز الحج بالمال الحرام!! وأفتى سماحته بأن الحج بالمال الحرام صحيح ولا ثواب له! وكانت تلك فتوى من أغرب الفتاوى التي أضحكت الصغير والكبير، لأنه إذا كان الحج لا ثواب له فكيف يكون صحيحاً؟ وما جدوى صحة المناسك؟ إذا كانت بدون ثواب!! [انظر كيف يفضح المرء لسانه عندما ينطوى باطنه على غير قول الحق].

—: وأفتى سماحته برأيه في الأئمة ابن تيمية وابن حجر العسقلاني والألباني رحمهم الله. فقال خلال أحد البرامج: بعض الناس يفتكروا إن مع البلاوى إلى عملها ابن تيمية! إننا هنرميه كلوا، معندناش كدا. ثم أوضح قائلاً: ابن تيمية عالم من علماء الإسلام يخطئ ويصيب، ويتبنى عندما يأتى برأى جيد أو رأى له دلالة أو دليل، مفيش مانع نأخذ به، الحكمة دى افتقدها كثير من الناس، إلى مش معانا يبقى علينا! ولم يسلم منه أيضا الإمام ابن حجر العسقلاني فقد اتهمه ببيع المخدرات، ليس في السر كما يفعل المروجون بل أمام الجامع الأزهر!!

ففى قصة ممجوجة أركانها الكذب وراويها خبير، مفادها أن الولي الفرغلي من مشايخ الصوفية مذهب ساحة الدكتور، كان يبيع المخدرات أمام الجامع الأزهر، فاعترض عليه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في (سره) [أى في قلبه]. ودخل ابن حجر ليصلى بالناس إماما

(1) المغنى ج 7 ص 61 رواه الترمذي.

(2) المحلى ج 10 ص 204.

ففسى الفاتحة!! فرجع ابن حجر إلى الولى بائع الحشيش الفرغلى لاسترداد الفاتحة منه! فاشترط عليه أن يجلس لبيع الحشيش معه. فجلس ابن حجر لبيع المخدرات مع هذا الولى الصوفى.

وفى رواية له أخرى مرَّ شيخ الإسلام ابن حجر رضى الله عنه بمصر يوماً، فرأى الولى الفرغلى فقال فى سره: ما اتخذ الله من ولى جاهل، ولو اتخذ لعلمه على وجه الإنكار عليه، فقال له الفرغلى: قف يا قاضى؟ فوقف، فمسكه وصار يضربه ويصفعه على وجهه، ويقول: بل اتخذنى، وعلمنى! فهل يعقل أن الإمام ابن حجر العسقلانى يضرب ويصفع فى وجهه لأنه أنكر فى سره على هذا الولى المزعوم؟! وخلاصة القول إن كل هذا الكذب والتدليس واتهام ابن حجر وغيره ليس من ورائه إلا الترويح، على عدم الاعتراض على الشيخ الصوفى، وإن ارتكب محرماً أو روج لمنكر، وأن جزاء من ينكر عليهم ولو فى سره أن يطرد من رحمة الله، ومن يقرأ تراجم مشايخ المتصوفة يجد الكثير من البلايا والرزايا وفعل المنكرات باسم الكرامات.

ولم يسلم أيضاً من سماحته شيخنا الألبانى رحمه الله وقد وصفه بالمبتدع!! ويقول: إن المنهج الذى تركه لمن بعده فى رد الحديث الضعيف (بدعة)! وقال: إنه لم يكن فقيهاً، وإنما كان رجلاً على باب الله، وكان يعمل فى تصليح الساعات، والله حبيب إليه الاطلاع والبحث، ولم يعرف القواعد، التى يتقنها الأزهريون. وانتقد سماحته خلال حوار فى أحد البرامج قول الألبانى: حديث نعم المذكر المسيحة، ضعيف، إذن السبحة بدعة. وأضاف أن الصحابى أبو هريرة، اتخذ مسبحة، كذلك الصحابى سعد بن أبى وقاص، مؤكداً أن مشكلة الألبانى، كانت فى الفهم، وليس النص! ثم زعم من خلال مقطع انتشر له، أنه ناظر الإمام الألبانى فى العمل بالحديث الضعيف وأفحمه!! وقد سمعنا ردوداً متواترة لشيخ أفاضل ردوا عليه نافرين صحة حدوث تلك المناظرة من الأصل وأنها من بنات أفكار سماحته.

—: فتوى زنا أولياء الله الصالحين! وسئل سماحته، هل يمكن أن يكون الولى على معصية؟ قال: نعم، قالوا لعبد القادر أيزنى الولى؟ قال: وكان أمر الله قدرا مقدورا! وكان تلميذ المرسى أبو العباس ظبطوه يزنى، فجهم يقبضوا عليه جرى وركب الماء وسار، فراحوا للمرسى وقالوا له: قلناه بأه، احنا شفناه وهو بيزنى وشفناه وهو ماشى على الماء؟ إيه بأه ده؟ ما تجنونا، فقال: إن الكريم إذا وهب ما سلب. افهموا ربنا، الله يهديكم. يبقى ممكن واحد ولى وربنا أكرمه حتى يطير فى الهواء ويمشى على الميه ويزنى.

مرة واحد ولى عمل روجه كأنه بيزنى، دخل مع واحدة الأوضة وقفلوا على بعضهم، أتباعه قالوا إيه الرجل الفاسد ده؟ ومشىوا كلهم إلا واحد منهم! طلع لقاه بيسخن له مية!! قال له: بتعمل إيه؟ قال: أنا قلت أسخن لك مية، يمكن تكون جنب حتى تغتسل وتلحق الصلاة!! قال له: ليه ما مشيت مع أصحابك؟ قال له: ما اتبعتك على أنك نبي.

وجاء الرد المفحم على سماحة الدكتور، بأنه لا شيء اسمه أن الكريم إذا وهب ما سلب، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وفي السنة، قصة صاحب الرغيف الذى عبد الله سبعين عاما أضعافها الزنا، وليس تزنى ثم تمشى على الماء وتطير في الهواء. ونحن مطالبون بالبعد عن الشبهات، وليس أن تجيب امرأة وتغلق عليك وعليها الباب، لتوحى للناس بأنكما ترتكبان الزنا، وما فائدة ذلك وما الداعى له؟!

—: فتوى سماحته بجواز امتناع المرأة عن الإنجاب للحفاظ على جمالها ورشاقتها!
بدأ الجدل حول تلك الفتوى عندما أفتى بها سماحته في برنامج.... المخصص لفتاويه المثيرة للجدل، في إحدى الفضائيات، فقد أكد سماحته أنه يستند في جواز امتناع المرأة عن الإنجاب للحفاظ على جمالها ورشاقتها، إلى اجتهاد فقهي لشيخ الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي.
لكنه عاد وحذر المرأة إذا تمادت في هذا الأمر، إلى درجة الامتناع التام عن الإنجاب حفاظاً على الجمال، فإنها ستندم في المستقبل بعد حرمانها نعمة الأمومة، مع العلم أنها بامتناعها عن الإنجاب لا ترتكب ذنباً أو فعلاً حراماً شرعاً!

وبعدها حدثت ضجة بين علماء الدين بين من يؤيد فتوى الدكتور ومن يرفضها تماماً. فقد عارض الدكتور... عميد كلية القرآن، فتوى سماحته قائلاً: إنها مخالفة للشرع [وللفطرة السوية]: «رغم أن الأصل في الأمور الإباحة، فإن هناك من النصوص الشرعية ما يدعو للإنجاب باعتباره أحد المقاصد الكبرى للزواج والطريق الشرعى الوحيد له، ولهذا جعل الله الزواج والإنجاب آية من آياته، فقال الله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» الروم 21. وقول الله تعالى أيضاً: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالْغَيْبِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ» النحل 72.

وأشار، إلى أن حب الإنجاب فطرة قوية لدى المرأة، ولهذا فإن التي تفضل المحافظة على جمالها على أن تكون أمًا ليست طبيعية، وإنما هي امرأة أنانية ولا يجوز لزوجها الرضا بذلك، بل إنه يجب عليه شرعاً الإنجاب حتى يكون ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تناكحوا تناسلوا، فإنني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة». وأنهى كلامه مؤكداً أنه على المرأة التي أنعم الله عليها بالزواج أن توازن في أمور حياتها بين إشباع فطرة الأمومة لديها وبين رشاقتها وجمالها لزوجها فقط، وليس للتبرج والإغراء والإثارة، لأن الجمال والزينة لا يكونان إلا للزوج وأمام المحارم فقط، لقول الله تعالى: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» النور 31.

—: فتوى بقتل المتظاهرين واعتبارهم من الخوارج: ونختم حديثنا عن سماحه الدكتور بالفتوى التي ورط بها، والتي أصدرها في أحد المؤتمرات، قائلاً: اضرب في المليان، فهم خوارج، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، من قتلهم كان أولى بالله منهم، بل أنا يجب أن نظهر مصرنا من هؤلاء الأوباش، يجب أن نتبرأ منهم، ناس ننته، ريحتهم وحشة، النبي حذرنا من هذا!!

وبهذه الخطبة والقول الواضح، أباح سماحته قتل المتظاهرين باعتبارهم خوارج، على حد وصفه، فجعلهم من الذين يجب قتالهم، والبغاة الذين يتقربون إلى الله باجتثاثهم وبدمائهم، مستغلاً في ذلك عدم معرفة كثير من الناس لمعنى هذه الألفاظ، وإن قر في قلوبهم بغضها، وتأكد في أنفسهم استبشاعها.

فكانت فتوى سماحته التي سيلقى الله تعالى بها يوم القيامة، هي السبب الرئيسي في إزهاق تلك الأرواح، وهي خير ما نختم به حديثنا عن سماحته. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: من أعان على قتل امرئ مسلم بشطر كلمة، لقي الله تعالى يوم القيامة مكتوباً بين عينيه، آيس من رحمة الله (1).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يحل قتل امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: زان بعد حصانة، أو رجل قتل فقتل به، أو رجل خرج محارباً لله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض (2).

وفي الحديث: لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم (3). وفيه: لو قتل رجل بالمشرك وآخر راضٍ في المغرب لأشرك في دمه (4).

وقال تعالى: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } النساء 93. قال جار الله: في هذه الآية من التهديد والإيعاد والإرعاد أمر عظيم، ومن ثم روى عن ابن عباس: إن توبة قاتل المؤمن عمداً توبة غير مقبولة (5).

وعن سفیان رحمه الله: كان أهل العلم إذا سُئلوا قالوا: لا توبة له. قال جار الله: العجب من قوم يقرأون هذه الآية ويرون ما فيها، ويسمعون ما في هذه الأحاديث العظيمة، ثم يطمعون بالعفو عن قاتل المؤمن (6)!! { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } محمد 24..

* * *

(1) اللآلئ المصنوعة ج 2 ص 158.

(2) معتصر المختصر ج 2 ص 146.

(3) مصنف ابن أبي شيبة ج 7 ص 86.

(4) أسماء المدلسين ج 1 ص 125.

(5) أسماء المدلسين ج 1 ص 125.

(6) أسماء المدلسين ج 1 ص 125.

—: فتوى الشيخ الشيخ المستشار في.... بإرضاع الكبير! فى مقالة جد ساخرة هذبتها واختصرتها على قدر الاستطاعة وعدلت وأضفت بها تقول: بشرى للرجال فتوى إرضاع الكبير: حينها تصبح المرأة بقرة حلوبا؟! ليس صحيحا أن كل واقعنا العربى والإسلامى بائس يائس، وأنا لا نرى ونشاهد سوى صور الدماء التى تسيل على ربى فلسطين الجريحة، وأفغانستان المكلمة، والعراق المغتصب، ودارفور البائسة، وسوريا النازفة، وأن المجاعات انتشرت هنا وهناك، مآسى الحروب والافتتال والنزاعات فى كل مكان، لا يا إختوتى هناك نور فى نهاية النفق، وهناك ألوان وردية تنتصب من فوق ركام السواد، والإحباط والحزن الذى عشت فى عقولنا وران على قلوبنا ردحا من الزمن، هناك بشرى سارة معاشر الرجال قبل النساء، من جزيرة العرب، يجددها ويعيها إليكم الشيخ.... فيها علاج لكثير من مشاكل الرجال، لن يحرم من نفعها العميم حتى السائقين والخدم، هى فتوى قديمة جديدة، جاء بها سماحته بعد فتوى رئيس قسم البحوث فى الأزهر الذى تم إيقافه عن العمل، بسبب فتواه بجواز إرضاع الموظفة لزميلها فى العمل!

يقول سماحة الشيخ من خلال موقعه ما نصه: فإن الأصل فى الرضاعة أن تكون فى الحولين أى ألا يتجاوز عمر الرضيع سنتين لقول الله عز وجل: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ } البقرة 233. ولكن أجاز بعض العلماء المحققين رضاع الكبير فى حالة خاصة وهى إذا احتاج أهل البيت إلى كثرة دخول الكبير عليهم والسكنى بين ظهرانيهم، وبالطبع بدون أن يرضع مباشرة من ثدى المرأة، وإنما تحلب له من ثديها فى إناء ويشربه خمس رضعات مشبعات للصغير كما سيأتى نقله عن العلماء، وهذه الحالة تنطبق على من أخذه أهل البيت من ملجأ ولا يعرف له أب ولا أم، فأرادوا تربيته وأن يكون عندهم مثل الولد أو أن يكون شاباً ليس له أقارب سوى أخيه، ويضطر للسكنى معه ومع أسرته ويحصل الحرج بكثرة دخوله وخروجه وما شابه ذلك، ومن ذهب إلى جواز إرضاع الكبير عائشة، ويروى عن عروة وعلى وهو قول الليث بن سعد، وعطاء ابن أبى رباح، وأبى محمد بن حزم، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والصنعانى، والشوكانى، والشيخ محمد صديق خان، والألبانى، والشيخ أحمد النجمى وغيرهم، واستدلوا بقوله عز وجل: { وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ } النساء 23 فإنه مطلق غير مقيد بوقت، قاله فى سبل السلام، كما استدلوأ بما رواه مسلم فى باب رضاع الكبير

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةَ بِنْتُ سَهِيلٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِ أَبِي حَذِيفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ وَهُوَ حَلِيفُهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْضَعِيهِ. قَالَتْ: وَكَيْفَ أَرْضَعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، كَانَ مَعَ أَبِي حَذِيفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ، فَأَتَتْ ابْنَتَهُ سَهِيلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنْ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ وَعَقْلٌ مَا عَقْلُوا، وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حَذِيفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: أَرْضَعِيهِ تَحْرِمِي عَلَيْهِ وَيَذْهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حَذِيفَةَ. فَرَجَعَتْ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ فَذْهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حَذِيفَةَ⁽¹⁾.

وحول كيفية الإرضاع يقول الشيخ.... وأما كيفية إرضاع الكبير فكما قاله ابن عبد البر: يجلب له اللبن ويسقاه. وأما أن تلقمه المرأة نديها فلا، لأن ذلك لا يحل عند جماعة العلماء. وقد أجمع فقهاء الأمصار على التحريم بما يشر به الغلام الرضيع من (لبن) المرأة وإن لم يمصه من ثديها، وإنما اختلفوا في السعوط به وفي الحقنة والوجور. انتهى الجزء المنقول عن الموقع.

وجاء الرد من المحدث الشهير.... ينسف فيه ما ذهب إليه الشيخ.... ويؤكد أن الرضاعة لا تكون إلا بالتقام ثدي المرأة مباشرة، وأن حلب المرأة لثديها ووضع الحليب في إناء ومناولته الرجل لا يُسمى "رضاعاً" ومما يذكر أن فتوى سماحة... جاءت رداً على سائل في برنامج تليفزيوني، تم تداولها والقياس عليها في حالة المحرم للمرأة التي تنوى الحج، والسائق الأجنبي الذي يخدم العائلة، وكذلك في حالة زميل العمل، وهو الأمر الذي أراد توضيحه من خلال بيانه المشار إليه. وقال إن السائق والخادم لا يجوز في حقهما الإرضاع؟ ولا أدري لم لا يجوز للمرأة أن ترضع الخدم والسائقين؟! رغم أنهم يدخلون على النساء ويأخذونهن في مشاوير دون أن يكون معهن محرم؟ ولا ندري لماذا يحرم هؤلاء من الإرضاع، ويتم إرضاع من أخذوا من الملاجئ؟ هل يضمن لنا الشيخ.... أن يذهب إرضاع الكبير الذي يلزم دخوله وخروجه على المرأة في البيت، ما في نفسه من ميل فطري تجاه المرأة؟ وأن لا يراود كل منهما الآخر في حال وجدا خلوة في البيت، بغياب الزوج والأولاد أو الإخوان من الرضاعة؟ وهل يجوز أن ترضع كل أسرة كل من يدخل عليها في كل حين من الرجال للضرورات القصوى؟!

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح برقم 4800 ومسلم في صحيحه برقم 1453 وغيرهما، واللفظ لمسلم.

إن مثل هذه الفتاوى تؤكد، أن بعض علماء الأمة وأشياخها إلا من رحم ربك، في وادٍ والأمة في وادٍ آخر، يحاصر الشعب في غزة فلا نرى هؤلاء يفتون ويشيرون على حكامنا بحرمة ذلك، لا يقولون لهم ما قاله رسولنا: الكريم المسلم أخو المسلم، انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، لا يبينون أن جسد الأمة واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. هل سيحل ذلك مشكلة البطالة في الوطن العربي؟ هل ستعالج قضايا الفساد والمحسوبية والرشوة وظلم الإنسان لأخيه الإنسان؟ قضيتنا في إصلاح العباد، سلوكا وعقيدة وليس إرضاعا.

قضيتنا في إصلاح أنفسنا والحكام وولاية الأمور، وليس في إرضاع الكبار.

ليت شيوخوا يعلمون الناس قيم السماء الحقيقية، ليتهم لا يفتون في صغائر الأمور، ليتهم يكونوا محرضين لشعوبهم ناصحين لحكامهم، لا يخافون في قول الحق لومة لائم، ليتهم يدعون أرباب العمل لمنح النساء المزيد من الساعات لإرضاع أطفالهن، بدلا من دعوتهم إلى إرضاع زملائهن في العمل. فالذين يرضعون بغير فتوى في عالمنا ليسوا قلة حتى نضيف إليهم أعدادا أخرى، لنصبح أمة لا هم لها سوى الرضاع.

—: فتوى في جواز فك السحر بالسحر! تحت مقال ما زالت أقوال الشيخ.... تتوالى ولا أعلم ما الهدف الذي يبتغيه الرجل؟ فمن خلال تتبعي في الإنترنت وجدت رداً من قبل أحد طلبة العلم يرد فيه على ما يبثه المذكور هنا وهناك، فألفيته جيداً للنشر حتى يأخذ المسلمون حذرهم ويقتدوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ويعضوا بالنواجذ عليهما ويأخذوا هذا العلم من أهله وإليكم الرد مفصلاً:

فوجئ المسلمون مؤخراً وأهل العلم خاصة ببعض آراء الشيخ.... الغريبة مثل استباحته الاستعانة بالسحر والسحرة وشياطينهم لحل السحر!! وأحيانا، يقيد ذلك بالضرورة فيقول: فإذا ألجأته الضرورة لابد أن يسأل عن المجرب! بأنه لا يضر الناس. ثم توسع فزعم أن الناس لا تعرف هل هي مسحورة أم لا! ولمعرفة ذلك تحتاج إلى سحرة يخبرون المرء أهو مسحور أم لا! وإذا كان المرء مسحوراً يخبرونه بمكان السحر ومن سحره!

ثم زعم أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها نصحت رسول الله بالاستعانة بساحر وجني! وتبلغ استهاتته بهذا الأمر إلى أن يقول: يذهب المسحور للساحر ولا يهتم إن كان مشعوذاً أو

دجالا، المهم أن يفك السحر عنه. كذا! ثم أفشى الشيخ سراً عندما قال: أنه منذ سنوات وهو ينصح مسحورين باللجوء إلى السحرة لحل سحرهم!!

ثم يحدثنا الشيخ.... عن علمه بعمليات جراحية يقوم بها الجن خدمة للإنس! لكن هذه الخدمة يعرضها ويقدمها الجن الصالحون فقط! ولا يعرضونها إلا على الصالحين من الإنس والأخيار!

وإن التقارير التي وصلته، تؤكد له نجاح هذه العمليات، إلى درجة أنه عبر عنها بقوله بالنص: استفاد منها عدد كبير من الناس، ولا ندرى ما هي مقاصد وأهداف الشيخ من هذا الكلام؟

الرد على فتوى الشيخ.... في جواز فك السحر بالسحر عند الضرورة، اقتداء بالرعييل الأول كما في صحيح البخارى، في قصة رواية ابن عمر رضي الله عنه لحديث إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، وقول عائشة رضي الله عنها، أخطأ بن عمر، لقد أخطأ الشيخ.... في ذلك من عدة وجوه: الأول: أن في الطلب من الساحر فك السحر بالسحر، تعاوناً على الإثم والعدوان، فمن المعلوم أن الساحر لا ينفذ له الشيطان أمره، إلا بالكفر بالله، وقد قال الله تعالى: { وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ } البقرة 102.

الوجه الثاني: أنه لا يحل حضور مجلس الساحر وهو ينفذ جريمة السحر، إلا لإقامة الحجة عليه، كما فعل نبي الله موسى مع السحرة، وكما فعل نبينا مع ابن صائد، أما حضور مجلس الساحر وإقراره على السحر دون الإنكار عليه للعلاج، فلا يحل. قال شيخ الإسلام: من حضر إلى مكان فيه منكر لم يستطع تغييره، لم يجز له الحضور. وقال القرطبي: في حق مجانبته من حضر مجلس يفعل فيه الكبائر، من قوله تعالى: { فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ } النساء 140.

الوجه الثالث: أن الله تعالى قد قال: { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } طه 69. وهذه نفى لفلاح الساحر، بجميع صورته بلا استثناء. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم. رواه البخارى معلقا. وقال رسول الله ﷺ: رضيت لأمتي ما رضى لها ابن أم عبد، وقد حرم الله السحر فكيف يباح دواء؟!

الوجه الرابع: إذا قلنا بتحريم التداوى بالسحر، فهل يباح التداوى به للضرورة قياساً على إباحة أكل الميتة عند الضرورة؟ الجواب: كلا وحاشا، فإن ذلك قياس مع الفارق، حيث إن النجاة بأكل الميتة متيقنة، والنجاة بالتداوى بالسحر محتملة. فقد ينجح الساحر وقد لا ينجح، وربما كانت قوته في فك السحر بحسب شدته في الكفر لمعاونة الشيطان له، فإذا كانت الرقية المشروعة بالفاتحة ونحوها محتملة الشفاء، وفيها من الثواب من قبل تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر به ما فيها، والذهاب لساحر للاستعانة بالشيطان، هو تعلق بغير الله، فلماذا قدمنا الاحتمال للشفاء بمحرم على الاحتمال المأمور به شرعاً بلا دليل صحيح.

الوجه الخامس: أن الذين أباحوه للضرورة هم بعض الحنابلة قالوا: كما أنه يجوز التخلص من القتل بكلمة الكفر كذلك يجوز التخلص من المرض الشديد بالسحر، أن هذا قياس مع الفارق، لأن التخلص بالنطق بكلمة الكفر مباح بالنص مع تيقن القلب بالإيمان، أما الشفاء بالسحر فغير متيقن وليس بمنصوص عليه ولا في معنى المنصوص فاختلفا وافترقا.

الوجه السادس: لم يتأمل الشيخ.... تبعة هذه الفتوى، فلو سلمنا بإباحة ذلك للضرورة مثلاً، فإن العامى لا يحسن تقدير الضرورة فيوشك أن يأتي أحدهم الساحر لأنه يؤخذ عن امرأته فيقول ضرورة كما هو معلوم من أهل زماننا الذى انتشر فيه الجهل بأحكام الدين.

الوجه السابع: الاحتجاج بفتوى سعيد بن المسيب من التابعين في جوازها نظر من وجهين. الأول: قال المانعون من فك السحر بالسحر، نص الرواية عنه لا جزم فيها بأنه يراد بها فك السحر بالسحر، حيث قال قتادة كما في صحيح البخارى معلقاً، قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته أيجل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس، إنما يريدون الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه.. فقالوا: النشرة هنا الرقية الشرعية كما قالت عائشة رضى الله عنها: كما في صحيح البخارى هلا أى تنشرت؟ فقد جاء عن جابر أن النشرة من عمل الشيطان، فكيف تدعوه عائشة لعمل الشيطان ولا ينكر عليها!!

الثانى: ولو كان يقصد بالنشرة السحر، لكان اجتهداً معارضاً للنصوص، وقد خالفه من التابعين الحسن البصرى كما في الفتح ج 1 ص 244 حيث إن الله تعالى قال: { وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ } البقرة 102. فتبين أن تعلم السحر كله ضار، فكيف بتعاطيه ولم يميزها

للضرورة بل مطلقاً، سواء للحاجة أو الضرورة، فوجه ما قد يحتجون به، أنه إذا أجازها لغير الضرورة ففي الضرورة من باب أولى، وقد تبين لك أن ذلك مرجوح والذي ينفع من قال بالإباحة لو كان فيه حجة قول عطاء كما في المصنف لابن أبي شيبة: لا بأس بذلك إذا اضطر إليه ج 5 ص 41 وقد تقدم الجواب عليه.

إنه ينبغي أن ينهى عن ذلك القول ولو من باب سد الذريعة، فإنه نهى عن إتيان الكهنة والعرافين وسؤالهم ولو لم يصدقهم، وذلك والله أعلم سدا للذريعة وتحريماً لحضور مجلس يفعل فيه ذلك المنكر بلا إنكار، بل بما يشبه الإقرار وهو السؤال ولو من غير تصديق.

فهل يقال بجواز الذهاب للعرافين والكهنة عند الضرورة لمعرفة مكان السحر الذي اشتد على رجل ليتخلص منه؟ فإذا كان الجواب لا، فكذلك الذهاب للساحر. فالرسول ﷺ كان واضحاً في هذا الشأن حين قال عن عبد الله ﷺ: من أتى ساحراً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

وقد أصدرت هيئة كبار العلماء في.... فتاوى تصحح زلل الشيخ..

—: الشيخ.... وولى الأمر برimmer! قام الشيخ بتقديم الفتاوى الشرعية عبر الفضائيات في مسألة جهاد الدفع بالقدره، وتعرض للهجوم والتجريح، لأنه عد ما يجري من جماعات المقاومة بالعراق باللغة الفقهية "فتنة" وأن ضرر أعمال المقاومة شديد ومدمر؟!

سبحان الله! ودعا للتريث حتى يخرج الأمريكان لحالهم!! وأن يكف الناس عن تحريض العراقيين على مقاومة المحتل! وكان سماحته قد أفتى بفتاوى ناسبت هوى المحتل الأمريكى للعراق، فقام بطباعتها واستخدامها منشورات قام بإلقائها بالطائرات على المدن العراقية، ظناً منه أنه شيخ مطاع، وأنها سوف توقف المقاومة الشرسة ضده، وسينعم بالمكوث بالعراق لينتقل منها إلى دولة عربية أخرى!

فرد أحدهم عليه بقوله: الغريب أن الشيخ.... بدأ كلامه في هذه المسألة في وقت ولاية برimmer على العراق، وفي أثناء التحضير للحكومة الحالية، فهل نفهم من هذا أن الشيخ يقر في ذلك الوقت بحكومة الكافر المحتل ويوجب الإذعان لها؟! ولا أعلم شيها لهذا، إلا حال القاديانية في قولهم بإبطال الجهاد ضد الإنجليز إبان احتلالهم للهند. وقال آخر: اطلعت كغيري على

مقتطفات من محاضرة ألقاها.... وقد وجدت فيها من القول حول المقاومة في العراق، بأنها قد شوّحت صورة المسلمين، وأنها مفسدة عظيمة ذات انعكاسات سلبية تتمثل في زعزعة الأمن والاستقرار في العراق! وأنها كانت فرصة لأعداء الإسلام للنيل منا وتشويه صورتنا باعتبارنا دعاة قتل وتفجير وترويع!!

وقال: نحن لا نؤيد المحتل ولكن يجب البحث عن حلول وبدائل لاستقرار العراق! وزعم.... أن دافع المقاومة الحماس غير المتزن والنظرة الضيقة! لقد أخفق الشيخ.... في تقدير الأمر، بل وأساء، حين يصف المقاومة بهذا الوصف، وينسى أنه يتحدث عن رجال أنفوا أن تتطأ رؤوسهم للصليبي الحاقد، أو أن يسلموا أعراضهم لعدو الملة والدين، ليستبيحها ويفعل فيها ما يشاء وأعوانه من أبناء المتعة المجوس. قد نجد للشيخ مخرجا في حال تحدث عن عدم جواز خروج الشباب من بلده إلى بلد العراق إلا بإذن ولي الأمر، لكن الذي لا يمكن أن نوافقه عليه هو هذه الجرأة بمنع المقاومة العراقية من مواجهة العدو الصائل وإلزامها بالاستسلام للخونة والرضا بالذل والمهانة. وهل الأمن عند الشيخ.... هو سلامة الأجساد والأموال فقط؟ أما علم أن الأمن الحقيقي هو أمن العقيدة وهو الأمن من الشرك الذي جاءت أمريكا لتفرضه ولتدعم أنصاره المجوس وتوليهم على رقاب المسلمين من أهل السنة وقد فعلت. ليفعلوا بها كما فعلوا في إيران. هل يجهل الشيخ.... أن طهران عاصمة إيران لا يوجد فيها مسجد واحد لأهل السنة؟ فكيف سيرضى الرافضة الأنجاس الأرجاس أن يمكّنوا أهل السنة في العراق من إقامة دينهم، وهم من يعتبر أهل السنة العدو الأكبر لهم، وأن عداوتهم أكبر من عداوة اليهود والنصارى! ما هو الشيء الذي تريد أن تصل إليه يا.... حين تقف مع العدو ضد المقاومة وتتهمها بتشويه سمعة الإسلام؟ أما علمت أن المقاومة تعتبر كل من يقف أمامهم بسلاح أو كلمة أو فتوى عدوا معتديا؟ أعرض عن هذا واشتغل بما فيه نفع وخير، ولا تستودع في صحيفتك ما لا يسرك أن تراه حين تفد على الله.

يا.... لن تكون بحال أعلم بالعراق من أهل العراق وعلماء العراق ومفكرى العراق. تقول إنك التقيت ببعضهم وذكروا لك أنهم غير راضين عن المقاومة وأنها وأنها! ولكن تأكد أن لكل بلد شواذه كما أن من أهل العلم من هذه البلاد أناسا شذوا عن العلماء بفتاوى ممجوجة سمجة.

أما أن تنقض عملهم من أصله وتعتبر قتلاهم من المفسدين وهم يرونهم قد سبقوهم إلى اللجنة بإذن رب العالمين، أو أن تطالبهم بالانضمام إلى حكومة رافضية أو علمانية أو ليبرالية، أو تطلب منهم الإذعان لأمريكا والرضا بمن تختاره لهم أمريكا، فهذا أمر مرفوض نحن لا نرضاه أولا فكيف بهم وهم المعنيون به فاتق الله.

وفي لقاء للشيخ في أحد البرامج، حرم جهاد الدفع والمقاومة، ودعى أهل الرباط بالعراق إلى طاعة ولي الأمر حتى ولو كان أمريكيا كافرا! فقال له مقدم البرنامج: إن النار لم تصب ثوبه لكن لو حدث غزو للسعودية، هل كنت سوف تقول ذات الرأي الذي تقوله الآن فيما يتعلق بالعراق؟ فقال: نحن نتكلم بكلام لا يمكن أن نغير كلامنا، ولا نغير آراءنا أيضا!! ولكن نرجو أن لا يأتي اليوم الذي نضطر فيه إلى أن نقاتل مع أمتنا لو حصل شيء، فنحن تحت ولاية أمر وإن رفعوا الراية فنحن معهم!

فقال له مقدم البرنامج: حتى ولو كنا ضعاف؟! فقال: نحن نقول هنا، لا راية لأهل الفلوجة، لأن هناك حاكماً ضدهم وهم يفتاتون عليه، ولا لهم قدرة!! فقال له مقدم البرنامج: تقصد الحكومة العراقية المؤقتة؟ فقال: نعم، وهى حكومة صحيحة!!

—: فتوى الشيخ.... وقوله إن مقاطعة البضائع ليست من الدين في شيء! ونسبت الصحف إلى سماحته قوله: إنه يعارض المقاطعة التجارية للبضائع الدنماركية، ويرى أنها نوع من العقوبة وليست من الدين في شيء! ونقل عنه قوله خلال ندوة أقامتها إحدى الجمعيات، أن نصرة الرسول ﷺ تكون بتطبيق سنته وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه، وأن طاعته لا تكمن في مقاطعة البضائع الاستهلاكية! كذلك أفتى بأن المقاطعة لمنتجات البلاد التي يساء فيها للرسول ﷺ ليست من الدين في شيء!

فانبرى له أحدهم بقوله: ما الذى رابك من المقاطعة حتى تقول بأنها ليست من الدين؟ هل أنت وصى الدين والهادى إليه؟ أم هو وحى اختصصت به دون غيرك من العالمين؟ ما دليلك بأنه لا بد لها من إذن ولي الأمر وموافقة؟ ثم هل أنت ميزان الاعتدال لمعرفة مقدار المصلحة من المفسدة؟ هل خفيت المصلحة على من هم أرسخ منك قدما في العلم، وأرجح رأيا وعقلا وأعرف بالسياسة الشرعية وفُتح عليك علمها يا....؟ أى مفسدة في مقاطعة سلع الكافرين،

وأنت تراهم يتضاغون من شدة الألم بسببها؟ إنه لو لم يكن منها من المصالح إلا أن الأمة قد أجمعت على قرار واحد أظهرت فيه لعدوها أنها على قلب رجل واحد لكفى. كيف تزعم أنها مفسدة وأن الدعوة إليها ليست من المصلحة، وأنت تعلم أنها أقل تعبير يقدمه المسلم ليكشف امتعاضه من أفعال الكافرين! نحن نطالبك بالدليل على ما لم يلزمنا شرعا. وهل لو امتنع المسلم عن أكل نوع من المأكولات يعتبر مخالفا لولى الأمر كون ولى الأمر لم يأمر بالمقاطعة؟ أى فقه هذا؟! أما علمت أن قولك هذا يسيء إلى ولاية الأمر، ويصورهم بصورة المتسلط الظالم، البعيد عن الأمة؟ قد ألتمس لك عذرا فى نقد بعض الممارسات المتسربة لكننى أجد صعوبة فى قبول عذرِكَ حين تتهم ملايين المسلمين بضعف البصيرة ومخالفة الدين، فى عمل هو من الجهاد فى سبيل الله. هل أغاظك أن تنتصر هذه الجموع لنبيها يا....؟ أعجب والله من حال بعض الناس يرى غيرة إخوانه المسلمين للإسلام فيمقتها ويُعمل معوله لهدمها، فى حين يسكت عن معاول الفجار التى تهدم بناء الأمة وحصنها.

وقال آخر: من حقه اعتقاد ما يرى، وقد جاء موقفه نشازاً وسط هذا المدّ الإسلامى العام فى العالم كله، المؤيد لمعاينة من تناولوا على مقام الرسول ﷺ بمقاطعة البضائع الدنماركية ويكفيك من العقوبات التجارية أنها حققت ما يلى:

1- أن الحكومة الدنماركية، تجاهلت على مدى أربعة أشهر، احتجاجات المسلمين على الرسومات، فلما فرضت المقاطعة، بدأ رئيس الوزراء الدنماركى يحاول الاعتذار، وبدأت أطراف سياسية فى الدنمارك تحسب خسائر المقاطعة وتراجع مواقفها.

2- أن المقاطعة جعلت دولاً غربية أخرى، تدين وترفض الرسومات الدنماركية خوفاً من تداعيات ذلك على مصالحها التجارية فى العالم الإسلامى، وصار من الصعب عليها أن تتساهل مع من يوجه الإساءات إلى الإسلام.

3- أن المقاطعة هى أول موقف عارم وموحد، منذ سنوات طويلة، يجمع المسلمين فى العالم قاطبة على اختلافاتهم الكثيرة، وهذه الوحدة الإسلامية ثمرة مباركة لحملة الانتصار للرسول ﷺ وشعارها هو مقاطعة بضاعة المعتدين على مقامه الشريف، وهى من المؤثرات القليلة المتبقية فى يد الشعوب المسلمة.

—: فتوى الشيخ.... بعدم وجود نص شرعى يحرم الاختلاط فى أماكن العمل! ثم نشرت إحدى الصحف، وجود الموظفة بالحجاب الشرعى فى مواقع العمل مع عدد من الموظفين، لا يعتبر خلوة، ولا يحرم إلا فى حال الافتتان!

فجاء الرد سريعاً مفنداً بالأدلة من أحدهم قائلاً: أولاً قوله (عدم وجود نص شرعى يحرم) لا يخفى أن الأدلة فى الشريعة على قسمين: خاصة وعامة ويُعد هذا من مزايا هذه الشريعة، ولو قلنا بقوله لأورد علينا مورد: ما النص الشرعى على تحريم المخدرات والدخان وغيرها؟ لا يخفى على طالب علم أن عموم النصوص هو الذى يدل على تحريم ذلك. كما لا يخفى وجود نصوص خاصة فى تحريم الاختلاط تكلم عنها العلماء :

ثانياً: أرجو من.... ألا يخلط بين قضيتين: قضية الخلوة بين الرجل الأجنبية والمرأة وقضية الاختلاط بين الجنسين.

ثالثاً: قولك (ولا يحرم إلا فى حال الافتتان) ما دليل هذا الاستثناء؟ ومن الذى لا يخاف على نفسه الفتنة؟! والنبي ﷺ يقول: ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء.

رابعاً: لقد توافرت النصوص الشرعية فى الحرص على تباعد الرجال عن النساء درءاً للفتنة. فقد جاءت الأدلة الشرعية بالأمر بقرار المرأة فى بيتها وألا تخرج إلا لحاجة.

كما جاءت الشريعة بالنهى عن الدخول على النساء كقوله ﷺ: (إياكم والدخول على النساء). ولم تُلزم الشريعة المرأة ما يلزم الرجل من الواجبات الاجتماعية؟ فعلى سبيل المثال: أجمع العلماء على أن صلاة الجمعة لا تجب على المرأة، ولا يجب عليها الجهاد فى سبيل الله، وأسقط عنها الشرع النفقة. وكل هذه الأعمال تحتاج إلى الخروج من المنزل وكثرة احتكاكها بالرجال، وهذا يبين حرص الشريعة على بعد الجنسين عن بعضهما.

—: فتوى سماحته إباحة ضرب المرأة زوجها! وفى فتوى جديدة أباح سماحته للمرأة ضرب زوجها باستخدام وسيلة العنف دفاعاً عن النفس قائلاً: إذا بادر الزوج باستخدام الضرب، يحق للمرأة الدفاع عن نفسها واستخدام نفس وسيلة العنف لرد الضرر عنها، وهى كغيرها بالنسبة لدفع الصائل، والصائل شرعاً هو من وثب على الغير واستطال!

كما أجاز سماحة الشيخ.... للزوجة هجر زوجها فى حال أن الزوج منعها بعض حقوقها الزوجية كالنفقة، مستنداً إلى حديث الرسول ﷺ: لا ضرر ولا ضرار!!

—: فتوى: الحرم المكي الشريف مكان خطر على الشباب! أثار الداعية.... موجة من الانتقادات الواسعة، بعد إطلاقه تغريدات يصف من خلالها الحرم المكي الشريف بالمكان الخطر على الشباب! بسبب الانفلات الحاصل في الحجاب والاحتشام، ولهذا أصبح الكثير يصدّ عن الذهاب إليه!!

وقوبلت هذه التغريدة بموجة من الانتقادات الواسعة قبل أن يستدرك الأمر، ويعود من جديد للتوضيح أن كلامه فُسر بطريقة خاطئة من الليبراليين على حدّ قوله! إلا أن هذا التفسير قوبل بمزيد من الانتقادات والسخرية اللاذعة. وأوضح في رسالة أخرى عنوانها باعتذار وتوضيح، أن ما ذهب إليه الليبراليون من تفسير لكلامه غير صحيح موضحاً أنه كان يقصد بكلامه ما يشهده الحرم المكي من انفلات حاصل من بعض النساء من ناحية الحجاب والاحتشام الذي أصبح يمثل خطراً على الشباب! وقال: تفاجأت بأن التغريدة قد سارت بها الركبان، وذاع خبرها بين البلدان، فلما تأملت التعليقات حولها رأيت وجود لبس في معنى قولي الشباب، مما أغضب بعض الفئات التي ظنت دخولها في المقصود، فمن حقهم على الاعتذار وبيان المراد. وأفاد بأنه توجد ثلاثة أصناف غير داخلة في المعنى الذي يقصده، مبيناً أن تغريدته تستهدف بها الأشخاص الذين يرضون بالخبث على أنفسهم وأهلهم ومجتمعهم، والذي يعبد الغرب بحسب وصفه.

وهو الرد الذي أثار الكثيرين، مما دفعهم إلى فتح هاشتاك (وسم) على موقع التواصل الاجتماعي ضخت فيه آلاف التغريدات الساخطة. فيما استعرض آخرون مجموعة من التغريدات السابقة التي أطلقها الداعية، وكانت تبدو أكثر إساءة من سابقتها، ما دفع الكثيرين إلى المطالبة بوضع حدّ لهذه التصريحات الكارثية. لما فيها من تلطيخ لسمعة البلد الذي يدير شؤون الحرمين، واستعداد الأعداء بحسب وصفهم.

وعلق أحدهم على حديث الداعية، بالقول: بعد أربعة عشر قرناً من تأدية النساء لعباداتهن في الحرم بسلام، يأتي أحدهم، ليتذمر من لبس النساء المعتاد، ويسميه تبرجاً، معتبراً أن هذه التصريحات امتداد لما طالب به داعية سابقاً بهدم الحرم لفصل الجنسين في المطاف.

من جهته، أوضح عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدكتور.... أن الله كرم الحرم، وجعله آمناً، مفيداً بأنه لم يعهد من سلف الأمة، ولا من خلفها أن أحداً جاء بمثل هذا القول الذي يظهر فيه نوع من التنطع، مبيناً أنه توجد إرشادات من الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بإرشاد النساء بالحسنى ووعظهن..

—: فتوى بأن قيادة المرأة للسيارة تؤذى المبيض!! أثارت تصريحات رجل الدين.... حول معارضته قيادة المرأة للسيارة، لأنها تؤذى المبيض!! موجة من التعليقات الساخرة على موقع التواصل الاجتماعي.

وتساءلت إحداهن عما إذا كان ركوب المرأة الجمل لا يؤذى المبيض أيضاً؟
وكان قائل الفتوى قد قال: إن علم الطب الوظيفي الفسيولوجي، قد درس هذه الناحية التي تؤثر تلقائياً على المبايض، وتدفع الحوض إلى أعلى، لذلك نجد غالب اللاتي يقدن السيارات بشكل مستمر يأتى أطفالهن مصابين بنوع من الخلل الإكلينيكي المتفاوت!!
وقال: إن أدلة الكتاب والسنة، والاعتبارات والقواعد، تدل على المنع بشكل مطلق لاعتبارات خلقية وأدبية!!

—: فتوى بأن كرة القدم ماسونية! فتوى أطلقها شيخ.... قال: بأن كرة القدم ماسونية، والهدف منها صدّ المسلمين عن دينهم وعقيدتهم. ووصف اللاعبين في فتواه بالفُسّاق! معتبراً إياها وقوانينها ضرباً من ضروب الحكم بغير ما أنزل الله!

لذلك حرّمها وحرّم تشجيعها والتصفيق لها، لأن قوانينها وضعية وليست شرعية، وهذا في رأيه سبب كاف لحرمتها، فضلاً عن أنها لعبة ماسونية كما اكتشف فضيلته!

والسؤال: من أين استقى هذه المعلومة التي بنى عليها فتواه أن كرة القدم ماسونية؟!
إن مثل هذه الفتاوى المتعجلة والمغلوطه، ناهيك عن التزمّت الذي تفيض به، قد تكون صالحة لزمن مضى وانتهى، أما اليوم فالموضوع اختلف، فليس كل ما يقوله أو يُفتى به طالب علم ناهيك عن عالم، سيتلقاه الناس، بالتسليم المطلق دون مراجعة أو تمحيص، كما كان الوضع في السابق، حين لا أحد يناقشهم فيما يقولون، فيجب على من يتعجلون في الفتوى، أن يدركوا أننا في زمن المراجعة والتمحيص والتدقيق والمحاسبة..

—: فتوى حكم تهنئة الكفار بأعياد الميلاد. أو غيره من أعيادهم الدينية، فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن تهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله، وأشدّ مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه!! ثم بعد أن بدأ يظهر في القنوات الفضائية، وذاق أموال الإعلام، نفى ما كان يدعو له من ضرورة الجهاد وتحريض

الشباب، وأن تهنته الكفار بأعيادهم أشد من الزنى وقتل النفس بل وأنكره! فما كان إلا أن جمع البعض له (صوت وصورة)، ما كان يقوله ويدعو إليه سابقا، وما ينفيه حاليا وينكره، بعد أصبح نجما في أحد المحطات الفضائية التي كان يهاجمها سماحتها سابقا هجوما مستميتا، والتي غرف منها الأموال حتى استطاع أن يفتح لنفسه محطة فضائية خاصة!! فلا حول ولا قوة إلا بالله..

—: فتوى بأن خلع الملابس بين الزوجين يبطل عقد النكاح بينها وقد حرمت الزوجة عليه!! وقد أثارت هذه الفتوى غضبا عارما، واعتبرت من أغبى الفتاوى. وفق استفتاء المجلة الأمريكية (فورين بوليسي) فقد أفتى أحد العمداء السابقين لكلية الشريعة بجامعة الأزهر، ببطان زواج أى رجل وامرأة يخلعان ملابسهما أثناء ممارستها لعلاقتها الزوجية! وكل من فعل ذلك، فزوجته طالق وقد حرمت عليه!! ولم ينفرد هو بالفتوى بل شاركه داعما له الشيخ.... وأفتى بأنه لا يجوز شرعاً للزوجين التجرد التام من الملابس أثناء الجماع والمعاشرة، لأن هذا حرام شرعاً، ويبطل عقد الزواج! وبموجب هذه الفتوى، فإن كل من خلع ملابسه أمام زوجته أو العكس، عليه أن يتزوجها من جديد لأنها بحكم الطالق!!

وقوبلت هذه الفتاوى الدالة على نفسية قائلها، برفض شديد من جانب العلماء، الذين أكدوا رفضهم الفتوى باعتبار الاستمتاع بين الزوجين من المقاصد الشرعية ليعف كل منهما الآخر وأنه يجوز شرعاً للزوجين فعل كل ما يؤدي إلى التقريب والتحبيب بينهما، وأنه لا يوجد حرام في ذلك إلا إتيان الزوجة في الدبر، أو أثناء فترة الحيض أو الإحرام في الحج. وأن تعرى الزوجين بصورة تامة من الملابس غير مستحب، وفقاً للآداب والحياء والإرشاد النبوي من الرسول ﷺ، ولكن هذا لا يعنى التحريم. لأن فاعل الحرام آثم ومعاقب شرعاً، وهو ما لا ينطبق على التعرى الكامل للزوجين أثناء المعاشرة بينهما. لذا فللزوجة أن يأتيها كل ما يؤدي إلى الاستمتاع والتحبيب بينهما، واستشهد بقول الله تعالى: { نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } البقرة 223.

—: فتوى بأن البيرة والخمر حلال! أفتى أستاذ الفقه العالم الأزهرى.... بأن تناول البيرة والخمر حلال طالما لم تسكر شاربها! وبأن تناول القليل من البيرة المصنوعة من الشعير، والخمر المصنوع من التمر وكذلك النبيذ المصنوع من غير العنب، ليس حراما بل هو حلال طالما أنه لم يسبب حالة من السكر أو يذهب بعقل شاربه!! أما الكثير الذى يسكر فهو حرام! ودافع عن

فتواه بشدة، وقال: إن ما نقوله في هذا الصدد هو رأى الإمام أبى حنيفة، ومدون في كتبه منذ قرون!! وأضاف: لكن مشكلتنا تكمن في عدم القراءة، فالخمر الذى أخذ من عصير العنب فهو حرام إذا شربه أدى إلى السكر، مشيراً إلى أن أى نوع خمر لا يسكر ليس حراماً. فلما سئل سماحته، عن الرجل الذى لديه خمارة.. أبيع؟ فرد: فليبع!!

ويذكر أن أغلب الفقهاء والعلماء يجمعون على حرمة شرب الخمر [قليلاً وكثيراً]، باعتبارها من أكبر الذنوب وأعظم المعاصي، مستندين إلى كثرة نصوص الوحي الواردة، في ذمها وتحريمها حيث لعن رسول ﷺ في الخمر عشراً. فقال: لعن الله الخمر، ولعن شاربها، وساقها، وعاصرها ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها والمحمولة إليه، وأكل ثمنها⁽¹⁾. وقال ﷺ كذلك: من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها، حرّمها في الآخرة⁽²⁾. وقال ﷺ كذلك: من شرب الخمر لم تقبل صلاته أربعين ليلة، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من نهر الخبال. قيل: وما نهر الخبال؟ قال: صديد أهل النار⁽³⁾.

—: وآخر يفتى: الفرقة الناجية يوم القيامة هم علماءنا، وأهل نجد ومن تبعهم!! وأضاف، أن أهل السنة أو الفرقة الناجية، لا تكاد تخلو منهم أرض، لكن أكثرهم متوافرون في هذه البلاد!! لا أدعى لهم العصمة، لكن هم وأكثر هذه البلاد على هذا النهج! كما كتب سماحته أن عامياً في نجد خير من عالم في مصر!!

وسرعان ما رد عليه رجل دين متسائلاً: ما هذا يا رجل؟ أسأل الله أن يهديك، أما نجد فلا أعلم نصاً في قداستها، إلا أنه منها يخرج قرن الشيطان، في إشارة إلى حديث شريف عن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا: وفي نجدنا. قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان⁽⁴⁾. وأضاف أيضا الغرور بالبعض، إلى أن يعتقد بأنه الحق وغيره الباطل، وإن داره دار إيمان وغيره دار كفر!! أخبروه بأن الهند الكافرة فيها من المسلمين آلاف أضعاف مسلمي نجد

(1) المغرب في ترتيب المغرب ج 2 ص 64.

(2) موطأ مالك ج 2 ص 846 رقم 1542.

(3) مسند أحمد بن حنبل ج 2 ص 35 رقم 4917.

(4) صحيح البخارى ج 1 ص 351 رقم 990.

واعتبر البعض بأن أقوال المذكور عنصرية تكفيرية كمذهبه، في حين اعتبرها آخرون مدعاة للسخرية وعدم الفهم الصحيح لأبسط أمور الدين وكأنه يبشر الخلق أن من كان غير نجدى فهو من أهل النار!! وكتب أحد المتابعين مستهزئاً بمثل هذه العقلليات، مستفسراً: إنه يعيش في نجد منذ عقود وهو ليس نجدى، فهل يحسب من الفرقة الناجية؟

في حين يقول آخر: إن هذا الكلام يوضح سبب ازدحام طريق خريص، (وهو طريق رئيسى يربط شرق الرياض بغربها ويشهد ازدحاما دائما). فالكل يرغب بدخول الجنة! كما يكتب أحدهم: أنا من الجنوب وساكن في الشرقية، لكن لو سكنت في نجد وبالذات في بريدة المكرمة أو عنيزة المنورة، أأصير من الفرقة الناجية؟

وآخر يقول: مساكن أهل الحجاز، ألف وأربعمائة سنة في خدمة الحرمين، وفي الأخير بالنار، في إشارة إلى أن المسجد الحرام في مكة المكرمة والحرم النبوى في المدينة المنورة يقعان في بلاد الحجاز.

وقال آخر: يبدو أن صاحب الفتوى لم يقرأ سيرة الرسول والصحابة ونسى أنه ﷺ، وأبو بكر وعمر ومعظم الصحابة، ومن قامت على أكتافهم الفتوحات والغزوات، بل وجميع حكام الدولة الأموية والعباسية ليسوا من أهل نجد، وإن مسلمة وسجاح منها، فكيف سيكون حالهم؟

وأثارت هذه الآراء تعليقات العديد من الناشطين، ورأى البعض أن هذه الأفكار تؤدي إلى معرفة الصالح من الطالح من كثرة مدعى الدين، والغارق في الجهل من العاقل..

—: فتوى أداء الصلاة ثلاث مرات فى اليوم! وأفتى عضو هيئة التدريس بجامعة إسطنبول فى تركيا. بفتوى أجاز سباحته فيها أداء الصلاة ثلاث مرات فى اليوم بدلا من خمس! حيث اعتبر أن الضرورات العصرية تدخل مع ضرورات السفر والمرض والمطر، التى يجيز فيها الفقهاء الجمع بين صلاتين، وهو ما أثار ردود فعل فى تركيا.

وانتقل الجدل إلى الساحة المصرية، وما يتعلق بالضرورات التى تجيز الجمع بين الصلاتين، خصوصا المغرب والعشاء فى شهر رمضان، بسبب ولاءم الإفطار والمحاضرات التى تمتد بين وقتى هاتين الصلاتين. ووافق هذا رأى، هوى أحد المفتين المشهورين بفتاويهم الشاذة، فأفتى مؤيدا اختصار أوقات الصلاة إلى ثلاث أوقات! وقال: إن الجمع بين الصلاتين وتنفيذ رخصة

الرسول بشأنها من ضرورات هذا العصر! مشيراً إلى توسع هذه الضرورات بسبب الظروف التي تنعكس على عدم إدراك الصلاة، إذا تم الحرص على أدائها في وقتها منفردة!

ورفض ذوو العقل من العلماء، أى زيادة في رخصة الحالات الأربع التي جاءت في السنة النبوية، وهى المرض والسفر والمطر وأثناء أداء فريضة الحج. مؤكدين أن الصلاة يجب أن تؤدى في وقتها إلا في الحالات الموجودة بالسنة. ولا يوجد ما يمكن أن نسميه ضرورات عصرية تحيز هذا الجمع، والخروج على أقوال الرسول ﷺ. فهناك من أفتى بأن طالب العلم داخل فصول الدراسة، من حقه أن يجمع بين الصلوات! وكان هذا رأياً شاذاً منذ حوالى نصف قرن ولم يأخذ به أحد. فقد اعتبر الدراسة كالحرب، وهذا قياس مع الفارق، ولا يمكن أن نعتبر الدراسة في المدرسة أو الجامعة، كحرب فيها دماء واستنفار وعدم استقرار.

—: فتوى مثيرة للجدل تحرم البوفيه المفتوح! وآخر يفتى: فتوى حرم فيها البوفيه المفتوح، والذى يعنى أن يدفع الشخص مبلغاً ثابتاً من المال، مقابل أن يأكل ويشرب ما يشاء. واستند في فتواه إلى أن هذا حرام شرعاً!! انطلاقاً من أن البيع والشراء شرطهما الأساسى أن يكونا معلومين ومحددتين، ومن يحضر إلى بوفيه ويأكل ما يشاء مقابل مبلغ معين، دون تحديد للطعام فهذا مجهول ولا يجوز شرعاً! وأكد المدافعون، أنه استند إلى تفسير شرعى سليم وفق القواعد الدينية، ومن ثم أصبح لزاماً على كل مسلم أن يحترم هذه الفتوى، وألا يتعامل مع الأمر بسخرية وقال آخر: إنها فرصة جديدة للعلمانيين للتهكم عليكم أن تفهموا المقصد قبل الغرق في السخرية وأضاف ثالث: الفتوى تتعلق بشرعية البيع والشراء وليس الأكل.

وفي المقابل، انفجر مزيج من السخرية والغضب، وكان التعليق الأكثر تداولاً يقول: البعض جعلوا بلاداً كاملة بوفيهها مفتوحاً كبيراً لصالح فئة بعينها، ولم يتم تحريم ذلك، فيما يجد رجل الدين أنه من السهل أن يطلق فتوى لتحريم البوفيه المفتوح، الذى يضم أنواع الطعام مقابل مبلغ معين من المال. وقال آخر: مبروك علينا انضمام البوفيه المفتوح لقائمة المحرمات!

وفي المقابل أيضاً: أفتى أحد أئمة الحرم المكى، بجواز العروض التي تقدمها المطاعم، والتي تعرف بالبوفيه المفتوح، بأن يأكل المرء ما شاء بدفع مبلغ معين من المال. وأشار إلى أن من تأمل مسألة البوفيه المفتوح وجد أن الثمن معلوم، والطعام أمامه معلوم، وفي الغالب يعلم مقدار أكله، ولا تضره جهالة يسيرة يصعب التخلص منها غالب الأحيان. معللاً ذلك، بأن المراد من البوفيه أكل شيء يشاهده، فلا جهالة فيه إذن، ولا علاقة له بشعب المشترى، لأنه لا تأثير له في

الحكم، وإنما التأثير في معرفة المأكول. وذكر عددًا من العلماء والفقهاء الذين أفتوا بجواز البوفيه المفتوح فقال: إن ممن أجاز الجهالة اليسيرة، النووي، وابن القيم، وآخرون، بل حكى النووي الإجماع على العفو عن الجهالة اليسيرة معتبرًا أنه لعل البوفيه المفتوح من هذا الباب. قياس على هذا. ونوّه إمام الحرم المكي بأن السؤال عن حكم البوفيه المفتوح ليس عيبًا، مستشهدًا ببعض المواقف التي تعرض لها الصحابة وموضحًا أن لكل سؤال جوابًا، وليست الفتوى مخصصة بالمسائل الكبار فحسب، كما لا ينبغي احتقار أى سؤال في العبادات أو المعاملات مهما صغر شأنه وأضاف: أنه يبنى على هذه المسألة مسائل كثيرة مشابهة لها، مثل دخول صالة ألعاب بثمان معين، واللعب مدة أو عدد معين، وكذلك محال بيع كل شيء بمبلغ معين ونحو ذلك..

—: فتوى تحريم النساء الجلوس على الكراسي!! وجاءت فتوى من اليمن، اعتبرت من أغرب الفتاوى التي من الممكن أن تسمع، وحمّلت عنوان تنبيه إلى حرمة الكراسي وما أشبهها من مقاعد. الله أكبر. وجاء في نص الفتوى: والغالب أن الجن ينكحون النساء (أى نساء الإنس)، وهن على الكراسي، لذا فإن من أخطر المفاصد التي بليت بها أمتنا العظيمة، ما يسمى بالكرسى، وما يشبهه من الكنبات وخلافها، مما هو شر عظيم يخرج من الملة كما يخرج السهم من الرمية، وإن السلف الصالح وأوائل هذه الأمة، وهم خير خلق الله، كانوا يجلسون على الأرض، ولم يستخدموا الكراسي، ولم يجلسوا عليها، ولو فيها خير لفعله حبيبي وقرة قلبى وروح فؤادى ﷺ ومن تبعه بإحسان. وإن هذه الكراسي وما شابهها صناعة غريبة، وفي استخدامها والإعجاب بها ما يوحى بالإعجاب بصانعها وهم الغرب، وهذا، والعياذ بالله، يهدم ركنًا عظيمًا من الإسلام وهو الولاء والبراء!! نسأل الله العافية.

وأضاف سماحته في فتواه المثيرة: الأمر جلل يا أمة الإسلام، فكيف نرضا بالغرب ونعجب بهم وهم العدو؟ وما يجلبه الكرسي أو الأريكة من راحة تجعل الجالس يسترخى، والمرأة تفتح رجليها وفي هذا مدعاة للفتنة والتبرج!! فالمرأة بهذا العمل، تمكن الرجل من نفسها لينكحها، وقد يكون الرجل من الجن أو الإنس، والغالب أن الجن ينكحون النساء وهن على الكراسي. وكم من مرة شعرت المرأة بالهيجان والشبق الجنسي المحرّم، لذلك فالجلوس على الكرسي رذيلة وزنى لا شبهة فيه!! والجلوس على الأرض يذكر المسلم بخالق الأرض، وهذا يزيد في التعب، والتهجد والإقرار بعظمته سبحانه!!

* * *

—: فتوى ترك الرجل لزوجته أو أمه أو محارمه للمغتصبين حفاظاً على حياته!! وأفتى آخر في مصر وهو نائب رئيس الدعوة السلفية: فتوى أجاز فيها ترك الرجل الزوجة أو أمه للمغتصبين، حال التأكد من إصرار المعتصب على قتله، واغتصاب الزوجة، وذلك حفاظاً على حياته! مبرراً، أن الحفاظ على النفس مقدم على العرض، إن كان في الدفاع عنها ما يعرضه للقتل!! وقال: تطبيقاً لفتوى الإمام العز بن عبد السلام، عن وجوب تسليم المال للصومسك حفاظاً للنفس من القتل في كتابه: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، وهو إنما ذكر وجوب تقديم المال لحفظ النفس، ولم يتعرض لمسألة العرض، ولكن مقتضى كلامه ذلك أيضاً!

ولكن انتبه أن هذا الأمر إنما هو في حالة واحدة، وهي العلم بقتله وأن تغتصب، وأما مع احتمال الدفع، فقد وجب الدفع بلا خلاف. وأضاف سماحته: الزوج في هذه الحالة مكره، وسقط عنه الوجوب على مقتضى كلام العز بن عبد السلام رحمه الله وغيره!!

ولم يحدثنا سماحته، أين يمكث الزوج وقت اغتصاب زوجته، أينتظر حتى يفرغ منها؟ أم يعود إليها في وقت لاحق ليتسلمها؟ وماذا يفعل بها بعد انتهاء المعتصب منها؟ أيعود بها إلى داره وينتظر استبراء رحمها؟ وماذا يفعل إن كانت قد حملت؟ وهل يطلقها أم يمسكها؟ ولم يك هذا من شيم العرب لا في الجاهلية ولا في الإسلام!!

ولم يخبرنا هذا السلفي، عن سلفي واحد مثله فعل ذلك ليتم الاقتداء به، ألم يسمع سماحته وهو من يدعى أنه من السلفية عن حديث للنبي ﷺ يحث على الدفاع عن العرض، ويبشّر به من مات دفاعاً عن عرضه بالجنة؟ قال ﷺ: من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد⁽¹⁾. ولفظ أبي داود: ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون أهله، أو دون دمه، أو دون دينه فهو شهيد. وأخرج البخاري الجزء الأول من الحديث: من قتل دون ماله فهو شهيد، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما⁽²⁾.

(1) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن زيد مرفوعاً. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(2) فيض القدير ج 6 ص 195، مختصر سنن أبي داود للمنذري ج 7 ص 158 وتحفة الأحوذى ج 4 ص 681، وصحيح الجامع الصغير بتحقيق الألباني ج 5 ص 335، وفتح الباري ج 5 ص 123 والموسوعة الفقهية الكويتية ج 4 ص 32 رقم 26.

وفي هذا الإطار قال أحد المعلقين: ابتلينا بشيوخ تحت السلم لتشويه وتحريف الدين، فكلهم سواء في التضليل والجهل والغباء. وعلقت كاتبة صحفية على الفتوى قائلة: نعم الرجال أنت أيها الشيخ ومن اتبع فتاواك. أعوذ بالله من انحطاط أفكاركم.

وقال آخر: إن الفتوى تتنافى مع الدين والعرف والتقاليد والدفاع عن العرض، وما جاء عن غير العربى والمسلم عن الدفاع عن أهل بيته.

ونصح بعضهم الشيخ بأن يبدأ بتطبيق فتواه على نفسه وأهله من زوجة وبنات وأخوات ووالدة أولاً، ومن ثم نصحه باستشارة طبيب للأمراض العقلية..

—: فتوى بعدم جواز قتل الزوج لزوجته الزانية وعشيقها إلا!! ثم أفتى سماحته من جديد بفتوى تحولت إلى مادة إعلامية مثيرة للجدل، تناولتها الصحف، بعدم جواز قتل الزوج لزوجته الزانية وعشيقها لمجرد رؤيتهما عاريين، ما لم ير الفرّج في الفرّج!! وقال: قتل الزوج لزوجته وعشيقها حال التلبس بوقوع الزنا منها والأجنبى، بشرط رؤية الفرّج في الفرّج هو من باب دفع الصائل، ولا يُقبل شرعاً في الدنيا ادعاؤه إلا بالشهود، أو اعتراف أولياء القتيلين! وأما بعد حال التلبس، فإقامة الحد إلى الحاكم الشرعى، والافتئات عليه حال وجوده وقيامه بالشرع، يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا والآخرة! فلا يجوز له القتل لمجرد رؤيتهما عاريين، ما لم ير الفرّج في الفرّج!!

وواصل سماحته فتاواه المثيرة للجدل، بأن إثبات الزنا بوسائل مثل الكاميرات أو التصوير أو التسجيل مخالف للشرع!! لا يجوز إقامة الحد بالتصوير لأنه ليس من ضمن الشروط!!

—: فتوى تحريم لمس المرأة الخيار والموز والخضراوات!! وأفتى آخر: بفتوى من أغرب الفتاوى على مر التاريخ، وهى تحريم لمس المرأة الخيار والموز وجميع الفاكهة والخضراوات التى تشبه العضو الذكري!

فقد نشرت صحيفة الديلى ميل البريطانية، ذات الانتشار الواسع، أن أحد مشايخ المسلمين فى أوروبا، قد أطلق فتوى تحرم على النساء والفتيات ملامسة الخضراوات والفاكهة التى تتخذ شكل العضو الذكري للرجل، بدعوى أن هذا المنتج ربما يؤدى إلى إثارتهم أو إغوائهم؟! وأضافت الصحيفة، أن هذا الشيخ أطلق دعوة قال فيها: إنه يجب على النساء عدم ملامسة الخيار أو فاكهة الموز لأنها قد توحى إليهن بأفكار جنسية تسهم فى إغوائهن، وإنه فى حالة إذا أرادت

سيدة أو فتاة تناول أى من هذه المنتجات التى تتخذ شكلا ذكوريا فإن على طرف ثالث، أن يعد هذا الطعام عبر تقطيعه لأجزاء صغيرة، تبعده عن مشكلة الأصلى المثير للفتن! الفتوى العجيبة لم تتوقف عند هذا الحد، بل وصلت إلى وجوب تقطيع هذه الخضراوات أو هذه الفاكهة، إلى قطعتين أو أكثر قبل الاحتفاظ بها فى المنزل، كى لا ترى المرأة مظهر هذه الخضراوات الرجولى. الفتوى أثارت حفيظة المسلمين عبر العالم على الإنترنت، الذين رفضوا هذا الكلام الغريب وأن مثل هذه الافتراءات العجيبة، لا تجوز فى وقت يحارب فيه مسلمو أوروبا من أجل وقف حملات التشويه ضد الدين. وأن هذا الكلام يصيب بالغثيان، فهل هذا جل اهتمام علماء المسلمين فى عصر العلم والحضارة والتكنولوجيا؟!

إن مثل هذه الفتاوى الشاذة توحى بأن المسلمين خارج عصر العقل والمنطق والتنمية، وليس لنا اهتمام بعمارة الأرض وتنمية المجتمع وطلب العزة التى نوه الله إليها فى كتابه: { وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } المنافقون 8. كما قال الله تعالى { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت آية 53. ومثل هذه الفتاوى لا تعبر عن الإسلام الصحيح، الذى جاء للعالم كرحمة للناس ومخاطبا للعقل، لا يمكن أن يتمثل فى مثل هذه التفاهة، التى تعبر عن خلل فكرى شاذ، وشذوذ واضح وغريب عن الفطرة السوية، التى خلق الله البشر عليها..

—: فتوى: للزوجة الحق فى ضرب زوجها!! أفتى أحد المشايخ الذى يقيم فى الولايات المتحدة الأمريكية، بأن للزوجة الحق فى ضرب زوجها دفاعا عن نفسها، وذهب إلى اعتبار أنه، لو لم تدافع المرأة عن نفسها وترد ضرب زوجها بالضرب، فإن هذه جريمة أخرى! وعلى كل من يضربها زوجها، أن تتعلم رياضات الدفاع عن نفسها، كالكاراتيه والجودو فإن لطمها زوجها لطمه، فيحق لها أن تلمطه لطمتين، فهذا دفاع مشروع عن النفس، مشيرا إلى أن النبى ﷺ، لم يضرب زوجة له مطلقا.

—: وسارع رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، مؤيدا للفتوى!! وأفتى بأنه يجوز للزوجة شرعا أن تضرب زوجها دفاعا عن النفس، ولكل إنسان أن يدافع عن نفسه، ولا فرق فى ذلك بين رجل وامرأة، أو عظيم وحقير، لأن الناس جميعا أمام الله سواء، وإذا تعرض إنسان للضرب، فلا يجوز له أن يسكت على ذلك.

وقال: ولا أختلف مطلقاً مع حق الزوجة بأن تضرب زوجها بالقباقب، وليس بالجودو والكاراتيه، إذا ما اعتدى عليها زوجها بالضرب!

فالزوج الذى يضرب زوجته هو رجل همجى متوحش، ويستحق الضرب من زوجته وأبنائه وبناته وجيرانه!!

فإذا افترضنا يا سماحة الشيخ، أن الزوجة نفذت كلام سباحتك ماذا سيكون مصير الأسرة؟ أتراها سوف تستمر؟! وسؤال آخر لسماحتك، كيف يفتى للابن والبنات بضرب والدهما؟! وقد نهى الله عن أن يقال لهم أف؟!!

ألم تتصفح في القرآن الكريم قول الله تعالى: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } الإسراء 23/24. وأين التسامح؟ وأين عطف الأبناء على الآباء وبرهم؟ وأين وصية الله تعالى في القرآن الكريم للأبناء بالآباء؟ في قوله تبارك اسمه: { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } العنكبوت 8. أمل أن تستمع زوجتك وأبنائك وجيرانك لفتواك، وأن يطبقوا عليك، ما حرضت المسلمين عليه..

—: فتوى بعدم لبس أى ملابس نصف كم والبنطلونات الضيقة لدرء الفتنة! وأفتى العميد السابق لكلية الدراسات الإسلامية بنات بمحافظه كفر الشيخ، بفتوى مطالبا الرجال بعدم لبس أى ملابس نصف كم أو بنطلونات ضيقة تظهر العورة، لدرء الفتنة، وأضاف في خطبة الجمعة في أحد المساجد، إن قمصان الرجال ذات الأزرار المفتوحة والتيشيرت نصف كم، تثير إعجاب النساء بالرجال! وطالب سماحته أيضا الرجال اتباع النهج السلفى، الذين يقصرون جلابيبهم، ويكشفون جزءا من أقدامهم، بارتداء الجوارب، لعدم إثارة النساء، ومنعا لإثارة إعجابهن! ودعى الأستاذ المفتى لفرض نوع من الحجاب الإسلامى على الرجال!! وسيكون مثاليا لو عادت الأزياء الأموية إلى حياة رجال المسلمين، فتلك الأزياء لا يوجد فيها قميص نص كم ولا تيشيرت! فهل نسى سماحته أنه لم يكن آنذاك، وجود لجماعة السلف من ذوى الجلابيب القصيرة، والسيقان الظاهرة، سوى سيقان الفقراء؟ والفقراء في كل الأزمان لا يثيرون غرائز النساء. إن هذه الدعوة وأشباهها لا تصدر عن إمام مسجد زاوية عامى في قرية نائية لنجد له

العذر، بل تصدر عن أستاذ جامعي في مؤسسة أنيط بها في فترات سابقة، بث النور والعلم والفكر الديني المستنير، ألا يدعو مثل هذا الأمر إلى الاستغراب والاستهجان وقول لا حول ولا قوة إلا بالله؟!

—: فتوى تجيز مشاهدة الأفلام الجنسية!! أفتى.... أحد المشايخ السوريين الذي أراح الله المسلمين منه، بجواز أن يأتي الزوج بأفلام جنسية ليربها لزوجته، لكي تستثار بالقدر الضروري من هذه الأفلام! بشرط أن لا يتسبب عن هذا أى انحراف منه أو منها إلى أى عمل محرّم!! فلما اعترض على فتواه، قال للذي اعترض على الفتوى التي لم تعجبه، وراح يستثير من وقع عليه اختياره من أهل العلم والفضل، آملاً في أن يتوجه إلى الإنكار والنقد. إلى هذا الإنسان أوجه الخلاصة التالية، إذا استحكمت أزمة مرضية أو نفسية بين زوجين، هددت صلة ما بينهما بالانقطاع، وتوقف الشفاء على أن تعرض الزوجة الخفى من زيتها وعورتها على طبيب أجنبي عنها، هل من خلاف في أن ذلك سائع ومرخص لها شرعاً، ضمن حدود الحاجة؟ فما الحكم إذا تأكدنا أن الشفاء الذي يتوقف عليه حل الأزمة، لا بد له من سبيل آخر، وهو أن تستثار غريزياً لنعود إلى وضعها الطبيعي بواسطة مشاهد جنسية معينة تعرض صورها أمامها، ضمن حدود علاجية لا تتعدها؟ وبعد ثبوت كونها علاجاً يتوقع من وراء استعماله الشفاء؟! أليس عرض الصور العادية الجنسية أمام المرأة المريضة (للضرورة العلاجية) أقل مفسدة في ميزان الشرع من أن تتمدد أمام رجل أجنبي وقد تجردت من ثيابها (للضرورة العلاجية ذاتها)؟ وكما أنه لا يجوز تحليل الحرام بالمزاج والرأى، لا يجوز أيضاً تحريم الحلال بالمزاج والرأى، وعندما لا تعلم الوجه العلمي للفتوى التي قرأتها، بوسعك أن تتصل بصاحبها ليرفدك بالعلم، وليس السبيل أن تدير ظهرك إليه وتستعدي عليه الآخرين.

فرد عليه عالم صادق فقال: إن رؤية أفلام الفجور مع الزوجة، وتحليل فعل الفجور مع فلان من الناس، أمران لا يمكن أن تفرضهما الضرورة أو الحاجة الشرعية، وإن الترابط الضروري بين فعلها وإقامة الحياة الزوجية الكريمة هو ترابط مصطنع لا يتحقق بأى ظرف، بل إن ذلك يهدم الحياة الزوجية ولا يبينها والحق أنه يجب منع ذلك، لأن القاعدة الشرعية تقول: درء المفسد مقدم على جلب المصالح. لاسيما إذا كانت المصلحة زيادة لذة الشهوة، والمفسدة انتشار الرذيلة والإباحية في المجتمع الإسلامي. والواجب على المفتي إلغاء ومحاربة المسوغات

الباطلة لتحليل الحرام، لا فرض وجودها لتميع الحكم الشرعى. إن الفقهاء السابقين لم يذكروا البرودة الجنسية كمرض من الأمراض المبيحة لتعاطى الحرام، خصوصاً وأنها لا تمنع من الإنجاب، ولا من حق الرجل في الوقاع ولم يذكر أحد ينتسب إلى الفقه أن معالجة هذه البرودة جائزة حتى مع احتمال الفجور بالزوجة، ومن عنده نقل بهذا الخصوص فليتنفضل بالبيان، وإننى وأؤكد على النقاط التالية في صدد مناقشة فتواك السابقة، إن الترابط الذى تصوره أنت بين إقامة الحياة الزوجية الكريمة ومشاهدة أفلام الفجور وخيانة الزوج بالخيال، ترابط مصطنع، فهذه الأمور تدمر الحياة الأسرية الكريمة ولا تبنيتها بأى حال من الأحوال. فخيانة الزوج بالخيال والاسترسال فى ذلك عند الوقاع هو الخطوة الأولى نحو الخيانة الكاملة، والأفلام الإباحية هى الخطوة الأولى لكل رذيلة، إن حكمة الشريعة وأسلوبها فى منع الحرام هى منعه من أساسه ودون الاقتراب منه، لأنه مع الاقتراب منه يصعب التحرز منه، قال تعالى: {وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ} الأنعام 151. وقال: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ} البقرة 168. وقال الرسول ﷺ: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سُورانِ فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتعوجوا، وداع من فوق الصراط فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله تعالى، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم⁽¹⁾. وننوه أن فتوى.... قد أيدها أحد المشايخ الآخرين! [ولشدة تدينه اشترط] وأباح مشاهدة الأفلام الجنسية عند اللزوم.. شريطة / أن يكون الممثلون مسلمين!! عليه من الله ما يستحق..

* * *

(1) رواه أحمد وأحمد والحاكم وهو حديث صحيح.

—: المفكر والأستاذ الجامعي.... رئيس الجمعية الدولية للمسلمين القرآنيين ومقرها تونس. ولد عام 1921 ويبلغ من العمر الآن الرابعة والتسعين عاماً. دعى لنفسه ظملاً بأنه مفكر إسلامي مسلم قرآني، وأنشأ جمعية بذات الاسم عام 2013م في تونس، هدفها بحد زعمه، تجديد الفكر الإسلامي الذي مرّ عليه أربعة عشر قرناً وهو جامد! والآن قد جاء عليه الوقت ليجدده هو وجمعيته؟! يقول عن نفسه: أنا لست مفتياً، ما أفتى للناس، ولست من العلماء، أنا مؤرخ مهتمى كتابة التاريخ في نهج جديد- بإلغاء الشريعة- لأنها شريعة إرهابية! المرتد نقتله، من ترك الصلاة على المذاهب الأربعة يقتل، هذا إرهاب.

وفي فتوى إحلال الخمر قال: الخمر حلال بنص القرآن، ليست حراماً ليست محرمة! الأفضل تجنبها بنص القرآن، وهى وإن كانت من عمل الشيطان، فذلك ليس في ذاتها، وإنما في مفعولها السيئ على صحة الإنسان!! الشريعة التى كتبها العلماء انقسمت إلى قسمين: الخفية تحلل المسكر، وقاضى القيروان زيادة الله الأول أبو محرز كان يشرب ويسكر. والمالكية أكثر تشدداً في تحريم الخمر، لا أحد يعرف من أين وجدوا ذلك؟

وأباح أيضاً: تحليل الجنس، من زنا ولواط وسحاق ومثليين بكافة أنواعه وصوره وقال: البغاء حرفة مثل كل الحرف والمهن، كالحدادة والنجارة، البغاء مهنة شريفة، المرأة البغية مسلمة كاملة الإسلام، يجب احترامها! الرجل الذى يزنى مع امرأة بغى ليس بزنا، فهو قد نام مع بغى لديها الحق في ممارسة البغاء لأنه عملها. ويقول: اللواط حلال ليس هناك آية تحرمه. ويطالب بما سماه ثورة جنسية تزيل الشريعة!!

ومن آرائه وأفكاره التى يدعو ويروج لها:

- قوله بعدم إيمانه بأى كتاب غير القرآن الكريم.
- يدعو إلى إلغاء التشريع الإسلامي.
- يزعم أن الرسول ﷺ - حاشاه الله - نظر إلى ابنة عمته زينب بنت جحش، عارية خلصة؟! فعشقه وأخذها!!
- ويدعى بأن المسلمين عاشوا قرنين بدون شريعة.
- يدعو إلى ثورة جنسية يباح بها كل الموبقات.

- لا يعترف بشيء اسمه صحابة الرسول، بل ويتناول على خليفة رسول الله أبى بكر الصديق رضي الله عنه وأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه .
- وينادى بأن الحجاب كلام فارغ.
- ويقول: لا يوجد حكم ردة في القرآن.
- ويزعم أن الحتان عادة وثنية لم تذكر في القرآن!
- ويقول: ديني الحرية، وهو ليس ديناً جديداً، هو دين إلهي، هو دين آدم عندما الله أعطاه حرية إلى حد أن يمكن له أن يعصى الإله! عندها ولدت الحرية! الحرية الإلهية. وعصى آدم ربه. وكان عصيان الله هو الحرية من وجهه نظره... اللهم ثبتنا!!
- وفي أحد الحوارات سُئل هل هو شيعي؟ لأن ما يدعيه قريب من مذهب وفكر الرفضية؟
- قال متهرباً: لا أنا من الشيعة ولا أنا من السنة، فما كان من المناظر له في الجلسة إلا أن قال: الحمد لله!!

وأكملها فأقول: نعم الحمد لله أنك لست من أهل السنة التي تنكرها وتدعو إلى وأدها. فسبحان القائل من فوق سبع سموات: { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } الجاثية 23. ومن الواضح أن كثيراً من آرائه، قد تم ورودها من خلال آراء أكثر من ذكرناهم في هذا الفصل، لذا لن نعلق عليها، ونضيف أن الكثيرين من علماء المسلمين، قد طالبوا بالحجر عليه وإرساله لمستشفى الأمراض العقلية بتونس، فما ينادى به هو وأشباهه، لا مكان لهم خارج تلك المستشفيات، اللهم ثبتنا وأحسن خاتمتنا..

—: فتوى تبيح تأجير الأرحام!

أثار إعلان سيدة برغبتها في تأجير رحمها لمن ترغب في الإنجاب مقابل 2500 دولار شهرياً ونفقة شهرية أثناء الحمل، جدلاً فقهيّاً داخل الأزهر ودار الإفتاء المصرية. ففى حين أفتى عالم أزهري بجواز ذلك! وأيده عضو بمجمع البحوث الإسلامية (أعلى هيئة للفتوى بالأزهر) قائلاً: إن تأجير الأرحام جائز شرعاً، معتبراً أن هذا من شأنه أن يحل كثيراً من مشاكل الأمهات اللاتي يعانين من العقم، ويحافظ على ترابط آلاف الأسر التي ترغب في الإنجاب! لكنه وضع شرطاً لهذه الإباحة.

وأوضح أن تأجير الأرحام يجوز بالنسبة للزوجين فقط، لكنه غير جائز حال استخدام هذه الرخصة الشرعية بهدف التجارة. وحرمة آخر بشدة، خوفاً من أن تؤدي هذه العقود إلى مشكلات اجتماعية وقانونية واسعة وقال: إن تأجير الأرحام محرم شرعاً وغير جائز في جميع الحالات، لأن مخاطره أكثر من منفعه، وهناك قاعدة شرعية تقول إن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع.

وجاء قرار مجمع الفقه الإسلامي: لقد تناول مجمع الفقه الإسلامي مسألة استئجار الأرحام بجدية وبحث عميق، وقرر أن مسألة تأجير الأرحام في جميع صورها محرمة شرعاً، إلا إذا استخدمت الصورة التي يتم فيها تلقيح خارجي بين نطفة الزوج وبويضة زوجته، ثم تعاد اللقيحة إلى رحم زوجة أخرى لذات الزوج.

وقد حرم مجمع الفقه الإسلامي باقى الصور، لما يترتب عليها من اختلاط الأنساب وضياع الأمومة. وأجاز الصورة أعلاه بشرط الاحتياط والحذر. ومن ثم عاد مجمع الفقه الإسلامي المنعقد بمكة، إلى تحريم جميع صور استئجار الأرحام، وذلك لما فى الأمر من ملاسبات، ومخافة اختلاط النطف فى المختبرات. ومن هنا نرى أن مجمع الفقه الإسلامى أجاز صورة واحدة من صور استئجار الأرحام ومن ثم حرمها جميعاً، معتمداً فى ذلك على مبدأ سد الذريعة.

—: فتوى بأن الخادمت ملك يمين! وأفتى أحد علماء الأزهر عندما سئل، عن ملك اليمين، وهل يمكن أن يتواجد الآن؟ فأجاب: إن ملك اليمين حكم خالد إلى قيام الساعة، وأن من حق الأثرياء أن يعاملوا غير الكتائب معاملتة الجوارى ملك اليمين، ويقوموا بشرائهن إذا رضين بذلك ويعاشرهن معاشره الزوجات!! وضرب مثلاً بدول شرق آسيا. وخلط سماعته بين الخادمت اللاتى يعملن بمرتب معين وبين ملك اليمين!! ونحن نتساءل هل هذا الكلام يتفق مع القرآن الكريم والسنة المطهرة يا أولى الألباب؟ فالقرآن الكريم ليس فيه آية واحدة تدعو للرق، بل كل آياته تدعو للعتق والحرية. يقول الغزالي رحمه الله: إن المتصفح للقرآن الكريم، لا يجد أمراً باسترقاق، إنما يجده مملوء بأوامر العتق والتحرير..

* * *

—: فتوى بأن البحر ذكر والمرأة التي تنزله تكون زانية!! أفتى شيخ مصرى: بأن البحر ذكر والمرأة التي تنزله تكون زانية حتى ولو محجبة ويقع عليها الحد!! (أى حد الزنا، فإن كانت محصنة رجعت وإن كانت عذراء جلدت)!!

حقيقة لم أجد تعليقاً لهذا الشيخ الذى يدعى العلم، وكل يوم يتحفنا بفتوى جديدة. فقد أفتى بقوله: من أكبر الكبائر نزول المرأة البحر حتى لو كانت محجبة، لأن البحر ذكر، وبدخول الماء مكان حشمتها تكون قد زنت ويقع عليها الحد؟!

ولا أدري هل هذه الفتوى تشمل من تستحم فى بانيو مثلاً، أو فى مسبح فيلتها، فإن شملتهم أيضاً تلك الفتوى، فعلى حد قول هذا الشيخ سيقع الحد على كل نساء العالم.

وإذا كانت سباحة المرأة فى البحر، ولو بالنقاب من القضايا التي حظيت بإصدار فتاوى متباينة ومتناقضة، أكثرها يسراً هو القول بجواز أن تسبح المرأة فى البحر، بلباس يغطى سائر جسدها، عدا الوجه والكفين. وأكثرها تشدداً هو القول بأن سباحة المرأة فى البحر حرام، لأن البلل الذى يصيب كل اللباس يجعله يحدد ملامح فنتتها وعورتها، فإن الشيخ قد قدم لنا فتوى أكثر ما يمكن أن يقال عنها، إنها تثير الضحك والاستهجان معاً!

وللعلم، فإن الشيخ هو صاحب فتوى وجهها إلى الرئيس المصرى، يطالبه فيها بهدم أهرامات مصر! إلا أن فتوى نزول المرأة فى البحر هى أفضل ما أنجبت قريحته، طيلة مساره فى الدعوة وقد رد عليه أحد المعلقين عندما لجأ إلى القياس، وتساءل عما إذا استحم أو سبح رجل فى بحيرة، وهى مؤنثة، هل يدخل ذلك فى باب الزنى ويقام عليه الحد أم لا؟!

—: فتوى تحريم الإنترنت على المرأة وإجازته بوجود محرم!! وفى إحدى دول الخليج، أفتى أحد الدعاة: بأنه حرام على النساء والفتيات، الجلوس أمام جهاز كمبيوتر مزود بخدمة الإنترنت بدون محرم، خشية أن تتم غوايتهن أثناء الدردشة!

ونص الفتوى، الحمد لله رب العالمين وبعد، فإن النساء مخلوقات كسائر مخلوقات الله، لكن فيهن ضعفاً بيناً وهوى، يأخذ من صوب الحرام إن لم تجعل الضوابط قائمة فى المجتمعات تهيمن فيها، وحكم دخول المرأة على الإنترنت حرام حرام حرام.

ففى هذه الشبكة (الإنترنت) من مواضع الفتنة قد لا تمكن المرأة بضعف نفسها على مقاومتها، ولا يجوز الدخول لها على مواقع الشبكة، ما لم يكن برفقتها أحد المحارم الشرعية، ممن يعرفن بواطن النساء ومكرهن وضعفهن أمام الجنس والهوى!!

ورد عليه أحد الشيوخ فقال: إنه لا يوجد على الساحة العربية من يجعل الدين نصفه فى فمه، ويحلل ويحرم حسبما أراد، ويخرج الفتاوى المضحكة، لا يريد بذلك إلا شهرة خاصة، ليكون اسمه متداولاً على الألسنة، بدعوى الحرمانية، ولا يجب أن تحرم أو تحلل على حسب الأهواء، فالحرام ما حرمه الله ورسوله ﷺ والحلال هو ما أحله.

وأشار الشيخ أنه يجب أن نعلم أن تربية النشء على قاعدة دينية هى الأساس، فيما يتعلق بالتعامل مع هذه الأشياء والمواقف المختلفة، فإذا اعتاد الإنسان على السلوك القويم بين أهله وأصدقائه ومجتمعه صار إنساناً نافعاً، لا يمكن أن يرتكب إثماً سواء كان أمام الآخرين أو يجلس بمفرده أمام التلفاز أو الكمبيوتر رجلاً كان أو امرأة.

—: ولم يقتصر الأمر على دول الخليج فقط، فقد تفجر السجال قوياً فى الهند، بعد فتوى دينية لأحد رجال الدين المعروفين فى الهند، أضاف بها إلى الإنترنت، تويتر وفيسبوك! فقد حرم سماحته على النساء استخدام مواقع التواصل الاجتماعى كتويتر وفيسبوك! وأثارت القضية الدهشة فى الصحف العالمية، ونشرت الخبر باعتباره أمراً يدعو للغرابة. ونقلت صحيفة الميرور البريطانية، تفاصيل الفتوى المثيرة للجدل، مشيرة إلى أن رجال الدين السنة فى الهند أكثر تشدداً فى هذا الأمر. وتعود تفاصيل الفتوى إلى ما قاله سماحته مؤكداً، أن استخدام النساء لتويتر وفيسبوك محرم شرعاً، خاصة ما يتعلق بإرسال صورهن عبر مواقع التواصل الاجتماعى، مضيفاً: الغريزة الحيوانية للرجال ترتفع حداثها جراء مشاهدة صور النساء، وهناك الكثير من الجرائم والمعاصى التى ترتكب يومياً فى العالم الافتراضى، ومن الناحية الدينية، أرى أنه لا يجب على النساء استخدام مواقع التواصل الاجتماعى لكى لا تكون هناك أبواب مفتوحة للفتنة. وقال أحد مشايخ الدين بالهند: رداً على آلاف الاستفسارات التى وصلته لتوضيح رأى الدين فى استخدام تويتر وفيسبوك؟ لا يوجد ما يمنع من استخدام مواقع التواصل الاجتماعى، فهى وسيلة للتواصل ونشر المعرفة، ولكن يحرم على النساء إرسال صورهن، خاصة إذا كان الوجه ظاهراً مكشوفاً..

* * *

—: فتوى بأن تقبيل قدم الأم محرم شرعاً ولا يجوز!! وأفتى أحد مشايخ الخليج: أن تقبيل قدم الأم محرم شرعاً ولا يجوز؟ وبرر ذلك بأن السجود والانحناء لا يكون إلا لله فقط، وأضاف أن تقبيل اليد سواء كان يد الأم أو الأب فهذا جائز ولا بأس به، بشرط عدم الانحناء؟ وإذا انخفض قليلاً فلا بأس. أما أنه ينحنى وينزل وهو واقف ليقبّل رجل الأم فهذا لا ينبغي، وهذا فيه تكلف أيضاً. أما إذا كان لا يحتاج إلى انخفاض، وإنما هو جالس عند قدمها، وقبلها من باب الإكرام لها فلا بأس بذلك.

ورد عليه آخر فقال: هل لك أن تشرح لي ذلك. عندما تجيز أو لا تجيز باسم الشرع ما هو دليلك الشرعى فيما قلت؟ ولم لا ننظر للمعقول في القول؟ وهل هناك ضرر من إتيان ذلك؟ وهل هناك نهى من الرسول أم اختلاف بين علماء؟ فهنى الرسول هو ما يهمننا فقط ويجب أن تسند القول في ذلك لصاحبه؟ وإنى لأقول للشيخ الذى اشترط الجلوس عند القدم أولاً كإجازة شرعية منه لتقبيل القدم! إن الانحناء هنا بقصد الطاعة والمحبة، لتقبيل يد أو رجل، وليس انحناءً بقصد سجود عبادة ألوهية وربوبية. وهناك فرق شاسع وكبير بينهما، وسؤالى للشيخ: هل كان سجود الملائكة لآدم سجود عبودية؟ أم هل كان سجود يعقوب وهو نبي لابنه يوسف سجود عبودية؟ أم هل كان سجود أم يوسف ليوسف سجود عبودية؟ وهل كان سجود إخوان يوسف له سجود عبودية؟ أم أن هؤلاء جميعاً كانوا جلوساً أولاً عند أقدام من سجدوا لهم، أولاً كما تشترط؟! أتمنى أن تتحدثوا عن ما يشغل المسلمين، من هموم البطالة والتعليم والصحة والعدل والأمن، ولا تتحدثوا بأمور فرعية لا تهم أحداً إلا أنتم، فتتحدثوا بما لم يطالبكم به أحد، وتصمتوا عما يطالبكم به المسلمون من كلمة حق ورفع ظلم ودفع ضرر وغلاء معيشة فلا حول ولا قوة إلا بالله..

—: فتوى بوجوب تغطية العيون المثيرة!! تحت عنوان فتوى جديدة: يجب تغطية العيون المثيرة كتبت صحيفة.... أكد شيخ بحائل، شمال السعودية، أن الرجال العاملين في الأسواق سيوجهون الأوامر، لأى امرأة بتغطية عينيها إن كانت مثيرة للفتنة!! ولم يذكر الشيخ من الجهة التى تحدد أن الأعين مثيرة أم لا وكيفية ذلك هل سيوقفها ويتأمل عينيها أم ماذا وهل يكتفى برأيه فقط أم يجب أن يستعين بآخر؟!!

—: فتوى بإباحة زواج ابنة التسع سنوات! أفتى الشيخ.... من المغرب فتوى بإباحة زواج ابنة التسع سنوات، ونفى سباحته ربط الزواج بسن الحيض، مفتيا بجواز زواج ابنة التسع سنوات بناء على واقعة الرسول ﷺ مع عائشة رضی الله عنها، مؤكداً أن ربط الزواج بالحيض لا دليل عليه! والفتوى التي وصفها مناصرون لقضايا المرأة، بأنها تشجيع للممارسة الجنس مع الأطفال، وخرقاً لقانون الأسرة الذي حدد سن الزواج للجنسين بثمانية عشر عاماً، وبتحفظ شديد من قبل العلماء الذين اعتبروها مدخلا للطعن في الدين وهدية لخصومه..

—: فتوى بجواز نكاح المرأة المتزوجة شرط تقصير زوجها!! اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بالآراء والتغريدات التي تفاعلت مع الفتوى، وخلفت موجة من الغضب العام، حيث عبر معظم النشطاء عن اشمئزازهم من هذه الفتاوى التي اشتهر بها الداعية.... من دول الخليج، وطالبوا المجتمع الإسلامي بوضع حد لهذه الفتاوى وزج أصحابها في السجن. وانتشرت الفتوى الغربية التي تم نسبتها لنفس الداعية المثير للجدل إذ أجاز، حسب مصادر صحفية عربية نكاح المرأة المتزوجة شرط تقصير زوجها، في حقها وعن رضاها!! وحسب المصادر ذاتها حينما تلمس تقصيرا من زوجها وخلقت فتوى الشيخ.... جدلا واسعا، كما جلبت عليه الفتوى هجوما واسعا من طرف نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي.

وكان الداعية.... سبق له أن أجاز قبل أعوام جهاد نكاح المجاهدين مع محارمهم، في حال عدم وجود مجاهدات من غير المحارم!! قبل أن يتراجع عن الفتوى في موقعه الإلكتروني. وفي موقف مفاجئ غير متوقع، وصف الشيخ المغربي.... والذي لا تختلف فتواه كثيرا عن نفس الهدف، فمن فتواه ما يندى لها الجبين، وصف صاحب الفتوى التي تجيز نكاح المرأة المتزوجة شرط رضاها وتقصير زوجها في حقها.... قائلا: إن هذه الفتوى لا تستحق حتى الرد، لأن بطلانها واضح وضوح الشمس، واصفا صاحبها بالرجل المريض وغير السوي، أو في عقله خلل. وأضاف أن المرأة المتزوجة هي التي وصفها القرآن الكريم بالمحصنة، مضيفا أن حكم الشرع في هذا الباب واضح، إذ لا يحل لأحد أن يتزوج بها لأنها مازالت في عصمة زوج آخر..

* * *

—: فتوى تحريم نوم المرأة بجوار الحائط!! استمراراً لموجة الإفتاء التى تحتاج مجتمعنا العربى وبلادنا الإسلامية، ممن يفتقدون العلم بأصول الدين وإعمال العقل، فقد أطلقت جهة تفتى فى قضايا الدين! فتوى تقول: لا يجوز نوم المرأة بجوار الحائط لأنه ذكر! وما هو إلا مفسد للمرأة وحرام لها! ولاقت الفتوى تجاوباً من النساء ضعاف العقول داخل بعض الأوساط، وقد كشف أن بعض النساء يعملن بهذه الفتوى! ونصح آخر المرأة التى تنام بجوار الحائط متهمكها، أن تأخذ حبوب منع الحمل تجنباً للحمل..

—: فتوى بأن المرأة ذات الميول الرياضية لا تستحق الاحترام! فأثارت الفتوى حفيظة العديد من النساء والرجال، الذين بادروا بسؤاله عن ماهية المقصود من هذه الفتوى؟ فعاد من جديد بقول: فقط من تتابع كرة القدم! فردت عليه إحداهن بقولها: أخشى أن تنتهى فتاوى التحريم المتعلقة بالمرأة، إلى تحريمها نفسها!!

—: فتوى بحظر الدعاء على الكفار والمشركين! وأفتى آخر: بحظر الدعاء على الكفار، فقد أصدرت وزارة الأوقاف [بإحدى دول الخليج] أمراً يقضى بمنع الدعاء على الكفار فى المساجد وعلى منابر الجمعة! وذلك بحجة أن بينهم أهل خير!! وكأن الله سبحانه وتعالى وهو يكفرهم ويكشف انحرافهم فى كتابه الكريم، لم يكن يعلم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - أن بينهم أهل خير! وكانت المفاجأة، أن تم تفصيل فتوى، تعضد بها موقف وزير الأوقاف الداعى إلى ترك الدعاء على الكفار، وكانت حجتهم فى ذلك ولى الأمر أمر. وانبرى للرد على هذه الفتوى عدد من العلماء، وحاول البعض مناصحة من أصدروا الفتوى للرجوع عن فتواهم، ولكنهم أصروا على التمسك بموقفهم. فأصدر الراضون بياناً مطولاً ذكرُوا فيه موقفهم. سئل النبى ﷺ: من هم المغضوب عليهم المذكورون فى سورة الفاتحة؟ فقال: اليهود. وسئل ومن هم الضالون؟ فقال: النصارى⁽¹⁾. وأجمع على ذلك علماء التفسير اتباعاً لتفسير النبى ﷺ. وبهذا يعلم أن كل مسلم يتبرأ من سبيل اليهود والنصارى، فى كل ركعة من كل صلاة، ويدعو أن يجنبه الله تعالى طريقهم الضال. فكيف يحق لأحد أن يمنع الدعاء عليهم؟!

(1) أورده النووى فى شرح المذهب الحاوى للفتاوى ج 1 ص 287.

—: وأفتى أحدهم: بأن أهل السنة، يرون إقامة الحج مع الأمير، وإن كان من أفسق عباد الله حتى وإن كان يشرب الخمر في الحج!! فلا يقولون: هذا إمام فاجر، لا نقبل إمامته، لأنهم يرون أن طاعة ولي الأمر واجبة وإن كان فاسقاً!! بشرط أن لا يخرج فاسقه إلى الكفر البواح الذى عندنا فيه من الله برهان فهذا لا طاعة له! ويقولون: نرى إقامة الحج مع الأمراء سواء كانوا أبراراً أو فجاراً؟! فالأمير إذا كان يشرب الخمر مثلاً، ويظلم الناس بأموالهم، نصلى خلفه الجمعة وتصح الصلاة حتى خلف الأمير المبتدع! إذا لم تصل بدعته إلى الكفر. فأهل السنة والجماعة لديهم بعد نظر؟! لأنهم يرون أن الاختلاف عليه في مثل هذه الأمور شر، لذا فإن الولاية لا تزول به بل هى ثابتة، (والطاعة لولى الأمر واجبة في غير المعصية). لأننا لو تخلفنا لشققنا عصا الطاعة الذى يترتب على شقه أمور عظيمة وجسيمة. والأمور التى فيها تأويل واختلاف بين العلماء إذا ارتكبتها ولاية الأمور، لا يحل لنا منابذتهم ومخالفتهم، لكن يجب علينا مناصحتهم بقدر المستطاع فيما خالفوا فيه، مما لا يسوغ فيه الاجتهاد، وأما ما يسوغ فيه الاجتهاد، فنبحث معهم فيه بحث (تقدير واحترام)، لنبين لهم الحق، (لا على سبيل الانتقاد لهم) والانتصار للنفس، وأما منابذتهم وعدم طاعتهم، فليس من طريق أهل السنة والجماعة.. ونقول لهذا الشيخ إن كلامك يناقض بعضه بعضاً، ونسأله أترى لمن كانت هذه بعض صفاته، أيصح شرعاً أن يكون ولياً لأمر المسلمين؟!!

—: ونختم هذا الفصل بهذه الفتوى التى أصدرها ثلاثة من الأئمة الذين وصفوا بالمعتدلين!! بار هولندى يثير جدلاً واسعاً، بعد إعلانه عن خدمة فريدة لزبائنه من المسلمين، تدعى الدعارة الحلال!! أعلن مطعم وبار فى العاصمة الهولندية أمستردام، سيفتح أبوابه فى يونيو المقبل، عن خدمة فريدة لزبائنه من المسلمين، تتلخص فى ما وصفه بالجنس الحلال؟! ويزعم مطعم... بأنه سيوظف سيدات لتقديم المتعة الجنسية للزبائن بـ"الحلال"، مما أثار جدلاً فى أوساط المسلمين فى هولندا، وبعض الدول الأوروبية الأخرى.

ونقلت الوكالة المغربية للأخبار عن.... مدير المطعم قوله: إن هؤلاء العاملات سيقدمن هذه الخدمة تحت شروط ومعايير محددة. وأضاف أن الشباب المسلم مثله مثل أى شباب آخر. يريد زيارة هذه الأماكن، ولكنه لا يستطيع ذلك بدون تصالح نفسه بينه وبين دينه!!

ولذلك فإن الزبون المسلم سيستطيع التمتع بالخدمة الجنسية بدون أن يتعاطى الحرام؟! وأشار إلى أن الفكرة قامت على تصوّر اشتراك فيه (ثلاثة من الأئمة المسلمين المعتدلين). الذين ساهموا في صياغة القواعد والشروط، لتحليل العملية الجنسية للشباب مع هؤلاء العاملات.... وقال: إن من بين الشروط، أن يتم المنع التام لتعاطى الكحول أو المخدرات، وحث السيدات على أداء الصلوات الخمس وبمواعيدها حتى أثناء الخدمة!! ولم يوضح المطعم ما هو التصور الذى وضع لهذا الغرض، أو القواعد الشرعية لذلك، ولم يفسر كيف يمكن اعتبار الدعارة حلالا، مما أثار سخرية وسخط، الكثيرين من المسلمين فى البلاد وخارجها!!

—: هذا بجانب كم هائل جدا من الفتاوى أكتفى بذكر البعض اليسير منها:

- المطالبة بهدم قبة ضريح رسول الله ﷺ والدعاء بأن يرسل الله عليها صاعقة تزيلها.
- إلى فتوى لسائل بجواز قتل زميله الذى لا يصل.
- فتوى بأن من ماتت ببدلة الرقص فهى شهيدة.
- فتوى بجواز التجسس ومشاهدة المخطوبة وهى تستحم عارية.
- فتوى بوجوب قتل ميكى ماوس.
- فتوى إمام مسجد يفتى بأن الموبايل كبيرة من الكبائر.
- فتوى بأن كرة القدم ولاء لغير الله وبأنها أم الآثام، مشيرا إلى أنها تشتمل على الإنفاق المحرم وأكل الحرام والولاء والبراء لغير الله والفرح والجزع بالباطل.
- وآخر يفتى: فى الدين، ويتحدث عن نظام الإرت والمواريث، وهو صاحب العديد من المحطات والقنوات التى تبث الغث ليلا ونهارا، ومن تربطه علاقات وعمل بأهل الفن والفنانين، ويسوق نفسه كقدوة للشباب عليهم الاقتداء به، وأن عمله لصالح الإسلام والمسلمين، ويرجو أن يضاف فى حسابه يوم القيامة!
- فرد عليه أحدهم ساخراً، نعم سيضاف حتما لحسابك بالبنك بالدنيا، وليس لحسابك يوم القيامة. وآخر يفتى بضرورة تطليق الزوج لزوجته إن كانت من الإخوان أو متعاطفة معهم، فقد أصبحوا من المغضوب عليهم.
- وفتوى بأن الأرض لا تدور ولا صحة لنزول الإنسان على القمر.

وفتوى تحرم السفر إلى كوكب المريخ، لأن من يقوم بهذه الرحلة الخطرة عرضة للموت من دون سبب، لذلك قد يواجه عقاب المنتحرين في الآخرة! إذاً فما بال حال من يركب الطائرة أثناء سفره وهل هناك فرق؟

وآخر يفتى بتحريم وضع حزام السلامة عند قيادة السيارة، بدعوى أنه يمنع القضاء والقدر! وهنا، يكون الشيخ، كما عبر عن ذلك المنتقدون لموقفه، قد وقع في مفارقة خطيرة، ورد على نفسه بنفسه. لأن الأصل أنه لا راد لقضاء الله!!

وآخر يفتى بتحريم إحدى الأكلات الشعبية المسماة السمبوسك، بحجة أنها تحتوى أضلاعا مسيحية تشبه أضلاع الثالوث المقدس المسيحي!

وفتوى تحرم إهداء الزهور للمرضى خلال عيادتهم، تحت ذريعة أن ذلك ليس من عادة المسلمين، بل هو سلوك يقوم به الكفار، وأن إهداء الزهور لا يجلب منفعة للمريض.

وآخر يفتى بتحريم وقوف التلاميذ للمعلم، إذ لو قام التلميذ والتلميذة احتراماً للمعلم والمعلمة، ينطبق عليهم الحديث: من أحب أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار!!

وفتوى تحريم علم الآثار والجيولوجيا، ويرى دعاة الفتوى أنه لا يجوز أن نقول حدث شيء في الماضي إلا إذا أخبر القرآن الكريم بذلك أو السنة والثقافت!!

* * *

وفي الختام لانقول سوى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم..

ولله در أبى الحسن محمد الأثرى حين قال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكرو
وبقيت في خلفٍ يُزَيَّنُ بعضُهم	بعضاً ليأخذ معوراً من معور
ركبوا ثنّيات الطريق فأصبحوا	مُتَنَكِّبينَ عن الطريقِ الأكبر
ما أقرب الأشياء حين يسوقها	قَدَرٌ وأبعدها إذا لم تُقَدَّر
العلمُ زينٌ للرجال مـروءةٌ	والعلمُ أنفعُ من كنزِ الجواهر
أُخِي إنَّ من الرجالِ بهيمَةً	في صورةِ الرجالِ السميعِ المبصر
فطنٌ لكل مصيبةٍ في ماله	وإذا يصابُ بدينه لم يشـعُر

ومن كتاب إغاثة اللفهان لابن الجوزية نورد هذه القصيدة، التى تضمنت فى بعض أبياتها ذكراً لبعض ما يحتويه كتابنا من فصول، لذا أوردتها هنا بتمامها والله المستعان:

زَمَرٌ مِنَ الْأَوْبَاشِ وَالْأَنْدَالِ	ذَهَبَ الرَّجَالُ وَحَالَ دُونَ مَجَالِهِمْ
سَارُوا وَلَكِنْ سِيرَةَ الْبَطِّالِ	زَعَمُوا بِأَنَّهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ
كَتَقَشُّوا الْأَقْطَابَ وَالْأَبْدَالِ	لَبَسُوا الدُّلُوقَ مَرْقَعاً وَتَقَشَّفُوا
سُبُلَ الْهُدَى بِجَهَالَةٍ وَضَلَالِ	قَطَعُوا طَرِيقَ السَّالِكِينَ وَغَوَّروا
وَحَشَوْا بِوِطَانِهِمْ مِنَ الْأَدْغَالِ	عَمَرُوا ظَوَاهِرَهُمْ بِأَثْوَابِ التَّقَى
هَمَزُوكَ هَمَزَ الْمُنْكَرِ الْمُتَعَالِ	إِنْ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
تَبِعُوهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ	أَوْ قُلْتَ قَدْ قَالَ الصَّحَابَةُ وَالْأُولَى
وَأَبَوْ حَيْفَةَ وَالْإِمَامَ الْعَالِى	أَوْ قُلْتَ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
فَالْكُلُّ عِنْدَهُمْ كَشِبُهُ خِيَالِ	أَوْ قُلْتَ قَالَ صِحَابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ
عَنْ سِرِّ سِرِّ عَنِ صَفَا أَحْوَالِ	وَيَقُولُ قَلْبِي قَالَ لِي عَنْ سِرِّهِ
عَنْ شَاهِدِي عَنْ وَارِدِي عَنْ حَالِ	عَنْ حَضْرَتِي عَنْ فِكْرَتِي عَنْ خَلَوَتِي
عَنْ سِرِّ دَاتِي عَنْ صِفَاتِ فِعَالِ	عَنْ صَفْوِ وَقْتِي عَنْ حَقِيقَةِ مَشْهَدِي
أَلْقَابَ زُورٍ لُفِّفَتْ بِمُحَالِ	دَعَاوِي إِذَا حَقَّقْتُهَا أَلْفَيْتُهَا
بِظَوَاهِرِ الْجُهَالِ وَالضُّلَالِ	تَرَكُوا الْحَقَائِقَ وَالشَّرَائِعَ وَاقْتَدُوا
شَطْحاً وَصَالُوا صَوْلَةَ الْإِدْلَالِ	جَعَلُوا الْمِرَادَ فَتْحاً وَالْفَاطَ الْخَنَا
نَبَذَ الْمُسَافِرُ فَضْلَةَ الْأَكَّالِ	نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
وَعَلَّوْا فَقَالُوا فِيهِ كُلُّ مُحَالِ	جَعَلُوا السَّمَاعَ مَطِيَّةً لِهَوَاهُكُمْ
صَدَقُوا لِذَلِكَ الشَّيْخِ ذِي الْإِضْلَالِ	هُوَ طَاعَةٌ هُوَ قُرْبَةٌ هُوَ سُنَّةٌ
حَتَّى أَجَابُوا دَعَاةَ الْمُحْتَالِ	شَيْخٌ قَدِيمٌ صَادَهُمْ بِتَحْيِيلِ
وَالْأَثَارِ إِذْ شَهِدَتْ لَهُمْ بِضَلَالِ	هَجَرُوا لَهُ الْقُرْآنَ وَالْأَخْبَارَ

وَرَأَوْا سَمَاعَ الشَّعْرِ أَنْفَعَ لِلْفَتَى
تَاللَّهِ مَا ظَفَرَ الْعَدُوُّ بِمِثْلِهَا
نَصَبَ الْحِيَالِ لَهُمْ فَلَمْ يَقْعُوا بِهَا
فَإِذَا هُمَا وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَى
لَا يَسْمَعُونَ سِوَى الَّذِي يَهُوُّونَهُ
وَدُعُوا إِلَى ذَاتِ الْيَمِينِ فَأَعْرَضُوا
خَرُّوا عَلَى الْقُرْآنِ عِنْدَ سَمَاعِهِ
وَإِذَا تَلَا الْقَارِى عَلَىهِمْ سُورَةً
وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ أَطَلَتْ وَلَيْسَ
هَذَا وَكَمْ لَعُو وَكَمْ صَحَبٍ وَكَمْ
حَتَّى إِذَا قَامَ السَّمَاعُ لَدَيْهِمْ
وَأَمْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ تَسْمَعُ وَحَى
وَتَحَرَّكَتْ تِلْكَ الرُّءُوسُ وَهَزَّتْهَا
فَهُنَالِكَ الْأَشْوَاقُ وَالْأَشْجَانُ
تَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ صَحَاةٌ أَبْصَرُوا
لَكُنَمَا سُكْرُ السَّمَاعِ أَشَدُّ
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً
يَا أُمَّةً لَعَبَتْ بِدِينِ نَبِيِّهَا
أَشْمَتُوا أَهْلَ الْكِتَابِ بِدِينِكُمْ
كَمْ ذَا نَعِيرٍ مِنْهُمْ بِفَرِيقِكُمْ
قَالُوا لَنَا دِينٌ عِبَادَةُ أَهْلِهِ
بَلْ لَا تَجِئُ شَرِيعَةً بِجِوَاظِهِ
لَوْ قُلْتُمَا فُسُقٌ وَمَعْصِيَةٌ وَتَرْزِيقٌ

مِنْ أَوْجُهُ سَبْعٍ لَهُمْ بِتِوَالِ
مِنْ مِثْلِهِمْ وَأَخْيَبَةَ الْأَمَالِ
فَأَتَى بِذَا الشَّرْكَ الْمُحِيطِ الْغَالِي
الْأَثْوَابِ وَالْأَدْيَانَ وَالْأَحْوَالِ
شُغْلًا بِهِ عَنْ سَائِرِ الْأَشْغَالِ
عَنْهَا وَسَارَ الْقَوْمُ ذَاتَ شِمَالِ
صُمًّا وَعَمِيَانًا ذَوَى إِهْمَالِ
فَاطَالَتْهَا عَدُوُّهُ فِي الْأَثْقَالِ
ذَا عَشَرَ فَخَفَّفَ أَنْتَ ذُو إِمْلَالِ
ضَحِكٍ بِلَا أَدَبٍ وَلَا إِجْمَالِ
خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ بِالْإِجْلَالِ
ذَاكَ الشَّيْخُ مِنْ مُتَرَنِّمٍ قَوْلِ
طَرَبٍ وَأَشْوَاقٍ لِنَيْلٍ وَصَالِ
وَالْأَحْوَالِ لَا أَهْلًا بِذَى الْأَحْوَالِ
مَاذَا دَهَاكُمُ مِنْ قَبِيحٍ فَعَالِ
مِنْ سُكْرِ الْمَدَامِ وَذَا بِلَا إِشْكَالِ
نَالَتْ مِنَ الْخُسْرَانِ كُلِّ مَنَالِ
كَتَلَاعِبِ الصَّبِيَانِ فِي الْأَوْحَالِ
وَاللَّهُ لَنْ يَرْضُوا بِذَى الْأَفْعَالِ
سِرًّا وَجَهْرًا عِنْدَ كُلِّ جِدَالِ
هَذَا السَّمَاعِ فَذَاكَ دِينُ مُحَالِ
فَسَلُّوا الشَّرَائِعَ تَكْتَفُوا بِسْوَالِ
مِنْ الشَّيْطَانِ لِلْأَنْدَالِ

* * *

ليصد عن وحى الإله ودينه
 كنا شهدنا أن ذا دين أتى
 والله منهم قد سمعنا ذا إلى الأذان
 وتمام ذاك القول بالحيّل التي
 جعلته كالنّوب المهلّهل نسجّه
 ما شئت من مكر ومن خدع
 فاحتل على إسقاط كلّ فريضة
 واحتل على المظلوم يقلب ظالماً
 وأقلب وحول فالتّحيل كلّه
 إن كنت تفهم ذا ظفرت بكلّ ما
 واحتل على شرب المدام وسمها
 واحتل على أكل الربا واهجرشنا
 واحتل على الوطاء الحرام ولا تقل
 واحتل على حل العقود وفسخها
 إلا على المحتال فهو طبيبها
 واحتل على نقض الوقوف وعودها
 فكرر وقدر ثم فصل بعد
 واحتل على الميراث فانزعه
 قد أثبتوا نسباً وحصراً فيكم
 واعمد إلى تلك الشهادة واجعل
 فالحصر إثبات ونفى غير
 واحتل على مال اليتيم فإنّه
 لا سوطه تخشى ولا من سيفه

وينال فيه حيلة المحتال
 بالحق دين الرسل لا بضلال
 من أفواههم بمقــــــــــــــــال
 فسخت عقود الدين فسح فصال
 فيه تفصله من الأوصال
 ومن حيل وتلبيس بلا إقلال
 وعلى حرام الله بالإحلال
 وعلى الظلوم بضد تلك الحال
 فى القلب والتّحويل ذو إعمال
 تبغى من الأفعال والأقوال
 غير أسمها واللفظ ذو إجمال
 عة لفظه واحتل على الأبدال
 هذا زناً وأنكح رضى البال
 بعد اللزوم وذلك ذو إشكال
 يا محنة الأديان بالمحتال
 طلقاً ولا تستجى من إبطال
 ذا فإذا غلبت فلج فى الإشكال
 من الوراث ثم أبلع جميع المال
 حتى تحوز الإرث للأموال
 الإبطال همك تحط بالأبطال
 معلوم وهذا موضع الإشكال
 رزق هنى من ضعيف الحال
 والقول قولك فى ذهاب المال

* * *

وَاحْتَلَّ عَلَى أَكْلِ الْوُقُوفِ فَإِنَّهَا
فَأَبُو حَنِيفَةَ عِنْدَهُ هِيَ بَاطِلٌ
فَالْمَالُ مَالٌ ضَائِعٌ أَرِيَابُوهُ
وَإِذَا تَصِحَّ بِحُكْمٍ قَاضٍ عَادِلٍ
عَطَّلَ النَّاسُ الشُّرُوطَ وَأَهْمَلُوا
وَتَمَامُ ذَلِكَ قَضَاتُنَا وَشُـهُودُنَا
أَمَّا الشُّهُودُ فَهُمْ عُدُولٌ عَنْ طَرِيقِ
زُورًا وَتَنْمِيَةً وَكَيْفَ نَسْتَأْذِنُ
يَنْسَى شَهَادَتَهُ وَيَحْلِفُ إِنَّهُ
فَإِذَا رَأَى الْمُنْقُوشَ قَالَ ذَكَرْتُهَا
وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ أَخْوَضُ النَّارِ فِي
ثَقْلٍ لِي الْمِيزَانَ إِنِّي خَائِضٌ
أَمَّا الْقَضَاةُ فَقَدْ تَوَاتَرَ عَنْهُمْ
مَاذَا تَقُولُ مَنْ يَقُولُ حَكَمْتَ أَنْكَ
فَإِذَا اسْتَعْتَتْ أُغِثَتْ بِالْجَلْدِ الَّذِي
فَيَقُولُ طَقْ فَتَقُولُ قَطْ فَتَعَارِضَا
فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ ضَرْبٍ وَمَنْ
هَذَا وَنَسَبُهُ ذَلِكَ أَجْمَعُهُ إِلَى
حَاشَا رَسُولُ اللَّهِ يَحْكُمُ بِالْهَوَى
وَاللَّهُ لَوْ عَرِضَتْ عَلَيْهِ كُلُّهَا
إِلَّا أَلَّتْ مِنْهَا يُوَافِقُ حُكْمَهُ
أَحْكَامُهُ عَدْلٌ وَحَقٌّ كُلُّهَا

مِثْلُ السَّوَائِبِ رِبَّةُ الْإِهْمَالِ
فِي الْأَصْلِ لَمْ تَحْتِجْ إِلَى إِبْطَالِ
هَلَكُوا فَخُذْ مِنْهُ بِمَا مَكِّيَالِ
فَشُرُوطُهَا صَارَتْ إِلَى اضْمِحْلَالِ
قَدْ مَقْصُودُهَا فَالْكُلُّ فِي إِهْمَالِ
فَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خَبْرَةٍ بِالْحَالِ
الْعَدْلُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
وَتَلْبِيسًا وَإِسْرَافًا بِأَخْذِ نَوَالِ
نَاسٍ لَهَا وَالْقَلْبُ ذُو إِغْفَالِ
يَا لِلْمَذْكَرِ جِئْتَ بِالْأَمَالِ
نِزْرٍ يَسِيرُ ذَاكَ عَيْنٌ خَبَالِ
لِلْمُنْكَبِينِ أُجْرُ بِالْأَغْلَالِ
مَا قَدْ سَمِعْتَ فَلَا تَفْهَمْ بِمَقَالِ
فَاسْقِ أَوْ كَافِرٍ فِي الْحَالِ
قَدْ طَرَقُوهُ كَمِثْلِ طَرَقِ نَعَالِ
وَيَكُونُ قَوْلُ الْجَلْدِ ذَا إِعْمَالِ
عَرِضٌ وَمِنْ كَذِبٍ وَسُوءٍ مَقَالِ
دَيْنِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الْأَهْوَالِ
وَالْجَهْلُ تِلْكَ حُكُومَةُ الضَّلَالِ
لَا جُنْتَهَا بِالنَّقْضِ وَالْإِبْطَالِ
فَهُوَ الَّذِي يَلْقَاهُ بِالْإِقْبَالِ
فِي رَحْمَةٍ وَمَصَالِحٍ وَحَالِ

* * *

شَهِدَتْ عُقُولُ الْخَلْقِ قَاطِبَةً بِمَا
فَإِذَا أَتَتْ أَحْكَامُهُ أَلْفَيْتَهَا
حَتَّى يَقُولَ السَّامِعُونَ لِحُكْمِهِ
لِلَّهِ أَحْكَامُ الرُّسُولِ وَعَدْلُهُا
كَانَتْ بِهَا فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ رَحْمَةٍ
أَحْكَامُهُمْ تَجْرِي عَلَى وَجْهِ السَّدَادِ
أَمْنًا وَعِزًّا فِي هُدًى وَتَرَا حُكْمِ
فَتَغَيَّرَتْ أَوْضَاعُهَا حَتَّى غَدَتْ
فَتَغَيَّرَتْ أَعْمَالُهُمْ وَتَبَدَّلَتْ
لَوْ كَانَ دِينَ اللَّهِ فِيهِمْ قَائِمًا
وَإِذَا هُمُومُوا حَكَمُوا بِحُكْمِ جَائِرٍ
قَالُوا أَتُنْكِرُ حُكْمَ شَرْعِ مُحَمَّدٍ
عَجَّتْ فُرُوجُ النَّاسِ ثُمَّ حُقُوقُهُمْ
كَمْ تُسْتَحَلُّ بِكُلِّ حُكْمٍ بَاطِلٍ
وَالْكُلُّ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ سِوَى الَّذِي
أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنْ تُلْثِمَهُمْ غَدًا
وَزَمَانُنَا هَذَا فَرِيكَ عَالِمٍ
يَا بَاغِيَ الْإِحْسَانَ يَطْلُبُ رَبُّهُ
انْظُرْ إِلَى هُدًى الصَّحَابَةِ وَالَّذِي
وَاسَلُكَ طَرِيقَ الْقَوْمِ أَيْنَ تَيَمَّمُوا
تَاللَّهِ مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ سِوَى
دَرَجُوا عَلَى نَهْجِ الرُّسُولِ وَهَدْيِهِ
نَعْمَ الرَّفِيقُ لَطَالِبٍ يَبْغِي الْهُدَى

فِي حُكْمِهِ مِنْ صِحَّةٍ وَكَمَالٍ
وَفَقَّ الْعُقُولِ تُزِيلُ كُلَّ عَقَالٍ
مَا بَعْدَ هَذَا الْحَقِّ غَيْرُ ضَلَالٍ
بَيْنَ الْعِبَادِ وَنُورُهَا الْمُتَالِي
وَالنَّاسُ فِي سَعْدٍ وَفِي إِقْبَالٍ
وَحَالُهُمْ فِي ذَاكَ أَحْسَنَ حَالٍ
وَتَوَاصَلٍ وَمَحَبَّةٍ وَجَلَالٍ
مَنْكُورَةً بِتَلَوُّثِ الْأَعْمَالِ
أَحْوَالُهُمْ بِالنَّقْصِ بَعْدَ كَمَالِ
لَرَأْيَتُهُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ
حَكَمُوا لِمُنْكَرِهِ بِكُلِّ وَبَالٍ
حَاشَا لِدَا الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الْعَالِي
لِلَّهِ بِالْبُكْرَاتِ وَالْأَصَالِ
لَا يَرْتَضِيهِ رَبُّنَا الْمُتَعَالِي
يَقْضَى بِيَدَيْنِ اللَّهِ لَا لِنُـوَالِ
فِي النَّارِ فِي ذَاكَ الزَّمَانِ الْخَالِي
هَلْ فِيهِ ذَاكَ الثُّلُثُ أَمْ هُوَ خَالِي
لِيُفُوزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِي
خُذْ يَمْنَةً مَا الدَّرْبُ ذَاتُ شِمَالِ
سُبُلِ الْهُدَى فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ
وَبِهِ اقْتَدُوا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ
فَمَالُهُ فِي الْحَشْرِ خَيْرُ مَالِ

الْقَانِتِينَ الْمُخْبِتِينَ لِرَبِّهِمْ
 التَّارِكِينَ لِكُلِّ فِعْلٍ مُنْكَرٍ
 أَهْوَاؤُهُمْ تَبَعَ لِدِينِ نَبِيِّهِمْ
 مَا شَاءَهُمْ فِي دِينِهِمْ نَقَصَ
 عَمَلُوا بِمَا عَلَّمُوا وَلَمْ يَتَكَلَّفُوا
 وَسَوَاهُمْ بِالضَّدَّ فِي الْأَمْرَيْنِ قَدْ
 فَهَمُ الْأَدْلَةُ لِلْحَيَارَى مَنْ يَسُرُّ
 وَهُمْ التُّجُومُ هِدَايَةَ وَإِضَاءَةً
 يَمْتَشُونَ بَيْنَ النَّاسِ هَوْنًا
 حِلْمًا وَعِلْمًا مَعَ نَقْصٍ
 يُحْيُونَ لَيْلَهُمْ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ
 وَعُيُونُهُمْ تَجْرِي بِفَيْضِ دُمُوعِهِمْ
 فِي اللَّيْلِ رُهْبَانٌ وَعِنْدَ جِهَادِهِمْ
 وَإِذَا بَدَأَ عَلَّمَ الرَّهَانَ رَأْيَتُهُمْ
 بِوُجُوهِهِمْ أَثَرُ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ
 وَلَقَدْ أَبَانَ لِكَ الْكِتَابِ صِفَاتِهِمْ
 وَبَرَابِعِ السَّبْعِ الطُّوَالِ صِفَاتِهِمْ
 وَبَرَاءَةِ وَالْحَشْرِ فِيهَا وَصَفُهُمْ
 النَّاطِقِينَ بِأَصْدَقِ الْأَقْوَالِ
 وَالْعَامِلِينَ بِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ
 وَسَوَاهُمْ بِالضَّدَّ فِي ذِي الْحَالِ
 وَلَا فِي قَوْلِهِمْ شَطْحُ الْجَهُولِ الْغَالِي
 فَلِذَاكَ مَا شَابُوا الْهُدَى بِضَلَالِ
 تَرَكُوا الْهُدَى وَدَعَوْا لِكُلِّ ضَلَالِ
 بِهِدَاهُمْ لَمْ يَخْشَ مِنْ إِضْلالِ
 وَعُلُوِّ مَنْزِلَةٍ وَبُعْدَ مَنْزَالِ
 نَطَقَهُمْ بِالْحَقِّ لَا بَجَهَالَةِ الْجُهَالِ
 وَتَوَاضَعِ وَنَصِيحَةٍ مَعَ رُتْبَةِ الْإِفْضَالِ
 بِتِلَاوَةِ وَتَضَرُّعٍ وَسُؤَالِ
 مِثْلِ الْإِثْمَالِ الْوَابِلِ الْهَطَّالِ
 لِعَدُوِّهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الْأَبْطَالِ
 يَتَسَابِقُونَ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
 وَبِهَذَا أَشْعَةُ نُورِهِ الْمُتَلَالِ
 فِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ الْعَالِي
 قَوْمٌ يُحِبُّهُمْ ذُووُ إِذْلالِ
 وَبِهَذَا أَتَى وَسُورَةُ الْأَنْفَالِ

خاتمة الكتاب:

تم الكتاب بحمد الله فى يوم الاثنين الموافق التاسع والعشرين من شهر رجب من عام ألف وأربعمائة وستة وثلاثين من هجرة المصطفى عليه السلام الموافق الثامن عشر من شهر مايو لعام ألفين وخمسة عشر ميلادية. ولا يخفى عليكم أن هذا العمل من صنع الإنسان. فمن وجد خطأ فليتمس لنا العذر وليقدم لنا النصح مأجورًا ومشكورًا عليه وليعلمنا عبر البريد الإلكتروني.

<http://www.helalalessa.com>

e-mail: helalalessa@hotmail.com

وأستغفر الله العظيم من كل ما كتبت رغم حرصى، إن كان فيه ما لا يرضى الله ورسوله، وأسأل الله جل وعلا أن يقينى الزلل، وأن يجعل عملى وسعياً خالصين لوجهه الكريم، وعلماً ينتفع به من بعدى. وفى رضا الله كفاية عن رضا كل أحد. اللهم فانصر الحق وأظهر الصواب وأبرم لهذه الأمة أمراً رشداً يعز فيه وليك، ويذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك. وحسبى الله ونعم الوكيل وصلّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. كتبه أضعف عباد الله لله / هلال بن محمد بن عبد الله العيسى، غفر الله له ولوالديه..

[كتب للمؤلف هلال مُحمَّد عَبْدَ اللَّهِ الْعِيسَى]

عضو اتحاد كتاب مصر. عضو اتحاد المؤرخين العرب

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

عضو المنظمة العالمية للكتاب الأفريقيين والآسيويين

- 1 - الأيام الخوالى فى أخبار النساء والإماء والجواري.
- 2 - حدائق الأدب.
- 3 - كشف الخفاء عما جاء فى ذم النساء، من له أذن فليسمع ومن له عين فليقرأ. أقسى ما قالتها العرب والعجم وفلاسفتهم على مر العصور. فى كيد وغدر وعدم وفاء النساء وأقسى ما قاله الرجال والنساء فى النساء.
- 4 - المدَّعون. ذكر نبأ من ادعى الألوهية والنبوة وقرآنهم المزعوم وخبر من تزندق.
- 5 - العدل فى القرآن والسنة وأشهر قصص العدل فى الأدب والتاريخ.
- 6 - قصص الجن وأخبارهم فى الدين والتاريخ والأدب العربى.
- 7 - قصص النفاق وأخبار المنافقين فى الدين والتاريخ والأدب العربى.
- 8 - روائع أبيات الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الشعر والأدب العربى.
- 9 - سيرة لقمان الحكيم حكمه ونصائحه ووصاياه.
- 10 - جامع روائع الحكم والنصائح والمواعظ والمثل فى الأدب والتاريخ وما تمثل به العرب والعجم عن ألسن الطير والحيوان.
- 11 - سيرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام حكمه ونصائحه ووصاياه.
- 12 - جامع الخشية والرقعة والبكاء.
- 13 - العقوق والبر.
- 14 - المضحكات والمبكيات.
- 15 - حكم وأمثال ووصايا من التوراة والتلمود والزبور والأنجيل وأقوال أشهر أبحارهم ورهبانهم.
- 16 - قضاة على أبواب الجنة وآخرون على شفير جهنم.

- 17 - الأحبار الثلاثة. إسلامهم - روائع حكمتهم - أشهر أقوالهم.
- 18 - يا بني آدم. أطيعوني بقدر حاجتكم إلى واعصوني بقدر صبركم على النار. عتاب من الله لخلقه تحذير وتنبيه.
- 19 - سيرة عابد الحرمين النقي الزاهد الباكي الفضيل بن عياض رحمه الله.
- 20 - علماء تضيء بهم الجنان وآخرون تستعر بهم النيران.
- 21 - الشفرة السرية للزوجة النكدية .. عندما يتألا البلاء في الحياة الزوجية.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
غذاء الألباب شرح منظومة الأداب	الحنبلى	محمد عبدالعزيز الخالدى	دار الكتب العلمية بيروت
ميزان الاعتدال فى نقد الرجال	شمس الدين محمد الذهبى	على محمد وعلى أحمد عبد	دار الكتب العلمية بيروت
قوت القلوب فى معاملة المحبوب	أبى طالب المكى	د. عاصم إبراهيم الكيالى	دار الكتب العلمية بيروت
فيض القدير شرح الصغير	عبد الرؤف المناوى		المكتبة التجارية القاهرة
كتاب أعلام الموقعين عن الله	ابن قيم الجوزية	طه عبد الرؤوف سعد	مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة
مدارج السالكين	الزرعى	محمد حامد الفقى	دار الكتاب العربى بيروت
الفردوس بمأثور الخطاب	أبى شجاه الهمدانى	السعيد بن بسيونى	دار الكتب العلمية بيروت
كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال	علاء الدين الهندى	محمود عمر الدمياطى	دار الكتب العلمية بيروت
الكامل فى ضعفاء الرجال	الجرجانى	يحيى مختار غزاوى	دار الفكر بيروت
النهاية فى الملاحم والفتن	ابن كثير	عبد الشافعى	دار الكتب العلمية بيروت
كشف الخفاء ومزيل الإلباس	العجلونى	أحمد القلاش	مؤسسة الرسالة بيروت
كتاب الدرة الغراء فى نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء	محمود بن إسماعيل بن إبراهيم الجذبتى		مكتبة نزار مصطفى الباز الرياض
المعجم الكبير	الطبرانى		مكتبة العلوم والحكم بغداد
مجمع الأمثال	الميدانى	محمد أبو الفضل	البابى الحلبي مصر
فوائد أبى ذر عبد أحمد الهروى	الهروى	أبو الحسن القرشى	مكتبة الرشد الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
مسند الحارث (زوائد الهيثمي)	الحارث بن أبي أسامة والحافظ الهيثمي		مركز خدمة السنة والسيرة النبوية المدينة المنورة
الجهاد لابن المبارك	ابن المبارك		الدار التونسية تونس
التمثيل والمحاضرة	الثعالبي	عبد الفتاح محمد الحلو	الدار العربية للكتاب بيروت
التيسير بشرح الجامع الصغير	المناوي		مكتبة الإمام الشافعي الرياض
تفسير البغوي	البغوي	خالد عبد الرحمن العك	دار المعرفة بيروت
سير الحاث إلى علم الطلاق الثلاث	جمال الدين المقدسي	محمد بن ناصر العجمي	دار البشائر الإسلامية بيروت
تهذيب مستمر الأوهام	علي بن مأكولا	سيد كسروي حسن	دار الكتب العلمية بيروت
خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول	شهاب الدين المقدسي	جدمال عزون	مكتبة أضواء السلف الرياض
الشقائق النعمانية والعقد المنظوم	طاشكبري		دار الكتاب العربي بيروت
مسند أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل		مؤسسة قرطبة القاهرة
الشرح الميسر- على الفقهاء الأبسط والأكبر	محمد بن عبد الرحمن		مكتبة الفرقان
الزهد لابن المبارك	عبد الله بن المبارك	حبيب الرحمن الأعظمي	دار الكتب العلمية بيروت
طبقات المحدثين بأصبهان	عبدالله بن محمد الأنصاري	عبد الغفور عبدالحق البلوشي	مؤسسة الرسالة بيروت
التمهيد لابن عبد البر	ابن عبد البر	مصطفى أحمد ومحمد عبدالكبير	وزارة عموم الأوقاف المغرب
الجامع لأخلاق الراوي	البغدادي	د/محمود طحان	دار المعارف الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
كتاب الآثار	يعقوب الأنصارى	أبو الوفا	دار الكتب العلمية بيروت
منهاج السنة النبوية	ابن تيمية	د. محمد رشاد سالم	مؤسسة قرطبة القاهرة
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب	الأندلسى	عبد السلام عبد الشافى	دار الكتب العلمية بيروت
مختصر تاريخ دمشق	محمد بن منظور		دار الفكر دمشق
المحن	أبو العرب التميمى	عمر سليمان العقيلي	دار العلوم السعودية
جامع بيان العلم وفضله	ابن عبد البر النمرى		دار الكتب العلمية بيروت
نفع الطيب من غصن الأنـدلس	أحمد التلمسانى		دار الكتب العلمية بيروت
شذرات الذهب فى أخبار	ابن العماد الحنبلى		دار الأفاق الجديدة بيروت
مروج الذهب ومعادن الجواهر	المسعودى		دار الكتاب اللبنانى بيروت
أخبار أبى حنيفة وأصحابه	أبى عبد الله الصيمرى		عالم الكتب بيروت
التبر المسبوك فى نصيحة الملوك	الغزالى	محمد أحمد	مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت
غريب الحديث لابن سلام	القاسم بن سلام	د. محمد عبد المعيد خان	دار الكتاب العربى بيروت
نهاية الأرب فى فنون الأدب	النويرى		وزارة الثقافة مصر
وفيات الأعيان وأنباء أبناء	ابن خلكان	إحسان عباس	دار الثقافة بيروت
التبصرة	الفيروزآبادى	د. محمد حسن هيتو	دار الفكر دمشق
شرح مشكل الآثار	أبو جعفر الطحاوى	شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة بيروت
الإحكام فى أصول الأحكام	ابن حزم		دار الحديث القاهرة
تفسير التستري	أبو محمد التستري	محمد باسل	دار الكتب العلمية
البداية والنهاية	ابن كثير		مكتبة المعارف بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الكامل في التاريخ	ابن الأثير		دار الكتاب العربي بيروت
الكامل في التاريخ	الشيبياني	عبدالله القاضي	دار الكتب العلمية بيروت
السلوك في طبقات العلماء	بهاء الدين الكندي	محمد بن علي الأكوخ	مكتبة الإرشاد صنعاء
بغية الطلب في تاريخ حلب	كمال الدين أبي جرادة	سهيل زكار	دار الفكر بيروت
تنقيح القول الحثيث بشرح لباب	النوى		مطبعة مصطفى البابي القاهرة
المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها	أبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي	أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني	دار الفكر دمشق
نوادير الأصول	الترمذي	عبد الرحمن عميرة	دار الجيل بيروت
التقرير والتحبير	ابن أمير الحاج		دار الفكر بيروت
الترغيب والترهيب من الحديث	المنذري	محمد علي قطب	دار القلم بيروت
البدر المنير في الواقعة في الشرح الكبير	سراج الدين بن الملحق	مصطفى أبو الغيط وعبدالله بن سليمان وياسر بن كمال	دار الهجرة للنشر والتوزيع الرياض
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	علي الهيتمي		دار الريان للتراث مصر
سر العالمين وكشف ما في الدارين	بو حامد محمد الغزالي	محمد حسن وأحمد فريد المزيدي	دار الكتب العلمية بيروت
نزهة المجالس ومنتخب النفائس	الصفوري	عبد الرحيم مارد يني	دار المحبة دار آية بيروت
محاوالت كونفوشيوس	ليوجون تيان ولين سونغ	ترجمة محسن سيد	المجلس الأعلى للثقافة مصر
محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء	الأصبهاني		دار مكتبة الحياة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
تفسير غرائب القرآن	النيسابوري	الشيخ زكريا عميران	دار الكتب العلمية بيروت
خلاصة الأثر في أعيان القرن الثامن عشر	المجبي		دار صادر بيروت
حجة الله البالغة	شاه ولي الله	سيد سابق	مكتبة المثنى القاهرة بغداد
التذكرة الحمدونية	ابن حمدون محمد	إحسان بكر عباس	دار صادر بيروت
التاريخ الكبير	البخاري	السيد هاشم الندوي	دار الفكر بيروت
الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار	الشعراني	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
ترتيب المدارك وتقريب المسالك	أبو الفضل الأندلسي	محمد سالم هاشم	دار الكتب العلمية بيروت
تاريخ مدينة دمشق	الشافعي	محب الدين العمري	دار الفكر بيروت
جامع الاحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير)	السيوطي		دار الكتب العلمية بيروت
المدخل إلى السنن الكبرى	البيهقي	د/محمد الأعظمي	دار الخلفاء كويت
سنن الترمذي	الترمذي	أحمد محمد شاكر	دار إحياء التراث العربي بيروت
تاريخ الطبري. تاريخ الرسل			دار المعارف مصر
روضة العقلاء ونزهة الفضلاء	البسيتي	محمد محي الدين	دار الكتب العلمية بيروت
الجليس الصالح	ابن الجوزي	فواز صالح	رياض الريس للكتب بيروت
تاريخ بغداد	البغدادی		دار الكتاب العربي بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الكشاف	الزمخشري	عبد الرزاق المهدي	دار إحياء التراث العربي بيروت
الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية	محيي الدين على الطائي		دار إحياء التراث العربي بيروت
شرح نهج البلاغة	المدايني	محمد عبد الكريم النمري	دار الكتب العلمية بيروت
إحياء علوم الدين	الغزالي		دار الكتاب العربي
تهذيب الكمال	المزني	د/بشار عواد معروف	مؤسسة الرسالة بيروت
تهذيب الرياسة وترتيب السياسة	أبي عبد الله القلعي	براهيم يوسف مصطفى	مكتبة المنار الأردن
حاشية قليوبي	شهاب الدين أحمد	مكتب البحوث والدراسات	دار الفكر بيروت
تهذيب الأسماء واللغات	محيي الدين النووي	مكتب البحوث والدراسات	دار الفكر بيروت
تفسير السلمي	السلمي	سيد عمران	دار الكتب العلمية لبنان
التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب	الرازي		دار الكتب العلمية بيروت
الفتاوى الكبرى الفقهية	ابن حجر الهيتمي		دار صادر بيروت
التعريفات	على الجرجاني	إبراهيم الأبياري	دار الكتاب العربي بيروت
تحفة الحبيب على شرح الخطيب	البجيرمي		دار الكتب العلمية بيروت
طبقات الحنفية	ابن أبي الوفاء		مير محمد كتب خانة الهند
مجموع الفتاوى	ابن تيمية	عبد الرحمن بن محمد	مكتبة ابن تيمية
ذم الكلام وأهله	أبو إسماعيل عبد الله الهروي	عبد الرحمن عبد العزیز الشبل	مكتبة العلوم والحكم المدينة

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
المطالب العالية	العسقلاني	د/سعد بن ناصر التري	دار العاصمة الرياض
بدائع الفوائد	الزرعي	هشام عبد العزيز • عادل عبد الحميد • أشرف أحمد	مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة
فتاوى ابن الصلاح	ابن صلاح	عبد المعطي قلعجي	دار الوعي دمشق
التذكرة في الوعظ	ابن الجوزي	أحمد عبد الوهاب فتيح	دار المعرفة بيروت
تهذيب التهذيب	العسقلاني		دار الفكر بيروت
معجم ابن المقرئ	ابن المقرئ	أبي عبد الرحمن عادل	مكتبة الرشد الرياض
سيرة عمر بن عبد العزيز	أبي محمد عبدالله	أحمد عبيد	عالم الكتب بيروت
الصمت وآداب اللسان	البغدادي	أبو إسحاق الحويني	دار الكتاب العربي بيروت
الصمت وآداب اللسان	ابن أبي الدنيا	أبو إسحاق الحويني	دار الكتاب العربي بيروت
مجموع في مصنفات أبي جعفر ابن البخاري	محمد بن عمرو البخاري	نبيل سعد الدين جرار	دار البشائر الإسلامية بيروت
المعرفة والتاريخ	أبو يوسف الفسوي	خليل المنصور	دار الكتب العلمية بيروت
النور السافر	العيدروسي		دار الكتب العلمية بيروت
التدوين في أخبار قزوين	القزويني	عزيز الله العطاردی	دار الكتب العلمية بيروت
تاريخ جرجان	حمزة الجرجاني	د/محمد عبد المعيد خان	عالم الكتب بيروت
الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)	الثعلبي	أبي محمد الساعدي	دار إحياء التراث العربي بيروت
الآحاد والمثاني	الشيبياني	د/ باسم فيصل أحمد	دار الراية الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
قواعد التحديث	القاسمي		دار الكتب العلمية بيروت
مخطوط إنجيل برنابا	برنابا		مكتبة هلال العيسى - الخاصة
الورع	ابن حنبل	د / زينب إبراهيم	دار الكتب العلمية بيروت
العقد الفريد	ابن عبد ربة	محمد العريان	دار الفكر بيروت
البرهان في أصول الفقه	عبد الملك الجويني	عبد العظيم محمود الديب	دار الوفاء القاهرة
قواطع الأدلة في الأصول	أبو المظفر السمعاني	محمد حسن محمد	دار الكتب العلمية
العلل ومعرفة الرجال	أحمد بن حنبل	وصى الله محمد عباس	المكتب الإسلامي بيروت
الزهد لأبن حنبل	أحمد عمرو الشيبياني	عبد العلي عبد الحميد	دار الريان للتراث مصر
مسند البزاز	أبو بكر أحمد البزاز	د/محفوظ الرحمن زين الله	مؤسسة علوم القرآن بيروت
نثر الدرر	أبو سعد بن الآبي	خالد عبد الغني محفوظ	دار الكتب العلمية بيروت
أسد الغابة	الجزري	عادل أحمد الرفاعي	دار إحياء التراث العربي بيروت
الدر المنثور	السيوطي		دار الفكر بيروت
أدب الدنيا والدين	الماوردي		دار الدعوة القاهرة
فضائح الباطنية	أبو حامد الغزالي		مؤسسة الكتب الثقافية كويت
الإرشاد في معرفة علماء الحديث	الخليل بن عبد الله القزويني	د. محمد سعيد عمر إدريس	مكتبة الرشد الرياض
الأمالى	القالى		دار الحجيل بيروت
حياة الحيوان الكبرى	الدميري		دار الفكر بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الكسب	محمد الشيباني	د. سهيل زكار	عبد الهادي حرصوني دمشق
تفسير النسفي	النسفي		دار الكتاب العربي بيروت
طبقات الشافعية	أبو بكر بن أحمد شهبة	د/ الحافظ عبد العليم خان	عالم الكتب بيروت
المجالسة وجواهر العلم	الدينوري	أبو عبيدة مشهور	دار ابن حزم بيروت
شرح صحيح البخاري	ابن بطل	أبو تميم ياسر بن إبراهيم	مكتبة الرشد الرياض
صحيح البخاري	البخاري		مكتبة الشعب مصر
السنن الواردة في الفتن	أبو عمرو المقرئ	د/ ضياء الله المباركفوري	دار العاصمة الرياض
سنن الدارمي	الدارمي	فواز أحمد وخالد السبع	دار الكتاب العربي بيروت
المستدرك على الصحيحين	النيسابوري	مصطفى عبد القادر	دار الكتب العلمية بيروت
شعب الإيمان	البيهقي	محمد السعيد بسيوني	دار الكتب العلمية بيروت
عيون الأخبار	ابن قتيبة الدينوري		دار الكتب العلمية بيروت
العزلة	البستي		المطبعة السلفية مصر
المنتظم في تاريخ الملوك والأئمة	عبد الرحمن بن الجوزي		دار صادر بيروت
تاريخ ابن معين	يحيى بن معين	أحمد محمد نور	مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة
البيان والتبيين	الجاحظ	فوزي عطوي	دار صعب بيروت
طبقات الحنابلة	محمد بن أبي يعلى	محمد حامد الفقي	دار المعرفة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
ذخيرة الحفاظ	المقدسى	د. عبد الرحمن الفريواتى	دار السلف الرياض
الباب في علوم الكتاب	أبو حفص عمر الدمشقى	عادل أحمد وعلى محمد	دار الكتب العلمية بيروت
الفوائد لتمام الرازى	تمام بن محمد الرازى	حمدي عبد المجيد	مكتبة الرشد الرياض
مصنف ابن أبى شيبة	أبو بكر بن أبى شيبه	كمال يوسف الحوت	مكتبة الرشد الرياض
تنزيه الشريعة	على بن محمد الكنانى	عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق	دار الكتب العلمية بيروت
أنساب الأشراف	البلاذرى		دار المعارف القاهرة
الآداب الشرعية	المقدسى	شعيب الأرناؤوط وعمر القيام	مؤسسة الرسالة بيروت
الفتح الكبير	السيوطى	يوسف النبهانى	دار الفكر بيروت
الإصابة في تمييز الصحابة	العسقلانى	على محمد البجاوى	دار الحيل بيروت
الفقيه والمتفقه	أبو بكر أحمد البغدادى	أبو عبد الرحمن عادل	دار ابن الجوزى الرياض
مفتاح دار السعادة	الزرعى		دار الكتب العلمية بيروت
الزهد لابن السرى	هناد بن السرى	عبد الرحمن عبد الجبار	دار الخلفاء للكتاب كويت
المعجم الأوسط	الطبرانى	طارق عوض وعبد المحسن إبراهيم	دار الحرمين مصر
تذكرة الحفاظ	محمد القيسرانى	حمدي عبد المجيد	دار الصميعى الرياض
سير أعلام النبلاء	الذهبي		مؤسسة الرسالة بيروت
ربيع الأبرار ونصوص الأخبار	الزمخشري	عبد الأمير المهنا	الأعلمى للمطبوعات بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الأحكام السلطانية	أبو الحسن البغدادى		دار الكتب العلمية بيروت
المقاصد الحسنة	بو الخير السخاوى	محمد عثمان الخشت	دار الكتاب العربى بيروت
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد الذهبي	د. عمر عبد السلام تدمرى	دار الكتاب العربى بيروت
البدر الطالع	الشوكانى		دار المعرفة بيروت
سراج الملوك	أبى بكر الطرطوشى	محمد فتحي	الدار المصرية اللبنانية
جمهرة خطب العرب	أحمد زكى صفوت		المكتبة العلمية بيروت
شرح فتح القدير	كمال الدين السيواسى		دار الفكر بيروت
الديباج المذهب	إبراهيم على اليعمرى		دار الكتب العلمية بيروت
البصائر والزخائر	التوحيدى	وداد القاضى	دار صادر بيروت
أخبار القضاة	ابن حيان		عالم الكتب بيروت
كتاب أخبار القضاة	أبى بكر محمد وكيع		المكتبة التجارية القاهرة
المؤتلف والمختلف	القيسرانى	كمال يوسف الحوت	دار الكتب العلمية بيروت
جذوة المقتبس فى ولاية الأندلس	أبو عبد الله الحميدى		الدار المصرية للتأليف القاهرة
الزهد وصفة الزاهدين	أحمد محمد ابن بشر	مجدى فتحى السيد	دار الصحابة للتراث القاهرة
التاج والإكليل	محمد بن يوسف البدرى		دار الفكر بيروت
ميزان العمل	أبو حامد الغزالى		دار الكتاب العربى بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الإلماع	القاضي عياض بن موسى اليحصبي	السيد أحمد صقر	دار التراث/ المكتبة العتيقة القاهرة تونس
مناداة الأطلال	عبد القادر بدران	زهير الشويش	المكتب الإسلامي بيروت
الرد على الجهمية للدارمي	عثمان بن سعد الدارمي	بدر بن عبد الله البدر	دار ابن الأثير كويت
تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك	إبراهيم الطرسوسي	د رضوان السيد	دار الطليعة بيروت
تاريخ قضاة الأندلس	أبو الحسن الأندلسي	لجنة أحياء التراث العربي	دار الأفاق الجديدة بيروت
الكشاف	حمد بن أحمد الدمشقي	محمد عوامة	دار القبلية الإسلامية الرياض
الموافقات	إبراهيم الغرناطي	عبد الله دراز	دار المعرفة بيروت
دستور العلماء	عبد النبي نكري	حسن هاني فحص	دار الكتب العلمية بيروت
صفة الفتوى	أحمد الحراني	الألباني	المكتب الإسلامي بيروت
نشر- طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف	جمال الدين الجيثي		دار المنهاج الرياض
البحر المحيط في أصول الفقه	بدر الدين الزركشي	د محمد محمد تامر	دار الكتب العلمية
أدب المفتي والمستفتي	عثمان الشهرزوي	د موفق عبد الله عبد القادر	مكتبة العلوم والحكم وعالم الكتب بيروت
فضائل الأعمال	ضياء الدين المقدسي		دار الغد العربي القاهرة
أخبار المكيين	أحمد بن زهير بن حرب	إسماعيل حسن حسين	دار الوطن الرياض
تعليق من أمالي ابن دريد	أبو بكر الأزدى	السيد مصطفى السنوسي	المجمع الوطني للثقافة كويت
المفردات في غريب القرآن	أبو القاسم الحسن	محمد سيد كيلان	دار المعرفة بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الحث على طلب العلم	أبو هلال العسكري	د مروان قباني	المكتب الإسلامي بيروت
سلوة الأحران	أبي بكر الخفاف	طارق الطنطاوي	مكتبة ابن سينا القاهرة
أحكام أهل النمة لابن القيم	الزرعي	يوسف البكري وشاكر توفيق	رمادي للنشر - ودار ابن حزم بيروت الرياض
إبطال الحيل	عبد الله العكبري	زهير الشاويش	المكتب الإسلامي بيروت
اللمع في أصول الفقه	أبو اسحاق الشيرازي		دار الكتب العلمية
تلبس إبليس	ابن الجوزي		دار الفكر بيروت
معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي	أحمد بن إبراهيم إسماعيل	د/زياد محمد منصور	مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة
صفوة الصفوة	عبد الرحمن علي أبو الفرج	محمود فاخوري ومحمد رواس	دار المعرفة بيروت
التحبير شرح التحرير	علاء الدين المرداوي	د عبد الرحمن الجبرين وعوض القرني واحمد السراج	مكتبة الرشد الرياض
التلخيص في أصول الفقه	عبد الملك الجويني	عبد الله جوام وبشير العمري	دار البشائر الإسلامية بيروت
ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين	جلال الدين السيوطي	أبو علي طه وعبد القادر الأرنؤوط	دار ابن حزم
الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية	عمر بن علي البزار	زهير الشاويش	المكتب الإسلامي بيروت
حلية الأولياء	الأصبهاني		دار الكتاب العربي بيروت
الإمتاع والمؤانسة	أبو حيان التوحيدى	احمد أمين	المكتبة العصرية بيروت

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان	محمد بن أبي بكر الزرعى	محمد حامد الفقى	دار المعرفة بيروت
ذم الغيبة والنميمة	ابن أبي الدنيا	مصطفى عبد القادر عطا	مؤسسة الكتب الثقافية القاهرة
تفسير ابن عرفة	أبو عبد الله محمد	د حسن المناعى	مركز البحوث الزيتونية تونس
تبيين الحقائق	فخر الدين عثمان		دار الكتب الإسلامى القاهرة
الإنصاف للدهلوى	أحمد بن عبد الرحيم	عبد الفتاح أبو غدة	دار النفائس بيروت
تاريخ الدولة العلية العثمانية	محمد فريد بك		دار النفائس بيروت
تذكرة السامع والمتكلم	ابن جماعة	محمد مهدى العجمى	دار البشائر الإسلامية بيروت
آداب العلماء والمتعلمين	الحسين بن منصور	محمد مهدى العجمى	دار البشائر الإسلامية بيروت
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة الدينورى	محمد محمود	مطبعة النيل القاهرة
إيقاظ الهمم لصالح العمرى	الصالح محمد الغلانى	أبى عماد السخاوى	دار الفتح الإمارات
مشيخة الشيخ الأجل	أحمد بن محمد السلفى	حاتم بن عارف العربى	دار الهجرة الرياض
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	الأصبهاني		دار الكتاب العربى بيروت
كتاب الخراج	لأبى يوسف الأنصارى		دار المعرفة بيروت
المسند لأحمد	أحمد محمد شاكر		دار الحديث القاهرة
صور من حياة التابعين	عبد الرحمن رأفت		دار النفائس دمشق
كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة	ابن بطة		الراية للنشر والتوزيع الرياض

اسم الكتاب	المؤلف	تحقيق	دار النشر
الموسوعة الفقهية الكويتية			وزارة الأوقاف الإسلامية كويت
كتاب الإسلام بين العلماء والحكام	عبد العزيز البدرى		المكتبة العلمية الرياض
البدر الطالع	الشوكاني		دار المعرفة بيروت
تهذيب التهذيب	العسقلاني		دار الفكر بيروت
الزهد لابن المبارك		حبيب الأعظمي	دار الكتب العلمية بيروت
الطيوريات	أبو الحسين الطيورى	دسمان يحيى معالى وعباس صخر الحسن	أضواء السلف الرياض
الحاوى الكبير	الماوردى	على محمد وعادل أحمد	دار الكتب العلمية بيروت
طبقات الصوفية ويلييه ذكر النسوة المتعبدات	أبو عبد الرحمن محمد الأزدى	مصطفى عبدالقادر عطا	دار الكتب العلمية بيروت
شرح الطريقة المحمدية (بريقة محمودية)	أبو سعيد محمد الخادمى		مطبعة بولاق القاهرة
مخطوط صحف موسى وابراهيم / م جامعة الملك سعود تحت اسم سورة من الزبور وصحف موسى			مخطوط
مخطوط كتاب ترجمة الزبور الشريف			مخطوط

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
7	مقدمة الكتاب
11	الباب الأول العلم
13	الفصل الأول: ما جاء عن العلم وفضله في القرآن الكريم
19	الفصل الثاني: ما جاء عن العلم وفضله في الحديث
28	الفصل الثالث: بيان ما جاء في فضل العلم وأهله وفوائده ومضاره
28	مقدمة
54	الفصل الرابع: أقوال ونصائح في العلم والعلماء
73	الباب الثاني الإفتاء والعلماء
75	مقدمة
77	الفصل الأول: ألقاب منحت للمفتين والعلماء
79	الفصل الثاني: الإفتاء وما جاء به
82	الفصل الثالث: ما جاء في الشروط الواجب توافرها في المفتي
93	الفصل الرابع: تحريم القول على الله تعالى ورسوله ﷺ بغير علم والخوف من الفتيا والزجر عن التسرع في الفتوى مخافة عدم الثبوت والزلل
107	الفصل الخامس: لا يجوز للمفتي تتبع الحيل المحرمة والمكروهة
114	الفصل السادس: ضرورة رجوع المفتي عن فتواه إذا تبين له أن الحق في غيرها
116	الفصل السابع: أقوال متنوعة في الإفتاء والمفتين
125	الفصل الثامن: التحذير من إتيان السلاطين والأمراء والحكام وأبناء الدنيا
125	مقدمة

الصفحة	الموضوع
130	الفصل التاسع: النهى عن العمل مع السلاطين ودم مخالطهم
152	الفصل العاشر: العلماء ومنح الحكام
162	الفصل الحادى عشر: صفات علماء الدنيا والآخرة والأقول المشتركة فيهما والفرق بينهما
162	مقدمة
177	الفصل الثانى عشر: صفات علماء الدنيا والسلاطين وما جاء بهم من أحاديث الرسول ﷺ
177	مقدمة
200	الفصل الثالث عشر: صفات علماء الدنيا والسلاطين وما جاء بهم من أقوال
225	الفصل الرابع عشر: صفات ومعاناة علماء الآخرة الذين ثبتوا بوجه الطغاة
225	مقدمة
336	خاتمة الفصل
343	الفصل الخامس عشر: غرائب الفتاوى وعجيبها
343	مقدمة
348	غرائب الفتاوى وعجيبها
478	خاتمة الكتاب
479	كتب للمؤلف
481	فهرس المصادر والمراجع